

أبو الفداء  
الحافظ ابن كثير  
الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ

# الْبَيْدَاءُ وَالنَّهْائِيَّةُ

٥٣٥

الجزء الثاني عشر

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

بيروت - لبنان

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشروح

قامت بها هيئة باشراف

حنان

مكتبة المعارف

بيروت

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ثم دخلت سنة ست وأربعمائة

في يوم الثلاثاء مستهل المحرم منها وقعت فتنة بين أهل السنة والروافض، ثم سكن الفتنة الوزير نغر الملك على أن تعمل الروافض بدعتهم يوم عاشوراء من تعليق المسوح والنوح. وفي هذا الشهر ورد الخبر بوقوع وباء شديد في البصرة أعجز الحفارين، والناس عن دفن موتاهم، وأنه أظلت البلاد سحابة في حزينان. فامطرتهم مطرا شديدا. وفي يوم السبت ثالث صفر تولى المرتضى نقابة الطالبين والمظالم والحج، وجميع ما كان يتولاه أخوه الرضى، وقرئ تقليده بحضرة الأعيان، وكان يوماً مشهودا. وفيها ورد الخبر عن الحجاج بأنه هلك منهم بسبب العطش أربعة عشر ألفا، وسلم ستة آلاف، وأنهم شربوا بول الأبل من العطش. وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند فأخذه الإذلاء فسلخوا به على بلاد غربية فأنهوا إلى أرض قد غمرها الماء من البحر فغاض بنفسه الماء أياما وغاض الجيش حتى خلعوا بعد ما غرق كثير من جيشه، وعاد إلى خراسان بعد جهد جهيد. ولم ينج فيها من العراق ركب لفساد البلاد من الأعراب.

وفيها توفي من الأعيان . . . الشيخ أبو حامد الاسفرايني

إمام الشافعية، أحمد بن محمد بن أحمد إمام الشافعية في زمانه، ولد في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وقدم بغداد وهو صغير سنة ثلاث أو أربع وستين وثلاثمائة، فدرس الفقه على أبي الحسن ابن المرزبان، ثم على أبي القاسم الداركي، ولم يزل تترقى به الأحوال حتى صارت إليه رئاسة

الشافعية ، وعظم جاهه عند السلطان والعمام ، وكان فقيهاً إماماً ، جليلاً نبيلاً ، شرح المزماني في تعليقه حافلة نحواً من خمسين مجلداً ، وله تعليقة أخرى في أصول الفقه ، وروى عن الاسماعيلي وغيره . قال الخطيب : ورأيت غير مرة وحضرت تدريسه بمسجد عبد الله بن المبارك ، في صدر قطيعة الربيع ، وحدثنا عنه الازجبي والخلال ، وصممت من يذكر أنه كان يحضر تدريسه سبعمائة متفقه ، وكان الناس يقولون : لو رآه الشافعي لفرح به . وقال أبو الحسن القدوري : ما رأيت في الشافعية أفقه من أبي حامد ، وقد ذكرت ترجمته مستقصاة في طبقات الشافعية : وذكر ابن خلكان أن القدوري قال : هو أفقه وأنظر من الشافعي . قال الشيخ أبو إسحاق : ليس هذا مسلماً إلى القدوري فان أبا حامد وأمثاله بالنسبة إلى الشافعي كما قال الشاعر :

نزلوا بمكة في قبائل نوفل \* ونزلت بالبدياء أبعد منزل

قال ابن خلكان : وله مصنفات : التعليقة الكبرى ، وله كتاب البستان ، وهو صغير فيه غرائب قال وقد اعترض عليه بعض الفقهاء في بعض المناظرات فأنشأ الشيخ أبو حامد يقول :

جفاء جرى جهراً لدى الناس وانبسط \* وعذراً أتى سرّاً فأكد ما فرط  
ومن ظن أن يحو جلي جفائه \* خفي اعتذاره فهو في أعظم الغلط

توفي ليلة السبت لاحدى عشرة بقية من شوال منها ، ودفن بداره بعدما صلى عليه بالصحراء وكان الجمع كثيراً والبكاء غزيراً ، ثم نقل إلى مقبرة باب حرب في سنة عشر وأربعمائة . قال ابن الجوزي : وبلغ من العمر إحدى وستين سنة وأشهرآ .

#### أبو أحمد الفرضي

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن مهران ، أبو مسلم الفرضي المقرئ . سمع المحاملي ويوسف ابن يعقوب ، وحضر مجلس أبي بكر بن الأنباري ، وكان إماماً ثقة ، ورعاً وقوراً ، كثير الخير ، يقرأ القرآن كثيراً ، ثم سمع للحديث ، وكان إذا قدم على الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، نهض إليه حافياً فتلقاه إلى باب المسجد ، توفي وقد جاوز الثمانين .

#### الشريف الرضي

محمد بن الطاهر أبو أحمد الحسين بن موسى أبو الحسن العلوي لقبه بهاء الدولة بالرضي ، ذى الحسينين ، ولقب أخاه المرتضى ذى المجدين ، ولي نقابة الطالبين ببغداد بعد أبيه ، وكان شاعراً مطبقاً ، سخياً جواداً . وقال بعضهم : كان الشريف في كثرة أشعاره أشعر قرئش فن شعره المستجاد

قوله : اشتري العز بما شئت \* ت فم العز بقال

بالقصار إن شئت \* ت أو بالسمر الطوال

ليس بالمغبون عقلاً \* من شرى عزاً بمال  
إنما يذخر الما \* ل حاجات الرجال  
والفتى من جعل الأموا \* ل أمان المالى

وله أيضاً      ياطر البان غريداً على قن \* ما هاج نوحك لى ياطر البان  
هل أنت مبلغ من هام الفؤاد به \* إن الطليق يؤدى حاجة المانى  
جناية ما جناها غير متلفنا \* يوم الوداع وواشوقى إلى الجانى  
لولا تذكر أيام بدى سلم \* وعند رامة أوطارى وأوطانى  
لما قدحت بنار الوجد فى كبدى \* ولا بلت بماء الدمع أجفانى

وقد نسب إلى الرضى قصيدة يمتنى فيها أن يكون عند الحاكم العبيدى ، ويذكر فيها أباه وباليتة  
كان عنده ، حين يرى حاله ومنزلته عنده ، وأن الخليفة لما بلغه ذلك أراد أن يسيره إليه ليقضى أربه  
و يعلم الناس كيف حاله . قال فى هذه القصيدة :

أليس الذل فى بلاد الأعدا \* ي وبصر الخليفة العلوي !  
وأبوه أبى ومولاه مولا \* ي إذا ضامنى البعيد القصي

إلى آخرها ، فلما سمع الخليفة القادر بأمر هذه القصيدة انزعج وبعث إلى أبيه الموسوى يعاتبه ،  
فأرسل إلى ابنه الرضى فأنكر أن يكون قالها بالمره ، والروافض من شأنهم التزوير . فقال له أبوه : فاذا  
لم تكن قلتها فقل أبيتا تذكر فيها أن الحاكم بمصر دعى لانصب له ، فقال : إنى أخاف غائلة ذلك ،  
وأصر على أن لا يقول ما أمره به أبوه ، وترددت الرسائل من الخليفة إليهم فى ذلك ، وهم ينكرون  
ذلك حتى بعث الشيخ أبى حامد الاسفراينى والقاضى أبى بكر إليهما ، تخلف لهما بالايان المؤكدة أنه  
ما قالها والله أعلم بحقيقة الحال . توفى فى خامس المحرم منها عن سبع وأربعين سنة ، وحضر جنازته  
الوزير والقضاة ، وصلى عليه الوزير ودفن بداره بمسجد الأنبارى ، وولى أخوه المرتضى ما كان  
يلىه ، وزيد على ذلك أشياء ومناصب أخرى ، وقد رثى الرضى أخاه عمرناة حسنة .

### باديس بن منصور الحميرى

أبو المعز مناذر بن باديس<sup>(١)</sup> نائب الحاكم على بلاد إفريقية وابن نائبها ، لقبه الحاكم بنصير  
الدولة ، كان ذا هممة وسطوة وحرمة وافرة ، كان إذا هزر محاسره ، توفى فجأة ليلة الأربعاء سلخ  
ذى القعدة منها ، ويقال إن بعض الصالحين دعى عليه تلك الليلة ، وقام فى الأمر بعده ولده المعز  
مناذر .  
ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة

فى ربيع الأول منها ، احترق مشهد الحسين بن على [ بكر بلاء ] وأرقته ، وكان سبب ذلك

(١) فى النجوم الزاهرة : المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الحميرى

أن القومة اشعلوا شمعتين كبيرتين فالتا في الليل على التاثير، وفتت النار منه إلى غيره حتى كان ما كان. وفي هذا الشهر أيضاً احترقت دار القطن ببغداد وأماكن كثيرة بباب البصرة، واحترق جامع سامرا. وفيها ورد الخبر بتشميت الركن اليماني من المسجد الحرام، وسقوط جدار بين يدي قبر الرسول (ص)، بالمدينة، وأنه سقطت القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس، وهذا من أغرب الاتفاقات وأعجبها. وفي هذه السنة قتلت الشيعة الذين ببلاد إفريقية ونهبت أموالهم، ولم يترك منهم إلا من لا يعرف. وفيها كان ابتداء دولة العلويين ببلاد الأندلس، ولها على بن حمود بن أبي العيس العلوي، فدخل قرطبة في الحرم منها، وقتل سليمان بن الحكم الأموي، وقتل أباه أيضاً، وكان شيخاً صالحاً، وبايمه الناس وتلقب بالمتوكل على الله، ثم قتل في الحمام في ثامن ذي القعدة منها عن ثمان وأربعين سنة، وقام بالأمر من بعده أخوه القاسم بن حمود، وتلقب بالمأمون، فأقام في الملك ست سنين، ثم قام ابن أخيه يحيى بن ادريس، ثم ملك الأمويون حتى ملك أمر المسلمين على بن يوسف ابن تاشفين. وفيها ملك محمود بن سبكتكين بلاد خوارزم بعد ملكها خوارزم شاه مأمون بن مأمون وفيها استوزر سلطان الدولة أبا الحسن على بن الفضل الرامهرمزي، عوضاً عن نجر الملك، وخلع عليه. ولم يجح أحد في هذه السنة من بلاد المغرب لفساد البلاد والطرقات.

وفيها توفي من الأعيان . . . . . **أحمد بن يوسف بن دوست**

أبو عبد الله البزار، أحد حفاظ الحديث، وأحد الفقهاء على مذهب مالك، كان يذكر بحضرة الدارقطني وينكلم على علم الحديث، فيقال إن الدارقطني تكلم فيه لذلك السبب، وقد تكلم في غيره بما لا يقدر فيه كبير شيء. قال الأزهرى: رأيت كتبه طرية، وكان يذكر أن أصوله المتفق غرقت، وقد أملى الحديث من حفظه، والمخلص وابن شاهين حيان موجودان. توفي في رمضان عن أربع وثمانين سنة.

### الوزير فخر الملك

محمد بن علي بن خلف أبو غالب الوزير، كان من أهل واسط، وكان أبوه صيرفيا، فنقلت به الأحوال إلى أن وزر لبهاء الدولة، وقد اقتنى أموالاً جزيلة، وبني داراً عظيمة، تعرف بالفخرية، وكانت أولاً للخليفة المتقي لله، فأنفق عليها أموالاً كثيرة، وكان كريماً جواداً، كثير الصدقة، كسى في يوم واحد ألف فقير، وكان كثير الصلاة أيضاً، وهو أول من فرق الخلاوة ليلة النصف من شعبان، وكان فيه ميل إلى التشيع، وقد صادره سلطان الدولة بالأهواز، وأخذ منه شيئاً أزيد من ستمائة ألف دينار، خارجاً عن الاملاك والمجاهر والمتاع، قتله سلطان الدولة، وكان عمره يوم قتل ثنتين وخمسين سنة وأشهرًا وقيل إن سبب هلاكه أن رجلاً قتله بعض غلمانه، فاستعدت امرأة الرجل على الوزير هذا، ورفعت إليه قصصتها، وكل ذلك لا يلتفت إليها، فقالت له ذات يوم: أيها الوزير

أرأيت القصص التي رفعتها إليك ، فلم تلتفت إليها قد رفعتها إلى الله عز وجل ، وأنا أنتظر التوقيع عليها ، فلما مسك قال قد والله خرج توقيع المرأة ، فكان من أمره ما كان .

### ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة

فيها وقعت فتنة عظيمة بين أهل السنة والروافض ببغداد ، قتل فيها خلق كثير من الفريقين . وفيها ملك أبو المظفر بن خاقان بلاد ما وراء النهر وغيرها ، وتلقب بشرف الدولة ، وذلك بعد وفاة أخيه طغان خان ، وقد كان طغان خان هذا ديناً فاضلاً ، يحب أهل العلم والدين ، وقد غزا الترك مرة فقتل منهم مائتي ألف مقاتل ، وأسر منهم مائة ألف ، وغنم من أواني الذهب والفضة ، وأواني الصين شيئاً لا يعهد لأحد مثله ، فلما مات ظهرت ملوك الترك على البلاد الشرقية . وفي جمادى الأولى منها ولي أبو الحسين أحمد بن مهذب الدولة علي بن نصر بلاد البطائح بعد أبيه ، فقاتله ابن عمه فنلبه وقتله ، ثم لم تطل مدته فيها حتى قتل ، ثم آلت تلك البلاد بعد ذلك إلى سلطان الدولة صاحب بغداد ، وطمع فيهم العامة ، فنزلوا إلى واسط فقاتلهم مع الترك . وفيها ولي نور الدولة أبو الأغردديس ابن أبي الحسن علي بن مزيد بعد وفاة أبيه . وفيها قدم سلطان الدولة إلى بغداد ، وضرب الطبل في أوقات الصلوات ، ولم تجر بذلك عادة ، وعقد عقده على بنت قراش على صداق خمسين ألف دينار . ولم يجح أحد من أهل العراق لفساد البلاد ، وعيث الأعراب وضعف الدولة . قال ابن الجوزي في المنتظم : أخبرنا مسعد الله بن علي البزار أنبأ أبو بكر الطريثي أنبأ هبة الله بن الحسن الطبري . قال : وفي سنة ثمان وأربعمائة استتب القادر بالله الخليفة فقهاء المعتزلة ، فأظهروا الرجوع وتبرؤوا من الاعتزال والرفض والمقاتلات الخالفة للإسلام ، وأخذت خطوطهم بذلك ، وأنهم متى خالفوا أحل فيهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم ، وامثل محمود بن سبكتكين أمر أمير المؤمنين في ذلك واستن بسنته في أعماله التي استخلفه عليها من بلاد خراسان وغيرها ، في قتل المعتزلة والرافضة والاسماعيلية والقرامطة والجممية والمشبهة ، وصلبهم وحبسهم ونفاهم ، وأمر بلعنهم على المنابر ، وأبعد جميع طوائف أهل البدع ، ونفاهم عن ديارهم ، وصار ذلك سنة في الإسلام .

وفيها توفي من الأعيان الحاجب الكبير . **شباشبي أبو نصر**

مولي شرف الدولة ، ولقبه بهاء الدولة بالسميد ، وكان كثير الصدقة والوقوف على وجوه القربات فن ذلك أنه وقف دباها على المارستان وكانت تغل شيئاً كثيراً من الزروع والثمار والخراج وبنى قنطرة الخندق والمارستان والناصرية وغير ذلك ، وللمات دفن بمقبرة الأمام أحمد وأوصى أن لا يبنى عليه فخالفوه ، ففقدوا قبة عليه فسقطت بعد موته بنحو من سبعين سنة واجتمع نسوة عند قبره ينحنن بيكين ، فلما رجمن رأته عجوز منهن - كانت هي المقدمة فيهن - في المنام كأن تركيا خرج إليهن من

قبره ومعه دبوس فحمل عليهن وزجرهن عن ذلك ، وإذا هو الحاجب السعيد ، فانتبهت مذعورة .  
ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة

في يوم الخميس السابع عشر من المحرم قرىء بدار الخلافة في الموكب كتاب في منهب أهل السنة  
وفيه أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم . وفي النصف من جمادى الأولى منها فاض  
البحر المالح وتداني إلى الأبله ، ودخل البصرة بعد يومين . وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند  
وتواقع هو وملك الهند فاقتتل الناس قتالا عظيما ، ثم انجلت عن هزيمة عظيمة على الهند ، وأخذ  
المسلمون يقتلون فيهم كيف شاؤا ، وأخذوا منهم أموالا عظيمة من الجواهر والذهب والفضة ، وأخذوا  
منهم مائتي فيل ، واقتصوا آثار المهزمين منهم ، وهدموا معامل كثيرة . ثم عاد إلى غزوة مؤيدا  
منصورا . ولم يمحج أحد من درب العراق فيها لفساد البلاد وغيث الأعراب .

وفيها توفى من الأعيان . . . . رجاء بن عيسى بن محمد

أبو العباس الأنصاوي ، نسبة إلى قرية من قرى مصر يقال لها أنصنا ، قدم بغداد فحدث بها  
وسمع منه الحفاظ ، وكان ثقة فقيها مالكيا عدلا عند الحكام ، مرضيا . ثم عاد إلى بلده وتوفى فيها ،  
وقد جاوز الثمانين . عهد الله بن محمد بن أبي علان

أبو أحمد قاضي الأهواز ، كان ذاملا ، وله مصنفات منها كتاب في معجزات النبي (س) ، جمع  
فيه ألف معجزة ، وكان من كبار شيوخ المعتزلة ، توفى فيها عن تسع وثمانين سنة .

علي بن نصر

ابن أبي الحسن ، مهذب الدولة ، صاحب بلاد البطيحة ، له مكارم كثيرة ، وكان الناس يلجؤون  
إلى بلاده في الشدائد فيؤويهم ، ويحسن إليهم ، ومن أكبر مناقبه إحسانه إلى أمير المؤمنين القادر لما  
استجار به ونزل عنده بالبطائح فارا من الطائع ، فأواه وأحسن إليه ، وكان في خدمته حتى ولى إمرة  
المؤمنين ، وكان له بذلك عنده اليد البيضاء ، وقد ولى البطائح ثنتين وثلاثين سنة وشهورا ، وتوفى  
فيها عن ثنتين وسبعين سنة ، وكان سبب موته أنه افتصد فانتفخ زراعه فمات .

عهد الغني بن سعيد

ابن علي بن بشر بن مروان بن عبد العزيز ، أبو محمد الأزدي المصري ، الحافظ ، كان عالما  
بالحديث وفنونه ، وله فيه المصنفات الكثيرة الشهيرة . قال أبو عبد الله الصوري الحافظ : ما رأيت  
عيناى مثله في معناه ، وقال الدارقطني : ما رأيت بمصر مثل شاب يقال له عبد الغني ، كأنه شعلة نار ،  
وجمل يفنم أمره ويرفع ذكره . وقد صنف الحافظ عبد الغني هذا كتابا فيه أوام الحاك ، فلما وقف  
الحاكم عليه جعل يقرؤه على الناس ويعترف لعبد الغني بالفضل ، ويشكره ويرجع فيه إلى ما أصاب

فيه من الرد عليه ، رحمهما الله ، ولد عبد الغنى لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة ثنتين وثلاثمائة وتوفى في صفر من هذه السنة رحمه الله .

### محمد بن أمير المؤمنين

ويكنى بابي الفضل ، كان قد جملة ولى عهده من بعده ، وضربت السكة باسمه وخطب له الخطباء على المنابر ، ولقب بالغالب بالله ، فلم يقدر ذلك . توفى فيها عن سبع وعشرين سنة .

### محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد

أبو الفتح البزار الطرسوسى ، ويعرف بابن البصرى ، سمع الكثير من المشايخ ، وسمع منه الصورى بيت المقدس ، حين أقام بها ، وكان ثقة مأموناً .

### ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة

فيها ورد كتاب بين الدولة محمود بن سبكتكين ، يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند في السنة الخالية ، وفيه أنه دخل مدينة فيها ألف قصر مشيد ، وألف بيت للأصنام . وفيها من الأصنام شيء كثير ، ومبلغ ما على الصنم من الذهب ما يقارب مائة ألف دينار ، ومبلغ الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم ، وعندهم صنم معظم ، يقرخون له وبه يجباهتهم ثلاثمائة ألف عام ، وقد سلبتنا ذلك كله وغيره مما لا يحصى ولا يعد ، وقد غنم المجاهدون في هذه الفزوة شيئاً كثيراً ، وقد عمموا المدينة بالاحراق ، فلم يتركوا منها إلا الرسوم ، وبلغ عدد القتلى من الهنود خمسين ألفاً ، وأسلم منهم نحو من عشرين ألفاً ، وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثاً وخمسين ألفاً ، واعترض من الأفيال ثلاثمائة وست وخمسين فيلاً ، وحصل من الأموال عشرون ألف ألف درهم ، ومن الذهب شيء كثير . وفى ربيع الآخر منها قرى عهد أبى الفوارس ولقب قوام الدولة ، وخلع عليه خلماً حملت إليه بولاية كرمان ، ولم ينجح في هذه السنة أحد من العراق .

ومن توفى فيها من الأعيان الأصغر الذى كان يخفر الحجاج .

### أحمد بن موسى بن مردويه

ابن فورك ، أبو بكر الحافظ الأصبهاني ، توفى في رمضان منها .

### هبة الله بن سلامة

أبو القاسم الضرير المقرئ المفسر ، كان من أعلم الناس وأحفظهم للتفسير ، وكانت له حلقة في جامع المنصور ، روى ابن الجوزى بسنده إليه قال : كان لنا شيخ نقرأ عليه فأت بعض أصحابه فراه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى . قال : فما كان حالك مع منكر ونكير ؟ قال : لما أجلساتى وسألانى ألهمنى الله أن قلت : بحق أبى بكر وعمر دعائى ، فقال أحدهما للآخر : قد أقسم بمظلمين فدعه ، فتركاى وذهبا .



## ثم دخلت سنة إحدى عشرة واربعمائة

فيها عدم الحاكم بمصر، وذلك أنه لما كان ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من شوال فقد الحاكم بن المعز الفاطمي صاحب مصر، فاستبشر المؤمنون والمسلمون بذلك، وذلك لأنه كان جبارا عنيدا، وشيطانا مريدا. ولنذكر شيئا من صفاته القبيحة، وسيرته الملعونة، أخزاه الله.

كان كثير التلون في أفعاله وأحكامه وأقواله، جاثرا، وقد كان يروم أن يدعى الألوهية كما ادعاها فرعون، فكان قد أمر الرعية إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه أن يقوم الناس على أقدامهم صفوا، إعظاما لذكوره واحتراما لاسمه، فمل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين، وكان قد أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجدا له، حتى إنه ليسجد بسجودهم من في الأسواق من الرعاع وغيرهم، ممن كان لا يصلى الجمعة، وكانوا يتركون السجود لله في يوم الجمعة وغيره ويسجدون للحاكم، وأمر في وقت لأهل الكتباين بالدخول في دين الإسلام كرها، ثم أذن لهم في العود إلى دينهم، وخرب كنائسهم ثم عمرها، وخرب القمامة ثم أعادها، وابتقى المدارس. وجعل فيها الفقهاء والمشايخ، ثم قتلهم وأخربها، وألزم الناس بفتق الأسواق نهارا، وفتحها ليلا، فامتلأوا ذلك دهرًا طويلا، حتى اجتاز مرة برجل يعمل النجارة في أثناء النهار. فوقف عليه فقال: ألم أنهمك؟ فقال: يا سيدي لما كان الناس يتعيشون بالنهار كانوا يسهرون. بالليل، ولما كانوا يتعيشون بالليل سهروا بالنهار فهذا من جملة السهر، فتبسم وبركه. وأعاد الناس إلى أمرهم الأول، وكل هذا تغيير للرسوم، واختبار لطاعة العامة له، ليرقى في ذلك إلى ما هو أشرف وأعظم منه. وقد كان يعمل الحسبة بنفسه فكان يدور بنفسه في الأسواق على حماره - وكان لا يركب إلا حماراً - فن وجدته قد غش في معيشة أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود، أن يفعل به الفاحشة العظمى، وهذا أمر منكر ملعون، لم يسبق إليه، وكان قد منع النساء من الخروج من منازلهن وقطع شجر الأعناب حتى لا يتخذ الناس منها خمرا، ومنعهم من طبخ الملوخية، وأشياء من الرعونات التي من أحسنها منع النساء من الخروج، وكراهة الخمر، وكانت العامة تبنضه كثيرا، ويكتبون له الأوراق بالشقيقة البالغة له ولأسلافه، في صورة قصص، فاذا قرأها ازداد غيظا وحنقا عليهم، حتى إن أهل مصر عملوا صورة امرأة من ورق بخفيها وإزارها. وفي يدها قصة من الشتم والامتن والمخالفة شيء كثير، فلما رآها ظنها امرأة، فذهب من ناحيتها وأخذ القصة من يدها فقرأها فرأى ما فيها، فأغضبه ذلك جدا، فأمر بقتل المرأة، فلما تحققها من ورق ازداد غيظا إلى غيظه، ثم لما وصل إلى القاهرة أمر السودان أن ينهبوا إلى مصر فيحرقوها وينهبوا ما فيها من الأموال والمتاع والحريم، فذهبوا فامتلأوا ما أمرهم به، فقاتلهم أهل مصر قتالا شديدا، ثلاثة أيام، والنار تعمل في الدور والحريم، وهو في كل يوم قبحه الله، يخرج فيقف من بعيد وينظر ويبكي ويقول: من أمر

هؤلاء العبيد بهذا؟ ثم اجتمع الناس في الجوامع ورفقوا المصاحف وصاروا إلى الله عز وجل ، واستفتاوا به ، فرق لهم الترك والمشاركة وأنجازوا إليهم ، وقتلوا معهم عن حريمهم ودورهم ، وتفاقم الحال جدا ، ثم ركب الحاكم لعنه الله ففصل بين الفريقين ، وكف العبيد عنهم ، وكان يظهر التنصل مما فعله العبيد وأنهم ارتكبوا ذلك من غير علمه وإذنه ، وكان ينفذ إليهم السلاح ويحتمهم على ذلك في الباطن ، وما أنجلى الأمر حتى احترق من مصر نحو ثلثها ، ونهب قريب من نصفها ، وسببت نساء وبنات كثيرة وفعل معهن الفواحش والمنكرات ، حتى أن منهن من قتلت نفسها خوفاً من العار والفضيحة ، واشترى الرجال منهم من سبى لهم من النساء والحريم . قال ابن الجوزي : ثم ازداد ظلم الحاكم حتى عن له أن يدعى الربوبية ، فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون : يا واحد يا أحد . يا محي يا مميت قبحهم الله جميعا .

### صفة مقتله لعنه الله

كان قد تعدى شره إلى الناس كلهم حتى إلى أخته ، وكان يتهمها بالفاحشة ، ويسمها أغلظ الكلام ، فتبرمت منه ، وعملت على قتله ، فراست أكبر الأمراء ، أميراً يقال له ابن دواس ، فتوافقت هي وهو على قتله ودماره ، وتواطأ على ذلك ، فجهز من عنده عبيدين ، أسودين شهمين ، وقال لهما : إذا كانت الليلة الفلانية فكونا في جبل المقطم ، ففي تلك الليلة يكون الحاكم هناك في الليل لينظر في النجوم ، وليس معه أحد إلا ركبتي وصبي ، فاقتلاه واقتلها معه ، واتفق الحال على ذلك . فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لأمه : على في هذه الليلة قطع عظيم ، فان نجوت منه عمرت نحواً من ثمانين سنة ، ومع هذا فانقل حواصلي إليك ، فان أخوف ما أخاف عليك من أختي ، وأخوف ما أخاف على نفسي منها ، فنقل حواصله إلى أمه ، وكان له في صناديق قريب من ثلثمائة ألف دينار ، وجواهر أخرى ، فقالت له أمه : يا مولانا إذا كان الأمر كما تقول فارحني ولا تترك في ليلتك هذه إلى موضع وكان يجربها . فقال : أفضل ، وكان من عادته أن يدور حول القصر كل ليلة ، فدار ثم عاد إلى القصر ، فنام إلى قريب من ثلث الليل الأخير ، فاستيقظ وقال : إن لم أركب الليلة فاضت نفسي ، فثار فركب فرسا وصحبه صبي وركبتي ، وصعد الجبل المقطم فاستقبله ذاك العبدان فأنزلاه عن مركوبه ، وقطعا يديه ورجليه ، وبقرا بطنه ، فأتيا به مولاهما ابن دواس ، فحمله إلى أخته فدفنته في مجلس دارها ، واستدعت الأمراء والأكابر والوزير وقد أطلعتهم على الجلية ، فبايعوا لولد الحاكم أبي الحسن علي ، ولقب بالظاهر لا عز الدين الله ، وكان بدمشق ، فاستدعت به وجعلت تقول للناس : إن الحاكم قال لي : إنه يغيب عنكم سبعة أيام ثم يعود ، فاطمأن الناس ، وجعلت ترسل ركابيين إلى الجبل فيصهدهونه ، ثم يرجعون فيقولون تركناه في الموضع الفلاني ، ويقول الذين بعدهم لأمه : تركناه في موضع كذا وكذا . حتى اطمأن الناس وقدم ابن أخيها واستصحب معه من دمشق ألف ألف دينار ، وألني ألف درهم ، فحين وصل ألبسته

تاج جد أبيه المز ، وحلة عظيمة ، وأجلسته على السرير ، وبايعه الأشراف والرؤساء ، وأطلق لهم الأموال ، وخادت على ابن دواس خلعة سفينة هائلة ، وعملت عزاء أخيها الحاكم ثلاثة أيام ، ثم أرسلت إلى ابن دواس طائفة من الجند ليكونوا بين يديه بسيفهم وقوفاً في خدمته ، ثم يقولوا له في بعض الأيام : أنت قاتل مولانا ، ثم يهبرونه بسيفهم ، ففعلوا ذلك ، وقتلت كل من اطاع على سرها في قتل أخيها ، فعظمت هيبتها وقويت حرمتها وثبتت دولتها . وقد كان عمر الحاكم يوم قتل سبعاً وثلاثين سنة ، ومدة ملكه من ذلك خمساً وعشرين سنة .

### ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وأربعمائة

فيها تولى القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد السناني الحسبة والمواريث ببغداد ، وخالع عليه السواد وفيها قالت جماعة من العلماء والمسلمين للملك الكبير بين الدولة ، محمود بن سبكتكين : أنت أكبر ملوك الأرض ، وفي كل سنة تفتح طائفة من بلاد الكفر ، وهذه طريق الحج ، قد تعطلت من مدة سنين وفتحك لها أوجب من غيرها . فتقدم إلى قاضي القضاة أبي محمد الناصحي أن يكون أمير الحج في هذه السنة ، وبمث معه بثلاثين ألف دينار للأعراب ، غير ما جهز من الصدقات ، فسار الناس بصحبته ، فلما كانوا ببيد اعترضهم الأعراب فصالحهم القاضي أبو محمد الناصحي بخمسة آلاف دينار ، فامتنعوا وصمم كبيرهم - وهو جاز بن عدي - على أخذ الحجيج ، وركب فرسه وجال جولة واستنهض شياطين العرب ، فتقدم إليه غلام من سمرقند [ يقال له ابن عفان ] فرماه بسهم فوصل إلى قلبه فسقط ميتاً ، وانهرزت الأعراب ، وسلك الناس الطريق فنجوا ورجعوا سالمين والله الحمد والمنة .

ومن توفي فيها من الأعيان - - أبو سعد الماليني

أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن حفص ، أبو سعد الماليني ، ومالين قرية من قرى هراة ، كان من الحفاظ الكثيرين الراحين في طلب الحديث إلى الآفاق ، وكتب كثيراً ، وكان ثقة صدوقاً صالحاً ، مات بمصر في شوال منها .

### الحسن بن الحسين

ابن محمد بن الحسين بن رامين القاضي ، أبو محمد الاسترأبادي ، نزل بغداد وحدث بها عن الأمامعيلي وغيره ، كان شافعياً كبيراً ، فاضلاً صالحاً .

### الحسن بن منصور بن غالب

الوزير الملقب ذا السمادتين ، ولد بسيراف سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ، ثم صار وزيراً ببغداد ثم قتل وصوره أبوه على ثمانين ألف دينار .

### الحسين بن عمرو

أبو عبد الله النزال ، سمع النجاد والخلدي وابن السماك وغيرهم . قال الخطيب : كُتبت عنه وكان ثقة صالحا كثير البكاء عند الذكر .

### محمد بن عمر

أبو بكر العبدي الشاعر ، كان أدبيا ظريفا ، حسن الشعر ، فمن ذلك قوله :  
 إني نظرتُ إلى الزما \* نِ وأهلِهَ نظراً كفاني  
 فعرفتهُ وعرفتهم \* وعرفتُ عزى من هواني  
 فلذلك أطرحُ الصد \* يتى فلا أراه ولا براني  
 وزهدتُ فيما في يدي \* به ودونهُ نيلُ الأمانِي  
 فتمعجوا لمغالبِ \* وهبِ الاقاصي للأداني  
 وانسلْ من بينِ الزحَا \* م فإلهُ في الغلبِ ثاني

قال ابن الجوزي : وكان متصوفا ثم خرج عنهم وذهبهم بقصائد ذكرتها في تلبيس إبليس توفي يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى منها .

### محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

ابن روق بن عبد الله بن يزيد بن خالد ، أبو الحسن البزار ، المعروف بابن رزقويه . قال الخطيب : هو أول شيخ كُتبت عنه في سنة ثلاث وأربعمائة ، وكان يذكر أنه درس القرآن ودرس الفقه على مذهب الشافعي ، وكان ثقة صدوقا كثير السماع والكتابة ، حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، مديما لتلاوة القرآن ، شديدا على أهل البدع ، وأكبر دهرآ على الحديث ، وكان يقول : لا أحب الدنيا إلا لذكر الله وتلاوة القرآن ، وقراءتي عليكم الحديث ، وقد بحث بهض الأمراء إلى العلماء بذهب قبلوا كلهم غيره ، فانه لم يقبل شيئا ، وكانت وفاته يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى منها ، عن سبع وثمانين سنة ، ودفن بالقرب من مقبرة معروف الكرخي .

### أبو عبد الرحمن السلمي

محمد بن الحسين بن محمد بن موسى ، أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري ، روى عن الأصم وغيره ، وعنه مشايخ البغداديين ، كالأزهري والمشاري وغيرهما ، وروى عنه البيهقي وغيره . قال ابن الجوزي : كانت له عناية بأخبار الصوفية ، فصنف لهم تفسيراً على طريقتهم ، وسننا وتاريخاً ، وجمع شيوخا وتراجيم وأبواباً ، له بنيسابور دار معرفة ، وفيها صوفية وبها قبره ، ثم ذكر كلام الناس في تضعفه في الرواية ، فحكى عن الخطيب عن محمد بن يوسف القطان أنه قال : لم يكن بثقة ، ولم يكن سمع

من الأصم شيئاً كثيراً ، فلما مات الحاكم روى عنه أشياء كثيرة جداً ، وكان يضع للصوفية الأحاديث . قال ابن الجوزي : وكانت وفاته في ثالث شعبان منها .

### أبو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري

كان يعظ الناس ويتكلم على الأحوال والمعرفة ، فمن كلامه : من تواضع لأحد لأجل دينه ذهب ثلثا دينه ، لأنه خضع له بلسانه وأركانه ، فان اعتقد تعظيمه بقلبه أو خضع له به ذهب دينه كله . وقال في قوله تعالى [ اذ كروني اذ كركم ] اذ كروني وأنتم أحياء اذ كركم وأنتم أموات تحت التراب ، وقد نخلني عنكم الأقارب والأصحاب والأحباب . وقال : البلاء الأكبر أن تريدوا لتراتد ، وتدنوا فترد إلى الطرد والابعاد ، وأنشد عند قوله تعالى [ فتولى عنهم وقال يا أسنى على يوسف ]

جننا بليلي وهي جنت بغيرنا \* وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

وقال في قوله (س) « حفت الجنة بالمكاره » : إذا كان هذا الخلق لا وصول إليه إلا بتحمل المشاق فما الظن بمن لم يزل ؟ وقال في قوله عليه السلام « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » . يا عجب لمن لم يرحمنا غير الله كيف لا يميل بكليته إليه ؟ قلت : كلامه على هذا الحديث جيد والحديث لا يصح بالكلية

### صريع الدلال الشاعر

أبو الحسن علي بن عبيد الواحد ، الفقيه البغدادي ، الشاعر الماجن ، المعروف بصريع الدلال ، قتيل النوائى ذى الرقاعتين ، له قصيدة مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد يقول فيها :

وألف حمل من متاع نَسْتُر \* أنفع للمسكين من لَقَطِ النوى  
من طَبِخِ الديك ولا يذبحه \* طار من القدر إلى حيث انتهى  
من دخات في عينه مَسْأَلَةٌ \* فسأل من ساعته كيف العمى  
والذقن شمر في الوجوه طالع \* كذلك المقصصة من خلف الغنى

إلى أن ختمها بالبيت الذي حسد عليه وهو قوله :

من فاته العلم وأخطاه الغنى \* فذاك والكلب على حد يسوى

قدم مصر في سنة ثمانى عشرة وأربعمائة وامتدح فيها خليفتهما الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم واتفقت وفاته بها في رجبها .

### ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

فيها جرت كائنة غريبة عظيمة ، ومصيبة عامة ، وهي أن رجلاً من المصريين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سوء ، وذلك أنه لما كان يوم النفر الأول طاف هذا الرجل بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر الأسود جاء ليقبله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات

متواليات ، وقال : إلى متى نعبد هذا الحجر ؟ ولا محمد ولا علي يعني مما أفضله ، فاني أهدم اليوم هذا البيت ، وجعل يرتعد ، فاتفاه أكثر الحاضرين وتأخروا عنه ، وذلك لأنه كان رجلا طوالا جسما أحمر اللون أشقر الشعر ، وعلى باب الجامع جماعة من الفرسان ، وقوف ليمنوه ممن يريد منعه من هذا الفعل ، وأزاده بسوء ، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه خنجر فوجأه بها ، وتكاثرت الناس عليه فقتلوه وقطعوه قطما ، وحرقوه بالنار ، وتبعوا أصحابه فقتلوا منهم جماعة ، ونهبت أهل مكة الركب المعمرى ، وتمدى النهب إلى غيرهم ، وجرت خبطة عظيمة ، وفننة كبيرة جدا ، ثم سكن الحال بعد أن تتسع أولئك النفر الذين تماثلوا على الالحاد في أشرف البلاد غير أنه قد سقط من الحجر ثلاث فاق مثل الأظفار ، وبدا ما تجتأها أسمر يضرب إلى صفرة ، محببا مثل الخشخاش ، فأخذ بنوشية تلك الفاق فجنوها بالمسك والاك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت ، فاستمسك الحجر واستمر على ما هو عليه الآن ، وهو ظاهر إن تأمله . وفيها فتح المارستان الذي بناه الوزير مؤيد الملك ، أبو علي الحسن ، وزير شرف الملك بواسط ، ورتب له الخزان والأشربة والأدوية والعقاقير ، وغير ذلك مما يحتاج إليه .

وفيها توفى من الأعيان - - - ابن البواب الكاتب

صاحب الخط المنسوب ، علي بن هلال أبو الحسن ابن البواب ، صاحب أبي الحسين بن ميمون الواعظ ، وقد أثنى على ابن البواب غير واحد في دينه وأمانته ، وأما خطه وطر يقته فيه فأشهر من أن ننبه عليها ، وخطه أوضح تعريبا من خط أبي علي بن مقله ، ولم يكن بعد ابن مقله أكتب منه ، وعلى طريفته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل . قال ابن الجوزي : توفى يوم السبت ثاني جمادى الآخرة منها ، ودفن بمقبرة باب حرب ، وقد رثاه بعضهم بأبيات منها قوله :

فلقوب التي أبهجتها حرق \* وللميون التي أقرزتها سهر  
فما لعيش وقد ودعته أرج \* وما لليل وقد فارقت سحر

قال ابن خلكان : ويقال له الستري ، لأن أباه كان ملازما لستر الباب ، ويقال له ابن البواب وكان قد أخذ الخط عن عبدالله بن محمد بن أسد بن علي بن سعيد البزار ، وقد سمع أسد هذا على النجاد وغيره ، وتوفى سنة عشر وأربعمائة ، وأما ابن البواب فإنه توفى في جمادى الأولى من هذه السنة ، وقبل في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، وقد رثاه بعضهم فقال :

استشعرت الكتاب فقدك سالفا \* وقضت بصحة ذلك الأيام  
فلذاك سودت الدوى كآبة \* أسفأ عليك وشقت الاقلام

ثم ذكر ابن خلكان أول من كتب بالعربية ، فقيل إسماعيل عليه السلام ، وقيل أول من

كتب بالعر بية من قريش حرب بن أمية بن عبد شمس ، أخذها من بلاد الحيرة عن رجل يقال له أسلم بن سدرة ، وسأله ممن اقتبسها ؟ فقال : من واضعها رجل يقال له مرامر بن مروة ، وهو رجل من أهل الأنبار . فاصل الكتابة في العرب من الأنبار . وقال الهيثم بن عدى : وقد كان لخير كتابة يسمونها المسند ، وهي حروف متصلة غير منفصلة ، وكانوا ينعنون العامة من تعلمها ، وجميع كتابات الناس تنهى إلى اثني عشر صنفاً وهي العربية والحميرية ، واليونانية ، والفارسية ، والرومانية ، والعبيرية ، والرومية ، والقبطية ، والبربرية ، والهندية والاندلسية ، والصيقية . وقد اندرس كثير منها قل من يعرف شيئاً منها .

وفيها توفي من الأعيان **علي بن عيسى**

ابن سليمان بن محمد بن أبان ، أبو الحسن الفارسي المعروف بالسكري الشاعر ، وكان يحفظ القرآن ويعرف القراءات ، وصحب أبا بكر الباتلاني ، وأكثر شعره في مدح الصحابة وذم الرافضة . وكانت وفاته في شوال من هذه السنة ودفن بالقرب من قبر معروف ، وقد كان أوصى أن يكتب على قبره هذه الآيات التي عملها وهي قوله :

نفسٌ ، يا نفسُ كم تهادين في تلني \* وتمشين في الفعالي المعيبِ  
راقبي الله واحذري موقفَ المر \* ضي وخافي يوم الحسابِ المصيبِ  
لا تفرّكي السلامة في العدي \* ش فإنّ السليم رهن الخطوبِ  
كلّ حيّ فله منونٍ ولا يد \* فعم كأس المنون كيد الأديبِ  
واعلمى أن للنية وقتاً \* سوف يأتي مجلان غير هبوبِ  
إن حبّ الصديق في موقفٍ ال \* محشر أمان للخائف المظلوبِ

محمد بن أحمد بن محمد بن منصور

أبو جعفر البيع ، ويعرف بالعتيقي ، ولد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، وأقام بطرسوس مدة ، وسمع بها وبغيرها ، وحدث بشي يسير .

**ابن النعمان**

شيخ الامامية الروافض ، والمصنف لهم ، والحامي عن حوزتهم ، كانت له وجهة عند ملوك الأطراف ، لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع ، وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف ، وكان من جملة تلاميذه الشريف الرضي والمرضى ، وقد رثاه بقصيدة بعد وفاته في هذه السنة ، منها قوله :

مَنْ لِعَضْلٍ أُخْرِجَتْ مِنْهُ حَسَامًا \* وَمَعَانٍ فَضَضْتُ عَنْهَا خَتَامًا ؟  
مَنْ يَنْبِرُ الْعَقُولَ مِنْ بَعْرِ مَا \* كُنْ هَمُودًا وَيَفْتَحْ الْأَنْهَامَا ؟

من يعير الصديق رأياً \* إذا ماسل في الخطوب حساماً ؟

ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربع مائة

فيها قدم الملك شرف الدولة إلى بغداد فخرج الخليفة في الطائرة لتلقيه ، وصحبته الأمراء والقضاة والفقهاء والوزراء والرؤساء ، فلما واجهه شرف الدولة قبل الأرض بين يديه مرات والجيش واقف يرمته ، والمائة في الجانبين . وفيها ورد كتاب من بين الدولة محمود بن سبكتكين إلى الخليفة يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضاً ، وأنه فتح بلاداً ، وقتل خلقاً منهم ، وأنه صالحه بعض ملوكهم وحمل إليه هدايا سنوية ، منها فيول كثيرة ، ومنها طائر على هيئة القمرى ، إذا وضع عند الخوان وفيه سم دمعت عيناه وجرى منهما ماء ، ومنها حجر يحك ويؤخذ منه ما تحصل منه فيطلى بها الجراحات ذات الأنفاه الواسعة فياجمها ، وغير ذلك . وحج الناس من أهل العراق ولكن رجعوا على طريق الشام لاحتياجهم إلى ذلك .

وفيها توفى من الأعيان الحسن بن الفضل بن سهلان

أبو محمد الزاهر رمزي ، وزير سلطان الدولة ، وهو الذى بنى سور الحائر عند مشهد الحسين ، قتل في شعبان منها الحسن بن محمد بن عبد الله

أبو عبد الله الكشغلى الطبرى ، الفقيه الشافعى ، تفقه على أبي القاسم الداركي ، وكان فهماً فاضلاً صالحاً زاهداً ، وهو الذى درس بعد الشيخ أبي حامد الاسفرائينى في مسجده ، مسجد عبد الله بن المبارك في قطيفة الربيع ، وكان الطلبة عنده مكرمين ، اشتمكى بعضهم إليه حاجة وأنه قد تأخرت عنه نفقته التى ترد إليه من أبيه ، فأخذه بيده وذهب إلى بعض التجار فاستقرض له منه خمسين ديناراً . فقال التاجر : حتى تأكل شيئاً ، فد السباط فأكوا وقال : يا جارية هاتى المال ، فأحضرت شيئاً من المال فوزن منها خمسة ديناراً ودفنها إلى الشيخ ، فلما قاما إذا بوجه ذلك الطالب قد تغير ، فقال له الكشغلى : مالك ؟ فقال : يا سيدى قد سكن قلبي حب هذه الجارية ، فرجع به إلى التاجر ، فقال له : قد وقعنا في فتنة أخرى ، فقال : وما هي ؟ فقال : إن هذا الفقيه قد هوى الجارية فأمر التاجر الجارية أن تخرج فتسلها الفقيه ، وقال ربما أن يكون قد وقع في قلبها منه مثل الذى قد وقع في قلبه منها ، فلما كان عن قريب قدم على ذلك الطالب نفقته من أبيه ستمائة دينار ، فوفى ذلك التاجر ما كان له عليه من ثمن الجارية والقرض ، وذلك بسفارة الشيخ . توفى في ربيع الآخر منها ودفن بباب حرب .

علي بن عبد الله بن جهضم

أبو الحسن الجهضمى الصوفى المكي ، صاحب بهجة الأسمار ، كان شيخ الصوفية بمكة ، وبها توفى قال ابن الجوزى : وقد ذكر أنه كان كذاباً ، ويقال إنه الذى وضع حديث صلاة الرغائب .



القاسم بن جعفر بن عبد الواحد

أبو عمر الهاشمي البصري ، قاضيا ، سمع الكثير ، وكان ثقة أميناً ، وهو راوي سنن أبي داود عن أبي علي اللؤلؤي ، توفي فيها وقد جاوز التسعين .

محمد بن أحمد بن الحسن بن يحيى بن عبد الجبار

أبو الفرج القاضى الشافعى ، يعرف بابن سميقة ، روى عن النجاد وغيره ، وكان ثقة ، توفي في ربيع الأول منها ودفن بباب حرب .

محمد بن أحمد

أبو جعفر النسفي ، عالم الحنفية في زمانه ، وله طريقة في الخلاف ، وكان فقيراً متزهداً ، بات ليلة قلعا لما عنده من الفقر والحاجة ، ففرض له فكر في فرع من الفروع كان أشكل عليه ، فانفتح له فقام يرقص ويقول : أين الملوك ؟ فسألته امرأته عن خبره فأعلمها بما حصل له ، فتمجبت من شأنه رحمه الله ، وكانت وفاته في شعبان منها .

ملاذ بن محمد

ابن جعفر بن سعدان ، أبو الفتح الحنفي ، سمع إسماعيل الصفار والنجاد وابن الصواف ، وكان ثقة توفي في صفر منها عن اثنتين وتسعين سنة .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمائة

فيها أزم الوزير جماعة الأتراك والمولدين والشريف المرتضى ونظام الحضرة أبا الحسن الزينبي وقاضى القضاة أبا الحسن بن أبي الشوارب ، والشهود ، بالحضور لتجديد البيعة لشرف الدولة ، فلما بلغ ذلك الخليفة توهم أن تكون هذه البيعة لنية فاسدة من أجله ، فبعث إلى القاضى والرؤساء ينههم عن الحضور ، فاختلفت الكلمة بين الخليفة وشرف الدولة ، واصطلحا وتصافيا ، وجددت البيعة لكل منهما من الآخر . ولم ينجح فيها من ركب العراق ولا خراسان أحد ، واتفق أن بعض الأمراء من جهة محمود بن سبكتكين شهد الموسم في هذه السنة ، فبعث إليه صاحب مصر بخلع عظيمة ليحملها للملك محمود ، فلما رجع بها إلى الملك أرسل بها إلى بغداد إلى الخليفة القادر فخرت بالنار .

ومن توفي فيها من الأعيان ... أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن

أبو الفرج المعدل المعروف بابن المسلة ، ولد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وسمع أباه وأحمد بن كامل والنجاد والجهضمي ودعابج وغيرهم ، وكان ثقة . سكن الجانب الشرقي من بغداد ، وكان يعلو في أول كل سنة مجلساً في الحرم ، وكان عاقلاً فاضلاً ، كثير المعروف ، داره مألوف لأهل العلم ، وتفقه بأبي بكر الرازي ، وكان يصوم الدهر ، يقرأ في كل يوم سبعاً ، ويعيده بعينه في التهجد ، توفي في ذي القعدة منها

### أحمد بن محمد بن أحمد

ابن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان الضبي ، أبو الحسن المحاملي ، نسبة إلى الحامل التي يحمل عليها الناس في السفر ، تفقه على أبي حامد الاسفراييني ، وبرع فيه ، حتى إن الشيخ كان يقول : هو أحفظ للفقهاء ، وله المصنفات المشهورة ، منها الباب ، والأوسط والمنع وله في الخلاف ، وعاقى على أبي حامد تلميذة كبيرة . قال ابن خلكان : ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، وتوفي في يوم الأربعاء لتسع بقين من ربيع الآخر منها ، وهو شاب .

### عبيد الله بن عبد الله

ابن الحسين أبو القاسم الخفاف ، المعروف بابن النقيب ، كان من أئمة السنة ، وحين بلغه موت بن المعلم فقيه الشيعة سجد لله شكراً . وجلس لآمنته وقال : ما أبالي أي وقت مت بمد أن شاهدت موت ابن المعلم ، ومكث دهرًا طويلًا يصلي الفجر بوضوء الدشاء . قال الخطيب : وسألته عن مولده فقال في سنة خمس وثلاثمائة ، وأذكر من الخلفاء المتقدمين والقاهر والرضي والمتقي لله والمستكني والمطيع والطائع والقادر والغالب بالله ، الذي خطب له بولاية العهد ، توفي في سلخ شعبان منها عن مائة وعشر سنين .

### عمر بن عبد الله بن عمر

أبو حفص الدلال ، قال سمعت الشبلي ينفذ قوله :

وقد كان شيء سمى السرور \* قديمًا سمعنا به ما فعل  
خليلي ، إن دأبهم النفوس \* من قليلًا على ما زاره قتل  
يؤمل دنيا لتبقى له \* فأتك المؤمل قبل الأمل

### محمد بن الحسن أبو الحسن

الاسمسي العلوي ، نائب الشريف المرتضى في إمرة الحجيج ، حج بالناس سنين متعددة ، وله فصاحة وشعر ، وهو من سلالة زيد بن علي بن الحسين .

ثم دخلت سنة ست عشرة وأربعمائة

فيها قوى أمر العيارين ببغداد ونهبوا الدور جبهة ، واستهانوا بأمر السلطان ، وفي ربيع الأول منها توفي شرف الدولة بن بويه الديلمي صاحب بغداد والمراق وغير ذلك ، فكثر الشرور ببغداد ونهبت الخزانة ، ثم سكن الأمر على تولية جلال الدولة أبي الطاهر ، وخطب له على المنابر ، وهو إذ ذلك على البصرة ، وخلع على شرف الملك أبي سعيد بن ماكولا وزيره ، ولقب علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك ، وهو أول من لقب بالألقاب الكثيرة ، ثم طلب من الخليفة أن يبايع لأبي كاليجار ولي عهد أبيه سلطان الدولة ، الذي استخلفه بهاء الدولة عليهم ، فتوقف في الجواب ثم

واقفهم على ما أرادوا ، وأقيمت الخطبة للملك أبي كالجار يوم الجمعة سادس عشر شوال منها ، ثم تفاقم الأمر ببغداد من جهة العيارين ، وكبسوا الدورليلا ونهارا ، وضربوا أهلها كما يضرب المصادرون ويستغيث أحدهم فلا يفتأ ، واشتد الحال وهربت الشرطة من بغداد ولم تفن الأتراك شيئا ، وعملت السرايح على أفواه السكك فلم يفتد ذلك شيئا ، وأحرقت دار الشريف المرتضى فانتقل منها ، وغلت الأسعار جدا . ولم يهجم أحد من أهل العراق وخراسان .

ومن توفى فيها من الأعيان **سابور بن ازغشير**

وزر لبهاء الدولة ثلاث مرات ، ووزر لشرف الدولة ، وكان كاتباً شديداً عفيفاً عن الأموال ، كثير الخير ، سليم الخاطر ، وكان إذا سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصلاة ، وقد وقف داراً للعلم في سنة إحدى وثمانين وثمانمائة ، وجعل فيها كتباً كثيرة جدا ، ووقف عليها غلة كبيرة ، فبقيت سبعين سنة ثم أحرقت عند مجيء الملك طغرل بك في سنة خمسين وأربعمائة ، وكانت محلتها بين السورين ، وقد كان حسن المعاشرة إلا أنه كان يعزل عماله سر يما خوفاً عليهم من الأشر والبطر ، توفى فيها وقد قارب التسعين .

**عنان النيسابوري**

الجداوى الواعظ . قال ابن الجوزي : صنف كتباً في الوعظ من أبرد الأشياء ، وفيه أحاديث كثيرة . موضوعة ، وكلت مرذولة ، إلا أنه كان خيراً صالحاً ، وكانت له وجاهة عند الخلفاء والملوك ، وكان الملك محمود بن سبكتكين إذا رآه قام له ، وكانت محلته حمى يحتسى بها من الظلمة ، وقد وقع في بلده نيسابور موت ، وكان يفصل الموتى محتسباً ، فنسل نحواً من عشرة آلاف ميتاً ، رحمه الله .

**محمد بن الحسن بن صالحان**

أبو منصور الوزير لشرف الدولة ولبهاء الدولة ، كان وزير صدقاً جيد المباشرة حسن الصلاة ، محافظاً على أوقاتها ، وكان محسناً إلى الشعراء والعلماء ، توفى فيها عن ست وسبعين سنة .

**الملك شرف الدولة**

أبو علي بن بهاء الدولة ، أبي نصر بن عضد الدولة بن بويه ، أصابه مرض حار فتوفى لثمان بقين من ربيع الآخر عن ثلاث وعشرين سنة ، وثلاثة أشهر وعشرين يوماً .

**التهامي الشاعر**

علي بن محمد التهامي أبو الحسن ، له ديوان مشهور ، وله مرثاة في ولده وكان قد مات صغيراً أولها :

حكمُ النيةِ في البريةِ جارى \* ما هدمَ الدنيا بدارِ قرارِ

ومنها : - إني لأرحمُ حاسديَ لحرِّما \* ضمتُ صدورهمُ من الاوغارِ

نظروا صنيعَ اللهِ بي فعيونهم \* في جنَّةِ وقلوبهم في نارِ

ومنها في ذم الدنيا :

جبلت على كدرٍ وأنت ترومها \* صفواً من الاقدارِ والا كدارِ  
ومكافَ الأيامِ ضدَّ طباعها \* متطلبٌ في الماءِ جذوةُ نارِ  
وإذا رجوتَ المستحيلَ فأنما \* تبني الرجاءَ على شفيرِ هارِ

ومنها قوله في ولده بعد موته :

جاورتُ أعدائِي وجاورَ ربُّهُ \* شتانَ بينِ جوارِهِ وجوارِي

وقد ذكر ابن خلكان أنه رآه بعضهم في المنام في هيئة حسنة فقال له بعض أصحابه : بم نلت هذا ؟

قال : بهذا البيت \* شتان بين جواره وجواري \*

ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة

في العشرين من محرمها وقعت فتنة بين الاسفهلارية وبين العيارين ، وركبت لهم الأتراك بالدبابات ، كما يفعل في الحرب ، وأحرقت دور كثيرة من الدور التي احتسب فيها العيارون ، وأحرق من الكرخ جانب كبير ، ونهب أهله ، وتعمدى بالنهب إلى غيرهم ، وقامت فتنة عظيمة ثم خمدت الفتنة في اليوم الثاني ، وقرر على أهل الكرخ مائة ألف دينار ، مصادرة ، لاثارتهم الفتن والشروع . وفي شهر ربيع الآخر منها شهد أبو عبد الله الحسين بن علي ، الصيمري عند قاضي القضاة ابن أبي الشوارب بعد ما كان استنابه عما ذكر عنه من الاعتزال . وفي رمضان منها انقض كوكب سمع له دوى كدوى الرعد ، ووقع في سلع شوال برد لم يمهّد مثله ، واستمر ذلك إلى العشرين من ذي الحجة ، وجمد الماء طول هذه المدة ، وقاسى الناس شدة عظيمة ، وتأخر المطر وزيادة دجلة ، وقلت الزراعة ، وامتنع كثير من الناس عن التصرف . ولم ينجح أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة لفساد البلاد وضمف الدولة .

وفيهما توفي من الأعيان قاضي القضاة ابن أبي الشوارب .

أحمد بن محمد بن عبد الله

ابن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، أبو الحسن القرشي الأموي ، قاضي قضاة بغداد بعد ابن الاكفاني بثنتي عشرة سنة ، وكان عفيفاً نزهاً ، وقد سمع الحديث من أبي عمر الزاهد وعبد الباقي بن قانع ، إلا أنه لم يحدث . قاله ابن الجوزي : وحكى الخطيب عن شيخه أبي العلاء الواسطي : أن أبا الحسن هذا آخر من ولي الحكم ببغداد ، من سلالة محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وقد ولي الحكم من سلالته أربعة وعشرون ، منهم ولوا قضاء قضاة بغداد . قال أبو العلاء : ما رأينا مثل أبي الحسن هذا ، جلالة ونزاهة وصيانة وشرفاً . وقد ذكر القاضي الماوردي أنه كان له صديقا

وصاحباً ، وأن رجلاً من خيار الناس أوصى له بمائتي دينار ، فحملها إليه الماوردي فأبى القاضي أن يقبلها ، وجهد عليه كل الجهد فلم يفعل ، وقال له : سألتك بالله لا تذكر هذا لأحد مادمت حياً ، ففعل الماوردي ، فلم يخبر عنه ، إلا بعد موته ، وكان ابن أبي الشوارب فقيراً إليها ، وإلى ما هو دونها فلم يقبلها رحمه الله . توفي في شوال منها .

### جعفر بن أبات

أبو مسلم الخنلي سمع ابن بطة ودرس فقه الشافعي على الشيخ أبي حامد الاسفراييني ، وكان ثقة ديناً ، توفي في رمضان منها **عمر بن أحمد بن عبدويه**  
أبو حازم الهذلي النيسابوري ، سمع ابن مجيد والاسماعيلي ، وخلقاً ، وسمع منه الخطيب وغيره ، وكان الناس ينتفعون بأفادته وانتخابه ، توفي يوم عيد الفطر منها .

### علي بن أحمد بن عمر بن حفص

أبو الحسن المقرئ المعروف بالحامي ، سمع النجاد والخلدي وابن السماك وغيرهم ، وكان صدوقاً فاضلاً ، حسن الاعتقاد ، وتفرد بأسانيد القراءات وعلوها ، توفي في شعبان منها عن تسع وثمانين سنة .

### صاعد بن الحسن

ابن عيسى الرعي البغدادي ، صاحب كتاب الفصوص في اللغة على طريقة القالي في الامالي ، صنفه للمصور بن أبي عامر ، فأجازه عليه خمسة آلاف دينار ، ثم قيل له إنه كذاب متهم ، فقال في ذلك بعض الشعراء :

قد غاصَ في الماءِ كتابَ الفصوصِ \* وهكذا كلُّ ثقيلٍ يغوص  
فلما بلغ صاعدا هذا البيت أنشد :

عادُ إلى عنصرِهِ إنما \* يخرجُ من قعرِ البحورِ الفصوصُ .

قلت : كأنه سمي هذا الكتاب بهذا الاسم ليشاكل به الصحاح للجوهري ، ولكنه كان مع فصاحته وبلاغته وعلوه متهما بالكذب ، فلماذا رفض الناس كتابه ، ولم يشتهر ، وكان ظريفاً ما جنا سريع الجواب ، سأله رجل أعمى على سبيل التهمك فقال له ما الحُرُّ تَقَلُّ ؟ فأطرق ساعة وعرف أنه افعل هذا من عند نفسه ثم رفع رأسه إليه فقال : هو الذي يأتي نساء العميان ، ولا يتعداهن إلى غيرهن ، فاستحي ذلك الأعمى وضحك الحاضرون . توفي في هذه السنة سماحه الله .

### القفال المروزي

أحد أئمة الشافعية الكبار ، علماً وزهداً وحفظاً وتصنيفاً ، وإليه تنسب الطريقة الخراسانية ، ومن أصحابه الشيخ أبو محمد الجويني ، والقاضي حسين ، وأبو علي السبخي ، قال ابن خلدكان :

وأخذ عنه إمام الحرمين ، وفيما قاله نظر . لأن سن إمام الحرمين لا يحتمل ذلك ، فان القفال هذا مات في هذه السنة وله تسعون سنة ، ودفن بسجستان ، وإمام الحرمين ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة كما سيأتي ، وإنما قيل له القفال لأنه كان أولا يعمل الأقفال ، ولم يشتغل إلا وهو ابن ثلاثين سنة رحمه الله تعالى

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمائة

في ربيع الأول منها وقع برد أهلك شيئا كثيرا من الزروع والثمار ، وقتل خلقا كثيرا من الدواب . قال ابن الجوزي : وقد قيل إنه كان في برده كل بردة رطلان وأكثر ، وفي واسط بلغت البردة أرتالا ، وفي بغداد بلغت قدر البيض . وفي ربيع الآخر سالت الاسفهلارية الغلمان الخليفة أن يعزل عنهم أبا كاليبجار ، تهاونه بأمرهم ، وفساده وفساد الأمور في أيامه ، ويولي عليهم جلال الدولة ، الذي كانوا قد عزلوه عنهم ، فما طاهم الخليفة في ذلك وكتب إلى أبي كاليبجار أن يتدارك أمره ، وأن يسرع الأوبة إلى بغداد ، قبل أن يفوت الأمر . وألح أولئك على الخليفة في تولية جلال الدولة ، وأقاموا له الخطبة ببغداد ، وتفاقم الحال ، وفسد النظام . وفيها ورد كتاب من محمود بن سبكتكين يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضا ، وأنه كسر الصنم الأعظم الذي لهم المسمى بسومنت ، وقد كانوا يفدون إليه من كل فج عبق ، كما يفدون الناس إلى الكعبة البيت الحرام وأعظم ، وينفقون عنده النفقات والأموال الكثيرة ، التي لا توصف ولا تعد ، وكان عليه من الاوقاف عشرة آلاف قرية ، ومدينة مشهورة ، وقد امتلأت خزائنه أموالا ، وعنده ألف رجل يخدمونه ، وثلثمائة رجل يحملون رؤس حجيجيه ، وثلثمائة رجل يغنون ويرقصون على بابه ، لما يضرب على بابه الطبول والبوقات ، وكان عنده من المجاورين ألف يأكلون من أوقافه ، وقد كان البعيد من الهنود يتبعه لو بلغ هذا الصنم ، وكان يعوقه طول المفاوز وكثرة الموانع والآفات ، ثم استخار الله السلطان محمود لما بلغه خبر هذا الصنم وعباده ، وكثرة الهنود في طريقه ، والمفاوز المهلكة ، والأرض الخطرة ، في نجشتم ذلك في جيشه ، وأن يقطع تلك الأهوال إليه ، فندب جيشه لذلك فانتدب معه ثلاثون ألفا من المقاتلة ، ممن اختارهم لذلك ، سوى المتطوعة ، فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن ، ونزلوا بساحة عباده ، فاذا هو بمكان بقدر المدينة النفاية ، قل : فما كان بأسرع من أن ملكيناه وقتلنا من أهله خمسين ألفا وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار . وقد ذكر غير واحد أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالا جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأدهم ، فأشار من أشاره على السلطان محمود بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم ، فقال : حتى أستخير الله عز وجل ، فلما أصبح قال : إني فكرت في الأمر الذي ذكرنا رأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم ؟ أحب إلى من أن يقال الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا ثم عزم فكسره رحمه الله ، فوجد عليه وفيه من الجواهر واللاكي والذهب والجواهر

النفيسة ما يذيف على ما بذلوه له بأضفاف مضاعفة ، ونرجو من الله له في الآخرة الثواب الجزيل الذي مثقل دائق منه خير من الدنيا وما فيها ، مع ما حصل له من الشناء الجميل الديوي ، فرحمه الله وأكرم مثواه . وفي يوم السبت ثالث رمضان دخل جلال الدولة إلى بغداد فتلقاه الخليفة في دجلة في طيارة ، ومعه الأكابر والأمراء ، فلما واجه جلال الدولة الخليفة قبل الأرض دفعت ، ثم سار إلى دار الملك ، وعاد الخليفة إلى داره ، وأمر جلال الدولة أن يضرب له الطبل في أوقات الصلوات الثلاث ، كما كان الأمر في زمن عضد الدولة ، وصمصامها وشرفها وبهاؤها ، وكان الخليفة يضرب له الطبل في أوقات الخمس ، فأراد جلال الدولة ذلك فقبل له بحمل هذه المساواة الخليفة في ذلك ، ثم صمم على ذلك في أوقات الخمس . قال ابن الجوزي : وفيها وقع برد شديد حتى جرد الماء والنبيد وأبوال الدواب والمياه الكبار ، وحافات دجلة . ولم يمحج أحد من أهل العراق .

وفيهما توفي من الأعيان أحمد بن محمد بن عبد الله

ابن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو عبد الله الشاهد ، خطب له في جامع المنصور في سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، ولم يخطب له إلا بخطبة واحدة جمعات كثيرة متعددة ، فكان إذا سمعها الناس منه ضجوا بالبكاء وخشعوا لصوته .

### الحسين بن علي بن الحسين

أبو القاسم المغربي الوزير ، ولد بمصر في ذي الحجة سنة تسعين وثلاثمائة ، وهرب منها حين قتل صاحبها الحاكم أباه وعمه محمدا ، وقصد مكة ثم الشام ، ووزر في عدة أماكن ، وكان يقول الشعر الحسن ، وقد تذاكر هو وبعض الصالحين فأنشده ذلك الصالح شعراً :

إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن \* على حالٍ إلا رضيت بدونها

فاعتزل المناصب والسلطان ، فقال له بعض أصحابه : تركت المنازل والسلطان في عنفوان

شبابك ؟ فأنشأ يقول :

كنت في سفر الجهل والبطالة \* حيناً فخان مني القديم

تبت من كل مأثم فعسى \* يحيي بهذا الحديث ذاك القديم

بعد خمس وأربعين تعدت \* ألا إن الآله القديم كريم

توفي بميا فارقين في رمضان منها عن خمس وأربعين سنة ، ودفن بمشهد على .

### محمد بن الحسن بن إبراهيم

أبو بكر الوراق ، المعروف بابن الخفاف ، روى عن القطيعي وغيره ، وقد اتهموه بوضع الحديث

والاسانيد ، قاله الخطيب وغيره .

### أبو القاسم اللالكاني

هبة الله بن الحسن بن منصور: الرازي، وهو طبري الأصل، أحد تلامذة الشيخ أبي حامد الاسفراييني، كان يفهم ويحفظ، وعنى بالحديث فصنف فيه أشياء كثيرة، ولكن عاجلته المنية قبل أن تشتهر كتبه، وله كتاب في السنة وشرفها، وذكر طريقة السلف الصالح في ذلك، وقع لنا سماعه على الحجار عاليا عنه، توفي بالدينور في رمضان منها، وراه بعضهم في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفرتي، قال بم؟ قال بشئ قليل من السنة أحييته:

### أبو القاسم بن أمير المؤمنين القادر

توفي ليلة الأحد في جمادى الآخرة، وصلى عليه غير مرة، ومشي الناس في جنازته، وحزن عليه أبوه حزنا شديدا، وقطع الطبل أياماً

### ابن طباطبا الشريف

كان شاعراً، وله شعر حسن.

### أبو إسحاق

وهو الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني إبراهيم بن محمد بن مهران. الشيخ أبو إسحاق الامام العلامة، ركن الدين الفقيه الشافعي، المتكلم الأصولي، صاحب التصانيف في الأصولين، جامع الحلي في مجلدات، والتعليقة النافعة في أصول الفقه، وغير ذلك، وقد سمع الكثير من الحديث من أبي بكر الاسماعيلي ودعلج وغيرهما، وأخذ عنه البيهقي والشيخ أبو الطيب الطبري، والحاكم النيسابوري، وأثنى عليه، توفي يوم عاشوراء منها بنيسابور، ثم نقل إلى بلده ودفن بمشهده.

### القنوري

صاحب الكتاب المشهور في مذهب أبي حنيفة، أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان، أبو الحسن القنوري الحنفي، صاحب المصنف المختصر، الذي يحفظ، كان إماماً بارعاً عالماً، وثبتاً مناظراً، وهو الذي تولى مناظرة الشيخ أبي حامد الاسفراييني من الحنفية، وكان القنوري يطريه ويقول: هو أعلم من الشافعي، وأنظر منه، توفي يوم الأحد الخامس من رجب منها، عن ست وخمسين سنة، ودفن إلى جانب الفقيه أبي بكر الخوارزمي الحنفي.

### ثم دخلت سنة تسع عشرة وابعماتة

فيها وقع بين الجيش وبين جلال الدولة ونهبوا دار وزيره، وجرت له أمور طوييلة، آل الحال فيها إلى اتفاقهم على إخراجه من البلد، فمضى له بردون رث، ونفج و في يده طير نهاراً، فجعلوا لا يلتفتون إليه ولا يفكرون فيه، فلما عزم على الركوب على ذلك البردون الرث رثاله ورقواله وهيمته وقبلوا الأرض بين يديه، وانصلحت قضيته بعد فسادها. وفيها قتل الرطب جدا بسبب هلاك النخل في



السنة الماضية بالبرد ، فيبيع الرطب كل ثلاثة أرتال بدينار جلالى ، ووقع برد شديد أيضا فأهلك شيئا كثيرا من النخيل أيضا . ولم ينج أحد من أهل المشرق ولا من أهل الديار المصرية فيها ، إلا أن قوماً من خراسان ركبوا فى البحر من مدينة مكران فأتوها إلى جدة فنجوا .

وممن توفى فيها من الأعيان **هزرة بن إبراهيم بن عبد الله**

أبو الخطاب المنجم ، حظى عند بهاء الدولة وعلماء النجوم ، وكان له بذلك وجهة عنده ، حتى أن الوزراء كانوا يخافونه ويتوسلون به إليه ، ثم صار أمره طريدا بعيداً حتى مات يوم مات بالكرخ من سامرا غريباً ، فقيرا مفلوجاً ، قد ذهب ماله وجاهه وعقله .

**محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد**

أبو الحسن التاجر ، سمع الكثير على المشايخ المتقدمين ، وتفرد بملو الاسناد ، وكان ذا مال جزيل يخاف من المصادرة ببغداد فانتقل إلى مصر فأقام بها سنة ، ثم عاد إلى بغداد فاتفق مصادرة أهل محله فسط عليه ما أفقره ، ومات حين مات ولم يوجد له كفن ولم يترك شيئا فأرسل له القادر بالله ما كفن فيه .

**مبارك الانماطي**

كان ذا مال جزيل نحو ثلثمائة ألف دينار ، مات ولم يترك وارثا سوى ابنة واحدة ببغداد ، وتوفى هو بمصر .

**أبو الفوارس بن بهاء الدولة**

كان ظلما ، وكان إذا سكر يضرب الرجل من أصحابه أو وزيره مائة مفرعة ، بمد أن يحلفه بالطلاق أنه لا يتأوه ، ولا يخبر بذلك أحدا . فيقال إن حاشيته مموه ، فلما مات نادوا بشعار أخيه كاليبجار .

**أبو محمد بن الساد**

وزير كاليبجار ، ولقبه معز الدولة ، فلك الدولة ، رشيد الأمة ، وزير الوزراء ، عماد الملك ، ثم سلم بعد ذلك إلى جلال الدولة فاعتقله ومات فيها .

**أبو عبد الله المتكلم**

توفى فيها ، هكذا رأيت ابن الجوزى ترجمه مختصرا .

**ابن غلبون الشاعر**

عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب أبو محمد الشامي ثم الصورى ، الشاعر المطبق ، له ديوان مليح ، كان قد نظم قصيدة بليغة فى بعض الرؤساء ، ثم أنشدها لرئيس آخر يقال له ذو النعمتين ، وزاد فيها بيتا واحدا يقول فيه :

ولك المناقب كلها \* فلم اقتصر على اثنتين

فأجازه جائزة سنية ، فقيل له : إنه لم يقلها فيك ، فقال : إن هذا البيت وحده بقصيدة ، وله أيضا فى بخيل نزل عنده :

وَأَخِ مَسْءُ نَزُولِي بِقَرْحٍ \* مِثْلُ مَا مَسْفَى مِنْهُ جَرْحُ  
 بَثِّ ضَيْفًا لَهُ كَمَا حَكَمَ الدَّهْ \* زَوْفِي حَكْمَهُ عَلَى الْجَرْفِ نَجْحُ  
 فَابْتِدَائِي يَقُولُ وَهُوَ مِنْ آلِ \* سَكْرٍ بِالْمِمْ طَافِحٌ لَيْسَ يَصْحُو  
 لَمْ تَقْرَبْتِ؟ قَابَتْ قَالَ رَسُولُ آلِ \* وَالْقَوْلُ مِنْهُ نَصْحٌ وَنَجْحُ  
 «سَافِرُوا تَقْنَمُوا» قَالَ وَقَدْ \* قَالَ تَمَامُ الْحَدِيثِ «ضُومُوا تَصْحُوا»  
 ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ عَشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةَ

فيها سقط بناحية المشرق مطر شديد، معه برد كبار. قال ابن الجوزي: حذرت البردة الواحدة منه مائة وخمسون رطلا، وغاصت في الأرض نحواً من ذراع. وفيها ورد كتاب من محمود ابن سبكتكين أنه أحل بطائفة من أهل الري من الباطنية والروافض قتلاً ذريعاً، وصلبا شنيعاً، وأنه أتتهب أموال رئيسهم رستم بن علي الديلمي، فحصل منها ما يقارب ألف ألف دينار، وقد كان في حيازته نحو من خمسين امرأة حرة، وقد ولدن له ثلاثاً وثلاثين ولداً بين ذكر وأنثى، وكانوا يرون إباحتهم ذلك. وفي رجب منها انقض كواكب كثيرة شديدة الضوء شديدة الصوت. وفي شعبان منها كثرت العملات وضعت رجال المعونة عن مقاومة العيارين. وفي يوم الاثنين منها ثمان عشر رجب غار ماء دجلة حتى لم يبق منه إلا القليل، ووقفت الأرحاء عن الطحن، وتعذر ذلك. وفي هذا اليوم جمع القضاة والعلماء في دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب جمعه القادر بالله، فيه مواعظ وتفصيل مذاهب أهل البصرة، وفيه الرد على أهل البدع، وتفسير من قال بخلق القرآن، وصفة ما وقع بين بشر المريسي وعبد العزيز بن يحيى الكتاني من المناظرة، ثم ختم القول بالمواعظ، والقول بالمعروف، والنهي عن المنكر. وأخذ خطوط الحاضرين بالموافقة على ما سمعوه. وفي يوم الاثنين غرة ذي القعدة جمعوا أيضاً كلهم وقرئ عليهم كتاب آخر طويل يتضمن بيان السنة والرد على أهل البدع ومناظرة بشر المريسي والكتاني أيضاً، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفضل الصحابة، وذكر فضائل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولم يفرغوا منه إلا بعد العتمة، وأخذت خطوطهم بموافقة ما سمعوه. وعزل خطباء الشيعة، وولى خطباء السنة والله الحمد والمنة على ذلك وغيره. وجرت فتنة بمسجد برائنا، وضربوا الخطيب السنني بالآجر، حتى كسروا أنفه وخلصوا كتفه، فانتهصر لهم الخليفة وأهان الشيعة وأذلهم، حتى جاؤا يمتدرون مما صنعوا، وأن ذلك إنما تعاطاه السفهاء منهم، ولم يتمكن أحد من أهل الدراق وخراسان في هذه السنة من الحج.

الحسن بن أبي القين

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو علي الزاهد، أحد العباد والزهاد وأصحاب الأحوال، دخل عليه بعض الوزراء فقبل يده،

فموتب الوزير بذلك فقال: كيف لا أقبل يدا ما امتدت إلا إلى الله عز وجل .

علي بن عيسى بن الفرج بن صالح

أبو الحسن الربى النهوى ، أخذ العربية أولاً عن أبي سعيد السيرافى ، ثم عن أبي على الفارسي ولازمه عشرين سنة حتى كان يقول : قولوا له لو سار من المشرق إلى المغرب لم يجد أحداً أتقى منه ، كان يروى عن شلى شاطىء دجلة إذ نظر إلى الشريين الرضى والمرضى فى سفينة ، ومعهما عثمان بن جنى ، فقال لهما : من أعجب الأشياء عثمان معكما ، وعلى بعيد عنكما ، يمشى على شاطىء الفرات . [فضحكوا وقالوا : باسم الله] توفى فى المحرم منها عن ثنتين وتسعين سنة ، ودفن بباب الدبر ، ويقال إنه لم يتبع جنازته إلا ثلاثة أنفس .

أسد الدولة

أبو على صالح بن مرداس بن إدريس الكلابى ، أول ملوك بنى مرداس بحلب ، انتزعها من يدي نائبها عن الظاهر بن الحاكم العبيدى ، فى ذى الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة ، ثم جاءه جيش كثيف من مصر فاقتلوا فقتل أسد الدولة هذا فى سنة تسع عشرة ، وقام حفيده نصر .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة

فيها توفى الملك الكبير المجاهد المغازى ، فأنح بلاد الهند محمود بن سبكتكين رحمه الله ، لما كان فى ربيع الأول من هذه السنة توفى الملك العادل الكبير الثاغر المرابط ، المؤيد المنصور ، بين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ، صاحب بلاد غزنة ومالك تلك الممالك الكبار ، فأنح أكثر بلاد الهند قهرا ، وكامر أصنامهم وندودهم وأوثانهم وهنودهم ، وسلطانهم الأعظم قهرا ، وقد مرض رحمه الله نحواً من سنتين لم يضطجع فيهما على فراش ، ولا توسد وساداً ، بل كان يتكى جالساً حتى مات وهو كذلك ، وذلك لشهامته وصرامته ، وقوة عزمه ، وله من العمر ستون سنة رحمه الله . وقد عهد بالأمر من بعده لولده محمد ، فلم يتم أمره حتى عافسه أخوه مسعود بن محمود المذكور ، فاستحوذ على ممالك أبيه ، مع ما كان يليه بمماقتحه هو بنفسه من بلاد الكفار ، من الرساتيق الكبار والصغار ، فاستقرت له الممالك شرقاً وغرباً فى تلك النواحي ، فى أواخر هذا العام ، وجاءته الرسل بالسلام من كل ناحية ومن كل ملك همام ، وبالتيه والاكرام ، وبالخضوع التام ، وسيأتى ذكر أبيه فى الوفيات وفيها استحوذت السرية التى كان بنها الملك المذكور محمود إلى بلاد الهند على أكثر مدائن الهند وأكبرها مدينة ، وهى المدينة المسماة نرمى ، دخلوها فى نحو من مائة ألف مقاتل ، ما بين فارس وراجل ، قهروا سوق المطر والجوهر بها نهاراً كاملاً ، ولم يستطيعوا أن يحولوا ما فيه من أنواع الطيب والمسك والجواهر واللاالى واليواقيت ، ومع هذا لم يدرأ أكثر أهل البلد بشيء من ذلك لاتساعها ، وذلك أنها كانت فى غاية الكبر : طولها مسيرة منزلة من منازل الهند ، وعرضها كذلك ، وأخذوا منها من الأموال والتحف

والآثاف مالا يحد ولا يوصف ، حتى قيل إنهم اقتسموا الذهب والفضة بالكيل ، ولم يصل جيش من جيوش المسلمين إلى هذه المدينة قط ، لا قبل هذه السنة ولا بعدها ، وهذه المدينة من أكثر بلاد الهند خيراً ومالاً ، بل قيل إنه لا يوجد مدينة أكثر منها مالا ورزقا ، مع كفر أهلها وعبادتهم الأصنام ، فليسلم المؤمن على الدنيا سلام . وقد كانت محمل الملك ، وأخذوا منها من الرقيق من الصبيان والبنات مالا يحصى كثرة . وفيها عملت الرافضة بدعتهم الشنعاء ، وحادتهم الصلحاء ، في يوم عاشوراء ، من تعلق المسوح ، وتعلق الاسواق ، والنوح والبكاء في الازقة ، فأقبل أهل السنة إليهم في الحديد فاقتلوا قتالا شديداً ، قتل من الفريقين طوائف كثيرة ، وجرت بينهم فتن وشرور مستطيرة . وفيها مرض أمير المؤمنين القادر بالله وعهد بولاية العهد من بعده إلى ولده أبي جعفر القائم بأمر الله ، بحضور من القضاة والوزراء والأمراء ، وخطب له بذلك ، وضرب اسمه على السكة المتعامل بها . وفيها أقبل ملك الروم من قسطنطينية في مائة ألف مقاتل ، فسار حتى بلغ بلاد حلب ، وعليها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس ، فنزلوا على مسيرة يوم منها ، ومن عزم ملك الروم أن يستحوذ على بلاد الشام كلها ، وأن يستردها إلى دين النصرانية ، وقد قال رسول الله (ص) : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » وقيصر هو من ملك الشام مع بلاد الروم فلا سبيل لملك الروم إلى هذا . فلما نزل من حلب كاذ كرنا أرسل الله عليهم عطشا شديداً ، وخالف بين كلمتهم ، وذلك أنه كان معه الدهستق ، فعامل طائفة من الجيش على قتله ليستقل هو بالأمر من بعده ، ففهم الملك ذلك فكر من فوره راجماً ، فاتبعهم الأعراب ينهبونهم ليلاً ونهاراً ، وكان من جملة ما أخذوا منهم أربع مائة فحل محجل محملة أموالاً وثياباً للملك ، وهلاك أكثرهم جوعاً وعطشا ، ونهبوا من كل جانب والله الحمد والمنة . وفيها ملك جلال الدولة واسطا واستناب عليها ولده ، وبعث وزيره أبا علي بن ماكولا إلى البطائح ففتحها ، وسار في الماء إلى البصرة وعليها نائب لأبي كاليجار ، فهزمهم البصريون فسار إليهم جلال الدولة بنفسه فدخلها في شعبان منها . وفيها جاء سيل عظيم بغزاة فأهلك شيئا كثيرا من الزروع والأشجار . وفي رمضان منها تصدق مسعود بن محمود بن سبكتكين بألف ألف درهم ، وأدرأر زاقا كثيرة للفقهاء والعلماء ببلاده ، على عادة أبيه من قبله ، وفتح بلادا كثيرة ، واتسعت ممالكه جدا ، وعظم شأنه ، وقويت أركانه ، وكثرت جنوده وأعوانه . وفيها دخل خلن كثير من الأكراد إلى بغداد يسرقون خيل الأتراك ليلا ، فتحصن الناس منهم فأخذوا الخيول كلها حتى خيل السلطان . وفيها سقط جسر بغداد على نهر عيسى . وفيها وقعت فتنة بين الأتراك النازلين بباب البصرة ، وبين الهاشميين ، فرفضوا المصاحف ورثتهم الأتراك بالنشاب ، وجرت خبطة عظيمة ثم أصالح بين الفريقين . وفيها كثرت العملات ، وأخذت الدور جهرة ، وكثر العيارون ولصوص

الأكراد . وفيها تعطل الملح أيضاً سوى شردمة من أهل العراق ركبوا من جمال البادية مع الأعراب ، ففازوا بالحلج .

ذكر من توفى فيها من الأعيان أحمد بن عبد الله بن أحمد

أبو الحسن الواعظ ، المعروف بابن الأكرات ، صاحب كرامات وماملات ، كان من أهل الجزيرة فسكن دمشق ، وكان يهظ الناس بالرافدة القيلية ، حيث كان يجلس القصاص . قاله ابن عساكر . قال : وصنف كتباً في الوعظ ، وحكى حكايات كثيرة ، ثم قال : سمعت أبا الحسن أحمد بن عبد الله الأكرات الواعظ ينشد أبياتاً :

أنا ما أصنعُ بالذنا \* تِ شغلي بالذنوبِ  
إنما العبدُ لمنْ فا \* زُ بوصل من حبيبِ  
أصبحَ الناسُ على رو \* ح وربحانٍ وطيبِ  
ثم أصبحتُ على نوح \* وحزنٍ ونجيبِ  
فرحوا حين أهلوا \* شهرم بعد المغيبِ  
وهلالي متوارٍ \* من ورا حُجِبِ الغيوبِ  
فلهدا قلتُ للذنا \* تِ غيبي ثم غيبي  
وجماتُ الهمِّ والحز \* ن من الدنيا نصيبي  
يا حياتي ومماتي \* وشقائي وطبيبي  
جُدْ لنفسي تنلظي \* منك بالرحب الرحيبِ

الحسين بن محمد الحلبي

الشاعر ، له ديوان شعر حسن ، عمر طويلاً ، وتوفى في هذه السنة .

الملك الكبير العادل

محمود بن سبكتكين ، أبو القاسم الملقب بين الدولة ، وأمين الملة ، وصاحب بلاد غزنة ، وما والاها ، وجيشه يقال لهم السامانية ، لأن أباه كان قد تملك عليهم ، وتوفى سنة سبع وثلاثين وثلثمائة فتملك عليهم بعده ولده محمود وهذا ، فسار فيهم وفي سائر رعاياه سيرة عادلة ، وقام في نصر الإسلام قيماً تاماً ، وفتح فتوحات كثيرة في بلاد الهند وغيرها ، وعظم شأنه ، واتسعت مملكته ، وامتدت رعاياه ، وطالت أيامه لعدله وجهاده ، وما أعطاه الله إياه ، وكان يخطب في سائر ممالكه للخليفة القادر بالله ، وكانت رسل الفاطميين من مصر تفتد إليه بالكتب والهدايا لأجل أن يكون من جهتهم ، فيحرق بهم ويحرق كتبهم وهداياهم ، وفتح في بلاد الكفار من الهند فتوحات هائلة ، لم يتفق لغيره من

المورك ، لا قبله ولا بعده ، وغنم مغنم منهم كثيرة لا تنحصر ولا تنضب ، من الذهب واللاآى ، والسبى ، وكسر من أصنامهم شيئا كثيرا ، وأخذ من حليتها . وقد تقدم ذلك مفصلا منفردا فى السنين المتقدمة من أيامه ، ومن جملة ما كسر من أصنامهم صنم يقال له سومنان ، بلغ ما تحصل من حليته من الذهب عشرين ألف دينار ، وكسر ملك الهند الأ كبر الذى يقال له سينال ، وقهر ملك البرك الأعظم الذى يقال له إيلك الخزان ، وأباد ملك السامانية ، وقد ملكوا العالم فى بلاد سمرقند وما حولها ، ثم هلكوا . وبنى دلى جيحون جسرا تهجز المورك والخلفاء عنه ، غرم عليه أنى ألف دينار ، وهذا شئ لم يتفق لغيره ، وكان فى جيشه أربعمائة فىل تقاتل ، وهذا شئ عظيم هائل ، وجرت له فصول يطول تفصيلها ، وكان مع هذا فى غاية الديانة والصيانة وكرامة المعاصى وأهلها ، لا يجب منها شيئا ، ولا يألوه ، ولا أن يسمع بها ، ولا يجسر أحد أن يظهر معصية ولا خرا فى مملكته ، ولا غير ذلك ، ولا يجب الملامى ولا أهلها ، وكان يحب العلماء والمحدثين ويكرهم ويجالسهم ، ويجب أهل الخير والدين والصلاح ، ويمسح إليهم ، وكان حنفا ثم صار شافعا على أبى بكر القفال الصغير على ما ذكره إمام الحرمين وغيره ، وكان على مذهب السكرامية فى الاعتقاد ، وكان من جملة من يجالسه منهم محمد بن الهيثم ، وقد جرى بينه وبين أبى بكر بن فورك مناظرات بين يدى السلطان محمود فى مسألة العرش ، ذكرها ابن الهيثم فى مصنف له ، قال السلطان محمود إلى قول ابن الهيثم ، ونقم على ابن فورك كلامه ، وأمر بطرده وإخراجه ، لموافقته لرأى الجهمية ، وكان عادلا جيدا ، اشتكى إليه رجل أن ابن أخت الملك بهجم عليه فى داره وعلى أهله فى كل وقت ، فيخرجه من البيت ويختلى بامرأته ، وقد حار فى أمره ، وكلما اشتكاه لأحد من أولى الأمر لا يجسر أحد عليه خوفا وهيبة للملك . فلما سمع الملك ذلك غضب غضبا شديدا وقال للرجل ، ويحك متى جاءك فائتنى فأعلمنى ، ولا تسمع من أحد منكم من الوصول إلى ، ولو جاءك فى الليل فائتنى فأعلمنى ، ثم إن الملك تقدم إلى الحجية وقال لهم : إن هذا الرجل متى جاءنى لا يمنعه أحد من الوصول إلى من ليل أو نهار ، فذهب الرجل مسرورا داعيا ، فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى هجم عليه ذلك الشاب فأخرجه من البيت واختلى بأهله ، فذهب باكيا إلى دار الملك فقيل له إن الملك فأمم ، فقال : قد تقدم إليكم أن لا أمنع منه ليلا ولا نهارا ، فذهبوا الملك فخرج معه بنفسه وليس معه أحد ، حتى جاء إلى منزل الرجل فنظر إلى الغلام وهو مع المرأة فى فراش واحد ، وعندهما شمعة تقد ، فتقدم الملك فأطفأ الضوء ثم جاء فاحترز رأس الغلام وقال للرجل : ويحك الحقنى بشربة ماء ، فأناه بها فشرب ثم انطلق الملك ليذهب ، فقال له الرجل : بالله لم أطفأت الشمعة ؟ قال : ويحك إنه ابن أختى ، وإنى كرهت أن أشاهده حالة الذبح ، فقال : ولم طلبت الماء سرىما ؟ فقال الملك : إنى آليت على نفسى منذ أخبرتنى أن لا أطعم طعاما ولا أشرب

شربا حتى أنصرك ، وأقوم بمحكك ، فكنت عطشانا هذه الأيام كلها ، حتى كان ما كان مما رأيت . فدعا له الرجل وأنصرف الملك راجعا إلى منزله ، ولم يشعر بذلك أحد . وكان مرض الملك محمود هذا بسوء المزاج ، اعتراه معه انطلاق البطن سنتين ، فكان فيهما لا يضطجع على فراش ، ولا يتكئ على شيء ، لقوة بأسه وسوء مزاجه ، وكان يستند على مخاد توضع له ويحضر مجلس الملك ، ويفصل على عادته بين الناس ، حتى مات كذلك في يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة عن ثلاث وستين سنة ، ملكه منها ثلاث وثلاثون سنة ، وخاف من الأوال شيئا كثيرا ، من ذلك سبعون رطلا من جوهر ، والجوهره منه لها قيمة عظيمة سماحه الله . وقام بالأمر من بعده ولده محمد ، ثم صار الملك إلى ولده الآخر مسعود بن محمود فأشبهه أباه ، وقد صنف بعض العلماء مصنفات في سيرته وأيامه وفتوحاته وممالكه . ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

فيها كانت وفاة القادر بالله الخليفة ، وخلافة ابنه القائم بأمر الله على ما سيأتي تفصيله وبيانه . وفيها وقعت فتنة عظيمة بين السنة والروافض ، فقربت عليهم السنة وقتلوا خلقا منهم ، ونهبوا السرخ ودار الشريف المرتضى ، ونهبت العامة دور اليهود لأنهم نسبوا إلى معاونة الروافض ، وتمدى النهب إلى دور كثيرة ، وانتشرت الفتنة جدا ، ثم سكنت بعد ذلك . وفيها كثرت العملات وانتشرت الحنة بأمر العيارين في أرجاء البلد ، وتجمهروا على أمور كثيرة ، ونهبوا دورا وأماكن سرا وجبرا ، ليلا ونهارا ، والله سبحانه أعلم .

#### خادفة القائم بالله

أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله ، بويع له بالخلافة لما توفي أبوه أبو العباس أحمد بن المقتدر بن المعتضد بن الأمين أبو أحمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ، في ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة من هذه السنة ، عن ست وثمانين سنة ، وعشرة أشهر وإحدى عشر يوما ، ولم يعمر أحد من الخلفاء قبله هذا العمر ولا بعده ، مكث من ذلك خليفة إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر ، وهذا أيضاً شيء لم يسبقه أحد إليه ، وأمه أم ولد اسمها منى ، مولاة عبد الواحد بن المقتدر ، وقد كان حايما كريما ، محبا لأهل العلم والدين والصلاح ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكان على طريقة السلف في الاعتقاد ، وله في ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس ، وكان أبيض حسن الجسم طويل اللحية عريضها يخضبها ، وكان يقوم الليل كثير الصدقة ، محبا للسنة وأهلها ، مبهضا للبدعة وأهائها ، وكان يكثر الصوم ويبر الفقراء من أقطاعه ، يبعث منه إلى المجاورين بالحرمين وجامع المنصور ، وجامع الرصافة ، وكان يخرج من داره في زى العامة فيزور قبور الصالحين ، وقد ذكرنا طرفا صالحا من سيرته عند ذكر ولايته في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وجلسوا

في عزائه سبعة أيام لعظام المصيبة به ، ولتوطيد البيعة لولده المذكور ، وأمه يقال لها قطر الندى ، أرمنية أدركت خلافته في هذه السنة ، وكان مولده يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، ثم يورع له بمحضرة القضاء والامراء والكبراء في هذه السنة ، وكان أول من بايحه المرتضى وأنشده أبياتاً : فأما مضي جيلٍ وانتضى \* فمك لنا جيلٌ قد رمى  
وأما فجعنا بيدٍ التام \* فقد بقيت منه شمس الضحى  
لنا حزنٌ في محل السرور \* فكم ضحك في محل البكا  
فياصارماً أغمده يده \* لنا بمدك الصارم المنتضى  
ولما حضرنا لعقد البيع \* عرفنا بهديك طرق الهدى  
فقابلتنا بوقار المشيب \* كما لأوسنك سن الفتي

فطالبته الأتراك برسم البيعة فلم يكن مع الخليفة شيء يعطيهم ، لأن أباه لم يترك شيئاً ، وكادت الفتنة تقع بين الناس بسبب ذلك ، حتى دفع عنه الملك جلال الدولة مالا جزيلاً لهم ، نحواً من ثلاثة آلاف دينار ، واستوزر الخليفة أبا طالب محمد بن أيوب ، واستنقى ابن ما كولا . ولم يحج أحد من أهل المشرق سوى شرذمة خرجوا من الكوفة مع العرب فخرجوا .

وفيها توفي من الأعيان غير الخليفة الحسن بن جعفر

أبو علي بن ما كولا الوزير لجلال الدولة ، قتله غلام له وجارية تعاملت عليه فقتلاه ، عن ست وخمسين سنة -  
عبد الوهاب بن علي

ابن نصر بن أحمد بن الحسن بن هارون بن مالك بن طوق ، صاحب الرحبة ، النغابي البغدادي أحد أئمة المالكية ، ومصنفهم ، له كتاب التلغين يحفظه الطلبة ، وله غيره في الفروع والأصول ، وقد أقام ببغداد دهرًا ، وولى قضاء داريا وما كسايا ، ثم خرج من بغداد لضيق حاله ، فدخل مصر فأكرمه المغاربة وأعطوه ذهباً كثيراً ، فتمول جدا ، فأنشأ يقول مقشوقاً إلى بغداد .

سلام على بغداد في كل موقف \* وحق لها مني السلام مضاعف  
فو الله ما فارقها عن ملالة \* وإني بشطبي جانبها لعارف  
ولكنها ضاقت علي بأسرها \* ولم تكن الارزاق فيها تساعف  
فكانت كخيل كنت أهوى دونه \* وأخلاقه تنأى به وتخالف

قال الخطيب : سمع القاضي عبد الوهاب من ابن السماك ، وكتبت عنه ، وكان ثقة ، ولم تر المالكية أحداً أفقه منه . قال ابن خلكان : وعند وصوله إلى مصر حصل له شيء من المال ، وحسن حاله ، مرض من أكلة اشتهاها فذكر عنه أنه كان يتقلب ويقول : لا إله إلا الله ، عندما عشنا متنا



قال : وله أشعار رائعة فمنها قوله :

ونائمة قبلتها فنذبت \* فقالت تعالوا واطلبوا اللص بالحد  
فقلت لها إني فديتك غاصب \* وماحكوا في غاصب بسوى الرد  
خذنها وكفى عن أئيم طلبة \* وإن أنت لم ترضى فالنأعلى العبد  
فقلت قصاص يشهد العقل أنه \* على كبد الجاني الذ من الشهد  
فباتت يمى وهي هميان خصرها \* وباتت يساري وهي واسطة العقد  
فقلت ألم تخبر بأنك زاهد \* فقلت بلى ، مازلت أزهدي في الزهد

ومما أنشده ابن خلدكان للقاضي عبد الوهاب :

بفداد دار لأهل المال طيبة \* وللهفليس دار الضنك والضيق  
ظلت حيران أمشى في أزقتها \* كأنني مصحف في بيت زنديق  
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

في سادس المحرم منها استسقى أهل بغداد لتأخر المطر عن أوامه ، فلم يسقوا ، وكثر الموت في الناس ، ولما كان يوم عاشوراء عملت الروافض بدعتهم ، وكثر النوح والبكاء ، وامتلات بذلك الطرقات والأسواق . وفي صفر منها أمر الناس بالخروج إلى الاستسقاء فلم يخرج من أهل بغداد مع اتساعها وكثرة أهلها مائة واحد . وفيها وقع بين الجيش وبين جلال الدولة فاتفق على خروجه إلى البصرة منفيا ، ورد كثيرا من جواريه ، واستبقى بمضهن معه ، وخرج من بغداد ليلة الاثنين سادس ربيع الأول منها . وكتب الفلمان الاسفهلارية إلى الملك أبي كاليبجار ليقدم عليهم ، فلما قدم تمهدت البلاد ولم يبق أحد من أهل العناد والاحاد ، ونهبوا دار جلال الدولة وغيرها ، وتأخر بجى\* أبو كاليبجار ، وذلك أن وزيره أشار عليه بعدم القدوم إلى بغداد . فأطاعه في ذلك ، فكثرو العيارون وتفاقم الحال ، وفسد البلد ، وافتقر جلال الدولة بحيث أن احتاج إلى أن باع بعض ثيابه في الأسواق ، وجعل أبو كاليبجار يتوهم من الأتراك ويطلب منهم رهائن ، فلم يتفق ذلك ، وطال الفصل فرجعوا إلى مكاتبة جلال الدولة ، وأن يرجع إلى بلده ، وشرعوا يعتذرون إليه ، وخطبوا له في البلد على عادته ، وأرسل الخليفة الرسل إلى الملك كاليبجار ، وكان فيمن بعث إليه القاضي أبو الحسن الماوردى ، فسلم عليه مستوحشا منه ، وقد تحمل أمرا عظيما ، فسأل من القضاة أن يلقب بالسلطان الأعظم مالك الأمم ، فقال الماوردى : هذا مالا سبيل إليه ، لأن السلطان المعظم هو الخليفة ، وكذلك مالك الأمم ، ثم اتفقوا على تلقيبه بملك الدولة ، فأرسل مع الماوردى تحفا عظيمة منها ألف ألف دينار سابورية ، وغير ذلك من الدراهم آلاف مؤلفة . والتحف والألطف ، واجتمع الجند على

طلب من الخليفة فتصنر ذلك فراموا أن يتعلموا خطبته ، فلم تصل الجمعة ، ثم خطب له من الجمعة القابلة ، وتخطب البهه جدا ، وكثر العيارون . ثم في ربيع الآخر منها حلف الخليفة لجلال الدولة بخلوص النية وصفائها ، وأنه على ما يحب من الصديق وصلاح السريرة . ثم وقع بينهما بسبب جلال الدولة وشربه النبيذ وسكره . ثم اعتذر إلى الخليفة واصطلحا على فساد . وفي رجب علت الأسعار جدا ببفداد وغيرها ، من أرض العراق . ولم ينجح أحد منهم .

وفيها وقع موثان عظيم ببلاد الهند وغزنة وخراسان وجرجان والرى وأصبهان ، خرج منها في أدنى مدة أربعون ألف جنازة . وفي نواحي الموصل والجليل وبفداد طرف قوى من ذلك بالجمدى ، بحيث لم تخل دار من مصاب به ، واستمر ذلك في حزيران وتموز وآزار وأيلول وتشرين الأول والثاني ، وكان في الصيف أكثر منه في الخريف . قاله ابن الجوزى في المنتظم . وقد رأى رجل في منامه من أهل أصبهان في هذه السنة مناديا ينادى بصوت جهورى : يا أهل أصبهان سكت ، نطق ، سكت ، نطق ، فانتبه الرجل مذعوراً فلم يدر أحد تأويلها ما هو ، حتى قال رجل بيت أبي العتاهية فقال : احذروا يا أهل أصبهان فاني قرأت في شعر أبي العتاهية قوله :

سكت الدهرُ زماناً عنهم \* ثم أبكاهمُ دماً حين نطق

فما كان إلا قليل حتى جاء الملك مسعود بن محمود قتل منهم خلقاً كثيراً ، حتى قتل الناس في الجوامع . وفي هذه السنة ظفر الملك أبو كاليبجار بالخدم جنبدل فقتله ، وكان قد استحوذ على مملكته ولم يبق معه سوى الاسم ، فاستراح منه . وفيها مات ملك الترك الكبير صاحب بلاد ما وراء النهر ، واسمه قدرخان .

وفيها توفي من الأعيان روح بن محمد بن أحمد

أبو زرعة الرازى . قال الخطيب : سمع جماعة ، وقد علينا حاجاً فكتبت عنه ، وكان صدوقاً فهماً ، أديباً ، يتفقه على مذهب الشافى ، وولى قضاء أصبهان . قال : وبلغنى أنه مات بالكرخ سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

علي بن محمد بن الحسن

ابن محمد بن نعيم بن الحسن البصرى ، المعروف بالنعيمى ، الحافظ الشاعر ، المتكلم الفقيه الشافى . قال البرقانى : هو كامل فى كل شىء لولا بادرة فيه ، وقد سمع على جماعة ، ومن شعره قوله :

إذا أظلمتكَ أ كَفُ الثامِ \* كَفَتِكَ القناعَةُ شيباً وريا

فكن رجلاً رجله فى الثرى \* وهامته همُّه فى الثريا

أيتاً لنائل ذي نعمة \* تراه بما فى يديه أيتاً

## فان إراقة ماء الحيا • دون إراقة ماء الحيا

محمد بن الطيب

ابن سعد بن موسى أبو بكر الصباغ ، حدث عن النجاد وأبي بكر الشافعي ، وكان صدوقا ، حكى الخطيب أنه تزوج تسعمائة امرأة ، وتوفى عن خمس وتسعين سنة .

علي بن هلال

الكاتب المشهور ، ذكر ابن خلكان أنه توفى في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاث عشرة كما تقدم ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة

فيها تفاقم الحال بأمر الميارين ، وتزايد أمرهم ، وأخذوا العملات الكثيرة ، وقوى أمر مقدمهم البرجمي ، وقتل صاحب الشرطة غيلة ، وتواترت العملات في الليل والنهار ، وحرس الناس دورهم ، حتى دار الخليفة منه ، وكذلك سور البلد ، وعظم الخطب بهم جدا ، وكان من شأن هذا البرجمي أنه لا يؤذي امرأة ولا يأخذ مما عليها شيئا ، وهذه مروة في الظلم ، وهذا كما قيل • حنانيك بمض الشر أهون من بعض • وفيها أخذ جلال الدولة البصرة وأرسل إليها ولده العزيز ، فأقام بها الخطبة لأبيه ، وقطع منها خطبة أبي كاليبج في هذه السنة والتي بعدها ، ثم استرجعت ، وأخرج منها ولده . وفيها تارت الأتراك بالملك جلال الدولة ليأخذوا أرزاقهم ، وأخرجوه من داره ، ورمحوا عليه في المسجد ، وأخرجت حريمه ، فذهب في الليل إلى دار الشريف المرتضى فنزلها ، ثم اصطلمت الأتراك عليه وحلفوا له بالسمع والطاعة ، وردوه إلى داره ، وكثر الميارون واستطالوا على الناس جدا . ولم ينجح أحد من أهل العراق وخراسان لفساد البلاد .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن الحسين بن أحمد

أبو الحسين الواعظ المعروف بابن السالك ، ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وسمع جعفر الخليلي وغيره وكان يمظ بجامع المنصور وجامع المهدي ، ويتكلم على طريق الصوفية ، وقد تكلم بمض الأئمة فيه ، ونسب إليه الكذب . توفى فيها عن أربع وتسعين سنة ودفن بباب حرب .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة

فيها غزا السلطان مسعود بن محمود بلاد الهند ، وفتح حصونا كثيرة ، وكان من جللتها أنه حاصر قلعة حصينة فخرجت من السور مجوز كبيرة ساحرة ، فأخذت مكنسة قبلتها ورشتها من ناحية جيش المسلمين ، فرض السلطان تلك الليلة مرضا شديدا ، فارتحل عن تلك القلعة ، فلما استقل ذاهبا عنها هوف عافية كاملة ، فرجع إلى غزنة سالما . وفيها ولي البساسيري حماية الجانب الشرقي من بغداد ، لما تفاقم أمر الميارين . وفيها ولي سنان بن سيف الدولة بعد وفاة أبيه ، فقصد عمه قر وانشأ فأقره

وساعده على أمره . وفيها هلك ملك الروم أرماتوس ، فملكهم رجل ليس من بيت ملكهم ، قد كان صيرفاني بعض الأحيان ، إلا أنه كان من سلالة الملك قسطنطين . وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام فهبت شيئا كثيرا ، ومات تحت الردم خلق كثير ، وانهدم من الرملة ثلثها ، وتقطع جامعها تقطيعاً ، وخرج أهلها منها هاربين ، فأقاموا بظاهرها ثمانية أيام ، ثم سكن الحال فعادوا إليها ، وسقط بعض حائط بيت المقدس ، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة ، ومن مسجد إبراهيم قطعة ، وسلمت الحجر ، وسقطت منارة عسقلان ، ورأس منارة غزة ، وسقط نصف بنيان نابلس ، وخسف بقرية البارزاد وبأهلها وبقرها وغنمها ، وساخت في الأرض . وكذلك قرى كثيرة هناك ، وذكر ذلك ابن الجوزي . ووقع غلاء شديد ببلاد إفريقية ، وعصفت ريح سوداء بنصيبين فألقت شيئا كثيرا من الأشجار كالتوت والجوز والماناب ، واقتامت قصراً مشيداً بمجارة وآجر وكلس فألقته وأهله فهلكوا ، ثم سقط مع ذلك مطر أمثال الألف ، والزنود والأصابع ، وجزر البحر من تلك الناحية ثلاث فراسخ ، فذهب الناس خلف السمك فرجع البحر عليهم فهلكوا . وفيها كثر الموت بالخوانيق حتى كان يغلق الباب على من في الدار كلهم موتى ، وأكثر ذلك كان ببغداد ، فمات من أهلها في شهر ذي الحجة سبعون ألفاً . وفيها وقعت الفتنة بين السنة والرافض حتى بين العيارين من الفريقيين مع ابنا الاصفهاني وهما مقدمي عيارين أهل السنة ، منعا أهل الكرخ من ورود ماء دجلة فضاقت عليهم الحال ، وقتل ابن البرجمي وأخوه في هذه السنة . ولم ينجح أحد من أهل العراق .

وفيهما توفي من الأعيان أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب

الحافظ أبو بكر المعروف بالبرقاني ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، وسمع الكثير ، ورحل إلى البلاد ، وجمع كتباً كثيرة جداً ، وكان علماً بالقرآن والحديث والفقه والنحو ، وله مصنفات في الحديث حسنة نافلة . قال الأزهري : إذا مات البرقاني ذهب هذا الشأن ، وما رأيت أتعن منه . وقال غيره : ما رأيت أعبد منه في أهل الحديث . توفي يوم الخميس مستهل رجب ، وصلى عليه أبو علي بن أبي موسى الهاشمي ، ودفن في مقبرة الجامع ببغداد ، وقد أورد له ابن عساكر من شعره :

أَعْلَلُ نَفْسِي بِكُتُبِ الْحَدِيثِ \* وَأَجَلُّ فِيهِ لَهَا الْمَوْعِدَا  
وَأَشْغَلُ نَفْسِي بِتَصْنِيفِهِ \* وَتَحْرِيجِهِ دَائِمًا سَرْمِدَا  
فَطَوَّرَا أَصْنَفَهُ فِي الشُّيُوعِ \* خِطُّهُ وَطَوَّرَا أَصْنَفَهُ مُسْتَدَا  
وَأَقْفُو الْبَخَارِيَّ فِيهَا حَوَا \* هُوَ وَصْنَفُهُ جَاهِدًا مُجْهِدَا  
وَمُسْلِمٌ إِذْ كَانَ زَيْنَ الْأَنَامِ \* بِتَصْنِيفِهِ مُسْلِمًا مُرْشِدَا  
وَمَا لِي فِيهِ سِوَى أَنِّي \* أَرَاهُ هَوًى صَادِقَ الْمَقْصِدَا

وأرجو الثواب بكتب الصلاة \* ة على السيد المصطفى أحمد

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد

أبو العباس الأبيوردي ، أحد أئمة الشافعية ، من تلاميذ الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، كانت له حلقة في جامع المنصور للفتيا ، وكان يدرس في قطعة الربيع ، وولى الحكم ببغداد نيابة عن ابن الأكنافى ، وقد سمع الحديث ، وكان حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، فصيح اللسان ، صبوراً على الفقر ، كما ماله ، وكان يقول الشعر الجيد ، وكان كما قال تعالى [ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعنف تعرفهم بسبام لا يسألون الناس إلحافاً ] توفى في جمادى الآخرة ، ودفن بمقبرة باب حرب :

أبو علي البندنجي

الحسن بن عبد الله بن يحيى ، الشيخ أبو علي البندنجي ، أحد أئمة الشافعية ، من تلاميذ أبي حامد أيضاً ، ولم يكن في أصحابه مثله ، تفقه ودرس وأفتى وحكم ببغداد ، وكان ديناً ورعاً . توفى في جمادى الآخرة منها أيضاً .

عبد الوهاب بن عبد العزيز

الحارث بن أسد ، أبو الصباح التميمي ، الفقيه الحنبلي الواعظ ، سمع من أبيه أثراً مسلسلاً عن علي « الحنان : الذي يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذي يبدأ بالتوال قبل السؤال » توفى في ربيع الأول ودفن في مقبرة أحمد بن حنبل .

غريب بن محمد

ابن مفتى سيف الدولة أبو سنان ، كان قد ضرب السكة باسمه ، وكان ملكاً متمكناً في الدولة ، وخلف خمسمائة ألف دينار ، وقام ابنه سنان بعده ، وتقوى بعمه قرواش ، واستقامت أموره ، توفى بالكرخ سابور عن سبعين سنة .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة

في محرمها كثر زرد الأعراب في قطع الطرقات إلى حواشى بغداد وما حولها ، بحيث كانوا يسلبون النساء ما عليهن ، ومن أسروه أخذوا ما معه وطالبوه بفداء نفسه ، واستفحل أمر العيارين وكثرت شزورهم ، وفي مستهل صفر زادت دجلة بحيث ارتفع الماء على الضياع ذراعين ، وسقط من البصرة في مدة ثلاثة نحو من ألفي دار . وفي شعبان منها ورد كتاب من مسعود بن محمود بأنه قد فتح فتحاً عظيماً في الهند ، وقتل منهم خمسين ألفاً وأسر تسعين ألفاً ، وغنم شيئاً كثيراً ، ووقعت فتنة بين أهل بغداد والعيارين ، ووقع حريق في أماكن من بغداد ، واتسع الخرق على الراقع ، ولم ينجح أحد من هؤلاء ولا من أهل خراسان .

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن كليب الشاعر

وهو أحد من هلك بالمشق ، روى ابن الجوزي في المنتظم بسنده أن أحمد بن كليب هذا المسكين المغتر عشق غلاما يقال له أسلم بن أبي الجمدة ، من بني خلدة<sup>(١)</sup> وكان فيهم وزارة ، أي كانوا وزراء للولوك وحجابا ، فأشدد فيه أشمارا تحدث الناس بها ، وكان هذا الشاب أسلم يطلب العلم في مجالس المشايخ فلما بلغه عن ابن كليب ما قال فيه استحي من الناس وانقطع في دارهم ، وكان لا يجتمع بأحد من الناس ، فزاد غرام ابن كليب به حتى مرض من ذلك مرضا شديدا ، بحيث عاده منه الناس ، ولا يدرون ما به ، وكان في جملة من عاده بعض المشايخ من العلماء ، فسأله عن مرضه فقال : أنتم تعلمون ذلك ، ومن أي شيء مرضي ، وفي أي شيء دوائي ، لو زارني أسلم ونظر إلى نظرة ونظرتة نظرة واحدة لبرأت ، فرأى ذلك العالم من المصلحة أن لو دخل على أسلم وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة مخفيا ، ولم يزل ذلك الرجل العالم بأسلم حتى أجابه إلى زيارته ، فانطلقا إليه فلما دخلا دربه ومحلته تجبن الغلام واستحي من الدخول عليه ، وقال للرجل العالم : لا أدخل عليه ، وقد ذكرني وتوه باسمي ، وهذا مكان ريبة وتهمة ، وأنا لا أحب أن أدخل مداخل التهم ، فحرص به الرجل كل الحرص ليدخل عليه فأبى عليه ، فقال له : إنه ميت لا محالة ، فاذا دخلت عليه أحييته . فقال : يموت وأنا لا أدخل متخلا يسخط الله على وينفضه ، وأبى أن يدخل ، وانصرف راجعا إلى دارهم ، فسئل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه ، وقد كان غلام ابن كليب دخل عليه قبل ذلك وبشره بقدم مشوقه عليه ، ففرح بذلك جدا ، فلما تحقق رجوعه عنه اختلط كلامه واضطرب في نفسه ، وقال لملك الرجل السامعي بينهما : اسمع يا أبا عبد الله واحفظ عني ما أقول ، ثم

أنشده : أسلم يا راحة الليل \* رقعا على المهائم النحيل

وصلك أشهى إلى فؤادي \* من رحمة الخالق الجليل

فقال له الرجل : ويحك اتق الله تعالى ، ما هذه العظيمة ؟ فقال : قد كان ما سمعت ، أو قال القول ما سمعت . قال فخرج الرجل من عنده فما توسط الدار حتى سمع الصراخ عليه ، وسمع صيحة الموت وقد فارق الدنيا على ذلك . وهذه زلة شفاء ، وعظيمة صلحاء ، وداهية دهباء ، ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها ، ولكن فيها عبرة لأولى الألباب ، وتنبية لذوى البصائر والعقول ، أن يسألوا الله رحمة وعافيته ، وأن يستعينوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات إنه كريم جواد .

قال الحميدي : وأنشدني أبو علي بن أحمد قال : أنشدني محمد بن عبد الرحمن لأحمد بن كليب وقد أهدى إلى أسلم كتاب الفصيح للعلب :

(١) في النجوم الزاهرة : أسلم بن أحمد بن سعيد قاضي قضاة الاندلس .

هذا كتابُ الفصيحِ \* بكلِّ لفظٍ مليحٍ \* وهبتهُ لك طوعاً \* كما وهبتك روي  
الحسن بن أحمد

ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران البزاز ، أحد مشايخ الحديث ،  
سمع الكثير ، وكان ثقة صدوقاً ، جاء يوماً شاب غريب فقال له : إني رأيت رسول الله (س) في  
المنام فقال لي : اذهب إلى أبي علي بن شاذان فسلم عليه وأقره مني السلام . ثم انصرف الشاب فبكى  
الشيخ وقال : ما أعلم لي عملاً أستحق به هذا غير صبري على سماع الحديث ، وصلاتي على رسول  
الله (س) ، كما ذكر . ثم توفي بعد شهرين أو ثلاثة من هذه الرؤيا في محرما ، عن سبع وثمانين سنة  
ودفن بباب الدبر .  
الحسن بن عثمان

ابن أحمد بن الحسين بن سورة ، أبو عمر الواعظ المعروف بابن الفلوة ، سمع الحديث عن جماعة .  
قال ابن الجوزي : وكان يعظ ، وله بلاغة ، وفيه كرم ، وأمر بمحروف ونهى عن منكر ، ومن شعره  
قوله : دخلت على السلطان في دارِ عزه \* بتقر ولم أجلب بجخيل ولا رجل  
وقلت : انظروا ما بين قري بوملكم \* بمقدار ما بين الولاية والزل  
توفي في صفر منها وقد قارب الثمانين ، ودفن بمقبرة حرب إلى جانب ابن السكك رحمهما الله .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة

في الحرم منها تكملت قنطرة عيسى التي كانت سقطت ، وكان الذي ولي مشاركة الاتفاق عليها  
الشيخ أبو الحسين القدوري الحنفي ، وفي الحرم وما بعده تقام أسر الميارين ، وكبسوا الهودج  
وتزايد شرم جدا .

وفيها توفي صاحب مصر الظاهر أبو الحسن علي بن الحاكم الفاطمي ، وله من العمر ثلاث وثلاثون  
سنة ، وقام بالأمر من بعده ولده المستنصر وعمره سبع سنين ، واسمه معد ، وكنيته أبو تميم ، وتكفل  
بأعباء المملكة بين يديه الأفضل أمير الجيوش ، واسمه بدر بن عبد الله الجمالي ، وكان الظاهر هذا  
قد استوزر الصحابي أبا القاسم علي بن أحمد الجرجاني ، وكان مقطوع اليدين من الرقيقين ، في سنة  
ثمانى عشرة ، فاستمر في الوزارة مدة ولاية الظاهر ، ثم لولده المستنصر ، حتى توفي الوزير الجرجاني  
المذكور في سنة ست وثلاثين ، وكان قد سلك في وزارته العفة العظيمة ، وكان الذي يعلم عنه القاضي  
أبو عبد الله القضاة صاحب كتاب الشهاب ، وكانت علامته الحمد لله شكراً لنعمه ، وكان الذي  
قطع يديه من الرقيقين الحاكم ، لجنابة ظهرت منه في سنة أربع وأربعمائة ، ثم استعمله في بعض  
الأعمال سنة تسع ، فلما قد الحاكم في السابع والعشرين من شوال ، سنة إحدى عشرة ، تنقلت  
بالجرجاني المذكور الأحوال حتى استوزر سنة ثمانى عشرة كما ذكرنا ، وقد هجاه بعض الشعراء

قال : يا أجمعا اسمع وقل \* ودع الرقاعة والتحاقد  
 أأقت نفسك في النقا \* وتوهبك فيما قلت صادق  
 أمن الأمانة والتقى \* قطعت يدك من المرافق  
 وممن توفي فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن إبراهيم الشعالي

ويقال الثعلبي أيضا - وهو لقب أيضاً وليس - بنسبة ، النيسابوري المفسر المشهور ، له التفسير الكبير ، وله كتاب العرايس في قصص الأنبياء عليهم السلام ، وغير ذلك ، وكان كثير الحديث واسع السماع ، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير ، ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في تاريخ نيسابور ، وأثنى عليه ، وقال : هو صحيح النقل موثوق به ، توفي في سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وقال غيره : توفي يوم الاربعاء لسبع بقين من المحرم منها ، ورؤيت له منامات صالحة رحمه الله . وقال السمعاني : ونيسابور كانت مفضبة فأمر سابور الثاني ببنائها مدينة .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

فيها خلع الخليفة علي بن تمام محمد بن محمد بن علي الزينبي ، وقلده ما كان إلى أبيه من نقابة العباسيين والصلاة . وفيها وقعت الفرقة بين الجند وبين جلال الدولة وقطعوا خطبته وخطبة الملك أبي كالجار ، ثم أعادوا الخطبة ، واستوزر أبا المعالى بن عبد الرحيم ، ، وكان جلال الدولة قد جمع خلقا كثيرا معه ، منهم البساسيري ، وديبس بن علي بن مرند ، وقر واش بن مقلد ، ونازل بغداد من جانبها الغربي حتى أخذها قهرا ، واصطاح هو وأبو كالجار نائب جلال الدولة على يدى قاضى القضاة الماوردي ، وتزوج أبو منصور بن أبي كالجار بابنة جلال الدولة على صداق خمسين ألف دينار واتفقت كلمتهما وحسن حال الرعية . وفيها نزل مطر ببلاد قم الصلح ومعه سمك ووزن السمكة رطل ووطلان ، وفيها بهت ملك مصر بمال لاصلاح نهر بالكوفة إن أذن الخليفة العباسي في ذلك ، فجمع الخليفة الفقهاء وسألهم عن هذا المال فأفتوا بأن هذا المال في المسلمين ، يصرف في مصالحهم . فأذن في صرفه في مصالح المسلمين . وفيها نار العيارون ببغداد وفتحوا السجن بالجانب الشرقي ، وأخذوا منه رجلا وقتلوا من رجال الشرطة سبعة عشر رجلا ، وانتشرت الشرور في البلاد جدا . ولم ينج أحد من أهل العراق وخراسان لاختلاف الكلمة .

وممن توفي فيها من الأعيان القدوري أحمد بن محمد

ابن أحمد بن جعفر ، أبو الحسن القدوري الحنفي البغدادي ، سمع الحديث ولم يحدث إلا بشيء يسير . قال الخطيب : كتبت عنه . وقد تقدمت وفاته ، ودفن بداره في درب خلف .

الحسن بن شهاب

ابن الحسن بن علي ، أبو علي العكبري ، الفقيه الحنبلي الشاعر ، ولد سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة



سمع من أبي بكر بن مالك وغيره ، وكان كما قال البرقاني ثقة أميناً ، وكان يسترزق من الوراقة - وهو النسخ - يقال إنه كان يكتب ديوان المتنبي في ثلاث ليال فيديعه بمائتي درهم ، ولما توفي أخذ السلطان من تركته ألف دينار سوى الأملاك ، وكان قد أوصى بثلاث ماله في متفتحة الخنابلة ، فلم تصرف .

لطف الله أحمد بن عيسى

أبو الفضل الهاشمي ، ولي القضاء والخطابة بدرب ربحان ، وكان ذا لسان ، وقد أضر في آخر عمره ، وكان يروي حكايات وأناشيد من حفظه ، توفي في صفر منها .

محمد بن أحمد

ابن علي بن موسى بن عبد المطلب ، أبو علي الهاشمي ، أحد أئمة الخنابلة وفضلائهم .

محمد بن الحسن

ابن أحمد بن علي أبو الحسن الأهوازي ، ويعرف بابن أبي علي الأصبهاني ، ولد سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، وقدم بغداد وخرج له أبو الحسن النعماني أجزاء من حديثه ، فسمها منه البرقاني ، إلا أنه بان كذبه ، حتى كان بعضهم يسميه جراب الكذب ، أقام ببغداد سبع سنين ، ثم عاد إلى الأهواز فمات بها .

مبيار الديلمي الشاعر

مبيار بن مرزويه أبو الحسين الكاتب الفارسي ، ويقال له الديلمي ، كان مجوسياً فأسلم ، إلا أنه سلك سبيل الرافضة ، وكان ينظم الشعر القوي الفحل في مذاهبهم ، من سب الصحابة وغيرهم ، حتى قال له أبو القاسم بن برهان : يا مبيار انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى في النار ، كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسب الصحابة ، وقد كان منزله بدرب رباح من الكرخ ، وله ديوان شعر مشهور ، فن مستجاد قوله :

أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوب \* وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب  
وأبغى عنكم قلباً سمحت به \* وكيف يرجع شيء وهو موهوب  
ما كنت أعرف مقدار حبكم \* حتى هجرت وبعض الهجر تأديب  
ولمبيار أيضاً : أجاتنا بالنور والركب منهم \* أيعلم خال كيف بات المتيم  
رحلتهم وجر القلب فينا وفيكم \* سواء ولكن ساهرون ونوم  
فبنتم عنا ظاعنين وخلفوا \* قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهم  
ولما خلى التوديع عما حذرت \* ولم يبق إلا نظرة لي تنم  
بكيت على الوادي وحرمت مائه \* وكيف به ماء وأكثره دم

قال ابن الجوزي : ولما كان شعره أكثره جيداً اقتصرت على هذا القدر . توفي في جمادى

## الآخرة

## هبة الله بن الحسن

أبو الحسين المعروف بالحاجب ، كان من أهل الفضل والأدب والدين ، وله شعر حسن ، فنه قوله :

يا ليلةً سلكَ الزما \* نٌ في طيبها كل مسلكٌ  
 إذ ترتقى روحى المسر \* ة مدركاً ما ليس يدركُ  
 والبدنُ قد فضحَ الزما \* نٌ وسرهُ فيه مهتكُ  
 وكأنما زهرُ النجو \* م بلعها شعلٌ تحركُ  
 والغيبُ أحياناً يلو \* ح كأنه ثوبٌ ممسكُ  
 وكانُ تجميدَ الريا \* ح لدجلةٍ ثوبٌ مفركُ  
 وكانَ نشرَ المسكِ \* ينفخُ في النسيمِ إذا تحركُ  
 وكأنما المنثورَ مصفر \* الذى ذهبَ مسبكُ  
 والنورُ يبسمُ فى الريا \* ضٍ فان نظرتَ إليه مسركُ  
 شارطتُ نفسى أن أقو \* م بمحقها والشرطُ أملكُ  
 حتى تولى الليلَ م \* نهزماً وجاء الصبحُ يضحكُ  
 وذا الفتي لو أنه \* فى طيبِ العيش يتركُ  
 والدهرُ يحسبُ عمره \* فاذا آفاه الشيبُ فنلكُ

## أبو علي بن سينا

الطبيب الفيلسوف ، الحسن بن عبد الله بن سينا الرئيس ، كان بارعاً فى الطب فى زمانه ، كان أبوه من أهل بلخ ، وانتقل إلى بخارى ، واشتغل بها قرأ القرآن وأتقنه ، وهو ابن عشر سنين ، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة وإقليدس والمجسطى ، ثم اشتغل على أبى عبد الله النائل الحكيم ، فبرع فيه وفاق أهل زمانه فى ذلك ، وتردد الناس إليه واشتغلوا عليه ، وهو ابن ست عشرة سنة ، وعالج بعض الملوك السامانية ، وهو الأمير نوح بن نصر ، فأعطاه جائزة سنوية ، وحكاه فى خزانة كتبه ، فرأى فيها من المعجائب والمحاسن مالا يوجد فى غيرها ، فيقال إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه ، وله فى الآلهيات والطبيعات كتب كثيرة ، قال ابن خلكان : له نحو من مائة مصنف ، صفار وكبار ، منها القانون ، والشفا ، والنجاة ، والاشارات ، وسلامان ، وانسان ، وحى بن يقظان ، وغير ذلك . قال وكان من فلاسفة الاسلام ، أورد له من الأشعار قصيدته فى نفسه التى يقول فيها :

هبطت إليك من المقام الأرفع \* وراقاً ذاتُ تعزيرٍ وتمنع  
 محجوبةً عن كل مقلبة عارفٍ \* وهى التى سفرت ولم تبرقع

وصلت على كرم إليك وربما \* كرهت فراقك وهي ذات تفجع  
وهي قصيدة طويلة وله :

اجمل غداك كل يوم مرة \* واحذر طاماً قبل هضم طعام  
واحفظ منيك ما استطعت فانه \* ماء الحياة براق في الأرحام

وذكر أنه مات بالقولنج في همدان ، وقيل بأصبهان ، والأول أصح ، يوم الجمعة في شهر رمضان منها ، عن ثمان وخمسين سنة . قلت : قد حصر الغزالي كلامه في مقاصد الفلاسفة ، ثم رد عليه في تهافت الفلاسفة في عشرين مجلساً له ، كفه في ثلاث منها ، وهي قوله بقدم العالم ، وعدم المعاد الجنائي ، وأن الله لا يعلم الجزئيات ، وبدعه في البواقي ، ويقال إنه تاب عند الموت فآله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة

فيها كان بدو ملك السلاجقة ، وفيها استولى ركن الدولة أبو طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، على نيسابور ، وجلس على منبر ملكها ، وبعث أخاه داود إلى بلاد خراسان فملكها ، وانزعها من نواب الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين . وفيها قتل جيش المصريين لصاحب حلب وهو شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس ، واستولوا على حلب وأعمالها . وفيها سأل جلال الدولة الخليفة أن يلقب ملك الدولة ، فأجابته إلى ذلك بعد تمنع . وفيها استدعى الخليفة بالقضاة والفقهاء وأحضر جاثليق النصارى ورأس جالوت اليهود ، وأزموا بالفتار . وفي رمضان منها لقب جلال الدولة شاهنشاه الأعظم ملك الملوك ، بأمر الخليفة ، وخطب له بذلك على المنابر ، فنفرت العامة من ذلك ورموا الخطباء بالأجر ، ووقعت فتنة شديدة بسبب ذلك ، واستفتوا القضاة والفقهاء في ذلك فأفتى أبو عبد الله الصيرى أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية ، وقد قال تعالى [ إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ] وقال [ وكان وراءهم ملك ] وإذا كان في الأرض ملوك جاز أن يكون بعضهم فوق بعض ، وأعظم من بعض ، وليس في ذلك ما يوجب التكبير والمماثلة بين الخالق والمخلوقين . وكتب القاضي أبو الطيب الطبري أن إطلاق ملك الملوك جائز ، ويكون معناه ملك ملوك الأرض ، وإذا جاز أن يقال كافي الكفاة وقاضي القضاة ، جاز أن يقال ملك الملوك ، وإذا كان في اللفظ ما يدل على أن المراد به ملوك الأرض زالت الشبهة ، ومنه قولهم : اللهم أصلح الملك ، فيصرف الكلام إلى المخلوقين وكتب التيمي الحنبلي نحو ذلك ، وأما الماوردي صاحب الحاوي الكبير فقد نقل عنه أنه أجاز ذلك أيضاً ، والمشهور عنه ما نقله ابن الجوزي والشيخ أبو منصور بن الصلاح في أدب المفتي أنه منع من ذلك وأصر على المنع من ذلك ، مع صحبته للملك جلال الدولة ، وكثرة ترداده إليه ، ووجاهته عنده ، وأنه امتنع من الحضور عن مجلسه حتى استدعاه جلال الدولة في يوم عيد ، فلما دخل عليه ،

دخل وهو وجل خائف أن يوقع به مكر وها ، فلما واجهه قال له جلال الدولة : قد علمت أنه إنما منعك من موافقة الذين جوزوا ذلك مع صحبتك إياي ووجهتك عندي ، دينك واتباعك الحق ، وإن الحق آثر عندك من كل أحد ، ولو حايت أحدا من الناس لحايتني ، وقد زادك ذلك عندي محبة ومحبة ، وعلو مكانة .

قلت : والذي حمل القاضى الماوردى على المنع هو السنة التي وردت بها الأحاديث الصحيحة من غير وجه . قال الامام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، عن النبي (س) ، أنه قال : « أخرج اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الأملاك » . قال الزهري : سألت أبا عمرو الشيباني عن أخرج اسم قال : أوضع . وقد رواه البخاري عن علي بن المديني عن ابن عيينة ، وأخرجه مسلم من طريق همام عن أبي هريرة عن النبي (س) : أنه قال : « أغبط رجل على الله يوم القيامة وأخبثه رجل تسمى بملك الأملاك لا ملك إلا الله عز وجل » . وقال الامام أحمد : حدثني محمد بن جعفر حدثنا عوف عن جلاس عن أبي هريرة ، قال قال رسول الله (س) ، « اشتد غضب الله على من قتله نبي ، واشتد غضب الله على رجل تسمى بملك الأملاك ، لا ملك إلا الله عز وجل » .

ومن توفي فيها من الأعيان الثعالبي صاحب يتيمة الدهر

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، كان إماماً في اللغة والأخبار وأيام الناس ، بارعاً مفيداً ، له التصانيف الكبار في النظم والنثر والبلاغة والفصاحة ، وأكبر كتبه يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . وفيها يقول بعضهم :

أبيات أشعار اليتيمة \* أبكار أفكار قديمة  
ماتوا وعاشت بعدهم \* فلذلك سميت اليتيمة

وإنما سمي الثعالبي لأنه كان رفاة يخط جلود الثعالب ، وله أشعار كثيرة مليحة ، ولد سنة خمسين وثلثمائة ، ومات في هذه السنة .

الاستاذ أبو منصور

عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، البغدادي الفقيه الشافعي ، أحد الأئمة في الأصول والفروع ، وكان ماهراً في فنون كثيرة من العلوم ، منها علم الحساب والفرائض ، وكان ذاملاً ونزوة أنفقه كله على أهل العلم ، وصنف ودرس في سبعة عشر علماً ، وكان اشتغاله على أبي إسحاق الاسفرائيني ، وأخذ عنه ناصر المروزي وغيره . ثم دخلت سنة ثلاثين و أربعمائة فيها التقى الملك مسعود بن محمود ، والملك طغرل بك السلجوقي ، ومعه أخوه داود ، في شعبان ،

فهزمها مسعود ، وقتل من أصحابها خلقا كثيرا . وفيها خطب شبيب بن ريان للقائم العباسي بمران والرحبة وقطع خطبة الفاطمي العبيدي . وفيها خوطب أبو منصور بن جلال الدولة بالملك العزيز ، وهو مقيم بواسط ، وهذا العزيز آخر من ملك بغداد من بني بويه ، لما طغوا وتمردوا وبغوا وتسموا بملك الأملاك ، فسلبهم الله ما كان أنعم به عليهم ، وجعل الملك في غيرهم ، كما قال الله تعالى [ إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ] الآية . وفيها خلع الخليفة على القاضي أبي عبد الله بن ما كرولا خلمة تشريف . وفيها وقع نجاح عظيم ببغداد مقدار شهر . قال ابن الجوزي : وفي جمادى الآخرة تملك بنو ساجوق بلاد خراسان والجبل ، وتقسوا الأطراف ، وهو أول ملك السلجوقية ولم يمحج أحد فيها من العراق وخراسان ، ولا من أهل الشام ولا مصر إلا القليل .

ومن توفى فيها من الأعيان الحافظ أبو نعيم الأصبهاني

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ، أبو نعيم الأصبهاني ، الحافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة ، منها حلية الأولياء في مجلدات كثيرة ، دلت على اتساع روايته ، وكثرة مشايخه ، وقوة اطلاعه على مخارج الحديث ، وشعب طرقه ، وله معجم الصحابة ، وهو عندي بخطه ، وله صفة الجنة ودلائل النبوة ، وكتاب في الطب النبوي ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة . وقد قال الخطيب البغدادي : كان أبو نعيم يخلط السموع له بالمجاز ، ولا يوضح أحدهما من الآخر . وقال عبد العزيز النخشي : لم يسمع أبو نعيم مسند الحارث بن أبي أسامة من أبي بكر بن خلاد بنامه ، فحدث به كله ، وقال ابن الجوزي : سمع الكثير وصف الكثير ، وكان يميل إلى مذهب الأشعري في الاعتقاد ميلا كثيرا ، توفى أبو نعيم في الثامن والعشرين من المحرم منها عن أربع وتسعين سنة رحمه الله ، لأنه ولد فيها ذكره ابن خلكان في سنة ست وثلاثين وثلثمائة . قال وله تاريخ أصبهان . وذكر أبو نعيم في ترجمة والده أن مهران أسلم ، وأن ولاءهم لعبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب . وذكر أن معنى أصبهان وأصله بالفارسية شاهان ، أي جمع المسافر ، وأن الاسكندر بناها .

الحسن بن حفص

أبو الفتح العلوي أمير مكة الحسن بن الحسين ، أبو علي البرجمي ، وزر لشرف الدولة سنتين ثم عزل ، وكان عظيم الجاه في زمانه ، وهو الذي بنى مارستان واسط ، ورتب فيه الأشربة والأطباء والأدوية ، ووقف عليه كفايته . توفى في هذه السنة وقد قارب الثمانين رحمه الله .

الحسين بن محمد بن الحسن

ابن علي بن عبد الله المؤدب ، وهو أبو محمد الخلال ، سمع صحيح البخاري من إسماعيل بن محمد الكشميني ، وسمع غيره ، توفى في جمادى الأولى ودفن بباب حرب .

## عبد الملك بن محمد

ابن عبد الله بن محمد بن بشر بن مهران ، أبو القاسم الواعظ ، سمع النجاد ودعلج بن أحمد  
والأجري وغيرهم ، وكان ثقة صدوقاً ، وكان يشهد عند الحكام فترك ذلك رغبة عنه ورهبة من  
الله ، ومات في ربيع الآخر منها ، وقد جاوز التسعين ، وصلى عليه في جامع الرصافة ، وكان الجمع  
كثيراً حافلاً ، ودفن إلى جانب أبي طالب المكي ، وكان قد أوصى بذلك .

## محمد بن الحسين بن خلف

ابن القراء ، أبو حازم القاضي أبو يعلى الحنبل ، سمع الدارقطني وابن شاهين ، قال الخطيب : كان  
لا بأس به ، ورأيت له أصولاً سمعته فيها ، ثم إنه بلغنا أنه خلط في الحديث بمصر واشترى من  
الوراقين صحفاً فروى منها ، وكان ينهب إلى الاعتزال . توفي بتنيس من بلاد مصر .

## محمد بن عبد الله

أبو بكر الدينوري الزاهد ، كان حسن العيش ، وكان ابن القزويني يثني عليه ، وكان جلال  
الدولة صاحب بغداد يزوره ، وقد سأله مرة أن يطلق قناس مكث الملح ، وكان مبلغه ألفي دينار  
فتركه من أجله ، ولما توفي اجتمع أهل بغداد لجنائزه وصلى عليه مرات ، ودفن بباب حرب رحمه الله  
تعالى .

## الفضل بن منصور

أبو الرضى ، ويعرف بابن الظريف ، وكان شاعراً ظريفاً ومن شعره قوله :

يا قالة الشعر قد نصحت لكم \* ولست أدعي إلا من النصيح  
قد ذهب الدهر بالكرام \* وفي ذلك أمور طويلة الشرح  
أطلبون النوال من رجل \* قد طبعت نفسه على الشح  
وأنتم تمشون بالحسن والظرف \* وجوهاً في غاية القبح  
من أجل ذا نحر موم رزقكم \* لأنكم تكذبون في المدح  
صنوا التواني فما أرى \* أحداً يفتخر فيه بالنجح  
فإن شككتم فيما أقول لكم \* فكذبوني بواحد سمح

## هبة الله بن علي بن جعفر

أبو القاسم بن ماكولا ، وزير لجلال الدولة مراراً ، وكان حافظاً للقرآن ، عارفاً بالشعر والأخبار ،  
خفق بهيت في جمادى الآخرة منها .

## أبو زيد الدبوسي

عبد الله بن عمر بن عيسى الفقيه الحنفي ، أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود . قاله

ابن خلكان، وكان يضرب به المثل، والدبوس نسبة إلى قرية من أعمال بخارى، قال: وله كتاب الأبرار والتعويم للادلة، وغير ذلك من التصانيف والتعليق، قال وروى أنه ناظر قصبها فبقي كلما أزمه أبو زيد إلزاماً تبسم أو ضحك، فأشده أبو زيد في ذلك:

مالي إذا أزمته حجة \* قابلي بالضحك والقهقهة  
إن ضحك المرء من قهقهه \* فالذب بالصحراء ما أقهقه

الحوفي صاحب إعراب القرآن

أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي، له كتاب في النحو كبير، وإعراب القرآن في عشر مجلدات، وله تفسير القرآن أيضاً، وكان إماماً في المربية والنحو والأدب وله تصانيف كثيرة، انتفع بها الناس. قال ابن خلكان: والحوفي نسبة لناحية بمصر يقال لها الشرقية، وقصبتها مدينة بلبليس، فجميع ريفها يسمون حوف، واحدم حوفي وهو من قرية يقال لها شبرا النخلة من أعمال الشرقية المذكورة رحمه الله.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة

فيها زادت دجلة زيادة عظيمة بحيث حملت الجسر ومن عليه فألقتهم بأسفل البلد وسلدوا، وفيها وقع بين الجنند وبين جلال الدولة شغب، وقتل من الفريقين خلق، وجرت شرور يطول ذكرها. ووقع فساد عريض واتسع الخرق على الراقع، ونهبت دور كثيرة جداً، ولم يبق للملك عندهم حرمة، وغلت الأسعار. وفيها زار الملك أبو طاهر مشهد الحسين، ومشى حافياً في بعض تلك الأزوار. ولم يجمع أحد من أهل العراق. وفيها بمث الملك أبو كاليجار وزيره العادل إلى البصرة فلما له.

ومن توفى فيها من الأعيان . . . . . إسماعيل بن أحمد

ابن عبد الله أبو عبد الرحمن الضرير الخيري، من أهل نيسابور، كان من أعيان الفضلاء الأذكياء، والثقات الأماناء، قدم بغداد حاجاً في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، فقرأ عليه الخطيب جميع صحيح البخاري في ثلاث مجالس بروايته له عن أبي الهيثم الكشميهني، عن الفربري عن البخاري، توفى فيها وقد جاوز التسعين.

بشرى الفاتني

وهو بشرى بن مسيس من سبي الروم، أهده أمراء بني حمدان الفاتن غلام المطيع، فأدبه وسمع الحديث عن جماعة من المشايخ، وروى عنه الخطيب. وقال: كان صدوقاً صالحاً دينا، توفى يوم عيد الفطر منها رحمه الله.

محمد بن علي

ابن أحمد بن يعقوب بن مروان أبو العلاء الواسطي، وأصله من فم الصلح، سمع الحديث وقرأ

القراآت ورواها، وقد تكلموا في روايته في القراءات والحديث فإله أعلم. توفي في جمادى الآخرة منها وقد جاوز الثمانين .

### ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

فيها عظم شأن السلاجوقية ، وارتفع شأن ملكهم طغرل بك ، وأخيه داود ، وهما ابنا ميكائيل بن سلجوق بن بفاق، وقد كان جدهم بفاق هذا من مشايخ الترك القدماء ، الذين لهم رأى ومكيدة ومكانة عند ملكهم الأعظم ، ونشأ ولده سلجوق نجيباً شهماً ، قدمه الملك ولقبه شبامى ، فأطاعته الجيوش وانقاد له الناس بحيث تخوف منه الملك وأراد قتله ، فهرب منه إلى بلاد المسلمين ، فأسلم فزاد عزاء وعلاوا ، ثم توفي عن مائة وسبع سنين ، وخلف أرسلان وميكائيل وموسى ، فأما ميكائيل فإنه اعتنى بقتال الكفار من الأتراك ، حتى قتل شهيداً ، وخلف ولديه طغرل بك محمد ، وجمفر بك داود ، فعظم شأنهما في بني عمهما ، واجتمع عليهما الترك من المؤمنين ، وهم ترك الإيمان الذين يقول لهم الناس تركان ، وهم السلاجقة بنو سلجوق جدهم هذا ، فأخذوا بلاد خراسان بكاملها بعد موت محمود بن سبكتكين ، وقد كان يتخوف منهم محمود بعض التخوف ، فلما مات وقام ولده مسعود بعده قاتلهم وقتلوه مراراً ، فكانوا يهزمون في أكثر المواضع ، واستكمل لهم ملك خراسان بأسرها ، ثم قصدهم مسعود في جنود يضيق بهم الفضاء فكسروه ، وكبسه مرة داود فانهزم مسعود فاستحوذ على حواصله وخيامه ، وجلس على سريره ، وفرق الغنائم على جيشه ، ومكث جيشه على خيولهم لا ينزلون عنها ثلاثة أيام ، خوفاً من دهمة العدو ، وبمثل هذا تم لهم ما راموه ، وكل لهم جميع ما أملوه ، ثم كان من سماعاتهم أن الملك مسعود توجه نحو بلاد الهند لسببها وترك مع ولده مودود جيشاً كثيراً بسبب قتال السلاجقة ، فلما عبر الجسر الذى على سيحون نهبت جنوده حواصله ، واجتمعوا على أخيه محمد بن محمود ، وخلعوا مسعوداً فرجع إليهم مسعود فقاتلهم فهزموه وأسروه ، فقال له أخوه : والله لست بقاتلك على شرفنيك إلى ، ولكن اختر لنفسك أى بلد تكون فيه أنت وعيالك ، فاختر قلعة كبرى ، وكان بها ، ثم إن الملك محمداً أخا مسعود جعل لولده الأمر من بعده ، وبأبج الجيش له ، وكان ولده اسمه أحمد ، وكان فيه هرج ، فاتفق هو ويوسف بن سبكتكين على قتل مسعود ليصفوهم الأمر ، ويتم لهم الملك ، فسار إليه أحمد من غير علم أبيه فقتله ، فلما علم أبوه بذلك غاظه وعتب على ابنه عتبا شديداً ، وبعث إلى ابن أخيه يمتد إليه ويقسم له أنه لم يعلم بذلك ، حتى كان ما كان . فكتب إليه مودود بن مسعود : رزق الله ولك المنة عقلاً يعيش به ، فقدارتكم أمراً عظيماً ، وقدم على إراقة دم مثل والدى الذى لقبه أمير المؤمنين بسيد الملوك والسلاطين ، وستعلمون أى حيف تورطتم ، وأى شراً بظلم [ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ] ثم سار إليهم في جنود قاتلهم قهرهم



وأسرهم ، فقتل عمه محمداً وابنه أحمد وبنى عمه كلهم ، إلا عبد الرحمن وخلقا من رؤس أمرائهم ، وابتنى قرية هنالك وسماها فتحاً أبداً ، ثم سار إلى غزنة فدخلها في شعبان ، فأظهر العدل وسلك سيرة جده محمود ، فأطاعه الناس ، وكتب إليه أصحاب الأطراف بالانقياد والانبعاث والطاعة ، غير أنه أهلك قومه بيده ، وهذا من جملة سعادة السلاجقة .

وفيهما اختلف أولاد حماد على العزيز باديس صاحب إفريقية ، فسار إليهم فحاصرهم قريباً من سنتين ، ووقع بإفريقية في هذه السنة غلاء شديد بسبب تأخر المطر ، ووقع ببغداد فتنة عظيمة بين الروافض والسنة من أهل الكرخ ، وأهل باب البصرة ، فقتل بينهم خلق كثير من الفريقين . ولم ينج أحد من أهل العراق وخراسان .

ومن توفي فيها من الأعيان . محمد بن الحسين

ابن الفضل بن العباس ، أبو يعلى البصرى الصوفى ، أذهب عمره في الأسفار والتغريب ، وقدم ببغداد في سنة ثنتين وثلاثين ، فحدث بها عن أبي بكر بن أبي الحديد الدمشقى ، وأبي الحسين بن جميع النيسابورى ، وكان ثقة صدوقاً ديناً حسن الشعر .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

ففيها ملك طبرليك جرجان وطبرستان ، ثم عاد إلى نيسابور مؤيداً منصوراً . وفيها ولي ظهر الدولة بن جلال الدولة أبي جعفر بن كالويه بعد وفاة أبيه ، فوقع الخلف بينه وبين أخويه أبي كاليجار وكسانيف . وفيها دخل أبو كاليجار همدان ودفع الغز عنها . وفيها شعفت الأكراد ببغداد لسبب تأخر المطر عنهم . وفيها سقطت قنطرة بنى زريق على نهر عيسى ، وكذا القنطرة الكشيفة التي تقابلها . وفيها دخل ببغداد رجل من البلغار يريد الحج ، وذكر أنه من كبارهم ، فأنزله بدار الخلافة وأجرى عليه الأرزاق ، وذكر أنهم مولودون من الترك والصقالبة ، وأنهم في أقصى بلاد الترك ، وأن النهار يقصر عندهم حتى يكون ست ساعات ، وكذلك الليل ، وعندما يمرون وزروع وثمار ، على غير مطر ولا سقى . وفيها قرى الاعتقاد القادري الذي جمعه الخليفة القادر ، وأخذت خطوط العلماء والزهاد عليه بأنه اعتقاد المسلمين ، ومن خالفه فسق وكفر ، وكان أول من كتب عليه الشيخ أبو الحسن على بن عمر القزويني ، ثم كتب بعده العلماء ، وقد سرده الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي بتامه في منتظمه ، وفيه جملة جيدة من اعتقاد السلف .

ومن توفي فيها من الأعيان . بهرام بن منافيه

أبو منصور الوزير لأبي كاليجار ، كان عفيفاً نزهة صينياً ، عادلاً في سيرته ، وقد وقف خزانة

كتب في مدينة فيروزباد ، تشتمل على سبعة آلاف مجلد ، من ذلك أربعة آلاف ورقة بخط أبي  
على وأبي عبد الله بن مقلة (١)

### محمد بن جعفر بن الحسين

المعروف بالجرمي ، قال الخطيب : هو أحد الشعراء الذين لقيناهم وسمنا منهم ، وكان يجيد القول ،  
ومن شعره : يا ويح قلبي من تقلبه \* أبداً نحن إلى معذبه  
قالوا كتمت هواه عن جلد \* لو أن لي جلد لبحث به  
ما بي جننت غير مكترث \* عني ولكن من تغيبه  
حسبي رضا من الحياة وما \* يلتي وموتى من تغضبه

### مسعود الملك بن الملك محمود

ابن الملك سبكتكين ، صاحب غزنة وابن صاحبها ، قتله ابن عمه أحمد بن محمد بن محمود ، فانتقم  
له ابنه مودود بن مسعود ، فقتل قاتل أبيه وعمه وابن عمه وأهل بيته ، من أجل أبيه ، واستتب له  
الأمر وحده من غير منازع من قومه كما تقدم بنت أمير المؤمنين المتقي بالله تأخرت مدتها حتى  
توفيت في هذه السنة في رجب منها عن إحدى وتسعين سنة ، بالحر يم الظاهر ، ودفنت بالرصافة .

### ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة

فيها أمر الملك جلال الدولة أبا طاهر بجباية أموال الجوالى ، ومنع أصحاب الخليفة من قبضها ،  
فازعج لذلك الخليفة القائم بالله ، وعزم على الخروج من بغداد . وفيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة  
تبريز ، فهدمت قلعها وسورها ودورها ، ومن دار الامارة عامة قصورها ، ومات تحت الهدم خمسون  
ألفاً ، ولبس أهلها المسوح لشدة مصابهم . وفيها استولى السلطان طغرل بك على أكثر البلاد الشرقية  
من ذلك مدينة خوارزم ودهستان وطيس والرى وبلاد العجل وكرمان وأعمالها ، وقزوين . وخطب  
له في تلك النواحي كلها ، وعظم شأنه جدا ، واتسع صيته . وفيها ملك سماك بن صالح بن مرداس  
حلب ، أخذها من الفاطميين ، فبعث إليه المصريون من حاربه . ولم يحج أحد من أهل العراق  
وغيرها ، ولا في اللواتي قبلها .

### ومن توفى فيها من الأعيان . أبو زر الهروي

عبد الله بن أحمد بن محمد الحانظ المالكي ، سمع الكثير ورحل إلى الاقاليم ، وسكن مكة ، ثم  
تزوج في العرب ، وكان يحج كل سنة ويقم بمكة أيام الموسم ويسمع الناس ، ومنه أخذ المغاربة  
مذهب الأشعري عنه ، وكان يقول إنه أخذ مذهب مالك عن الباقلاني ، كان حافظا ، توفى في

(١) كذا في الاصل . وابن مقلة هو أبو علي محمد بن علي .

## محمد بن الحسين

ذى القعدة .

ابن محمد بن جعفر ، أبو الفتح الشيباني العطار ، ويعرف بقطيط ، سافر الكثير إلى البلاد ، وسمع الكثير ، وكان شيخا ظريفا ، سلك طريق التصوف ، وكان يقول : لما ولدت سميت قطيطا على أسماء البادية ، ثم سماني بعض أهلي محمداً .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة

فيها ردت الجوالي إلى نواب الخليفة . وفيها ورد كتاب من الملك طغرل بك إلى جلال الدولة بأمره بالاحسان إلى الرعايا والوصاية بهم ، قبل أن يحل به ما يسوءه .

أبو كاليجار يملك بغداد بعد أخيه جلال الدولة

وفيها توفى جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة ، فملك بغداد بعده أخوه سلطان الدولة أبو كاليجار بن بهاء الدولة ، وخطب له بها عن ممالأة أمرائها ، وأخرجوا منها الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة ، فتنقل في البلاد وتسرب من مملكته إلى غيرها حتى توفى سنة إحدى وأربعين ، وحمل فدفن عند أبيه بمقابر قریش . وفيها أرسل الملك مودود بن مسعود عسكريا كثيفا إلى خراسان فبرز إليهم ألب أرسلان بن داود السلجوقي فاقنتلا قتالا عظيما ، وفي صفر منها أسلم من الترك الذين كانوا يطرقون بلاد المسلمين نحو من عشرة آلاف خروا ، وضحوا في يوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس من الغنم ، وتفرقوا في البلاد ، ولم يسلم من خطا والتتر أحد وهم بنواحي الصين . وفيها نفى ملك الروم من القسطنطينية كل غريب له فيها دون العشرين سنة . وفيها خطب المزمز أبو تميم صاحب إفريقية ببلاده للخليفة العباسي ، وقطع خطبة الفاطميين وأحرق أعلامهم ، وأرسل إليه الخليفة الخلع واللواء المنشور ، وفيه تعظيم له وثناء عليه . وفيها أرسل القائم بأمر الله أبا الحسن علي بن محمد ابن حبيب الماوردي قبل موت جلال الدولة إلى الملك طغرل بك ليصلح بينه وبين جلال الدولة وأبي كاليجار ، فسار إليه فالتقاه بجرجان فتلقاه الملك على أربعة فراسخ إكراما للخليفة ، وأقام عنده إلى السنة الآتية . فلما قدم على الخليفة أخبره بطاعته وإكرامه لأجل الخليفة .

## الحسين بن عثمان

وفيها توفى من الأعيان

ابن سهل بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي ، أبو سعد أحد الرحالين في طلب الحديث إلى البلاد المتباعدة ، ثم أقام ببغداد مدة وحدث بها ، وروى عنه الخطيب ، وقال : كان صدوقا ، ثم انتقل في آخر عمره إلى مكة فأقام بها حتى مات في شوال منها .

## عبد الله بن أبي الفتح

أحمد بن عثمان بن الفرغ بن الأزهر ، أبو القاسم الأزهرى ، الحافظ المحدث المشهور ، ويعرف

بابن السوارى ، سمع من أبى بكر بن مالك وخلق يطول ذكرهم ، وكان ثقة صدوقا ، دينا ، حسن الاعتقاد والسيرة ، توفى ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر منها عن ثمانين سنة وعشرة أيام .

### الملك جلال الدولة

أبو طاهر بن بهاء الدولة بن بويه الديلى ، صاحب العراق ، كان يحب العباد ويوزرهم ، ويلتمس الدعاء منهم ، وقد نكب مرات عديدة ، وأخرج من داره ، وتارة أخرج من بغداد بالكفاية ، ثم يعود إليها حتى اعتراه وجع كبده فمات من ذلك فى ليلة الجمعة خامس شعبان منها ، وله من العمر إحدى وخمسين سنة وأشهر ، تولى العراق من ذلك سنة عشرة سنة وإحدى عشر شهرا والله أعلم .  
ثم دخلت سنة ست وثلاثين واربعمائة

فيها دخل الملك أبو كالجبار بغداد وأمر بضرب الطبل فى أوقات الصلوات الخمس ، ولم تكن الملوك تفعل ذلك ، إنما كان يضرب لعهد الدولة ثلاث أوقات ، وما كان يضرب فى الأوقات الخمس إلا للخليفة ، وكان دخوله إليها فى رمضان ، وقد فرق على الجند أموالا جزيلة ، وبعث إلى الخليفة بمشرة آلاف دينار ، وخام على مقدمى الجيوش وهم البساسيرى ، والنشاورى ، والهمام أبو اللقاء ، ولقبه الخليفة محيى الدولة ، وخطب له فى بلاد كثيرة بأمر ملوكها ، وخطب له بهمذان ، ولم يبق لنواب طبرليک فيها أمر . وفيها استوزر طفرليک أبا القاسم عبد الله الجوينى ، وهو أول وزير وزر له . وفيها ورد أبو نصر أحمد بن يوسف الصاحب مصر ، وكان يهوديا فأسلم بعد موت الجرجارى . وفيها تولى نقابة الطالبين أبو أحمد بن عدنان بن الرضى ، وذلك بعد وفاة عمه المرتضى . وفيها بولى القضاء أبو الطيب الطبرى ، قضاء الكرخ ، مضافا إلى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطاق ، وذلك بعد موت القاضى الصيمرى . وفيها نظر رئيس الرؤساء أبو القاسم ابن المسلم فى كتاب ديوان الخليفة ، وكان عنده بمنزلة عالية . ولم يمحج فيها أحد من أهل العراق  
ومن توفى فيها من الأعيان .  
الحسين بن علي

ابن محمد بن جعفر ، أبو عبد الله الصيمرى نسبة إلى نهر البصرة يقال له صيمر ، عليه عدة قرى ، أحد أئمة الحنفية ، ولى قضاء المدائن ثم قضاء ربيع الكرخ ، وحدث عن أبى بكر المفيد ، وابن شاهين وغيرهما ، وكان صدوقا وافر العقل ، جميل المعاشرة ، حسن العبادة ، عارفاً بحق العلماء .  
توفى فى شوال عن خمس وثمانين سنة .

### عبد الوهاب بن منصور

ابن أحمد ، أبو الحسن المعروف بابن المشتري الأهوازى ، كان قاضياً بالأهواز<sup>(١)</sup> ونواحها ،

(١) فى ابن الأثير : قاضى خوزستان وفارس .

شافعي المذهب ، كان له منزلة كبيرة عند السلطان ، وكان صدوقا كثير المال ، حسن السيرة .

### الشريف المرتضى

علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الشريف الموسوي ، الملقب بالمرتضى ، ذي المجدين ، كان أكبر من أخيه ذي الحسين وكان جيد الشعر على مذهب الامامية والاعتزال ، يناظر على ذلك ، وكان يناظر عنده في كل المذاهب ، وله تصانيف في التشيع ، أصولا وفروعا ، وقد نقل ابن الجوزي أشياء من تفرداته في التشيع ، فن ذلك أنه لا يصح السجود إلا على الأرض أو ما كان من جنسها ، وأن الاستجمار إنما يجرى في المناط لا في البول ، وأن الكتائب حرام ، وكذا ذبائح أهل الكتاب ، وما ولدوه هم وسائر الكفار من الأطعمة حرام ، وأن الطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين ، والمعلق منه لا يقع وإن وجد شرطه ، ومن قام من صلاة العشاء حتى اتصف الليل وجب قضاؤها ، ويجب عليه أن يصبح صائما كفارة لما وقع منه . ومن ذلك أن المرأة إذا جرت شعرها يجب عليها كفارة قتل الخطأ ، ومن شق ثوبه في مصيبة وجب عليه كفارة اليمين ، ومن تزوج امرأة لها زوج لا يملكه وجب عليه أن يتصدق بخمسة دراهم ، وأن قطع السارق من رؤس الأصابع . قال ابن الجوزي : نقلته من خط أبي الوفاء ابن عقيل . قال : وهذه مذاهب مجيبة ، تخرق الاجماع ، وأعجب منها ذم الصحابة رضي الله عنهم . ثم سرد من كلاله شيئا قبيحا في تكفير عمر بن الخطاب وعثمان وعائشة وحفصة رضي الله عنهم وأخزاه الله وأمثاله من الأرجاس الأنجاس ، أهل الرفض والارتكاس ، إن لم يكن تاب ، فقد روى ابن الجوزي قال : أنبأنا ابن ناصر عن أبي الحسن بن الطيوري قال سمعت أبا القاسم بن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى وإذا هو قد حول وجهه إلى الجدار وهو يقول : أبو بكر وعمر وليا فعدلا واسترحما فرحما ، فأنا أقول ارتدا بئس ما أسلمنا ؟ قال فقامت عنه فابلقت عتبة داره حتى سمعت الزعقة عليه . توفي في هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة . وقد ذكره ابن خلكان فليس عليه على عادته مع الشعراء في الثناء عليهم ، وأورد له أشعارا رائعة . قال ويقال : إنه هو الذي وضع كتاب نهج البلاغة .

محمد بن أحمد

ابن شعيب بن عبد الله بن الفضل ، أبو منصور الروياني ، صاحب الشيخ أبي حامد الاسفراييني قال الخطيب : سكن بغداد وحدث بها ، وكتبنا عنه ، وكان صدوقا يسكن قطعة الربيع . توفي في ربيع الأول منها ، ودفن بباب حرب .

### أبو الحسين البصري المعتزلي

محمد بن علي بن الخطيب ، أبو الحسين البصري المتكلم ، شيخ المعتزلة والمنتصر لهم ، والحامى

عن ذمهم بالتصانيف الكثيرة ، توفي في ربيع الآخر منها ، وصلى عليه القاضي أبو عبد الله الصيرى ، ودفن في الشونيزى ، ولم يرو من الحديث سوى حديث واحد ، رواه الخطيب البغدادي في تاريخه : حدثنا محمد بن علي بن الطيب قرئ على هلال بن محمد بن أخي هلال الرأى ، بالبصرة وأنا أسمع ، قيل له حدثكم أبو مسلم الكجى وأبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى والغلابى والمازنى والزريرى قالوا : حدثنا القعنبى عن شعبة عن منصور عن ربيع عن أبي مسعود البدرى . قال قال رسول الله (س) : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ما شئت » . والغلابى اسمه محمد ، والمازنى اسمه محمد بن حامد ، والزريرى أبو علي محمد بن أحمد بن خالد البصرى .

### ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربع مائة

فيها بعث السلطان ظفر بك السلجوق أخاه إبراهيم إلى بلاد الجبل فلما ، وأخرج عنها صاحبها كرشاف بن علاء الدولة ، فالتحق بالأكراد ، ثم سار إبراهيم إلى الدينور فلما أيضاً ، وأخرج صاحبها وهو أبو الشوك ، فسار إلى حلوان فتبعه إبراهيم فلك حلوان قهرا ، وأحرق داره وغنم أمواله ، فعند ذلك تجهز الملك أبو كاليبج لقتال السلاجقة الذين تعدوا على أتباعه ، فلم يمكنه ذلك لقلّة الظهر ، وذلك أن الألفة اعترت في هذه السنة الخليل فمات له فيها نحو من اثني عشر ألف فارس ، بحيث جافت بغداد من جيف الخليل . وفيها وقع بين الروافض والسنة ثم اتفق الفريقان على نهب دور اليهود ، وإحراق الكنيسة العتيقة ، التي لهم ، واتفق موت رجل من أكار النصارى بواسطة مجلس أهله لعزائه على باب مسجد هناك وأخرجوا جنازته جهورا ، ومعها طائفة من الأتراك يجرسونها ، فحملت عليهم العامة فهزمومهم وأخذوا الميت منهم واستخرجوه من أكفانه فأحرقوه ، ورموا رماده في دجلة ، وعضوا إلى الدبر فهبوه ، وعجز الأتراك عن دفعهم . ولم ينجح فيها أحد من أهل العراق وعمن توفي فيها من الأعيان . فارس بن محمد بن عتاز

صاحب الدينور وغيرهم ، توفي في هذا الأوان .

### خديجة بنت موسى

ابن عبد الله الواعظة ، وتعرف ببنت البقال ، وتكنى أم سلمة ، قال الخطيب : كتبت عنها وكانت فقيرة صالحة فاضلة .

### أحمد بن يوسف السليكي المنازي

الشاعر الكاتب ، وزير أحمد بن مروان الكردي ، صاحب ميفارقين وديار بكر ، كان فاضلا بارعا لطيفا ، تردد في الترس إلى القسطنطينية غير مرة ، وحصل كتباً عزيزة أوقفها على جامعى آمد

وميفارقين ، ودخل يوما على أبي العلاء المعري فقال له : إني معتزل الناس وهم يؤذونني ، وتركت لهم الدنيا ، فقال له الوزير : والآخرة أيضاً . فقال والآخرة يا قاضي ؟ قال : نعم . وله ديوان قليل النظير عزيز الوجود ، حرص عليه القاضي الفاضل فلم يقدر عليه ، توفي فيها . ومن شعره في وادي نزاعة .

وقانا لفحة الرضاءِ وادٍ \* وقاه مضاعفُ النبتِ العميمِ  
نزلنا دوحه فحنا علينا \* حنوا المرضعاتِ على الفطيمِ  
وأرشفنا على ظلمة زلالاً \* ألتر من المدامة للنديمِ  
براعى الشمسِ أنى قابلته \* فيحجبها ليأذن للنسيمِ  
تروغ حصاة حالية المذارى \* فتلمس جانب المقدر النظيمِ

قال ابن خلكان : وهذه الأبيات بدیعة في بابها .

### ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

استهلت هذه السنة والموتان كثير في الدواب جدا ، حتى جافت بغداد قال ابن الجوزي : وربما أحضر بعض الناس الأطباء لاجل دوابهم فيسقونها ماء الشهير ويطيبونها . وفيها حاصر السلطان بن طغرل بك أصبهان فصالحه أهلها على مال يحملونه إليه ، وأن يخطب له بها ، فأجابوه إلى ذلك . وفيها ملك مهلهل قرميسين والدينور . وفيها تأمر على بني خفاجة رجل يقال له رجب بن أبي منيع بن شمال ، بعد وفاة بدران بن سلطان بن شمال ، وهؤلاء الأعراب أكثر من يصد الناس عن بيت الله الحرام ، فلا جزاهم الله خيرا .

ومن توفي فيها من الأعيان .

### الشيخ أبو محمد الجويني

إمام الشافعية : عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيسويه الشيخ أبو محمد الجويني ، وهو والد إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن أبي محمد ، وأصله من قبيلة يقال لها سنابس ، وجوين من نواحي نيسابور ، سمع الحديث من بلاد شتى على جماعة ، وقرأ الأدب على أبيه ، وتفقه بابي الطيب سهل ابن محمد الصملاوكي ، ثم خرج إلى مرو إلى أبي بكر عبد الله بن أحمد القفال ، ثم عاد إلى نيسابور وعقد مجلس المناظرة ، وكان مهيبا لا يجرى بين يديه إلا الجدد ، وصنف التصانيف الكثيرة في أنواع من العلوم وكان زاهدا شديدا الاحتياط لدينه حتى ربما أخرج الزكاة مرتين . وقد ذكرته في طبقات الشافعية وذكرت مقاله الأئمة في مدحه ، توفي في ذي القعدة منها . قال ابن خلكان : صنف التفسير الكبير المشتمل على أنواع العلوم ، وله في الفقه التبصرة والتذكرة ، وصنف مختصر المختصر ، والفرق والجمع ، والسلسلة وغير ذلك ، وكان إماما في الفقه والاصول والأدب والعربية . توفي في هذه السنة ، وقيل سنة أربع وثلاثين . قاله السمعاني في الانساب ، وهو في سن الكهولة .

### ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

فيها اصطلح الملك طغرلبيك وأبو كاليجار ، وتزوج طغرلبيك بابنته ، وتزوج أبو منصور بن كاليجار ، بابنة الملك داود أخي طغرلبيك . وفيها أسرت الأكراد سرخاب أخا أبي الشوك وأحضروه بين يدي أميرهم ينال ، فأمر بقلع إحدى عينيه . وفيها استولى أبو كاليجار على بلاد البطيحة ونجا صاحبها أبو نصر بنفسه . وفيها ظهر رجل يقال له الأصغر التغلي ، وادعى أنه من المذكورين في الكتب ، فاستفوى خلقا ، وقصد بلادا فغنم منها أموالا تقوى بها ، وعظم أمره . ثم اتفق له أسر وحمل إلى نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر ، فاعتقله وسد عليه باب السجن . وفيها كان وباء شديد بالعراق والجزيرة ، بسبب جيف الدواب التي ماتت ، فمات فيها خلق كثير ، حتى خلت الأسواق وقلت الأشياء التي يحتاج إليها المرضى ، وورد كتاب من الموصل بأنه لا يصلي الجمعة من أهلها إلا نحو أربعين ، وأن أهل الذمة لم يبق منهم إلا نحو مائة وعشرين نفسا . وفيها وقع غلاء شديد أيضاً ووقعت فتنة بين الروافض والسنة ببغداد ، قتل فيها خلق كثير . ولم ينجح فيها أحد من ركب العراق ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد

أبو الفضل القاضي الهاشمي ، الرشيدى ، من ولد الرشيد ، ولى القضاء بسجستان ، وسمع الحديث من الفطريفي . قال الخطيب : أنشدني لنفسه قوله :

قالوا اقتصد في الجود إنك منصف \* عدل وذو الانصاف ليس بجور

فأجبتهم إني سلاة مشر \* لهم لواءه في الندى مشور

تالله إني شائد ما قدموا \* جدى الرشيد وقبله المنصور

عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب أبو القاسم الشاعر المعروف بالمطرز ، ومن شعره قوله

يا عبدك لك من ذنب ومصية \* إن كنت ناسيها فالله أحصاها

لا بد يا عبد من يوم تقوم به \* ووقمة لك يدي القلب ذكراها

إذا عرضت على قلبي تذكراها \* وساء ظني فقلت استغفر الله

محمد بن الحسن بن علي

ابن عبد الرحيم أبو سعد الوزير ، وزر للملك جلال الدولة ست مرات ، ثم كان موته بجزيرة ابن عمر فيها عن ست وخمسين سنة .

محمد بن أحمد بن موسى

أبو عبد الله الواعظ الشيرازي ، قال الخطيب : قدم ببغداد وأظهر الزهد والتشف والورع ، وعزوف النفس عن الدنيا ، فافتتن الناس به ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير ، ثم إنه بعد حين كان



يمرض عليه الشيء فيقبله ، فكثرت أمواله ، ولبس الثياب الناعمة ، وجرت له أمور ، وكثرت أتباعه وأظهر أنه يريد الزوفاً تبعه نفر كثير ، فمسكر بظاهر البلد ، وكان يضرب له الطبل في أوقات الصلوات وسار إلى ناحية أذربيجان ، فالتف عليه خاق كثير ، وضاهها أمير تلك الناحية ، وكانت وفاته هناك في هذه السنة . قال الخطيب : وقد حدث ببغداد وكتبت عنه أحاديث يسيرة ، وحدثني بعض أصحابنا عنه بشيء يدل على ضعفه ، وأنشد هو لبعضهم :

إذا ما أطمعت انفس في كل لذة \* نسبت إلى غير الحجي والتكرم  
إذا ما أجب الناس في كل دعوة \* دعمتك إلى الأمر القبيح المحرم  
المظفر بن الحسين

ابن عمر بن برهان ، أبو الحسن الغزال ، سمع محمد بن المظفر وغيره ، وكان صدوقاً .

### محمد بن علي بن إبراهيم

أبو الخطاب الحنبلي الشاعر ، من شعره قوله :

ما حكم الحب فهو ممتلئ \* وما جناه الحبيب محتمل  
يهوى ويشكو الضنى وكل هوى \* لا ينحل الجسم فهو منتحل

وقد سافر إلى الشام فاجتاز بعمرة النعمان فامتدحه أبوالملاء المعري بأبيات ، فأجابه مرتبلاً عنها . وقد كان حسن العينين حين سافر ، فارجع إلى بغداد إلا وهو أعمى . توفي في ذي القعدة منها ويقال إنه كان شديد الرفض فأنه أعلم .

### الشيخ أبو علي السنجي

الحسين بن شعيب بن محمد شيخ الشافعية في زمانه ، أخذ عن أبي بكر القفال ، وشرح الفروع لابن الحداد ، وقد شرحها قبله شيخه ، وقبله القاضي أبو الطيب الطبري ، وشرح أبو علي السنجي كتاب التلخيص لابن القاص ، شرحاً كبيراً ، وله كتاب المجموع ، ومنه أخذ الغزالي في الوسيط . قال ابن خلكان : وهو أول من جمع بين طريقة المراقبين والخراسانيين . توفي سنة بضع وثلاثين وأربعمائة . ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة .

في هذه السنة توفي الملك أبو كاليبج في جمادى الأولى منها ، صاحب بغداد ، مرض وهو في برية ، ففصد في يوم ثلاث مرات ، وحمل في محفة فمات ليلة الخميس ، ونهبت الغلمان الخزانين ، وأحرق الجوارى الخيام ، سوى الخيمة التي هو فيها ، وولى بعده ابنه أبو نصر ، وسموه الملك الرحيم ، ودخل دار الخلافة فخلع عليه الخليفة سبع خلع ، وسوره وطوقه وجعل على رأسه التاج والعمامة السوداء ، ووصاه الخليفة ، ورجع إلى داره وجاء الناس ليهنئوه . وفيها دار السور على شيراز ، وكان دوره اثني عشر

ألف ذراع ، وارتفاعه ثمانية أذرع ، وعرضه ستة أذرع ، وفيه أحد عشر باباً . وفيها غزا إبراهيم ابن نبال بلاد الروم ففتم مائة ألف رأس ، وأربعة آلاف درع ، وقيل تسع عشرة ألف درع ، ولم يبق بينه وبين القسطنطينية إلا خمسة عشر يوماً ، وحمل ماغتم على عشرة آلاف عجلة . وفيها خطب لذخيرة الدين أبي العباس أحمد بن الخليفة القائم بأمر الله ، على المنابر بولاية المهدي بعد أبيه ، وحي بذلك . وفيها اقتتل الرافض والسنة ، وجرت ببغداد قتل يطول ذكرها . ولم يحج أحد من أهل العراق .  
ومن توفي فيها من الأعيان **الحسن بن عيسى بن المقنن**

أبو محمد العباسي ، ولد في المحرم سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، وسمع من مؤدبه أحمد بن منصور السكري ، وأبي الأزهر عبد الوهاب الكاتب ، وكان فاضلاً ديناً ، حافظاً لأخبار الخلفاء ، عالماً بأيام الناس صالحاً ، أعرض عن الخلافة مع قدرته عليها ، وآثر بها القادر . توفي فيها عن سبع وتسعين سنة . وأوصى أن يدفن بباب حرب ، فدفن قريباً من قبر الامام أحمد بن حنبل .

**هبة الله بن عمرو بن أحمد بن عثمان**

أبو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين ، سمع من أبي بكر بن ملك ، وابن ماسي والبرقاني . قال الخطيب : كتبت عنه وكان صدوقاً ، ولد في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، وتوفي في ربيع الآخر منها ، ودفن بباب حرب **علي بن الحسن**

ابن محمد بن المنتاب أبو محمد القاسم ، المعروف بابن أبي عثمان الدقاق . قال الخطيب : سمع القطيعي وغيره ، وكان شيخاً صالحاً ، صدوقاً ديناً ، حسن المذهب .

**محمد بن جعفر بن أبي الفرج**

الوزير الملقب بندي السماعات ، وزر لأبي كاليجار بفارس وبغداد ، وكان ذا مروءة غزيرة ، مليح الشعر والترسل ، ومن محاسنه أنه كتب إليه في رجل مات عن ولد له ثمانية أشهر وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار ، فكتب إليه الموصي ، وقيل غيره : إن فلاناً قد مات وخلف ولداً عمره ثمانية أشهر ، وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار ، فإن رأى الوزير أن يقترض هذا المال إلى حين بلوغ الطفل . فكتب الوزير على ظهر الورقة : المتوفى رحمه الله ، واليتم جيره الله ، والمال ثمره الله ، والساعي لعنه الله ، ولا حاجة بنا إلى مال الأيتام . اعتقل ثم قتل في رمضان منها ، عن إحدى وخمسين سنة .  
**محمد بن أحمد بن إبراهيم**

ابن غيلان بن عبد الله بن غيلان بن حلیم بن غيلان ، أخو طالب البزار ، يروي عن جماعة وهو آخر من حدث عن أبي بكر الشافعي ، كان صدوقاً ديناً صالحاً ، قوى النفس على كبر السن ، كان يملك ألف دينار ، وكان يصبها كل يوم في حجره فيقبلها ثم يردّها إلى موضعها ، وقد خرج له

الدارقطني الأجزاء الفيلانيات ، وهي سماعنا . توفي يوم الاثنين سادس شوال منها عن أربع وتسعين سنة ، ويقال إنه بلغ المائة فألله أعلم . الملك أبو كاليجار

واسمه المرزبان بن ساطان الدولة بن بهاء الدولة ، توفي عن أربعين سنة وأشهر ، ولى العراق نحواً من أربع سنين ، ونهبت له قلعة كان له فيها من المال ما يزيد على ألف ألف دينار ، وقام بالأمر من بعده ابنه الملك الرحيم أبو نصر .

ثم دخلت سنة احدى وأربعين وأربعمائة

في عاشر المحرم تقدم إلى أهل الكرخ أن لا يعملوا بدع النوح ، فجرى بينهم وبين أهل باب البصرة ما يزيد على الحد ، من الجراح والقتل ، وبنى أهل الكرخ سوراً على الكرخ ، وبنى أهل السنة سوراً على سوق القلائين ، ثم نقض كل من الفريقين أبنيتهم ، وحملوا الآجر إلى مواضع بالطبول والمزامير ، وجرت بينهم مفاخرات في ذلك ، وسخف لا تنحصر ولا تنضب ، وإنشاد أشعار في فضل الصحابة . وثلبهم ، فأن الله وإنا إليه راجعون . ثم وقعت بينهم فتن يطول ذكرها ، وأحرقوا دوراً كثيرة جداً . وفيها وقعت وحشة بين الملك طغرل بك وبين أخيه ، فجمع أخوه جموعاً كثيرة فاقتتل هو وأخوه طغرل بك ، ثم أمره من قلعة قد تحصن بها ، بعد محاصرة أربعة أيام ، فاستنزله منها مقهوراً ، فأحسن إليه وأكرمه ، وأقام عنده مكرماً ، وكتب ملك الروم إلى طغرل بك في فداء بعض ملوكهم ممن كان أمره إبراهيم بن نبال ، وبذل له مالا كثيراً ، فبعثه إليه مكرماً من غير عوض ، اشترط عليه فأرسل إليه ملك الروم هدايا كثيرة ، وأمر بهارة المسجد الذي بالسفطية ، وأقيمت فيه الصلاة والجمعة ، وخطب فيه لذلك طغرل بك ، فبلغ هذا الأمر المعجيب سائر الملوك فمظموا الملك طغرل بك تظلماً زائداً ، وخطب له نصر الدولة بالجزيرة . وفيها ولى مسعود بن مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين الملك بعد وفاة أبيه ، وكان صغيراً ، فسكت أياماً ثم عدل عنه إلى عمه علي بن مسعود ، وهذا أمر غريب جداً . وفيها ملك المصريون مدينة حلب وأجلوا عنها صاحبها عمال بن صالح بن مرداس . وفيها كان بين البساسيري وبين بن عقيل حرب . وفيها ملك البساسيري الأتبار من يدقرواش فأصلح أمورهما . وفي شعبان منها سار البساسير إلى طريق خراسان وقصد ناحية الدوران وملكها ، وغنم مالا كثيراً كان فيها ، وقد كان سعدى بن أبي الشوك قد حصنها ، قال ابن الجوزي : في ذى الحجة منها ارتفعت سحابة سوداء فزادت على ظلمة الليل ، وظهر في جوانب السماء كالنار المضيئة ، فانزعج الناس وخافوا وأخذوا في الدعاء والتضرع ، فانكشف في أثناء الليل بعد ساعة ، وكانت قد هبت ريح شديدة جداً قبل ذلك ، فأتلفت شيئاً كثيراً من الأشجار ، وهدمت رواشن كثيرة في دار الخلافة ودار المملكة . ولم ينج أحد من أهل العراق .

وفيهما توفى من الأعيان . أحمد بن محمد بن منصور  
 أبو الحسن المعروف بالمتيق ، نسبة إلى جد له كان يسمى عتيقا ، سمع من ابن شاهين وغيره ،  
 وكان صدوقا . توفى في صفر منها وقد جاوز التسعين .

### علي بن الحصن

أبو القاسم العلوي ويعرف بابن محي السنة . قال الخطيب : سمع من ابن مظفر وكتب عنه ، وكان  
 صدوقا ديننا حسن الاعتقاد ، يورق بالأجرة ويأكل منه ، ويتصدق . توفى في رجب منها وقد جاوز  
 الثمانين . عبد الوهاب بن القاضي الماوردي

يكنى أبا الفأر شهيد عند ابن ما كولا في سنة إحدى وثلاثين فأجاز شهادته احتراماً لأبيه ،  
 توفى في الحرم منها . الحافظ أبو عبد الله الصوري

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله الصوري الحافظ ، طلب الحديث بعد ما كثر  
 وأسن ، ورحل في طلبه إلى الآفاق ، وكتب الكثير وصنف واستفاد على الحافظ عبد الغنى المصري ،  
 وكتب عن عبد الغنى شيئا من تصانيفه ، وكان من أعظم أهل الحديث ، همه في الطلب وهو شاب  
 ثم كان من أقوى الناس على العمل الصالح عزيمته في حال كبره ، كان يسرد الصوم لإيومي العبيدين  
 وأيام التشريق ، وكان مع ذلك حسن الخلق جميل المعاشرة ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، وكان يكتب  
 بالأخرى المجلد في جزء . قال أبو الحسن الطيوري : يقال إن عامة كتب الخطيب سوى التاريخ  
 مستفادة من كتب أبي عبد الله الصوري ، كان قدمات الصوري وترك كتبه اثني عشر عدلا عند  
 أخيه ، فلما صار الخطيب أعطا أخاه شيئا وأخذ بعض تلك الكتب فحوها في كتبه ، ومن شعره :

تولى الشبابَ بريمانه \* وأنى المشيبَ بأحزانه  
 فقلبي لفقدانِ ذا مؤلم \* كتيبٌ لهذا ووجدانه  
 وإنْ كانَ ماجازَ في حكمه \* ولا جاءَ في غيرِ إيانِه  
 ولكنْ أتى مؤذناً بالرحمة \* لـ فويلي من قربِ إيدانهِ  
 ولولا ذنوبٌ تحمَلتْها \* لما راعى إتيانهِ  
 ولكنْ ظهري ثقيلٌ بما \* جناهُ شبابي بطغيانهِ  
 فن كانَ يبكي شباباً مضى \* ويندبُ طيبَ زمانِه  
 فليسَ بكأني وما قد ترو \* نَ مني لوحشةِ فقدانهِ  
 ولكنْ لما كانَ قد جره \* على بوئباتِ شيطانهِ  
 فويلي وويلي إن لم يجد \* على مليكي برضوانِه

ولم يتعمد ذنوبى وما قد \* جنيت برحمتي وغرانه  
ويجمل مصيرى إلى جنة \* يحمل بها أهل رضوانه وغفرانه  
فان كنت مالى من طاعة \* سوى حسن ظنى باحسانه  
وإنى مقرّ بتوحيده \* عليم بعزّة سلطانه  
أخالف فى ذلك أهل الهوى \* وأهل الفسوق وعدوانه  
وأرجو به الفوز فى منزل \* ممدّ مهياً لسكّانه  
وان يجمع الله أهل الجحوى \* د ومن أقرّ بنيرانه  
فهذا ينجيه إيمانه \* وهذا يوهى بخسرانه  
وهذا ينعم فى جنة \* وذلك قرين لشيطانه  
ومن شعره أيضاً :

قل لمن عاند الحديث وأضحى \* عائباً أهله ومن يدعيه  
أبلم تقول هذا ابن لى \* أم يجهل فاجهل خلق السفيه  
أيما الذين هم حفظوا الد \* ين من الترهات والتمويه  
وإلى قولهم وما قد رووه \* راجع كل عالم وفقيه

كان سبب موته أنه افتصد فورمت يده ، وعلى ما ذكر أن ريشة الفاصد كانت مسمومة لغيره  
فغلط ففصده بها ، فكانت فيها منيته ، فحمل إلى المارستان فمات به ، ودفن بمقبرة جامع المدينة ،  
وقد نيف على الستين رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

فيها فتح السلطان طغرل بك أصبهان بمدحصار سنة ، فنقل إليها حواصله من الرى وجعلها دار  
إقامته ، وخرّب قطعة من سورها ، وقال : إنما يحتاج إلى السور من تضعف قوته ، وإنما حصنى عساكرى  
وسيفى ، وقد كان فيها أبو منصور قرامز بن علاء الدولة أبى جعفر بن كلويه ، فأخرجه منها وأقطعها  
بعض بلادها . وفيها سار الملك الرحيم إلى الأهواز وأطاعه عسكر فارس . وفيها استولت الخوارج على  
عمان وأخرّبوا دار الامارة ، وأسروا أبى المظفر بن أبى كاليبجار . وفيها دخلت العرب بأذن المستنصر  
الفاطمى بلاد إفريقية ، وجرت بينهم وبين المعز بن باديس حروب طويلة ، وعاتوا فى الأرض فسادا  
عدة سنين . وفيها اصطاح الروافض والسنة ببغداد ، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد على ومشهد الحسين ،  
وترضوا فى الكرخ على الصحابة كلهم ، وترحموا عليهم ، وهذا عجيب جدا ، إلا أن يكون من باب  
التقية ، ورخصت الأسعار ببغداد جدا . ولم يهج أحد من أهل العراق .

ومن توفي فيها من الأعيان . علي بن عمر بن الحسن

أبو الحسن الحرابي المعروف بالقزويني ، ولد في مستهل المحرم في سنة ستين وثلاثمائة ، وهي الليلة التي مات فيها أبو بكر الأجرى ، وسمع أبا بكر بن شاذان وأبا حفص بن حيويه ، وكان وافر العقل ، من كبار عباد الله الصالحين ، له كرامات كثيرة ، وكان يقرأ القرآن ويروي الحديث ، ولا يخرج إلا إلى الصلاة . توفي في شوال منها . ففلقت بغداد لموته يومئذ ، وحضر الناس جنازته ، وكان يوماً مشهوداً رحمه الله .

#### عمر بن ثابت

الثمانيني النحوي الضرب . شارح اللع ، كان في غاية العلم بالنحو ، وكان يأخذ عليه . وذكر ابن خلكان أنه اشتغل على ابن جنى ، وشرح كلامه ، وكان ماهراً في صناعة النحو ، قال ونسبته إلى قرية من نواحي جزيرة ابن عمر عند الجبل الجودي ، يقال لها ثمانين ، باسم الثمانين الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة .

#### قرواش بن مقلد

أبو المنيع ، صاحب الموصل والكوفة وغيرها ، كان من الجبارين ، وقد كاتبه الحاكم صاحب مصر في بعض الأحيان فاستماله إليه ، فخطب له ببلاده ثم تركه ، واعتذر إلى الخليفة فعذره ، وقد جمع هذا الجبار بين أختين في النكاح ، ولأمته العرب ، فقال : وأي شئ عملته ؟ إنما عملت ما هو مباح في الشريعة <sup>(١)</sup> وقد نكب في أيام المعز الفاطمي ونهبت حواصله ، وحين توفي قام بالأمر بعده ابن أخيه قریش بن بدران بن مقلد .

#### مودود بن مسعود

ابن محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة : توفي فيها وقام بالأمر من بعده عمه عبد الرشيد بن محمود

#### ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة

في صفر منها وقع الحرب بين الروافض والسنة ، فقتل من الفريقين خلق كثير ، وذلك أن الروافض نصبوا أبراجاً وكتبوا عليها بالذهب : محمد وعلى خير البشر ، فمن رضى فقد شكر ، ومن أبى فقد كفر . فأنكرت السنة إقران علي مع محمد (س) ، في هذا ، فنشبت الحرب بينهم ، واستمر القتال بينهم إلى ربيع الأول ، فقتل رجل هاشمي فدفن عند الامام أحمد ، ورجع السنة من دفنه فتهبوا مشهد موسى بن جعفر وأحرقوا ضريح موسى ومجد الجواد ، وقبور بني بويه ، وقبور من هناك من الوزراء وأحرق قبر جعفر بن المنصور ، ومحمد الأمين ، وأمه زبيدة ، وقبور كثيرة جداً ، وانتشرت الفتنة وتجاوزوا الحدود ، وقد قابلهم أولئك الرافضة أيضاً بمفاسد كثيرة ، وبعثوا قبوراً قديمة ، وأحرقوا من فيها من الصالحين ، حتى هموا بقبر الامام أحمد ، فمنهم النقيب ، وخاف من غائلة ذلك ، وتسلمت على الرافضة عيار يقال له القطيعي ، وكان يتبع رؤسهم وكبارهم فيقتلهم جهاراً وغيلة ، وعظمت الحنة بسببه جداً ، ولم يقدر عليه أحد ، وكان في غاية الشجاعة والبأس والمكر ، ولما بلغ ذلك دبب بن

(١) وفي النجوم الزاهرة « خبروني ، ما الذي نستعمله مما تبيحه الشريعة ؟ فهذا من ذلك » .

علي بن مزيد - وكان رافضياً - قطع خطبة الخليفة ، ثم رُوسل فأعادها . وفي رمضان منها جاءت من الملك طفرليك رسل شكر للخليفة على إحسانه إليه بما كان يبعثه له من الخلع والتقليد ، وأرسل إلى الخليفة بعشرين ألف دينار ، وإلى الحاشية بخمسة آلاف ، وإلى رئيس الرؤساء بألثي دينار ، وقد كان طفرليك حين عمر الري وخرّب فيها أماكن وجد فيها دنانير كثيرة من الذهب والجوهر ، فعظم شأنه بذلك ، وقوى ملكه بسببه .

ومن توفي فيها من الأعيان محمد بن محمد بن أحمد

أبو الحسن الشاعر البصري ، نسبة إلى قرية دون عكبرا يقال لها بصري باسم المدينة التي هي أم حوران ، وقد سكن بغداد ، وكان متكلماً مطبوعاً ، له نوادر ، ومن شعره قوله :

نرى الدنيا وشهوتها فنصبوا \* وما يخالو من الشهواتِ قلبُ  
فلا يفرركُ زخرفُ ما تراهُ \* وعيشُ ليلٍ الاعطافِ رطبُ  
فضولُ العيشِ أكثرها هومٌ \* وأكثرُ ما يضركُ ما تحبُ  
إذا ما بلفظٌ جاءتكُ عفواً \* نغذها فالنبي مرعى وشربُ  
إذا اتفقَ القليلُ وفيه سلمٌ \* فلا تُردُ الكثيرُ وفيه حربُ  
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة

فيها كتبت تذكرة الخلفاء المصريين وأنهم أذعيا كذبة لا نسب لهم صحيحة إلى رسول الله (س) ، نسجاً كثيرة ، وكتب فيها الفقهاء والقضاة والأشرف . وفيها كانت زلازل عظيمة في نواحي أرجان والأهواز وتلك البلاد ، تهدم بسببها شيء كثير من العمران وشرقات القصور ، وحكى بعض من يعتمد قوله أنه انفرج إبانته وهو يشاهد ذلك ، حتى رأى السماء منه ثم عاد إلى حاله لم يتغير . وفي ذى القعدة منها تجددت الحرب بين أهل السنة والروافض ، وأحرقوا أماكن كثيرة ، وقتل من الفريقين خلائق ، وكتبوا على مساجدهم : محمد وعلى خير البشر ، وأذنوا بحج على خير العمل ، واستمرت الحرب بينهم ، وتساطت القطيعي العيار على الروافض ، بحيث كان لا يقر لهم معه قرار ، وهذا من جملة الأقدار .

وفيها توفي من الأعيان . الحسن بن علي

ابن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شنبل بن قرة بن واقد ، أبو علي التميمي الواعظ ، المعروف بابن المذهب ، ولد سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وسمع مسند الامام أحمد من أبي بكر بن مالك القطيعي عن عبد الله بن الامام أحمد ، عن أبيه ، وقد سمع الحديث من أبي بكر بن ماسي وابن شاهين والدارقطني وخلق ، وكان ديناً خيراً ، وذكر الخطيب أنه كان صحيح السماع لمسند أحمد من القطيعي

غير أنه ألقى اسمه في أجزاء . قال ابن الجوزي : وليس هذا بقدر في سماعه ، لأنه إذا تحققت سماعه جاز أن يباحق اسمه فيما تحققت سماعه له ، وقد عاب عليه الخطيب أشياء لا حاجة إليها .

### علي بن الحسين

ابن محمد ، أبو الحسن المعروف بالشاشي البغدادي ، وقد أقام بالبصرة واستحوذ هو وعمه علي أهلها ، وعمل أشياء من الخيل يوم بها أنه من ذوى الأحوال والمكاشفات ، وهو في ذلك كاذب قبحه الله وقبح عمه ، وقد كان مع هذا رافضياً خبيثاً قرمطياً ، توفي في هذا العام فله الحمد والشكر والانعام .

### القاضي أبو جعفر

محمد بن أحمد بن أحمد ، أبو جعفر السمناني القاضي ، أحد المنكاملين على طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري ، وقد سمع الدارقطني وغيره ، كان عالماً فاضلاً سخيّاً ، تولى القضاء بالموصل ، وكان له في داره مجلس المناظرة ، وتوفي لما كف بصره بالموصل وهو قاضها ، في ربيع الأول منها وقد بلغ خمساً وثمانين سنة ، سماحه الله .

### ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة

فيها تجدد الشر والقتال والحريق بين السنة والرافض ، وسرى الأمر وتفاقم الحال . وفيها وردت الأخبار بأن المزمع الفاطمي عازم على قصد العراق . وفيها نقل إلى الملك طغرل بك أن الشيخ أبا الحسن الأشعري يقول بكنا وكذا ، وذكر بشيء من الأمور التي لا تليق بالدين والسنة ، فأمر بابعثه ، وصرح أهل نيسابور بتكفيره من يقول ذلك ، فضج أبو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن من ذلك ، وصنف رسالة في شكايته أهل السنة لما نالهم من المحنة ، واستدعى السلطان جماعة من رؤس الأشاعرة منهم القشيري فسألهم عما أنهى إليه من ذلك . فأنكروا ذلك ، وأن يكون الأشعري قال ذلك . فقال السلطان : نحن إنما لعنا من يقول هذا . وجرت فتنة عظيمة طويلة . وفيها استولى فولاً بسور الملك أبي كاليجار على شيراز ، وأخرج منها أخاه أبا ساعد ، وفي شوال سار البساسيري إلى أكراد وأعراب أفسدوا في الأرض قهراً وأخذوا أهلهم . ولم ينجح فيها أحد من أهل العراق . وفيها توفي من الأعيان أحمد بن عمر بن روح

أبو الحسن النهرواني ، كان ينظر في الميادين الضرب ، وله شعر حسن ، قال : كنت يوماً على شاطئ النهر وان ، فسمعت رجلاً يتغنى في سفينة منحدره يقول :

وما طلبوا سوى قتلى \* فهان علي ما طلبوا

قال فاستوقفته وقلت : أضف إليه غيره فقال :

علي قتلى الأجب \* في التماذي ، بالجفا غلبوا



وبالمهجران من عيني \* طيب النوم قد سلبوا  
وما طلبوا سوى قتلى \* فهان على ما طلبوا

إسماعيل بن علي

ابن الحسين بن محمد بن زنجويه ، أبو سعيد الرازي ، المعروف بالسمان ، شيخ المعتزلة ، سمع  
الحديث الكثير وكتب عن أربعة آلاف شيخ ، وكان عالماً عارفاً فاضلاً مع اعتزاله ، ومن كلامه : من  
لم يكتب الحديث لم يتفرغ بمجلاوة الاسلام ، وكان حنفي المذهب ، عالماً بالخلاف والفرائض والحساب  
وأسماء الرجال ، وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه فأطنب في شكره والثناء عليه .

عمر بن الشيخ أبي طالب المكي

محمد بن علي بن عطية ، سمع أباه وابن شاهين ، وكان صدوقاً يكنى بأبي جعفر .

محمد بن أحمد

ابن عثمان بن الفرج الأزهر ، أبو طالب المعروف بابن السوادى ، وهو أخو أبي القاسم الأزهرى  
توفى عن نيف وثمانين سنة .

محمد بن أبي تمام

الزيبى نقيب النقباء ، قام ببغداد بعد أبيه مقامه بالنقابة .

ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة

فيها غزا السلطان طغرل بك بلاد الروم بعد أخذه بلاد أذربيجان ، فغتم من بلاد الروم وسبي  
وعمل أشياء حسنة ، ثم عاد سالماً فأقام بأذربيجان سنة . وفيها أخذ قريش بن بدران الأنبار ،  
وخطب بها وبالموصل لطغرل بك ، وأخرج منها نواب البساسيري . وفيها دخل البساسيري بغداد مع  
بنى خفاجة منصرفه من الوقعة ، وظهرت منه آثار النفرة للخلافة ، فراسله الخليفة لتطيب نفسه ، وخرج  
في ذى الحجة إلى الأنبار فأخذها ، وكان معه ديبس بن علي بن مزيد ، وخرّب أماكن وحرّق غيرها  
ثم أذن له الخليفة في الدخول إلى بيت النبوة ليخام عليه ، فجاء إلى أن حاذى بيت النبوة فقبل  
الأرض وانصرف إلى منزله ، ولم يعبر ، فتويت الوحشة . ولم ينجح أحد من أهل العراق فيها .

ومن توفى فيها من الأعيان . الحسين بن جعفر بن محمد

ابن داود ، أبو عبد الله السلماسى ، سمع ابن شاهين وابن حيويه والدارقطنى ، وكان ثقة مأموناً  
مشهوراً باصطناع المعروف ، وفعل الخير ، وافتقاد الفقراء ، وكثرة الصدقة ، وكان قد أريد على  
الشهادة فأبى ذلك ، وكان له في كل شهر عشرة دنانير نفقة لأهله .

عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن

أبو عبدالله الأصبهاني ، المعروف بابن اللبان ، أحد تلامذة أبي حامد الاسفرايني ، ولى قضاء الكرخ ، وكان يصلى بالناس التراويح ، ثم يقوم بعد انصرافهم فيصلي إلى أن يطلع الفجر ، وربما انقضى الشهر عنه ولم يضطجع إلى الأرض رحمه الله .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة

فيها ملك طغرل بك بغداد ، وهو أول ملوك السلجوقية ، ملكها وبلاد العراق . وفيها تأكدت الوحشة بين الخليفة والبساسيري ، واشتكت الأتراك منه ، وأطلق رئيس الرؤساء عبارته فيه ، وذكر قبيح أفعاله ، وأنه كاتب المصريين بالطاعة ، وخلع ما كان عليه من طاعة العباسيين ، وقال الخليفة وليس إلا إهلاكه . وفيها غلت الأسعار بنواحي الأهواز حتى بيع الكر بشيراز بألف دينار . وفيها وقعت الفتنة بين السنة والرافضة على المادة ، فاقتتلوا قتالا مستمرا ، ولا تمكن الدولة أن يحجزوا بين الفريقين . وفيها وقعت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة ، فتوى جانب الحنابلة قوة عظيمة ، بحيث إنه كان ليس لأحد من الأشاعرة أن يشهد الجمعة ولا الجماعات .

قال الخطيب : كان أرسلان التركي المعروف بالبساسيري قد عظم أمره واستفحل ، لعدم أقرانه من مقدمي الأتراك ، واستولى على البلاد وطار اسمه ، وخافته أمراء العرب والعجم ، ودعى له على كثير من المنابر العراقية والأهواز ونواحيها ، ولم يكن للخليفة قطع ولا وصل دونه ، ثم صح عند الخليفة سوء عقيدته ، وشهد عنده جماعة من الأتراك أنه عازم على نهب دار الخلافة ، وأنه يريد القبض على الخليفة ، فعند ذلك كاتب الخليفة محمد بن ميكائيل بن سلجوق الملقب بطغرل بك يستنهضه على السير إلى العراق ، فانفض أكثر من كان مع البساسيري وعادوا إلى بغداد سريعا ، ثم أجمع رأيهم على قصد دار البساسيري وهي في الجانب الغربي فأحرقوها ، وهدموا أبنيتها ، ووصل السلطان طغرل بك إلى بغداد في رمضان سنة سبع وأربعين ، وقد تلقاه إلى أثناء الطريق الأمراء والوزراء والحجاب ، ودخل بغداد في أهبة عظيمة جدا ، وخطب له بها ثم بعده الملك الرحيم ، ثم قطعت خطبة الملك الرحيم ، ورفع إلى القامة ممتلا عليه ، وكان آخر ملوك بني بويه ، وكانت مدة ولايتهم قريب المائة والعشرين سنين ، وكان ملك الملك الرحيم لبغداد ست سنين وعشرة أيام ، ونزل طغرل بك دار المملكة بعد الفراغ من عمارتها ، ونزل أصحابه دور الأتراك وكان معه ثمانية أفيلة ، ووقعت الفتنة بين الأتراك والعلامة ، ونهب الجانب الشرقي بكمله ، وجرت خطبة عظيمة . وأما البساسيري فإنه فر من الخليفة إلى بلاد الرحبة وكتب إلى صاحب مصر بأنه على إقامة الدعوى له بالعراق ، فأرسل إليه بولاية الرحبة ونيابته بها ، ليكون على أهبة الأمر الذي يريد .

وفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة قلد أبو عبد الله محمد بن علي الدامغانى قضاء القضاة ، وخلع عليه به ، وذلك بعد موت ابن ما كولا ، ثم خلع الخليفة على الملك طغرل بك بعد دخوله بغداد بيوم ، ورجع إلى داره وبين يديه اللباب والبوقات .

وفي هذا الشهر توفى ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن الخليفة القائم بأمر الله ، وهو ولي عهد أبيه فعظمت الرزية به . وفيها استولى أبو كامل علي بن محمد الصليحي الهمداني على أكثر أعمال اليمن ، وخطب للفاطميين ، وقطع خطبة العباسيين . وفيها كثر فساد الغز ونهبوا دواب الناس حتى يبيع النور بمخمسة قراريط . وفيها اشتد الفلاء بمكة وعمدت الأتوات ، وأرسل الله عليهم جرادا فتعضوا به عن الطعام . ولم ينجح أحد من أهل العراق .

ومن توفى فيها من الأعيان المحسن بن علي

ابن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن أبي دلف العجلي قاضي القضاة ، المعروف بابن ما كولا الشافعي ، وقد ولي القضاء بالبصرة ، ثم ولي قضاء القضاة ببغداد سنة عشرين وأربعمائة في خلافة المقتدر ، وأقره ابنه القائم إلى أن مات في هذه السنة ، عن تسع وسبعين سنة ، منها في القضاء سبع وعشرون سنة ، وكان صينادينا لا يقبل من أحد هدية ولا من الخليفة ، وكان يذكر أنه سمع من أبي عبد الله بن منده ، وله شعر حسن فنه :

تصابى برهةً من بعد شيبٍ \* فما أغنى المشيبَ عن التصابي  
وسودَ عارضيه بلونِ خضبٍ \* فلم ينفعه تسويدُ الخضبِ  
وأبدى للأحبة كلَّ لطفٍ \* فإزادوا سوى فرطِ اجتنابِ  
سلامَ اللهِ عوداً بعد بدئٍ \* على أيامِ ريعانِ الشبابِ  
تولى عزمةً يوماً وأبقى \* بقلبي حسرةً ثم اكتتابِ

علي بن المحسن بن علي

ابن محمد بن أبي الفهم أبو القاسم التنوخي ، قال ابن الجوزي : وتنوخ اسم لعدة قبائل اجتمعوا بالبحرين ، ونحالفوا على التناصر والتآزر ، فسما تنوخاً . ولد بالبصرة سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وسمع الحديث سنة سبعين ، وقبلت شهادته عند الحكام في حدائته ، وولى القضاء بالمدائن وغيرها ، وكان صدوقاً محتاطاً ، إلا أنه كان يميل إلى الاعتزال والرفض .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

في يوم الخميس ثمان بقين من المحرم عقد الخليفة على خديجة بنت أخي السلطان طغرل بك على صدق مائة ألف دينار ، وحضر هذا المقعد عميد الملك الكندري ، وزير طغرل بك ، وبقية الملويين

وقاضى القضاة الدامغانى والماوردى ، ورئيس الرؤساء ابن المسلمة . فلما كان شعبان ذهب رئيس الرؤساء إلى الملك طغرل بك وقال له : أمير المؤمنين يقول لك قال الله تعالى [ إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها ] وقد أمرنى أن أنقل الوديعه إلى داره العزيزة ، فقال : السمع والطاعة ، فذهبت أم الخليفة لدار الملك لاستدعاء العروس ، فجمعت معها وفي خدمتها الوزير عميد الملك والحشم ، فدخلوا داره وشافه الوزير الخليفة عن عمها وسأله اللطف بها والاحسان إليها ، فلما دخلت إليه قبلت الأرض مراراً بين يديه ، فأدناها إليه وأجلسها إلى جانبه ، وأفاض عليها خلعاً سنياً وقاجاً من جوهر ثمين ، وأعطاه من الفدمائة ثوب ديباجاً ، وقصبات من ذهب ، وطاسة ذهب قد نبت فيها الجواهر والياقوت والفير وزج ، وأقطعها في كل سنة من ضياعه ما يقل اثنا عشر ألف دينار ، وغير ذلك . وفيها أمر السلطان طغرل بك ببناء دار الملك المضدية فخرت بحال كثيرة في عمارتها ، ونهبت العامة أخشاباً كثيرة من دور الأتراك ، والجانب الغربى ، وباعوه على الخبازين والطباخين ، وغيرهم .

وفيهارجع غلاء شديد على الناس وخوف ونهب كثير ببغداد ، ثم أعقب ذلك فناء كثير بحيث دفن كثير من الناس بغيز غسل ولا تكفين ، وغلت الأشربة وما تحتاج إليه المرضى كثيراً ، واعتري الناس موت كثير ، واغبر الجو وفسد الهواء . قال ابن الجوزى : وعم هذا الوباء والغلاء مكة والحجاز وديار بكر والموصل وبلاد بكر وبلاد الروم وخراسان والجال والدينا كلها . هذا لفظه في المنتظم . قال : وورد كتاب من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عند الصباح موتى أحدهم على باب النقب ، والثانى على رأس الدرجة ، والثالث على الثياب التى كورها ليأخذها فلم يمل .

وفيه أمر رئيس الرؤساء بنصب أعلام سود فى الكرخ ، فانزعج أهلها لذلك ، وكان كثير الأذى للرافضة ، وإنما كان يدافع عنهم عميد الملك الكندرى ، وزير طغرل بك . وفيها هبت ريح شديدة وارتفعت سحابة ترابية وذلك ضحى ، فأظلمت الدنيا ، واحتاج الناس فى الأسواق وغيرها إلى السرج . قال ابن الجوزى : وفى العشر الثانى من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر كوكب له ذؤابة طولها فى رأى العين نحو من عشرة أذرع ، وفى عرض نحو الذراع ، ولبث كذلك إلى النصف من رجب ، ثم اضمحل . وذكروا أنه طلع مثله بمصر فلكت وخطب بها للمصريين . وكذلك بغداد لما طلع فيها ملكك وخطب بها للمصريين . وفيها أزم الرافض بترك الأذان بحى على خير العمل ، وأمروا أن ينادى مؤذنين فى أذان الصبح ، بمدحى على الفلاح : الصلاة خير من النوم ، مرتين ، وأزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة : محمد وعلى خير البشر ، ودخل المنشدون من باب البصرة إلى باب الكرخ ، ينشدون بالتصائد التى فيها مدح الصحابة ، وذلك أن نوه الرافضة اضمحل ، لأن بنى بويه كانوا حكاما ، وكانوا يقرونهم وينصرونهم ، فزالوا وبادوا ، وذهبت دولتهم ، وجاء بعدهم قوم آخرون

من الأتراك السلجوقية الذين يحبون أهل السنة ويوالونهم و يرفعون قدرهم ، والله الحمود ، أبناً على طول المدى . وأمر رئيس الرؤساء الوالى بقتل أبي عبدالله بن الجلاب شيخ الروافض ، لما كان تظاهر به من الرفض والغلو فيه ، فقتل على باب دكانه ، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره .

وفيهما جاء البساسيري قبحة الله إلى الموصل ومعه نور الدولة ديبس ، في جيش كثيف ، فاقتتل مع صاحبها قریش ونصره قتلش بن عم طفرلبك ، وهو جد ملوك الروم ، فهزهما البساسيري ، وأخذ البلاد قهراً ، فخطب بها للمصريين ، وأخرج كاتبه من السجن ، وقد كان أظهر الاسلام ظناً منه أنه ينفعه ، فلم ينفعه فقتل ، وكذلك خطب للمصريين فيها بالسكوفة واسط وغيرها من البلاد . وعزم طفرلبك على المسير إلى الموصل لمناجزة البساسيري فبهاه الخليفة عن ذلك لضيق الحال وغلاء الأسعار ، فلم يقبل فخرج بجيشه فاصدا الموصل بمجافل عظيمة ، ومعه الفيلة والمنجنقات ، وكان جيشه لكثرتهم ينهبون القرى ، وربما سطوا على بعض الحرمين ، فكتب الخليفة إلى السلطان ينهيه عن ذلك ، فبعث إليه يمتذر لكثرة من معه ، واتفق أنه رأى رسول الله (س) في المنام فسلم عليه فأعرض عنه ، فقال : يا رسول الله لأى شئ تعرض عني ؟ فقال : يحكمك الله في البلاد ثم لا ترفق بخلقه ولا تخاف من جلال الله عز وجل . فاستيقظ مذعوراً وأمر وزيره أن ينادى في الجيش بالعدل ، وأن لا يظلم أحد أحدا . ولما اقترب من الموصل فتح دونها بلاداً ، ثم فتحها وسلمها إلى أخيه داود ، ثم سار منها إلى بلاد بكر ففتح أما كن كثيرة هناك .

وفيهما ظهرت دولة الملتمين ببلاد المغرب ، وأظهروا إعزاز الدين وكلمة الحق واستولوا على بلاد كثيرة منها سجلماسة وأعمالها والسوس ، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وأول ملوك الملتمين رجل يقال له أبو بكر بن عمر ، وقد أقام بسجلماسة إلى أن توفي سنة ثنتين وستين كما سيأتى بيانه ، ثم ولى بعده أبو نصر يوسف بن تاشفين ، وتلقب بأمر المؤمنين ، وقوى أمره ، وعلا قدره ببلاد المغرب . وفيها ألزم أهل الذمة بلبس الفيار ببغداد ، عن أمر السلطان . وفيها ولد لذخيرة الدين بعد موته من جارية له ولد ذكر ، وهو أبو القاسم عبد الله المقتدى بأمر الله . وفيها كان الغلاء والفناء أيضاً مستمرين على الناس ببغداد وغيرها من البلاد ، على ما كان عليه الأمر في السنة الماضية ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولم ينجح أحد من أهل العراق فيها .

وفيهما توفي من الأعيان علي بن أحمد بن علي بن سلك

أبو الحسن المؤدب ، المعروف بالفالي<sup>(١)</sup> ، صاحب الأمالي ، وقالة قرية قريبة من إيندج ، أقام

(١) لان صاحب الامالى اسمه أبو علي اسماعيل بن القاسم ووفاته سنة ٣٥٦ فجملة صاحب الامالى

خطأ بلا شك وانما هو الفالي بالفاء كما في النجوم الزاهرة .

بالبصرة مدة ، وسمع بها من عمر بن عبد الواحد الهاشمي وغيره ، وقدم بغداد فاستوطنها ، وكان ثقة في نفسه ، كثير الفضائل . ومن شعره الحسن :

لما تبدلت المجالسُ أوجهاً \* غير الذين عهدت من علمائها  
ورأيتها محفوفة بسوى الأولي \* كانوا ولاةً صدورها وفنائها  
أنشدت بيتاً سائراً متقدماً \* والعين قد شرقت بجارى مائها  
أما الخيام فأنها كخيامهم \* وأرى نساء الحى غير نساءها  
ومن شعره أيضاً : تصدّر للتدريس كل مهوس \* بليد تسمى بالقيقه المدرس  
فحق لأهل العلم أن يتنلوا \* بيت قديم شاع في كل مجلس  
لقد هزلت حتى بدا من هزالها \* كلاها وحتى سامها كل مفلس

محمد بن عبد الواحد بن محمد الصباغ

الفتية الشافعي ، وليس بصاحب الشامل ، ذلك متأخر وهذا من تلاميذ أبي حامد الاسفرايني ، كانت له حلقة للفتوى بجامعة المدينة ، وشهد عند قاضي القضاة الدامغاني الحنفي قبله ، وقد سمع الحديث من ابن شاهين وغيره ، وكان ثقة جليل القدر .

هلال بن الحسن

ابن إبراهيم بن هلال ، أبو الخير الكاتب الصابي ، صاحب التاريخ ، وجده أبو إسحاق الصابي صاحب الرسائل ، وكان أبوه صابئياً أيضاً ، أسلم هلال هذا متأخراً ، وحسن إسلامه ، وقد سمع في حال كفره من جماعة من المشايخ ، وذلك أنه كان يتردد إليهم يطلب الأدب ، فلما أسلم نفعه ذلك ، وكان ذلك سبب إسلامه على ما ذكره ابن الجوزي : بسنده مطولاً ، أنه رأى رسول الله (ص) ، في المنام مراراً يدعوهُ إلى الله عز وجل ، ويأمره بالدخول في الإسلام ، ويقول له : أنت رجل عاقل ، فلم تدع دين الإسلام الذي قامت عليه الدلائل ؟ وأراه آيات في المنام شاهدها في اليقظة ، فنها أنه قال له : إن امرأتك حامل بولد ذكر ، فسمه محمداً ، فولدت ذكراً ، فسماه محمداً ، وكناه أبا الحسن ، في أشياء كثيرة سردها ابن الجوزي ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان صدوقاً . توفي عن تسعين سنة ، منها في الإسلام نيف وأربعون سنة .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة

فيها كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد ، بحيث خلت أكثر الدور وسدت على أهلها أبوابها بما فيها ، وأهلها موتى فيها ، ثم صار المار في الطريق لا يلتقي الواحد بعد الواحد وأكل الناس الجيف والنتن من قلة الطعام ، ووجد مع امرأة نخذ كلب قد اخضر وشوى رجل صبية

في الأتون وأكلها ، فقيل وسقط طأرميت من حائط فاحتوشته خمسة أنفس فاقسموه وأكلوه ، وورد كتاب من بخارى أنه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانية عشر ألف إنسان ، وأحصى من مات في هذا الوباء من تلك البلاد إلى يوم كتب فيه هذا الكتاب بألف ألف ، وخمسة آلاف وخمسين ألف إنسان ، والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقا فارغة وطرقات خالية ، وأبواباً مغلقة ، ووحشة وعدم أنس . حكاه ابن الجوزي . قال : وجاء الخبر من أذربيجان وتلك البلاد بالوباء العظيم ، وأنه لم يسلم من تلك البلاد إلا المدد اليسير جدا . قال : ووقع وباء بالأهواز وبواط وأعمالها وغيرها ، حتى طبق البلاد ، وكان أكثر سبب ذلك الجوع ، كان الفقراء يشوون الكلاب وينبشون القبور ويشوون الموتى ويأكلونهم ، وليس للناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات ونجيزهم ودقهم ، فكان يحفر الحنجر فيدفن فيه المشرون والثلاثون ، وكان الانسان بينما هو جالس إذ انشق قلبه عن دم المهجة ، فيخرج منه إلى الفم قطرة فيموت الانسان من وقته ، وتاب الناس وتصدقوا بأكثر أموالهم فلم يجدوا أحدا يقبل منهم ، وكان الفقير تعرض عليه الدنانير الكثيرة والدرهم والشياب فيقول : أنا أريد كسرة أريد ما يسد جوعي ، فلا يجد ذلك ، وأراق الناس الخور وكسروا آلات اللهو ، ولزموا المساجد للعبادة وقراءة القرآن ، وقل دار يكون فيها خمر إلا مات أهلها كلهم ، ودخل على مريض له سبعة أيام في الترع فأشار بيده إلى مكان فوجدوا فيه خابية من خمر فأراقوها فمات من وقته بسهولة ، ومات رجل في مسجد فوجدوا معه خمسين ألف درهم ، فعرضت على الناس فلم يقبلها أحد فتركت في المسجد تسعة أيام لا يريدونها أحد ، فلما كان بعد ذلك دخل أربعة ليأخذونها فماتوا عليها ، فلم يخرج من المسجد منهم أحد حتى ، بل ماتوا جميعاً . وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن محمد يشتغل عليه سبعمائة متفقه ، فمات وماتوا كلهم إلا اثني عشر نفرا منهم ، ولما اصطلح السلطان ديبس بن علي رجوع إلى بلاده فوجدها خرابا لقلة أهلها من الطاعون ، فأرسل رسولا منهم إلى بعض النواحي فتلقاه طائفة قتلوه وشووه وأكلوه .

قال ابن الجوزي : وفي يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة احترقت قطعة عيسى وسوق الطعام والكنيس ، وأصحاب السقط وباب الشمير ، وسوق العطارين وسوق العروس والائتاطيين والخشابين والجزارين والتمارين ، والقطيعة وسوق نخول ونهر الزجاج وسويقة غالب والصفارين والصباعين وغير ذلك من المواضع ، وهذه مصيبة أخرى إلى ما بالناس من الجوع والغلاء والفناء ، ضعف الناس حتى طفت النار فعملت أعمالها ، ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها كثر العيارون ببغداد ، وأخذوا الأموال جهارا ، وكبسوا الدور ليلا ونهارا ، وكبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة ، وأحرقت كتبه ومآثره ، ودقاره التي كان يستعملها في ضلالتة وبدعته ، ويدعو إليها أهل

ملته ونحلته ، والله الحمد . وفيها دخل الملك طفر بلك بغداداً عائداً إليها من الموصل فتلقاه الناس والكبراء إلى أثناء الطريق ، وأحضر له رئيس الرؤساء خلعة من الخليفة مرصعة بالجواهر فلبسها ، وقبل الأرض ثم بعد ذلك دخل دار الخلافة ، وقد ركب إليها فرسا من مراكب الخليفة ، فلما دخل على الخليفة إذا هو على سرير طوله سبعة أذرع ، وعلى كتفه البردة النبوية ، ويده القضيب ، فقبل الأرض وجلس على سرير دون سرير الخليفة ، ثم قال الخليفة لرئيس الرؤساء : قل له أمير المؤمنين حامد لسعيك شاكر لفضلك ، آنس بقربك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده ، فاتق الله فيما ولاك ، واجتهد في عمارة البلاد وإصلاح المباد ونشر العدل ، وكف الظلم ، ففسر له عميد الدولة ما قال الخليفة فقام وقبل الأرض وقال : أنا خادم أمير المؤمنين وعبيده ، ومتصرف على أمره ونهيه ، ومتشرف بما أهلى له واستخدمني فيه ، ومن الله أستمد المعونة والتوفيق . ثم أمره الخليفة أن ينهض للبس الخلعة فقام إلى بيت في ذلك البهو ، فأفيض عليه سبع خلع وناج ، ثم عاد فجلس على السرير بعد ما قبل يد الخليفة ، ورام تقبيل الأرض فلم يتمكن من التناج ، فأخرج الخليفة سيفا فقلده إياه وخوطف بملك الشرق والغرب ، وأحضرت ثلاثة ألوية فمقد منها الخليفة لواء بيده ، وأحضر المهد إلى الملك ، وقرئ بين يديه بمحضرة الملك وأوصاه الخليفة بتقوى الله والعدل في الرعية ، ثم نهض فقبل يد الخليفة ثم وضعها على عينيه ، ثم خرج في أبهة عظيمة إلى داره وبين يديه الحجاب والجيش بكامله ، وجاء الناس للسلام عليه ، وأرسل إلى الخليفة بتحف عظيمة ، منها خمسون ألف دينار ، وخمسون غلاما أنراكا ، بمراكبهم وسلاحهم ومناطقهم ، وخمسمائة ثوب أنواعا ، وأعطى رئيس الرؤساء خمسة آلاف دينار ، وخمسين قطعة قماش وغير ذلك .

وفيها قبض صاحب مصر على وزيره أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن البازري ، وأخذ خطه بثلاثة آلاف دينار ، وأحيط على ثمانين من أصحابه ، وقد كان هذا الوزير قهبا حنфия ، يحسن إلى أهل العلم وأهل الحرهين ، وقد كان الشيخ أبو يوسف القزويني يثنى عليه ويمدحه .

ومن توفي فيها من الأعيان . أحمد بن عبدالله بن سليمان

ابن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدى بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمه بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أبو العلاء المرى التنوخي الشاعر ، المشهور بالزندقة ، اللاهوتى ، صاحب الدواوين والمصنفات في الشعر واللغة ، ولد يوم الجمعة عند غروب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وأصابه جدري وله أربع سنين أو سبع ، فذهب بصره ، وقال الشعر وله إحدى عشرة أو ثنتا عشرة سنة ، ودخل



بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، فأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم خرج منها ليريدا مهزماً ، لأنه سأل سؤالا بشعر يدل على قلة دينه وعلمه وعقله فقال :

تناقض فإلنا إلا السكوت له \* وأن نعوذُ ، ولأننا من النارِ

يدَ بخمس مئينِ عسجدٍ وديت \* ما بالها قطعت في ربع دينارِ

وهذا من إفسكه يقول : اليد ديتها خمسمائة دينار ، فالكلم تقطعونها إذا سرقت ربع دينار ، وهذا من قلة عقله وعلمه ، وعمى بصيرته . وذلك أنه إذا جنى عليها يناسب أن يكون ديتها كثيرة لينزجر الناس عن العدوان ، وأما إذا جنت هي بالسرقه فيناسب أن تقل قيمتها وديتها لينزجر الناس عن أموال الناس وتضان أموالهم ، ولهذا قال بعضهم : كانت ثمينة لما كانت أمينة ، فلما خانت هانت . ولما عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله هرب ورجع إلى بلده ، ولزم منزله فكان لا يخرج منه . وكان يوماً عند الخليفة وكان الخليفة يكره المنبئ ويضع منه ، وكان أبو الملاء يحب المنبئ ويرفع من قدره ويمدحه ، فجرى ذكر المنبئ في ذلك المجلس فذمه الخليفة ، فقال أبو الملاء : لولم يكن للمنبي الإقصيدته التي أولها \* لك يا منازل في القلوب منازل \* لكفاه ذلك . فغضب الخليفة وأمر به فسحب برجله على وجهه وقال : أخرجوا عنى هذا الكلب . وقال الخليفة : أتدرون ما أراد هذا الكلب من هذه القصيدة ؟ وذكره لها ؟ أراد قول المنبئ فيها :

وإذا أتتك منتهى من ناقصٍ \* فهي الدليلُ على أنى كمالٍ

وإلا فالمنبئ له قصائد أحسن من هذه ، وإنما أراد هذا . وهذا من فرط ذكاه الخليفة ، حيث تنبه لهذا . وقد كان المعري أيضاً من الأذكياء ، ومكث المعري خمساً وأربعين سنة من عمره لا يأكل اللحم ولا اللبن ولا البيض ، ولا شيئاً من حيوان ، على طريقة البراهمة الفلاسفة ، ويقال إنه اجتمع براهب في بعض الصوامع في مجيئه من بعض السواحل آواه الليل عنده ، فشكك في دين الاسلام ، وكان ينقوت بالنبات وغيره ، وأكثر ما كان يأكل العنبر ويتحل بالديس وبالطين ، وكان لا يأكل بحضرة أحد ، ويقول : أكل الاعمى عورة ، وكان في غاية الذكاه المفرط ، على ما ذكره ، وأما ما ينقلونه عنه من الأشياء المكنوبة المختلفة من أنه وضع تحت سريره درهم فقال : إما أن تكون السماء قد انخفضت مقدار درهم أو الأرض قد ارتفعت مقدار درهم ، أى أنه شعر بارتفاع سريره عن الأرض مقدار ذلك الدرهم الذي وضع تحته ، فهذا لا أصل له . وكذلك يذكرون عنه أنه مر في بعض أسفاره بمكان فطأ رأسه فقيل له في ذلك فقال : أما هنا شجرة ؟ قالوا : لا ، فنظروا فإذا أصل شجرة كانت هناك في الموضع الذي طأ رأسه فيه ، وقد قطعت ، وكان قد اجتازها قديماً مرة فأمره من كان معه مطأطأة رأسه لما جازوا تحتها ، فلما مر بها المرة الثانية طأ رأسه خوفاً من أن يصيبه شيء منها ، فهذا

لا يصح . وقد كان ذكياً ، ولم يكن زكياً ، وله مصنفات كثيرة أكثرها في الشعر ، وفي بعض أشعاره ما يدل على زندقته ، وأهملته من الدين ، ومن الناس من يمتدح عنه ويقول : إنه إنما كان يقول ذلك مجوناً ولعباً ، ويقول بلسانه ما ليس في قلبه ، وقد كان باطنه مسلماً . قال ابن عقيل لما بلغه : وما الذي أُلجأه أن يقول في دار الاسلام ما يكفره به الناس ؟ قال : والمتناقضون مع قلة عقلمهم وعلمهم أجود سياسة منه ، لأنهم حافظوا على قبائحهم في الدنيا وستروها ، وهذا أظهر الكفر الذي تسلط عليه به الناس وزندقوه ، والله يعلم أن ظاهره كباطنه . قال ابن الجوزي : وقد رأيت لأبي العلاء المعري كتاباً سماه الفصول والنهايات ، في معارضة السور والآيات ، على حروف المعجم في آخر كلماته وهو في غاية الركاكة والبرودة ، فسبحان من أعمى بصره وبصيرته . قال : وقد نظرت في كتابه المسمى لزوم مالا يلزم ، ثم أورد ابن الجوزي من أشعاره الدالة على استهتاره بدين الاسلام أشياء كثيرة فمن ذلك قوله :

إذا كان لا يحظى برزقك عاقلٌ \* وترزقُ مجنوناً وترزقُ أحقماً  
فلا ذنبَ ياربَ السماءِ على امرئٍ \* رأى منك مالا يشتهي قزنداقاً  
وقوله ألا إن البرية في ضلالٍ \* وقد نظرُ اللبيبُ لما اعتراها  
تقدمَ صاحبُ التوراةِ موسى \* وأوقعَ في الخسارِ من افتراها  
فقال رجاله وحى أناه \* وقال الناظرون بل افتراها  
وما حجيتُ إلى أحجارِ بيتٍ \* كروسِ الحجرِ تشرفُ في ذراها  
إذا رجعتُ الحليمِ إلى حجاةٍ \* تهاونُ بالمذاهبِ وازدراها  
وقوله عفتُ الخنيفةُ والنصارى اهتدتُ \* ويهودُ جارتُ والمجوسُ مضلُّهُ  
اثنانِ أهلِ الأرضِ ذو عقلٍ بلا \* دينٍ وآخرُ ذودينٍ ولا عقلُ له  
وقوله فلا تحسبُ مقالَ الرسلِ حقاً \* ولكن قولُ زورٍ سطره  
فكانَ الناسُ في عيشٍ رغيدٍ \* فجأوا بالمحالِ فكدره  
وقلتُ أنا معارضةً عليه :

فلا تحسبُ مقالَ الرسلِ زوراً \* ولكن قولُ حقٍ بلغوه  
وكانَ الناسُ في جهلٍ عظيمٍ \* فجأوا بالبيانِ فأوضحوه  
وقوله إن الشرائعُ ألفتُ بيننا إحناً \* وأورثتنا أفانينَ العداواتِ  
وهل أيسحُ نساءُ الرومِ عن عرضٍ \* للعربِ إلا بأحكامِ النبواتِ  
وقوله وما حمدي لآدمَ أو بنيه \* وأشهدُ أن كلهمُ خسيسُ

- وقوله أفيقوا أفيقوا ياغواةً فانما \* دياتكم مكرًا من القسما  
 وقوله صرفُ الزمانِ مفرقُ الالفين \* فاحكمِ إلهي بينَ ذلكِ وبينى  
 نهيتُ عن قتلِ النفوسِ تَمَدًّا \* وبعثتُ قبضها مع الملكينِ  
 وزعمتُ أن لها معاداً ثانياً \* ما كانَ أغناها عن الحالينِ  
 وقوله ضحكنا وكان الضحكُ مناسفاةً \* وحقُّ لسكانِ البسيطةِ أن يبكوا  
 نخطمنا الأيامُ حقى كأننا \* زجاجٌ ولكن لا يعودُ له سبكُ  
 وقوله أمورٌ تستخفُّ بها حلومٌ \* وما يدرى الفتى لمن الثبورُ  
 كتابُ محمدٍ وكتابُ موسى \* وإنجيلُ ابنِ مريمَ والزبورُ  
 قالتُ معاشرُ لم يبعثُ إلهكمُ \* إلى البريةِ عيساهوا ولا موسى  
 وإنما جعلوا الرحمنَ مأكلةً \* وصيروا دينهم في الناسِ ناموساً

وذكر ابن الجوزي وغيره أشياء كثيرة من شعره تدل على كفره ، بل كل واحدة من هذه الأشياء تدل على كفره وزندقته وانحلاله ، ويقال إنه أوصى أن يكتب على قبره :

هذا جناهُ أبى على \* وما جنيتُ على أحدٍ

معناه أن أباه بتزوجه لأمه أوقعه في هذه الدار ، حتى صار بسبب ذلك إلى ما إليه صار ، وهو لم يجن على أحد بهذه الجناية ، وهذا كله كفر وإلحاد قبحه الله . وقد زعم بعضهم أنه أقنع عن هذا كله وتاب منه ، وأنه قال قصيدة يعتذر فيها من ذلك كله ، ويتنصل منه ، وهي القصيدة التي يقول فيها :

يامن برى مدَّ البعوضِ جناحها \* في ظلمةِ الليلِ البهيمِ الأليلِ  
 ويرى مناطاً عروقها في نحرها \* والمنخ في تلكِ العظامِ النحلِ  
 اهتنتُ على بتوبةٍ تمحو بها \* ما كان منى في الزمانِ الأولِ

توفي في ربيع الأول من هذه السنة بعمرة النعمان ، عن ست وثمانين سنة إلا أربعة عشر يوماً ، وقد رئاه جماعة من أصحابه وتلامذته ، وأنشدت عند قبره ثمانون مرثاة ، حتى قال بعضهم في مرثاة له :

إن كنت لم ترق الدماء زهادة \* فلقد أرقت اليوم من جفني دما

قال ابن الجوزي : وهؤلاء الذين رثوه والذين اعتقدوه : إما جهال بأمره ، وإما ضلال على مذهبه وطريقه . وقد رأى بعضهم في النوم رجلاً ضريباً على عاتقه حيطان مدليتان على صدره ، رافعتان رؤسهما إليه ، وهما ينهشان من لحمه ، وهو يستغيث ، وقائل يقول : هذا المعرى الملحد وقد ذكره ابن خلكان فرجع في نسبه على عاداته في الشعراء ، كما ذكرنا . وقد ذكر له من المصنفات كتباً كثيرة ، وذكر أن بعضهم وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتابه المسمى بالأليك والغصون ،

وهو المعروف بالهمز والرذف ، وأنه أخذ العربية عن أبيه واشتغل بحلب على محمد بن عبد الله بن سـمد النحوي ، وأخذ عنه أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي ، والخطيب أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ، وذكر أنه مكث خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم على طريقة الحكماء ، وأنه أوصى أن يكتب على قبره : هذا جناه أبي علي \* وما جنيت على أحد

قال ابن خلكان : وهذا أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء ، فانهم يقولون اتخذ الولد وإخراجه إلى هذا الوجود جنابة عليه ، لأنه يتعرض للحوادث والآفات . قلت : وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده ، وهو ما يعتقد الحكماء إلى آخر وقت ، وأنه لم يتقاع عن ذلك كما ذكره بعضهم ، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها ، وذكر ابن خلكان أن عينه اليمنى كانت فائضة وعليها بياض ، وعينه اليسرى غائرة ، وكان يحيفاً ثم أورد من أشعاره الجيدة أبياتاً منها قوله :

لا تطلبن بالله لك رتبة \* قلم البلبل بغير جد مغزل  
سكن السماء كان السماء كلالها \* هذا له رمح وهذا أعزل

الأستاذ أبو عثمان الصابوني

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عامر بن عابد النيسابوري ، المحافظ الواعظ المفسر ، قدم دمشق وهو ذاهب إلى الحج فسمع بها وذكر الناس ، وقد ترجمه ابن عساکر ترجمة عظيمة ، وأورد له أشياء حسنة من أقواله وشعره ، فن ذلك قوله :

إذا لم أصب أموالكم ونوالمكم \* ولم آمل المعروف منكم ولا البرا  
وكنتم عبيداً للذي أنا عبده \* فن أجل ماذا أتعب البدن الحرا ؟

وروى ابن عساکر عن إمام الحرمين أنه قال : كنت أتردد وأنا بمكة في المذاهب فرأيت النبي (س) وهو يقول : عليك باعتقاد أبي عثمان الصابوني . رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة

فيها كانت فتنة الخبيث البساسيري ، وهو أرسلان التركي ، وذلك أن إبراهيم ينال أخا الملك طغرل بك ترك الموصل الذي كان قد استعمله أخوه عليها ، وعدل إلى ناحية بلاد الجبل ، فاستدعاه أخوه وخلع عليه وأصلح أمره ، ولكن في غضون ذلك ركب البساسيري ومعه قريش بن بدران أمير العرب إلى الموصل فأخذها ، وأخرب قلعتها ، فسار إليه الملك طغرل بك سريعاً فاستردها وهرب منه البساسيري وقريش خوفاً منه ، فتبعهما إلى نصيبين ، وفارقه أخوه إبراهيم ، وعصى عليه ، وهرب إلى همدان ، وذلك بإشارة البساسيري عليه ، فسار الملك طغرل بك وراء أخيه وترك عساکره وراءه ففرقوا وقل من لحقه منهم ، ورجعت زوجته الخاتون ووزيره الكندي إلى بغداد ، ثم جاء الخبير

بأن أخاه قد استظهر عليه ، وأن طغرل بك محصور بهمدان ، فانزعج الناس لذلك ، واضطربت بغداد ، وجاء الخبر بأن البساسيري على قصد بغداد ، وأنه قد اقترب من الأنبار ، فقوى عزم الكندي على الهروب ، فأرادت الخاتون أن تقبض عليه فتحول عنها إلى الجانب الغربي ، ونهبت داره وقطع الجسر الذي بين الجانبين ، وركبت الخاتون في جمهور الجيش ، وذهبت إلى همدان لأجل زوجها ، وسار الكندي ومعه أنوشروان بن تومان وأم الخاتون المذكورة ، ومعها بقية الجيش إلى بلاد الأهواز و بقيت بغداد ليس بها أحد من المقاتلة ، فعزم الخليفة على الخروج منها ، وليته فعل ، ثم أحب داره والمقام مع أهله ، فمكث فيها اغترارا ودعة ، ولما خلى البلد من المقاتلة قيل للناس : من أراد الرحيل من بغداد فليذهب حيث شاء ، فانزعج الناس وبكى الرجال والنساء والأطفال ، وعبر كثير من الناس إلى الجانب الغربي ، وبلغت المعبرة دینارا ودينارين لعدم الجسر . قال ابن الجوزي : وطار في تلك الليلة على دار الخليفة نحو عشر بومات مجتمعات يصحن صياحاً مزعجاً ، وقيل لرئيس الرؤساء المصلحة أن الخليفة يرتحل لعدم المقاتلة فلم يقبل ، وشرعوا في استخدام طائفة من العوام ، ودفع إليهم سلاح كثير من دار المملكة ، فلما كان يوم الأحد الثامن من ذي القعدة من هذه السنة جاء البساسيري إلى بغداد ومعه الرايات البيض المصرية ، وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها اسم المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين ، فتلقاه أهل الكرخ الراضة وسألوه أن يجتاز من عندهم ، فدخل الكرخ وخرج إلى مشرعة الزاوية ، فخيم بها والناس إذ ذاك في مجاعة وضر شديد ، ونزل قریش بن بدران في نحو من مائتي فارس على مشرعة باب البصرة ، وكان البساسيري قد جمع العيارين وأطمعهم في نهب دار الخلافة ، ونهب أهل الكرخ دور أهل السنة بباب البصرة ، ونهبت دار قاضي القضاة الدامغاني ، وتملك أكثر السجلات والكتب الحكيمة ، وبيعت للمطارين ، ونهبت دور المتعلقة بخدمة الخليفة ، وأعادت الروافض الأذان بحجى على خير العمل ، وأذن به في سائر نواحي بغداد في الجماعات والجماعات وخطب ببغداد للخليفة المستنصر العبيدي ، على منابرها وغيرها ، وضربت له السكة على الذهب والفضة ، وحوصرت دار الخلافة ، فحاجف الوزير أبو القاسم بن المسلة الملقب برئيس الرؤساء ، بمن معه من المستخدمين دونها فلم يند ذلك شيئاً ، فركب الخليفة بالسواد والبردة ، وعلى رأسه اللوآه وبيده سيف مصلت ، وحوله زمرة من العباسيين والجواري حاسرات عن وجوههن ، ناشرات شعورهن ، معهن المصاحف على رؤس الزمات ، وبين يديه الخدم بالسيوف ، ثم إن الخليفة أخذ ذماماً من أمير العرب قریش ليمنه وأهله ووزيره ابن المسلة ، فأمنه على ذلك كله ، وأنزله في خيمة ، فلامه البساسيري على ذلك ، وقال : قد علمت ما كان وقع الاتفاق عليه بيني وبينك ، من أنك لا تبت برأى دوني ، ولا أنا دونك ، ومهما ملكنا بيني وبينك . ثم إن البساسيري أخذ القاسم بن مسلة

فوبخه توبيخاً مفضحاً ، ولامه لوماً شديداً ، ثم ضربه ضرباً مبرحاً ، واعتقله مهاناً عنده ، ونهبت العامة دار الخلافة ، فلا يحصى ما أخذوا منها من الجواهر والنفائس ، والديباج والذهب والفضة ، والثياب والأثاث ، والدواب وغير ذلك ، مما لا يحمد ولا يوصف . ثم اتفق رأى البساسيري وقريش على أن يسيروا الخليفة إلى أمير حديثة عانة ، وهو مهارش بن مجلى الندوى ، وهو من بنى عم قريش بن بدران ، وكان رجلاً فيه دين وله مروءة . فلما بلغ ذلك الخليفة دخل على قريش أن لا يخرج من بغداد فلم يفد ذلك شيئاً ، وسيره مع أصحابهما في هودج إلى حديثة عانة ، فكان عند مهارش حولا كاملاً ، وليس معه أحد من أهله ، فحكى عن الخليفة أنه قال لما كنت بحديثة عانة قمت ليلة إلى الصلاة فوجدت في قلبي حلاوة المناجاة ، ثم دعوت الله عز وجل بما سئلت ، ثم قلت : اللهم أعدنى إلى وطني ، واجمع بيني وبين أهلي وولدي ، ويسر اجتماعنا ، وأعدروض الانس زاهراً ، وربع القرب عامراً ، وفلفل العزا وبرج الجفا ، قال : فسمعت قائلًا على شاطئ الفرات يقول : نعم نعم ، فقلت : هذا رجل يخاطب آخر ، ثم أخذت في السؤال والابتهال ، فسمعت ذلك الصائح يقول : إلى الحول إلى الحول ، فقلت : إنه هاتف أنطقه الله بما جرى الأمر عليه ، وكان كذلك ، خرج من داره في ذى القعدة من هذه السنة ، ورجع إليها في ذى القعدة من السنة المقبلة ، وقد قال الخليفة القائم بأمر الله في مدة مقامه بالحديثة شعراً يذكر فيه حاله فنه :

سأنت ظنوني فيمن كنت آملهُ \* ولم يجمل ذكر من واليت في خلدي  
تعدوا من صروف الدهر كاهم \* فما أرى أحداً يجنو على أحبر  
فأرى من الأيام إلا موعداً \* ففتى أرى ظفري بذلك الموعد  
يومى يمر وكلمة قضيتهُ \* عللت نفسي بالحديث إلى غد  
أقبح بنفسٍ تستريح إلى المنى \* وعلى مطامعها تروح وتفتدى

وأما البساسيري وما اعتمده في بغداد : فإنه ركب يوم عيد الأضحى وألبس الخطباء والمؤذنين البياض ، وكذلك أصحابه ، وعلى رأسه الألوية المصرية ، وخطب للخليفة المصرى ، والروافض فى غاية السرور ، والأذان بسائر العراق يحي على خير العمل ، وانتقم البساسيري من أعيان أهل بغداد انتقاماً عظيماً ، وغرق خلقاً ممن كان يعاديه ، وبسط على آخرين الأرزاق ممن كان يحبه ويواليه ، وأظهر العدل . ولما كان يوم الاثنين ليلتين بقينا من ذى الحجة أحضر إلى بين يديه الوزير ابن المسلمة الملقب رئيس الرؤساء ، وعليه جبة صوف ، وطرطور من لبد أحمر ، وفي رقبته مخنقة من جلود كالتعاويد ، فأركب جملاً أحمر وطيف به فى البلد ، وخلفه من يصنعه بقطعة جلد ، وحين اجتاز بالكرخ نثروا عليه خلقان المداسات ، وبصقوا فى وجهه ولعنوه وسبوه ، وأوقف بازاء دار الخلافة وهو

في ذلك ينلو قوله تعالى [ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمزج من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ] ثم لما فرغوا من النطواف به جئ به إلى المسكر فألبس جلد ثور بقرنيه ، وعلق بكأوب في شذقيه ، ورفع إلى الخشبة ، فجعل يضطرب إلى آخر النهار فات رحمه الله . وكان آخر كلامه أن قال : الحمد لله الذي أحياني سعيدا ، وأماتني شهيدا . وفيها وقع برد بأرض العراق أهلك كثيرا من الغلات ، وقتل بعض الفلاحين ، وزادت دجلة زيادة كثيرة ، وزلزلت ببغداد في هذه السنة قبل الفتننة بشهر زلزالا شديدا ، قهدمت دور كثيرة ، ووردت الأخبار أن هذه الزلزلة اتصت بهمدان وواسط ، وتكريت ، وعانة ، وذكر أن الطواحين وقفت من شدتها . وفيها كثر النهب ببغداد حتى كانت العمائم تخطف عن الرؤس ، وخطفت عمامة الشيخ أبي نصر بن الصباغ ، وطيلسانه وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة .

وفي أواخر السنة خرج السلطان طغرل بك من همدان فقاتل أخاه وانتصر عليه ، وفرح الناس وتباشروا بذلك ، ولم يظهروا ذلك خوفا من البساسيري ، واستنجد طغرل بك بأولاد أخيه داود - وكان قد مات - على أخيه إبراهيم فغلبوه وأسروه في أوائل سنة إحدى وخمسين ، واجتمعوا على عمهم طغرل بك ، فسار بهم نحو العراق ، فكان من أمرهم ما سيأتي ذكره في السنة الآتية إن شاء الله . وفيها توفي من الأعيان .

الحسن بن محمد أبو عبدالله الوثبي

الفرضي ، وهو شيخ الحربي ، وكان شافعي المذهب ، قتل في بغداد في فتننة البساسيري ، ودفن في يوم الجمعة يوم عرفة منها .

داود اخو طغرل بك

أبو الطيب الطبري

الفتية ، شيخ الشافعية ، طاهر بن عبدالله بن طاهر بن عمر ، ولد بآمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، سمع الحديث بمرجان من أبي أحمد الغطريفي ، وبتيسابور من أبي الحسن الماسرجسي ، وعليه درس الفقه أيضاً وعلى أبي علي الزجاجي ، وأبي القاسم بن كنج ، ثم اشتغل ببغداد على أبي حامد الاسفرايني ، وشرح المختصر وفرغ ابن الحداد ، وصنف في الأصول والجدل ، وغير ذلك من العلوم الكثيرة النافعة ، وسمع ببغداد من الدارقطني وغيره ، وولى القضاء بربيع الكرخ بعد موت أبي عبد الله الصيمري ، وكان ثقة دينا ورعا ، عالما بأصول الفقه وفروعه ، حسن الخلق سليم الصدر مواظبا على تعليم العلم ليلا ونهارا . وقد ترجمته في طبقات الشافعية ، وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي عنه - وكان شيخه ، وقد أجلسه بعده في الحلقة - أن أبا الطيب أسلم خفا له - وكان متقللا من الدنيا فقيرا - عند خفاف ليصلحه له فأبطأ عليه فكان كلما مر عليه أخذته فغمسه في الماء وقال : أيها الشيخ الساعة

أصلحه ، فقال الشيخ : أسلمته لتصاحبه ولم أسلمه لتعلمه السباحة . وحكى ابن خلكان أنه كان له ولأخيه عمامة واحدة ، وقيص واحد ، إذا لبسهما هذا جلس الآخر في البيت لا يخرج منه ، وإذا لبسهما هذا احتاج الآخر أن يقعد في البيت ولا يخرج منه ، وإذا غسلهما جلسا في البيت إلى أن يببسا وقد قال في ذلك أبو الطيب :

قومٌ إذا غسلوا ثيابَ جملهم \* لبسوا البيوتَ إلى فراغِ الغاسل  
وقد توفي في هذه السنة عن مائة سنة وستين ، وهو صحيح العقل ، والفهم ، والاعضاء ، يفنى ويشتمل إلى أن مات ، وقد ركب مرة سفينة فلما خرج منها قفز قفزة لا يستطيعها الشباب فقيل له : ما هذا يا أبا الطيب ؟ فقال : هذه أعضاء حفظناها في الشبيبة تنفعنا في الكبر رحمه الله .

### القاضي الماوردي

صاحب الحاوي الكبير ، علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردي البصري ، شيخ الشافعية ، صاحب التصانيف الكثيرة في الأصول والفروع والتفسير والأحكام السلطانية ، وأدب الدنيا والدين . قال : بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة ، يعني الاقتناع . وقد ولي الحكم في بلاد كثيرة ، وكان حليماً وقوراً أديباً ، لم ير أصحابه ذراعاً يوماً من الدهر من شدة تجرزه وأدبه ، وقد استقصيت ترجمته في الطبقات ، توفي عن ست وثمانين سنة ، ودفن بباب حرب  
رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة

علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر ، وزير القائم بأمر الله ، كان أولاً قد جمع الحديث من أبي أحمد الفرضي وغيره ، ثم صار أحد الممدلين ، ثم استكتبه القائم بأمر الله واستوزره ، ولقبه رئيس الرؤساء ، شرف الوزراء ، جمال الوزراء ، كان متضلماً بعلوم كثيرة مع سداد رأى ، ووفور عقل ، وقد مكث في الوزارة ثنقى عشرة سنة وشهراً ، ثم قتله البساسيري بعد ما شهره كما تقدم ، وله من العمر ثلثان وخمسون سنة وخمسة أشهر .

### منصور بن الحسين

أبو الفوارس الأسدي ، صاحب الجزيرة ، توفي فيها وأقاموا ولده بعده .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة

استهلت هذه السنة وبنداد في حكم البساسيري ، بخطب فيها لصاحب مصر الفاطمي ، والخليفة العباسي بمحديثة عانة ، ثم لما كان يوم الاثنين ثاني عشر صفر أحضر القضاة أبا عبد الله الدامغاني وجماعة من الوجوه والأعيان والأشراف ، وأخذ عليهم البيعة لصاحب مصر المستنصر الفاطمي ، ثم دخل دار الخلافة وهؤلاء المذكورون معه وأمر بنقض تاج دار الخلافة ، فنقض بعض الشراريف ، ثم



قيل له إن التبيح في هذا أكثر من المصلحة . فتركه ، ثم ركب إلى زيارة المشهد بالكوفة ، وعزم على عبور نهر جعفر ليسوق إلى الحائر لوفاء نذر كان عليه ، وأمر بأن تنقل جثة ابن مسلمة إلى ما يقارب الحرم الظاهري ، وأن تنصب على دجلة . وكتبت إليه أم الخليفة - وكانت عجوزاً كبيرة قد بلغت التسعين وهي مختفية في مكان - تشكو إليه الحاجة والفقر وضيق الحال ، فأرسل إليها من نقلها إلى الحرم ، وأخدها جاريتين ، ورتب لها كل يوم اثني عشر رطلا من خبز ، وأربعة أرتال من لحم .

### قصصنا

ولما خلاص السلطان طغرل بك من حصره بهمدان وأسر أخاه إبراهيم وقتله ، وتمكن في أمره ، وطابت نفسه ، ولم يبق له في تلك البلاد منازع ، كتب إلى قريش بن بدران يأمره بأن يعيد الخليفة إلى وطنه ، وداره وتوعده على أنه إن لم يفعل ذلك وإلا أحل به بأساً شديداً ، فكتب إليه قريش يتلطف به ويدخل عليه ، ويقول : أنا معك على البساسيري بكل ما أقدر عليه ، حتى يمكنك الله منه ، ولكن أخشى أن أتسرع في أمر يكون فيه على الخليفة مفسدة ، أو تبدر إليه بادرة سوء يكون على عارها ، ولكن سأعمل على ما أمرتني به بكل ما يمكنني ، وأمر برد امرأة الخليفة خاتون إلى دارها وقرارها ، ثم إنه راسل البساسيري بعود الخليفة إلى داره ، وخوفه من جهة الملك طغرل بك ، وقال له فيما قال : إنك دعوتنا إلى طاعة المستنصر الفاطمي ، وبيننا وبينه ستمائة فرسخ ، ولم يأتنا رسول ولا أحد من عنده ، ولم يفكر في شيء مما أرسلنا إليه ، وهذا الملك من ورائنا بالمرصاد ، قريب منا ، وقد جاءني منه كتاب عنوانه : إلى الأمير الجليل علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران ، مولى أمير المؤمنين ، من شاهنشاه المعظم ملك المشرق والمغرب طغرل بك ، أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سلاجوق ، وعلى رأس الكتاب العلامة السلطانية بخط السلطان . حسبي الله ونعم الوكيل . وكان في الكتاب : والآن قد سرت بنا المقادير إلى هلاك كل عدو في الدين ، ولم يبق علينا من المهمات إلا خدمة سيدنا ومولانا القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، وإطلاع أهبة إمامته على سرير عزه ، فان الذي يلزمننا ذلك ، ولا فسحة في التصير فيه ساعة من الزمان ، وقد أقبلنا بمجنود المشرق وخبولها إلى هذا المهم العظيم ، ونريد من الأمير الجليل علم الدين إيانة النجاح الذي وفق له وتفرد به ، وهو أن يتم وفاءه من إقامته وخدمته ، في باب سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، إما أن يأتي به مكرماً في عزه وإمامته إلى ووقف خلافته من مدينة السلام ، ويتمثل بين يديه متولياً أمره ومنفذاً حكمه ، وشاهراً سيفه وقلبه ، وذلك المراد ، وهو خليفتنا وتلك الخدمة بعض ما يجيب له ، ونحن نوليك الدراق بأسرها ونصفي لك مشارع برها وبحرها ، لا يطاؤها حافر خيل من خيول المعجم

شيراً من أراضي تلك المملكة ، لإلمتسماً لمعاونتكم ومظاهرتك ، وإما أن تحافظ على شخصه الغالى بنحو يله من القاعة إلى حين نحظى بخدمته ، فليمثل ذلك ويكرن الأمير الجليل مخيراً بين أن يلقانا أو يقيم حيث شاء فنولية العراق كلها ، ونستخلفه في الخدمة الامامية ، ونصرف أعيننا إلى الممالك الشرقية ، فممتنا لا تقتضى إلا هذا .

فعمد ذلك كتب قريش إلى مهارش بن مجلى الذى عنده الخليفة يقول له : إن المصلحة تقتضى تسليم الخليفة إلى ، حتى آخذلى ولك به أماناً ، فامتنع عليه مهارش وقال قدغرنى البساسيرى ووعدى بأشياء لم أرها ، ولست بمرسله إليك أبداً ، وله فى عنق أيمان كثيرة لأغدرها ، وكان مهارش هذا رجلاً صالحاً ، فقال للخليفة : إن المصلحة تقتضى أن نسير إلى بلد بدر بن مهامل ، وننظر ما يكون من أمر السلطان طغرلبك ، فان ظهر دخلنا ببغداد ، وإن كانت الأخرى انظرنا لأنفسنا ، فانى أخشى من البساسيرى أن يأتينا فيحضرنا . فقال له الخليفة : افعل ما فيه المصلحة . فساروا فى الحادى عشر من ذى القعدة إلى أن حصلوا بقلعة تل عكبرا ، فنلقته رسل السلطان طغرلبك بالهدايا التى كان أنفذاها ، وجاءت الأخبار بأن السلطان طغرلبك قد دخل بغداد ، وكان يوماً مشهوداً ، غير أن الجيش نهبوا البلد غير دار الخليفة ، وصوردر خلق كثير من التجار ، وأخذت منهم أموال كثيرة ، وشرعوا فى عمارة دار الملك ، وأرسل السلطان إلى الخليفة مراكب كثيرة من أنواع الخيول وغيرها ، وسرادق وملابس ، وما يليق بالخليفة فى السفر ، أرسل ذلك مع الوزير عميد الملك الكندرى ، ولما انتموا إلى الخليفة أرسلوا بتلك الآلات إليه قبل أن يصلوا إليه ، وقالوا : اضربوا السرادق ولبس الخليفة ما يليق به ، ثم نجىء نحن ونستأذن عليه فلا يأذن لنا إلا بعد ساعة طويلة ، فلما فعلوا ذلك دخل الوزير ومن معه فقبلوا الأرض بين يديه ، وأخبروه بسرور السلطان بسلامته ، وبما حصل من العود إلى بغداد ، وكتب عميد الملك كتاباً إلى السلطان يله بصفة ماجرى ، وأحب أن يضع الخليفة علامته فى أعلا الكتاب ليكون أقر لهين السلطان ، وأحضر الوزير دواته ومعها سيف وقال : هذه خدمة السيف والقلم ، فأعجب الخليفة ذلك ، وترحلوا من منزلهم ذلك بعد يومين ، فلما وصلوا النهران خرج السلطان لتلقى الخليفة ، فلما وصل السلطان إلى سرادق الخليفة قبل الأرض سبع مرات بين يدي الخليفة ، فأخذ الخليفة محدة فوضها بين يديه فأخذها الملك فقبلها ، ثم جلس عليها كما أشار الخليفة ، وقدم إلى الخليفة الحبل الباقوت الأحمر الذى كان لبنى بويه ، فوضه بين يديه ، وأخرج اثنتى عشرة حبة من لؤلؤ كبار ، وقال أرسلان خاتون - يعنى زوجة الملك - تخدم الخليفة ، وسأله أن يسبح بهذه المسبحة ، وجعل يمتد من تأخره عن الحضرة بسبب عصيان أخيه فقتله ، وانفق موت أخى الأكبر أيضاً ، فاشتغلت بترتيب أولاده من بعده ، وأنا شاكر لمهارش بما كان منه من خدمة

أمير المؤمنين ، وأنا ذاهب إن شاء الله خلف الكلب البساسيري ، فأقبله إن شاء الله ، ثم أدخل الشام وأقبل بصاحب مصر ما ينبغي أن يجازى به من سوء المقابلة ، فدعاه الخليفة ، وأعطى الخليفة للملك سيفاً كان معه ، لم يبق معه من أمور الخلافة سواه ، واستأذن الملك لبقية الجيش أن يخدموا الخليفة ، فرفعت الأستار عن جوانب الحركات ، فلما شاهد الأتراك الخليفة قبلوا الأرض ، ثم دخلوا بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من ذى القعدة ، وكان يوماً مشهوداً : الجيش كله معه والقصة والأعيان والسلطان آخذ بالجام بقلته ، إلى أن وصل باب الحجرة ، ثم إنه لما وصل الخليفة إلى دار مملكته استأذنه السلطان في الذهاب وراء البساسيري ، فأرسل جيشاً من ناحية الكوفة ليعنوه من الدخول إلى الشام ، وخرج هو والناس في التاسع والعشرين من الشهر . وأما البساسيري فإنه مقبم بواسط في جمع غلات وأموار يهبها لقتال السلطان ، وعنده أن الملك طغربك ومن عنده ليسوا بشيء يخاف منه ، وذلك لما يريد الله تعالى من إهلاكه إن شاء الله .

#### مقتل البساسيري على يدي السلطان طغربك

لما سار السلطان وراءه وصات السرية الأولى فلقوه بأرض واسط ومعه ابن مزيد ، فاقنتلوا هنالك وانهمزم أصحابه عنه ، ونجا البساسيري بنفسه على فرس ، فتبعه بعض الغلمان فرمى فرسه بنشابة فألقته إلى الأرض ، فجاء الغلام فضر به على وجهه ولم يعرفه ، وأسره واحد منهم يقال له كسكين ، فحز رأسه وحمله إلى السلطان ، وأخذت الأتراك من جيش البساسيري من الأموال ما همجوا عن حمله ، ولما وصل الرأس إلى السلطان أمر أن يذهب به إلى بغداد ، وأن يرفع على رمح ، وأن يطاف به في المحال وأن يطوف معه الدباب والبقوات والنفاطون ، وأن يخرج الناس والنساء للفرجة عليه ، ففعل ذلك ، ثم نصب على الطيارة نجا دار الخليفة ، وقد كان مع البساسيري خلق من البغادة خرجوا معه ، ظانين أنه سيعود إلى بغداد ، فهلكوا ونهبت أموالهم ، ولم ينج من أصحابه إلا القليل ، وفر ابن مزيد في ناس قليل إلى البطيحة ، ومعه أولاد البساسيري وأمههم ، وقد سلبتهم الأعراب فلم يتركوا لهم شيئاً . ثم استؤمن لابن مزيد من السلطان ودخل معه بغداد ، وقد نهبت المساكن ما بين واسط والبصرة والأهواز ، وذلك لكثرة الجيش وانتشاره وكثافته . وأما الخليفة فإنه حين عاد إلى دار الخلافة جعل لله عايه أن لا ينام على وطاء ولا يأتيه أحد يطعم إذا كان صائماً ، ولا يخدمه في وضوئه وغسله أحد ، بل يتولى ذلك كله بنفسه لنفسه ، وعاهد الله أن لا يؤذى أحداً ممن آذاه ، وأن يصنع عن من ظلمه ، وقال : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وفيها تولى الملك ألب أرسلان بن داود بن ميكايل بن ساجوق بلاد حران بعد وفاة أبيه ، بتقر برعمه طغربك ، وكان له من الأخوة سليمان وقاروت بك ، وياقوتى ، فتزوج طغربك بام سليمان .

وفيهما كان بمكة رخص لم يسمع بمثله ، بيع النمر والبركل مائتي رطل بدينار . ولم يبحج أحد من أهل العراق فيها

ترجمة أرسلان أبو الحارس البساسيري التركي

كان من مماليك بهاء الدولة ، وكان أولاً مملوكاً لرجل من أهل مدينة بسا ، فنسب إليه فقيل له البساسيري ، وتلقب بالملك المظفر ، ثم كان مقدماً كبيراً عند الخليفة القائم بأمر الله ، لا يقطع أمراً دونه ، وخطب له على منابر العراق كلها ، ثم طغى وبنى وتمرد ، وعتا وخرج على الخليفة والمسلمين ودعا إلى خلافة الفاطميين ، ثم انقضى أجله في هذه السنة ، وكان دخوله إلى بغداد بأهله في سادس ذى القعدة من سنة خمسين وأربعمائة ، ثم اتفق خروجه منها في سادس ذى القعدة أيضاً من سنة إحدى وخمسين ، بعد سنة كاملة ، ثم كان خروج الخليفة من بغداد في يوم الثلاثاء الثاني عشر من كانون الأول ، واتفق قتل البساسيري في يوم الثلاثاء الثامن عشر من كانون الأول ، بعد سنة شمسية ، وذلك في ذى الحجة منها .

الحسن بن الفضل

أبو علي الشرمقاني المؤدب المقرئ الحافظ للقرآن والقراءات ، واختلافها ، كان ضيق الحال فرآه شيخه ابن العلاف ذات يوم وهو يأخذ أوراق الخس من دجلة ويأكلها ، فأعلم ابن المسلمة بحاله ، فأرسل ابن المسلمة غلاماً له وأمره أن يذهب إلى الخزانة التي له بمسجده فيتخذ لها مفتاحاً غير مفتاحه ، ثم كان كل يوم يضع فيها ثلاثة أرطال من خبز السميد ، ودجاجة ، وحلاوة السكر ، فظن أبو علي الشرمقاني أن ذلك كرامة أكرمه الله بها ، وأن هذا الطعام الذي يجده في خزانته من الجنة ، فكتمه زماناً وجعل ينشد :

من أطلعه على سرِّ فباح به \* لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وأبدوه فلم يظفّر بقرهم \* وأبدلوه فكان الأئس إباحا

فلما كان في بعض الأيام ذا كره ابن العلاف في أمره ، وقال له فيما قال : أراك قد سمحت فما هذا الأمر ، وأنت رجل فقير ؟ فجعل يلوح ولا يصرح ، ويكتئب ولا يفتح ، ثم ألح عليه فأخبره أنه يجد كل يوم في خزانته من طعام الجنة ما يكفيه ، وأن هذا كرامة أكرمه الله بها ، فقال له : ادع لابن المسلمة فإنه الذي يفعل ذلك ، وشرح له صورة الحال ، فكسره ذلك ولم يعجبه .

علي بن محمود بن إبراهيم بن ماجره

أبو الحسن الروزني ، شيخ الصوفية ، وإليه ينسب الرباط الروزني ، وقد كان بنى لأبي الحسن شيخه ، وقد صحب أبا عبد الرحمن السلمي ، وقال : صحبت ألف شيخ ، وأحفظ عن كل شيخ حكاية توفي في رمضان عن خمس وثمانين سنة .

### محمد بن علي

ابن الفتح بن محمد بن علي بن أبي طالب الحرابي ، المعروف بالمشاري ، لطول جسده ، وقد سمع الدارقطني وغيره ، وكان ثقة ديناً صالحاً ، توفي في جمادى الأولى منها ، وقد نيف على الثمانين

### الوئي القرضي

الحسين بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله الوئي ، نسبة إلى ون قرية من أعمال جهستان ، الفرضي شيخ الحرابي ، وهو أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم ، كان الوئي إماماً في الحساب والفرائض ، وانتفع الناس به ، توفي فيها بيعة شهاداً في فتنة البساسيري والله أعلم .

### ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة

في يوم الخميس السابع عشر من صفر ، دخل السلطان بغداد مرجعه من واسط ، بعد قتل البساسيري ، وفي يوم الحادي والعشرين بن جاس الخليفة في داره وأحضر الملك طغرل بك ، ومدسهاط عظيمًا فأكل الأمراء منه والعامّة ، ثم في يوم الخميس ثاني ربيع الأول عمل السلطان سباطاً للناس ، وفي يوم الثلاثاء تاسع جمادى الآخرة قدم الأيرعة الدين أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله . وعمته ، وله من العمر يومئذ أربع سنين ، صحبة أبي الغنائم ، فنلقاه الناس إجلالاً بلده ، وقد ولي الخلافة بعد ذلك ، وصمى المقتدى بأمر الله . وفي رجب وقف أبو الحسن محمد بن هلال العتابي دار كتب ، وهي دار بشارع ابن أبي عوف من غربى بغداد ، ونقل إليها ألف كتاب ، عوضاً عن دار ازدشير التي أحرقت بالكرخ . وفي شعبان ملك محمود بن نصر حلب وقلعتها فامتدحه الشعراء . وفيها ملك عطية بن مرداس الرحبة ، وذلك كله منتزع من أيدي الفاطميين . ولم ينج أحد من أهل العراق فيها ، غير أن جماعة اجتمعوا إلى الكوفة وذهبوا مع الخفراء .

### أبو منصور الجيلي

ومن توفي فيها من الأعيان .  
من تلاميذ أبي حامد ، ولي القضاء بباب الطاق . وبحريم دار الخلافة ، وسمع الحديث من جماعة . قال الخطيب : وكتبنا عنه وكان ثقة .

### الحسن بن محمد

ابن أبي الفضل أبو محمد النسوي ، الوالي ، وسمع الحديث ، وكان ذكياً في صناعة الولاية ، ومعرفة التهم والمتهومين من الغرماء ، بلطيف من الصنيع ، كما نقل عنه أنه أوقف بين يديه جماعة اتهموا بسرقة فأثنى بكوز يشرب منه ، فرمى به فانزعج الواقفون إلا واحداً ، فأصر به أن يقرر ، وقال السارق يكون جريماً قوياً ، فوجد الأمر كذلك ، وقد قتل مرة رجلاً في ضرب بين يديه فأدعى عليه عند القاضي أبي الطيب ، فحك عليه بالقصاص ، ثم فادى عن نفسه بمال جزيل حتى خلس .

### محمد بن عبيد الله

ابن أحمد بن محمد بن عروس ، أبو الفضل البزار ، انتهت إليه رئاسة الفقهاء المالكيين ببغداد ، وكان من القراء المجيدين ، وأهل الحديث المسندين ، سمع ابن حبانة والمخاض وابن شاهين ، وقد قبل شهادته أبو عبد الله الدامغانى ، وكان أحد المعدلين .

### قطر الندى

ويقال الدجى ، ويقال علم ، أم الخليفة القائم بأمر الله ، كانت عجوزاً كبيرة ، بلغت التسعين ، وهى التى احتاجت فى زمان البساسيرى فأجرى عليها رزقا ، وأخذها جاريتين ، ثم لم تمت حتى أقر الله عينها بولدها ، ورجوعه إليها ، واستمر أمرهم على ما كانوا عليه ، ثم توفيت فى هذه السنة ، فحضر ولدها الخليفة جنازتها ، وكانت حافلة جدا .

### ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة

فبها خطب الملك طغرل بك ابنة الخليفة ، فانزعج الخليفة من ذلك ، وقال : هذا شئ لم يجر العادة بمثله ، ثم طاب شئنا كثيرا كهيئة الفرار . من ذلك ما كان لزوجه التى توفيت من الاقطاعات بأرض واسط ، وثلثمائة ألف دينار ، وأن يقيم الملك ببغداد لا يرحل عنها ولا يوماً واحداً ، فوقع الاتفاق على بعض ذلك ، وأرسل إليها بمائة ألف دينار مع ابنة أخيه داود زوجة الخليفة ، وأشياء كثيرة من آنية الذهب والفضة ، والنار والجوارى ، ومن الجواهر ألوان ومائتى قطعة ، من ذلك سبعمائة قطعة من جواهر ، ووزن القطعة ما بين الثلاث مثاقيل إلى المنقال ، وأشياء أخرى . فتمنع الخليفة لفوات بعض الشروط ، فغضب عميد الملك الوزير لخدمته السلطان ، وجرت شروط طويلة اقتضت أن أرسل السلطان كتاباً يأمر الخليفة بانزعج ابنة أخيه السيدة أرسلان خاتون ، ونقلها من دار الخلافة إلى دار الملك ، حتى تنفصل هذه القضية ، فعزم الخليفة على الرحيل من بغداد ، فانزعج الناس لذلك ، وجاء كتاب السلطان إلى رئيس شحنة بغداد برشق يأمره بعدم المراقبة وكثرة العسف فى مقابلة رد أصحابه بالحرمان ، ويعزم على نقل الخاتون إلى دار المملكة ، وأرسل من يحملها إلى البلد التى هو فيها ، كل ذلك غضباً على الخليفة . قال ابن الجوزى : وفى رمضان منها رأى إنسان من الزمنى رسول الله (ص) فى المنام وهو قائم ومعه ثلاثة أنفس ، فجاءه أحدهم فقال له : ألا تقوم ؟ فقال : لا أستطيع ، أنا رجل مقعد ، فأخذ بيده فقال قم فقام وانتبه . فاذا هو قد برأ وأصبح يمشى فى حوائجه . وفى ربيع الآخر استوزر الخليفة أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست الأهوازى ، وخلع عليه وجلس فى مجلس الوزارة . وفى جمادى الآخرة لليلتين بقيتا منه كسفت الشمس كسوفاً عظيماً ، جميع القرص غاب ، فمكث الناس أربع ساعات حتى بدت النجوم وآوت الطيور إلى أوكارها ، وتركت الطيران

لشدة الظلمة . وفيها ولي أبو تميم بن معز الدولة بلاد إفريقية . وفيها ولي ابن نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي ديار بكر . وفيها ولي قریش بن بدران بلاد الموصل ونصيبين . وفيها خلع على طراد ابن محمد الزينبي الملقب بالكامل نقابة الطالبين ، ولقب المرتضى . وفيها ضمن أبو إسحاق بن علاء اليهودي ، ضياع الخليفة من صرصر إلى أوائى ، كل سنة ستة وثمانين ألف دينار ، وسبع عشرة ألف كر من غلة . ولم يحج أحد من أهل العراق هذه السنة .

ومن توفى فيها من الأعيان . **أحمد بن مروان**

أبو نصر الكردي ، صاحب بلاد بكر وميا فارقين ، لقبه القادر نصر الدولة ، وملك هذه البلاد ثنتين وخمسين سنة ، وتنعم تنعم لم يقع لأحد من أهل زمانه ، ولا أدركه فيه أحد من أقرانه ، وكان عنده خمسمائة سرية سوى من يخدهم ، وعنده خمسمائة خادم ، وكان عنده من المغنيات شئ كثير كل واحدة مشتراها خمسة آلاف دينار ، وأكثر ، وكان يحضر في مجلسه من آلات اللهو والأوائى ما يساوى مائتي ألف دينار ، وتزوج بعدة من بنات الملوك ، وكان كثير المهادة للملوك ، إذا قصده عدو أرسل إليه بمقدار ما يصلح به ، فيرجع عنه .

وقد أرسل إلى الملك طغرل بك بهدية عظيمة حين ملك العراق ، من ذلك حبل من ياقوت كان لبني بويه اشتراه منهم بشئ كثير ، ومائة ألف دينار ، وغير ذلك ، وقد وزر له أبو القاسم المغربي مرتين ، ووزر له أيضاً أبو نصر محمد بن محمد بن جبير ، وكانت بلاده آسن البلاد ، وأطيبها وأكثرها عدلا ، وقد بلغه أن الطيور تجوع فتجتمع في الشتاء من الجبوب التي في القرى فيصطادها الناس ، فأمر بفتح الأهرام وإلقاء ما يكفئها من الغلات في مدة الشتاء ، فكانت تكون في ضيافته طول الشتاء مدة عمره ، توفى في هذه السنة وقد قارب الثمانين . قال ابن خلكان : قال ابن الأزرقي في تاريخه : إنه لم يصادر أحداً من رعيته سوى رجل واحد ، ولم تقنه صلاة مع كثرة مباشرته للذات ، وكان له ثلاثمائة وستون حظية ، يبيت عند كل واحدة ليلة في السنة ، وخلف أولاداً كثيرة ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى في التاسع والعشرين من شوال منها .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة

فيها وردت الكتب الكثيرة من الملك طغرل بك يشكو من قلة إنصاف الخليفة ، وعدم موافقته له ، ويذكر ما أسداه إليه من الخير والنعم إلى ملوك الأطراف ، وقاضى للقضاة الدامغاني ، فلما رأى الخليفة ذلك ، وأن الملك أرسل إلى نوابه بالاحتياط على أموال الخليفة ، كتب إلى الملك يجيبه إلى ما سأل ، فلما وصل ذلك إلى الملك فرح فرحاً شديداً ، وأرسل إلى نوابه أن يطلقوا أملاك الخليفة ، واتفقت الكلمة بعد أن كادت تتفرق ، فوكل الخليفة في العقد . فوقع العقد بمدينة تبريز بحضور

الملك طغرل بك ، وعمل سباطاً عظيماً ، فلما جرى بالوكالة قام لها الملك وقبل الأرض عند رؤيتها ، ودعا للخليفة دعاء كثيراً ، ثم أوجب المقدم على صدق أربع مائة ألف دينار ، وذلك في يوم الخميس الثالث عشر من شعبان من هذه السنة ، ثم بث ابنة أخيه الخاتون زوجة الخليفة في شوال بتحف كثيرة ، وجوهر وذهب كثير ، وجواهر عديدة ثمينة ، وهدايا عظيمة لأُم العروس وأهلها ، وقال الملك جهرة للناس : أنا عبد الخليفة ما بقيت ، لا أملك شيئاً سوى ما على من الثياب . وفيها عزل الخليفة وزيره واستوزر أبا نصر محمد بن محمد بن جبير ، استقدمه من ميفارقين . وفيها عم الرخص جميع الأرض حتى يبيع بالبصرة كل ألف رطل تمر بنان قراريط ، ولم يمحج فيها أحد .

ومن توفي فيها من الأعيان **ثمال بن صالح**

موز الدولة ، صاحب حلب ، كان حليماً كريماً وقوراً . ذكر ابن الجوزي أن الفراه قد تقدم إليه ليفسّل يده فصدمت ببلدة الأبريق ثنيته فسقطت في الطست ، فمعا عنه **الحسن بن علي بن محمد**

أبو محمد الجوهري ، ولد في شعبان سنة ثلاث وستين ، وسمع الحديث على جماعة ، وتفرد بمشايخ كثيرين ، منهم أبو بكر بن مالك القطيعي ، وهو آخر من حدث عنه ، توفي في ذي القعدة منها **الحسين بن أبي يزيد**

أبو علي الديباغ . قال رأيت رسول الله (ص) في المنام . قلت : يا رسول الله ادع الله أن يميتني على الإسلام . فقال : وعلى السنة **سعد بن محمد بن منصور**  
أبو المحاسن الجرجاني ، كان رئيساً قديماً ، وجه رسولاً إلى الملك محمود بن سبكتكين في حدود سنة عشر ، وكان من الفقهاء العلماء ، تخرج به جماعة ، وروى الحديث عن جماعة ، وعقد له مجلس المناظرة ببلدان كثيرة ، وقتل ظلماً باستراياذ في رجب منها رحمه الله تعالى .  
ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة

فيها دخل السلطان طغرل بك بغداد ، وعزم الخليفة على تلقيه ، ثم ترك ذلك وأرسل وزيره أبا نصر عوضاً عنه ، وكان من الجيش أذية كثيرة للناس في الطريق ، وأعرضوا للحريم حتى هجموا على النساء في الحمامات ، فخلصن منهم العامة بعد جهد فأنالله وإنا إليه راجعون .

**دخول الملك طغرل بك علي بنت الخليفة**

لما استقر السلطان ببغداد أرسل وزيره عميد الملك إلى الخليفة يطالبه بنقل ابنته إلى دار المملكة فتمنع الخليفة من ذلك وقال : إنكم إنما سأتم أن يعقد المقدم فقط بمحصول التشریف والتزمت لها بعدد المطالبة ، فتردد الناس في ذلك بين الخليفة والملك ، وأرسل الملك زيادة على النقد مائة ألف دينار



ومائة وخمسين ألف درهم ، وتحفاً آخر ، وأشياء لطيفة ، فلما كان ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر زفت السيدة ابنة الخليفة إلى دار المملكة ، فضربت لها السراقات من دجلة إلى دار المملكة ، وضربت الدباب والبوقات عند دخولها إلى الدار ، فلما دخلت أجلس على سرير مكلل بالذهب ، وعلى وجهها برقع ، ودخل الملك طغربك فوقف بين يديها قبيل الأرض ، ولم تقم له ولم تره ، ولم يجاس حتى انصرف إلى صحن الدار ، والحجاب والأترك برقصون هناك فرحاً وسروراً ، وبعث لها مع الخاتون زوجة الخليفة عقدين فاخرين ، وقطعة يا قوت حمراء ، كبيرة هائلة ، ودخل من الغد قبيل الأرض وجلس على سرير مكلل بالفضة بازائها ساعة ، ثم خرج وأرسل لها جواهر كثيرة ثمينة وفرجية نسج بالذهب مكلل بالحب ، وما زال كذلك كل يوم يدخل ويقبل الأرض ويجلس على سرير بازائها ، ثم يخرج عنها ويبعث بالتحف والهدايا ، ولم يكن منه إليها شيء ، مقدار سبعة أيام ، ويمد كل يوم من هذه الأيام السبعة سماً هائلاً ، وخلع في اليوم السابع على جميع الأمراء ، ثم عرض له سفر واعتراه مرض فاستأذن الخليفة في الانصراف بالسيدة معه إلى تلك البلاد ، ثم يعود بها ، فأذن له بعد تمتع شديد ، وحزن عظيم ، فخرج بها وليس معها من دار الخلافة سوى ثلاث نسوة ، برسم خدمتها ، وقد تأملت والدتها لفقدها ألماً شديداً ، وخرج السلطان وهو مريض مدنف مأبوس منه ،

فلما كانت ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان جاء الخبر بأنه توفي في ثامن الشهر ، فنار العيارون فقتلوا العميدى وسبعمائة من أصحابه ، ونهبوا الأموال ، وجعلوا يأكلون ويشربون على القتل نهاراً ، حتى انسلخ الشهر وأخذت البيعة بعده لولد أخيه سليمان بن داود ، وكان طغربك قد نص عليه وأوصى إليه ، لأنه كان قد تزوج بأمه ، واتفقت الكلمة عليه ، ولم يبق عليه خوف إلا من جهة أخى سليمان ، وهو الملك عضد الدولة ألب أرسلان ، محمد بن داود ، فان الجيش كانوا يميون إليه ، وقد خطب له أهل الجبل ومعه نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق وزيره ، ولما رأى الكندرى قوة أمره خطب له بالرى ، ثم من بعده لأخيه سليمان بن داود .

وقد كان الملك طغربك حليماً كثير الاحتمال ، شديد الكتمان للسر ، محافظاً على الصلوات ، وعلى صوم الاثنين والخميس ، مواظباً على لبس البياض ، وكان عمره يوم مات سبعين سنة ، ولم يترك ولداً ، وملك بمحضرة القائم بأمر الله سبع سنين وإحدى عشر شهراً ، واثني عشر يوماً ، ولما مات اضطربت الأحوال وانتقضت بعده جداً ، وعانت الأعراب في سواد بغداد وأرض العراق ، ينيهون ، وتمذرت الزراعة إلا على المخاطرة ، فانزعج الناس لذلك .

وفيها كانت زلزلة عظيمة بواسطة أرض الشام ، فهدمت قطعة من سور طرابلس . وفيها وقع بالناس موتان بالجدري والفتحة ، ووقع بمصر وباء شديد ، كان يخرج منها كل يوم ألف جنازة . وفيها

ملك الصليحي صاحب اليمن مكة ، وجلب الاقوات إليها ، وأحسن إلى أهلها . وفي أوائلها طلبت  
الست أرسلان زوجة الخليفة النقلة من عنده إلى عمها ، وذلك لما هجرها وبارت عنده ، فبعثها مع  
الوزير للكندري إلى عمها ، فلما وصلت إليه كان مريضاً مدنفاً ، فأرسل إلى الخليفة يعتب عليه في  
تهاونها بها ، فكتب الخليفة إليه ارجعها :

فهبته شرقي وولي الغرام \* وارجع الشباب مالا يرام  
أذهبت مني الليالي جديداً \* والليالي يضمن الأيام  
فعل ما عهدته من شبابي \* وعلى الغايات مني السلام

ومن توفي فيها من الأعيان **زهير بن علي بن الحسن بن حزام**  
أبو نسر الحزامي ، ورد بغداد وتلقه على الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، وسمع بالبصرة سنن  
أبي داود على القاضي أبي عمر ، وحدث بالكثير ، وكان يرجع إليه في الفتاوى ، وحل المشكلات ،  
وكانت وفاته بسرخس فيها **سعيد بن مروان**  
صاحب آمد ، ويقال إنه سم ، فانتقم صاحب ميا فارقين من صمه ، فقطعه قطعاً .

### الملك أبو طالب

محمد بن ميكائيل بن سلجوق طغرلبك ، كان أول ملوك السلاجقة ، وكان خيراً مصلياً ،  
محافظاً على الصلاة في أول وقتها ، يديم صيام الاثنين والخميس ، حلماً عن أساء إليه ، كتوماً للاسرار  
سعيداً في حركاته ، ملك في أيام مسعود بن محمود عامة بلاد خراسان ، واستناب أخاه داود وأخاه لأمه  
إبراهيم بن نيال ، وأولاد إخوته ، على كثير من البلاد ، ثم استدعاه الخليفة إلى ملك بغداد كما تقدم  
ذلك كله مبسوطاً . توفي في ثامن رمضان من هذه السنة ، وله من العمر سبعون سنة ، وكان له في الملك  
ثلاثون سنة ، منها في ملك العراق ثمان سنين إلا ثمانية عشر يوماً .

### ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربع مائة

فيها قبض السلطان ألب أرسلان على وزيره عميد الملك الكندري ، وسجنه ببيته ثم أرسل  
إليه من قتله ، واعتمد في الوزارة على نظام الملك ، وكان وزير صدق ، يكرم العلماء والفقراء ، ولما  
عصى الملك شهاب الدولة قتلش ، وخرج عن الطاعة ، وأراد أخذ ألب أرسلان ، خاف منه ألب  
أرسلان فقال له الوزير : أيها الملك لا تخف ، فإني قد استهدمت لك جنوداً ما بارزوا عسكرياً إلا  
كسروه ، كائناً ما كان . قال له الملك : من هم ؟ قال : جنود يدعون لك وينصرونك بالتوجه في صلواتهم  
وخلاوتهم ، وهم العلماء والفقراء الصالحاء . فطابت نفس الملك بذلك ، فحين التقى مع قتلش لم ينظره  
أن كسره ، وقتل خلقاً من جنوده ، وقتل قتلش في المعركة ، واجتمعت الحكامة على ألب أرسلان .

وفيهما أرسل ولده ملكشاه ووزيره نظام الملك هذا في جنود عظيمة إلى بلاد الكرخ ، ففتحوا حصونا كثيرة ، وغنموا أموالا جزيلة ، وفرح المسلمون بنصرهم ، وكتب كتاب ولده على ابنة الخان الأعظم صاحب ما وراء النهر ، وزقت إليه ، وزوج ابنه الآخر بابنة صاحب غزنة ، واجتمع شمل الملكين السلجوقي والمحمدي .

وفيهما أذن ألب أرسلان لابنة الخليفة في الرجوع إلى أبيها ، وأرسل معها بعض القضاة والأمراء فدخات بغداد في نجل عظيم ، وخرج الناس لينظروا إليها ، فدخلت ليلا ، ففرح الخليفة وأهلها بذلك ، وأمر الخليفة بالدعاء لألب أرسلان على المنابر في الخطب ، فقيل في الدعاء : اللهم وأصلح السلطان المظم ، عضد الدولة ، وتاج الملة ، ألب أرسلان أبا شجاع محمد بن داود ، ثم أرسل الخليفة إلى الملك بالخلع والتقايد مع الشريف تقيب النقيب ، طراد بن محمد ، وأبي محمد التميمي ، وموفق الخادم واستقر أمر السلطان ألب أرسلان على العراق . قال ابن الجوزي : وفي ربيع الأول شاع في بغداد أن قوماً من الأكراد خرجوا يتصيدون فراوا في البرية خياماً سودا ، سمعوا بها اطمأ شديداً ، وعويلا كثيراً ، وقائلا يقول : قد مات سيدوك ملك الجن ، وأى بلد لم يلطم به عليه ، ولم يتم له مأتم فيه . قال : فخرج النساء العواهر من حریم بغداد إلى المقابر يلطنن ثلاثة أيام ، ويخرقن ثيابهن وينشرن شعورهن ، وخرج رجال من الفساق يفعلون ذلك ، وفعل هذا بواسط وخوزستان وغيرها من البلاد ، قال : وهذا من الحق لم ينقل مثله . قال ابن الجوزي : وفي يوم الجمعة ثاني عشر شعبان هجم قوم من أصحاب عبد الصمد على أبي علي بن الوليد ، المدرس للمعتزلة فسبوه وشموه لامتناعه من الصلاة في الجامع ، وتدرسه للناس بهذا المذهب ، وأهانوه وجروه ، ولعنت المعتزلة ، في جامع المنصور ، وجلس أبو سعيد بن أبي عمارة وجعل يلعن المعتزلة . وفي شوال ورد الخبر أن السلطان غزا بلداً عظيماً فيه ستمائة ألف دنليز ، وألف بيعة ودبر ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر خمسمائة ألف إنسان .

وفي ذي القعدة حدث بالناس وباه شديد ببغداد وغيرها من بلاد العراق ، وغلت أسعار الأدوية ، وقل الترهندي ، وزاد الحر في تشارين ، وفسد الهواء ، وفي هذا الشهر خلع على أبي الفناهم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي بنقابة الطالبين ، وولاية الحج والمظالم ، ولقب بالظاهر ذي المناقب ، وقرئ تقليده في الموكب . وحج أهل العراق في هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان **ابن حزم الظاهري**

هو الأمام الحافظ العلامة ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد ، وولي يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي ، أصل جده من فارس ، أسلم وخلف المذكور ، وهو أول من دخل بلاد المغرب منهم ، وكانت بلدهم قرطبة ، فولد ابن

حزم هذا بها في ساخ رمضان ، سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، فقرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية ، وبرز فيها وفاق أهل زمانه ، وصنف الكتب المشهورة ، يقال إنه صنف أربعمائة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة ، وكان أديباً طيباً شاعراً فصيحاً ، له في الطب والمنطق كتب ، وكان من بيت وزارة ورياسة ، ووجاهة ومال وثروة ، وكان مصحباً للشيخ أبي عمر بن عبد البر النمري ، وكان مناوئاً للشيخ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ، وقد جرت بينهما مناظرات يطول ذكرها . وكان ابن حزم كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلبه ، فأورثه ذلك حقداً في قلوب أهل زمانه ، وما زالوا به حتى بفضوه إلى ملوكهم ، فطردوه عن بلاده ، حتى كانت وفاته في قرية له في شعبان من هذه السنة وقد جاوز التسعين . والمعجب كل المعجب منه أنه كان ظاهراً حائراً في الفروع ، لا يقول : بشئ من القياس لا الجلي ولا غيره ، وهذا الذي وضعه عند العلماء ، وأدخل عليه خطأ كبيراً في نظره وتصرفه وكان مع هذا من أشد الناس تأويلاً في باب الأصول ، وآيات الصفات وأحاديث الصفات ، لأنه كان أولاً قد تضلع من علم المنطق ، أخذته عن محمد بن الحسن المدحجي الكناني القرطبي ، ذكره ابن ماكولا وابن خلكان ، ففسد بذلك حاله في باب الصفات .

#### عبد الواحد بن علي بن برهان

أبو القاسم النحوي ، كان شرس الأخلاق جداً ، لم يلبس سراويل قط ولا غطى رأسه ولم يقبل عطاء لأحد ، وذكر عنه أنه كان يقبل المردان من غير ريبة . قال ابن عقيل : وكان على مذهب مرجئة المنزلة وينفي خلود الكفار في النار ، ويقول : دوام العقاب في حق من لا يجوز عليه التشفي لوجه له ، مع ما وصف الله به نفسه من الرحمة ، ويتأول قوله تعالى [ خالدين فيها أبداً ] أي أبداً من الآباد . قال ابن الجوزي : وقد كان ابن برهان يقدح في أصحاب أحمد ويخالف اعتقاد المسلمين لأنه قد خالف الأجماع ، ثم ذكر كلامه في هذا وغيره والله أعلم .

#### ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة

فيها سار جماعة من العراق إلى الحج بخفارة ، فلم يمكنهم المسير فعدلوا إلى الكوفة ورجعوا . وفي ذى الحجة منها شرع في بناء المدرسة النظامية ، ونقض لأجلها دور كثيرة من مشرعة الزوايا ، وباب البصرة وفيها كانت حروب كثيرة بين تميم بن الزبير وباديس ، وأولاد حماد ، والعرب والمغاربة بصنهاجة وزناتة . وحج بالناس من بغداد النقيب أبو الفانم .

وفيها كان مقتل عميد الملك الكندري ، وهو منصور بن محمد أبو نصر الكندري ، وزير طغرل بك ، وكان مسجوناً سنة تامة ، ولما قتل حمل فدفن عند أبيه بقرية كندرة ، من عمل طريث ، وليست بكندرة التي هي بالقرب من قزوين . واستحوذ السلطان على أمواله وحواصله ، وقد كان

ذكيًا فصيحًا شاعرًا ، لديه فضائل جمّة ، حاضر الجواب سريعه . ولما أرسله طغرل بك إلى الخليفة يطلب ابنته ، وامتنع الخليفة من ذلك وأنشد متمثلاً بقول الشاعر \* ما كل ما يتمنى المرء يدركه \* فأجابه الوزير تمام قوله \* تجرى الرياح بما لا يشتهي السفن \* فسكت الخليفة وأطرق . قتل عن نيف وأربعين سنة . ومن شعره قوله :

إن كان في الناس ضيقٌ عن منافستي \* فالوتُ قد وسع الدنيا على الناسِ

مضيتُ والشامتُ المنيبُ يتبعني \* كلُّ لكاسِ المنيا شاربٌ حامى

وقد بعته الملك طغرل بك يخطف له امرأة خوارزم شاه فتزوجها هو ، فخصاه الملك وأمره على عمله فدفن ذكره بخوارزم ، وسفح دمه حين قتل بمرور الروذ ، ودفن جسده بقرينته ، وحمل رأسه فدفن بنيسابور ، ونقل قحف رأسه إلى كرمان ، وأنا أشهد أن الله جامع الخلائق إلى ميقات يوم معلوم أين كانوا ، وحيث كانوا ، وعلى أى صفة كانوا سبحانه وتعالى .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة

في يوم عاشوراء أغلق أهل الكرخ دكاكينهم وأحضروا نساء ينحن على الحسين ، كما جرت به عادتهم السالفة في بدعتهم المتقدمة المخالفة ، فحين وقع ذلك أنكرته العامة ، وطلب الخليفة أبا الغنائم وأنكر عليه ذلك . فاعتذر إليه بأنه لم يعلم به ، وأنه حين علم أزاله ، وتردد أهل الكرخ إلى الديوان يعتذرون من ذلك ، وخرج التوقيع بكفر من سب الصحابة وأظهر البدع . قال ابن الجوزي : في ربيع الأول ولد بيباب الأزعج صببية لها رأسان ووجهان ورقبتان وأربع أيد ، على بدن كامل ثم ماتت . قال : وفي جمادى الآخرة كانت بخراسان زلزلة مكثت أياماً ، تصدعت منها الجبال ، وهلك جماعة ، وحسف بمدة قرى ، وخرج الناس إلى الصحراء وأقاموا هنالك ، ووقع حريق بنهر يعلى فاحترق مائة دكان وثلاثة دور ، وذهب للناس شيء كثير ، ونهب بعضهم بعضاً . قال ابن الجوزي وفي شعبان وقع قتال بدمشق فأحرقوا داراً كانت قريبة من الجامع ، فاحترق جامع دمشق . كذا قال ابن الجوزي : والصحيح المشهور أن حريق جامع دمشق إنما هو في ليلة النصف من شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة بعد ثلاث سنين مما قال ، وأن غلمان الناطميين اقتتلوا مع غلمان العباسيين فألقيت نار بدار الامارة ، وهي الخضراء ، فاحترقت وتمدى حريقها حتى وصل إلى الجامع فسقطت سقفه ، وبادت زخرفته ، وتلف رخامه ، وبقي كأنه خربة ، وبادت الخضراء فصارت كوماً من تراب بعد ما كانت في غاية الاحكام والانتقان ، وطيب الفناء ، ونزهة المجالس ، وحسن المنظر ، فهى إلى يومنا هذا لا يسكنها لرداءة مكانها إلا سفلة الناس وأسقاطهم ، بعد ما كانت دار الخلافة والملك والامارة ، منذ أسسها معاوية بن أبي سفيان ، وأما الجامع الأموى فإنه لم يكن على وجه الأرض

شئ أحسن منه ولا أبهى منظرا ، الى أن احترق فذقي خرابا مدة طويلة ثم شرع الملوك في تجديده  
وترميمه ، حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب ، ولم يزالوا في تحسين معاملة إلى زماننا هذا ،  
قتائل وهو بالنسبة إلى حاله الأول كلا شئ ، ولا زال التحسين فيه إلى أيام الأمير سيف الدين  
بتكتزين عبد الله الناصري ، في حدود سنة ثلاث وسبعائة ، وما قبلها وما بعدها ييسر .

وفيها رخصت الأسعار ببغداد رخصاً كثيراً ، ونقصت دجلة نقصاً بينا . وفيها أخذ الملك ألب  
أرسلان العهد بالملك من بعده لولده ملكشاه ، ومشى بين يديه بالفاشية والأمرء يمشون بين  
يديه ، وكان يوماً مشهوداً . وحج بالناس فيها نور الهدى أبو طالب الحسين بن نظام الحضرتين  
الزينبي وجاور بمكة .

وفيها توفي من الأعيان . **الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي**

أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى أبو بكر البيهقي ، له التصانيف التي سارت بها  
الركبان إلى سائر الأمصار ، ولد سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وكان أوحداً أهل زمانه في الاتقان والحفظ  
والفقه والتصنيف ، كان فقيهاً محدثاً أصولياً ، أخذ العلم عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري ، وسمع  
على غيره شيئاً كثيراً ، وجمع أشياء كثيرة نافعة ، لم يسبق إلى مثلها ، ولا يدرك فيها ، منها كتاب  
السنن الكبير ، وأصول الشافعي كل في عشر مجلدات ، والسنن الصغير ، والآثار ، والمدخل ،  
والآداب وشعب الإيمان ، والخلافات ، ودلائل النبوة ، والبعث والنشور ، وغير ذلك من المصنفات  
الكبار والصغار المفيدة ، التي لا تسامى ولا تدانى ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا ، كثير العبادة  
والورع ، توفي بنيسابور ، ونقل تابوته إلى يهق في جمادى الأولى منها .

**الحسن بن غالب**

ابن علي بن غالب بن منصور بن صلوك ، أبو علي التميمي ، ويعرف بابن المبارك المقرئ ،  
صحب ابن سمعون ، وقرأ القرآن على حروف أنكرت عليه ، وجرب عليه الكذب ، إماماً وإماماً  
خطأ ، واتهم في رواية كثيرة ، وكان أبو بكر القزويني ممن ينكر عليه ، وكتب عليه محضر بعدم  
الاقراء بالحروف المنكرة ، قال أبو محمد السمرقندي كان كذاباً ، توفي فيها عن ثنتين وثمانين سنة ،  
ودفن عند إبراهيم الحربي . قال ابن خلدكان : أخذ الفقه عن أبي الفتح نصر بن محمد العمري  
الروزي ، ثم غلب عليه الحديث واشتهر به ، ورحل في طلبه .

**القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي**

محمد بن الحسن بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء القاضي ، أبو يعلى شيخ الحنابلة ، ومهد مذهبهم  
في الفروع ، ولد في محرم سنة ثمانين وثلثمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وحدث عن ابن حنبل . قال

ابن الجوزي : وكان من سادات العلماء الثقات ، وشهد عند ابن ما كولا وابن الدامغاني قبلاه ، وتولى النظر في الحكم بحريم الخلافة ، وكان إماماً في الفقه ، له التصانيف الحسان الكثيرة في مذهب أحمد ، ودرس وأفتى سنين ، وانتهت إليه رئاسة المذهب ، وانتشرت تصانيفه وأصحابه ، وجمع الامامة والفقه والصدق ، وحسن الخلق ، والتعب والتشف والخشوع ، وحسن السمات ، والصمت عما لا يعني توفي في العشرين من رمضان منها عن ثمان وسبعين سنة ، واجتمع في جنازته القضاة والأعيان ، وكان يوماً حاراً ، فأفطر بعض من اتبع جنازته ، وترك من البنين عبيد الله أبا القاسم ، وأبا الحسين وأبا حازم ، ورآه بمضهم في المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال : رحمني وغفر لي وأكرمني ، ورفع منزلي ، وجعل يمد ذلك بأصبعه ، فقال : بالعلم ؟ فقال : بل بالصدق .

#### ابن سيده

صاحب المحكم في اللغة ، أبو الحسين علي بن إسماعيل الرمسي ، كان إماماً حافظاً في اللغة ، وكان ضريب البصر ، أخذ علم العربية واللغة عن أبيه ، وكان أبوه ضريباً أيضاً ، واشتغل على أبي العلاء صاعد البغدادي ، وله المحكم في مجلدات عديدة ، وله شرح الحماسة في ست مجلدات ، وغير ذلك ، وقرأ على الشيخ أبي عمر الطلمنكي كتاب الغريب لأبي عبيد سردا من حفظه ، فتهجج الناس لذلك ، وكان الشيخ يقابل بما يقرأ في الكتاب ، فسمع الناس بقرائته من حفظه ، توفي في ربيع الأول منها وله ستون سنة ، وقيل إنه توفي في سنة ثمان وأربعين ، والأول أصح ، والله أعلم .

#### ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة

فيها بنى أبو سعيد المستوفى الملقب بشرف الملك ، مشهد الامام أبي حنيفة ببغداد ، وعقد عليه قبة ، وعمل بازائه مدرسة ، فدخل أبو جعفر بن البياض زائراً لأبي حنيفة فأنشد :

ألم تر أن العلم كان مضيئاً \* فجمعه هذا المغيّب في اللحد

كذلك كانت هذه الأرض ميتة \* فأنشرها جود العميد أبي السعد

وفيها هبت ريح حارة فأت بسببها خلق كثير ، وورد أن ببغداد تلف شجر كثير من الليمون والاترج . وفيها احترق قبر معروف الكرخي ، وكان سببه أن القيم طبخ له ماء الشعير لمرضه فتعدت النار إلى الأخشاب فاحترق المشهد . وفيها وقع غلاء وفناء بدمشق وحلب وحران ، وأعمال خراسان بكاملها ، ووقع الفناء في الدواب : كانت تفتفخ رؤسها وأعينها حتى كان الناس يأخذون حمر الوحش بالأيدي ، وكانوا يأنفون من أكلها .

قال ابن الجوزي في المنتظم : وفي يوم السبت عاشر ذي القعدة جمع العميد أبو سعيد الناس ليحضروا الدرس بالنظامية ببغداد ، ودين لتدريسها وشيخها الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ، فلما

تكمامل اجتماع الناس وجاء أبو إسحاق ليدرس لقيه فقيه شاب فقال : يا سيدي تذهب تدرس في مكان مفصوب ؟ فامتنع أبو إسحاق من الحضور ورجع إلى بيته ، فأقيم الشيخ أبو نصر الصباغ فدرس ، فلما بلغ نظام الملك ذلك تفيظ على العميد وأرسل إلى الشيخ أبي إسحاق فرده إلى التدريس بالنظامية ، في ذى الحجة من هذه السنة ، وكان لا يصلح فيها مكتوبة ، بل كان يخرج إلى بعض المساجد فيصلح ، لما بلغه من أنها مفصوبة ، وقد كان مدة تدريس ابن الصباغ فيها عشرين يوماً ، ثم عاد أبو إسحاق إليها . وفي ذى القعدة من هذه السنة قتل الصليحي أمير اليمن وصاحب مكة قتله بعض أمراء اليمن ، وخطب للقائم بأمر الله العباسي . وفيها حج بالناس أبو الفنائم النقيب .

ومن توفي فيها من الأعيان . محمد بن اسماعيل بن محمد

أبو علي الطرسوسي ، ويقال له المراق ، لظرفه وطول مقامه بها ، سمع الحديث من أبي طاهر المخلص ، وتفقه على أبي محمد الباقي ، ثم على الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، وولى قضاء بلدة طرسوس وكان من الفقهاء الفضلاء المبرزين .

ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي : في جمادى الأولى كانت زلزلة بأرض فلسطين ، أهلكت بلد الرملة ، ودمت شراريف من مسجد رسول الله (ص) ، ولحقت وادي الصفر وخيبر ، وانثقت الأرض عن كنوز كثيرة من المال ، وبلغ حسها إلى الرحبة والكوفة ، وجاء كتاب بعض التجار فيه ذكر هذه الزلزلة وذكر فيه أنها خسفت الرملة جميعا حتى لم يسلم منها إلا داران فقط ، وهلك منها خمس عشرة ألف نسمة ، وانثقت صحرة بيت المقدس ، ثم عادت فالتأمت ، وغار البحر مسيرة يوم ، وساخ في الأرض وظهر في مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها ، ودخل الناس في أرضه يلتقطون ، فرجع عليهم فأهلك كثيرا منهم ، أو أكثرهم . وفي يوم النصف من جمادى الآخرة قرئ الاعتقاد القادري الذي فيه منهد أهل السنة ، والانكار على أهل البدع ، وقرأ أبو مسلم الكجبي البخاري المحدث كتاب التوحيد لابن خزيمة على الجماعة الحاضرين . وذكر بمحضر من الوزير ابن جهير وجماعة الفقهاء وأهل الكلام ، واعترفوا بالموافقة ، ثم قرئ الاعتقاد القادري على الشريف أبي جعفر بن المقتدى بالله بباب البصرة ، وذلك لسماحه له من الخليفة القادر بالله مصنفه .

وفيها عزل الخليفة وزيره أبا نصر محمد بن محمد بن جهير ، الملقب بفر الدولة ، وبعث إليه يماثبه في أشياء كثيرة ، فاعتذر منها وأخذ في الترفق والتذلل ، فأجيب بأن يرحل إلى أي جهة شاء ، فاختار ابن مزيد فباع أصحابه أملاكهم وطلقوا نساءهم وأخذ أولاده وأهله وجاء ليركب في سفينة لينحدر منها إلى الحلة ، والناس يتباكون حوله لبكائه ، فلما اجتاز بدار الخلافة قبل الأرض دفعت



والخليفة في الشباك ، والوزير يقول يا أمير المؤمنين ارحم شيعتي و غر بتي وأولادي ، فأعيد إلى الوزارة بشفاة ديبس بن مزيد ، في السنة الآتية ، وامتدحه الشعراء ، وفرح الناس برجوعه إلى الوزارة وكان يوماً مشهوداً .

وفيها توفي من الأعيان **عبد الملك بن محمد بن يوسف بن منصور**

الملقب بالشيخ الأجل ، كان أوحد زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمبادرة إلى فعل الخيرات ، واصطناع الأيادي عند أهلها ، من أهل السنة ، مع شدة القيام على أهل البدع ولعنهم ، وافتقاد المستورين بالبر والصدقة ، وإخفاء ذلك جهده وطاقته ، ومن غريب ما وقع له أنه كان يصل إنساناً في كل يوم بمشرة دنانير ، كان يكتب بها معه إلى ابن رضوان ، فلما توفي الشيخ جاء الرجل إلى ابن رضوان فقال : ادفع إلى ما كان يصرف لي الشيخ ، فقال له ابن رضوان : إنه قد مات ولا أصرف لك شيئاً ، فجاء الرجل إلى قبر الشيخ الأجل فقرأ شيئاً من القرآن ودعا له وترحم عليه ، ثم التفت فاذا هو بكاغد فيه عشرة دنانير ، فأخذها وجاء بها إلى ابن رضوان فذكر له ما جرى له ، فقال : هذه سقطت مني اليوم عند قبره فخذها ولك عندى في كل يوم مثلها . توفي في نصف المحرم منها عن خمس وستين سنة ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً ، حضره خلق لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل ، فرحمه الله تعالى .

**ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي**

فقيه الشيعة ، ودفن في مشهد على ، وكان مجاوراً به حين أحرقت داره بالكرخ ، وكتبه ، سنة ثمان وأربعين إلى محرم هذه السنة فتوفي ودفن هناك .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة

في ليلة النصف من شعبان منها كان حريق جامع دمشق ، وكان سببه أن غلمان الفاطميين والعباسيين اختصموا فألقت نار بدار الملك ، وهي الخضراء المناخحة للجامع من جهة القبلة ، فأحترقت ، وسرى الحريق إلى الجامع فسقطت سقوفه وتناثرت فصوصه المذهبة ، وتغيرت معالته ، وتقلعت النفسيفساء التي كانت في أرضه ، وعلى جدرانها ، وتبدلت بضدها ، وقد كانت سقوفه مذهبة كلها ، والجلونات من فوقها ، وجدرانها مذهبة ملونة مصور فيها جميع بلاد الدنيا ، بحيث إن الانسان إذا أراد أن يتفرج في إقليم أو بلاد وجدته في الجامع مصوراً كهيئته ، فلا يسافر إليه ولا يعنى في طلبه ، فقد وجدته من قرب الكعبة ومكة فوق المحراب والبلاد كلها شرقاً وغرباً ، كل إقليم في مكان لائق به ، ومصور فيه كل شجرة مشمرة وغير مشمرة ، مصور مشكل في بلدانه وأوطانه ، والستور مرخاة على أبوابه النافذة إلى الصحن ، وعلى أصول الحيطان إلى مقدار الثلث منها ستور ، وباقي الجدران

بالفصوص الملونة ، وأرضه كلها بالفصوص ، ليس فيها بلاط ، بحيث إنه لم يكن في الدنيا بناء أحسن منه ، لا قصور الملوك ولا غيرها ، ثم لما وقع هذا الحريق فيه تبدل الحال السكامل بضده ، وصارت أرضه طينا في زمن الشتاء ، وغباراً في زمن الصيف ، محفورة مهجورة ، ولم يزل كذلك حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب ، بعد الستمائة سنة من الهجرة ، وكان جميع ما سقط منه من الرخام والفصوص والأخشاب وغيرها ، مودعاً في المشاهد الأربعة ، حتى فرغها من ذلك كمال الدين الشهر زوري ، في زمن العادل نور الدين محمود بن زنكي ، حين ولاه نظره مع القضاء ونظر الأوقاف كلها ، ونظر دار الضرب وغير ذلك ، ولم تزل الملوك تجدد في محاسنه إلى زماننا هذا ، فتقارب حاله في زمن تنكيز نائب الشام ، وقد تقدم أن ابن الجوزي أرخ ما ذكرنا في سنة ثمان وخمسين ، وتبعه ابن السامعي أيضاً في هذه السنة ، وكذلك شيخنا الذهبي مؤرخ الاسلام ، وغير واحد . والله أعلم .

وفيهما نعت الحنابلة على الشيخ أبي الوفا بن عقيل ، وهو من كبارهم ، بترده إلى أبي علي بن الوليد المتكلم المعتزلي ، واتهموه بالاعتزال ، وإنما كان يتردد إليه ليحيط علماً بمذهبه ، ولكن شرقة الهوى فشرق شرقة كادت روحه تخرج معها ، وصارت فيه نزعة منه ، وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة وتأذى بسببها جماعة منهم ، وما سكنت الفتنة بينهم إلى سنة خمس وستين ، ثم اصطلمحوا فيما بينهم ، بعد اختصام كبير .

وفيهما زادت دجلة على إحدى وعشرين ذراعاً حتى دخل الماء مشهد أبي حنيفة . وفيها ورد الخبر بأن الأفشين دخل بلاد الروم حتى انتهى إلى غورية ، فقتل خلقاً وغنم أموالاً كثيرة . وفيها كان رخص عظيم في الكوفة حتى بيع السمك كل أربعين رطلاً بحبة . وفيها حج بالناس أبو الفنائم العلوي وعن توفي فيها من الأعيان .

الفوراني صاحب الابانة

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفوراني ، المروزي ، أحد أئمة الشافعية ، ومصنف الابانة التي فيها من النقول الغريبة ، والأقوال والأوجه التي لا توجد إلا فيها ، كان بصيراً بالأصول والفروع ، أخذ الفقه عن القفال ، وحضر إمام الحرمين عنده وهو صغير ، فلم يلتفت إليه ، نصار في نفسه منه ، فهو بخطه كثيراً في النهاية . قال ابن خلكان : فتي قال في النهاية : وقال بعض المصنفين كذا وغطا في ذلك وشرع في الوقوع فيه فراده أبو القاسم الفوراني . توفي الفوراني في رمضان منها بمرور ، عن ثلاث وسبعين سنة ، وقد كتب تلميذه أبو سعد عبد الرحمن بن محمد المأمون المرعي المدرس بالنظامية بمد أبي إسحاق وقبل ابن الصباغ ، وبعده أيضاً ، كتاباً على الابانة ، فسماه تنمة الابانة ، انتهى فيه إلى كتاب الحدود ومات قبل إتمامه ، فتممه أسعد العجلي وغيره ، لم يلحقوا شأوه ولا حاموا حوله ، وسموه تنمة التنمة .

## ثم دخلت سنة إثنين وستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي : فن الحوادث فيها أنه كان على ثلاث ساعات في يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادى الأولى ، وهو ثامن عشرين أذار ، كانت زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها ، فذهب أكثرها وانهدم سورها ، وعم ذلك بيت المقدس ونابلس ، وانخسفت إيليا ، وجفل البحر حتى انكشفت أرضه ، ومشى ناس فيه ثم عاد وتغير ، وانهدم إحدى زوايا جامع مصر ، وتبعت هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان أخريان . وفيها توجه ملك الروم من قسطنطينية إلى الشام في ثلثمائة ألف مقاتل ، فنزل على منبج وأحرق القرى ما بين منبج إلى أرض الروم ، وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأولادهم ، وفزع المسلمون بمحلب وغيرها منه فرعا عظيما ، فأقام ستة عشر يوماً ثم رده الله خاسئا وهو حسير ، وذلك لثة ما معهم من الميرة وهلاك أكثر جيشه بالجوع ، والله الحمد والمنة .

وفيها ضاقت النفقة على أمير مكة فأخذ الذهب من أستار الكعبة والميزاب وباب الكعبة ، فضرب ذلك دراهم ودنانير ، وكذا فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوي . وفيها كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الجيف والميتات والكلاب ، فكان يباع الكلب بخمسة دنانير ، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها ، وأفنيت الدواب فلم يبق اصحاب مصر سوى ثلاثة أفراس ، بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب ، ونزل الوزير يوماً عن بغلته ففعل الغلام عنها لضعفه من الجوع فأخذها ثلاثة نفر فذبجوها وأكلوها فأخذوا فصلبوا فما أصبحوا إلا وعظامهم بادية ، قد أخذ الناس لحومهم فأكلوها ، وظهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ويدفن رؤسهم وأطرافهم ، ويبيع لحومهم ، فقتل وأكل لحمه ، وكانت الأعراب يقدمون بالطعام يبيعونه في ظاهر البلد ، لا يتجاسرون يدخلون لثلا يخطف وينهب منهم ، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميتة نهاراً ، وإنما يدفنه ليلا خفية ، لثلا ينبش فيؤكل . واحتاج صاحب مصر حتى باع أشياء من نفائس ما عنده ، من ذلك إحدى عشر ألف درع ، وعشرون ألف سيف محلي ، وثمانون ألف قطعة بلور كبار ، وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم ، وبيعت ثياب النساء والرجال وغير ذلك بأرخص ثمن ، وكذلك الأملاك وغيرها ، وقد كان بعض هذه النفائس للخليفة ، مما نهب من بغداد في وقعة البساسيري .

وفيها وردت النقاد من الملك ألب أرسلان إلى الخليفة . وفيها اسم ولي العهد ابن الخليفة على الدنانير والدرهم ، ومنع التعامل بغيرها ، وسمى المضروب عليه الأميري . وفيها ورد كتاب صاحب مكة إلى الملك ألب أرسلان وهو بخراسان يخبره باقامة الخطبة بمكة للقاء بأمر الله وللسلطان ، وقطع خطبة المصريين ، فأرسل إليه بثلاثين ألف دينار وخلمة سنوية ، وأجرى له في كل سنة عشرة آلاف دينار . وفيها تزوج عميد الدولة ابن جيهنر بابنة نظام الملك بالرى . وحج بالناس أبو الغنائم العلوي ،

وفيها توفي من الأعيان والمشاهير . **الحسن بن علي**

ابن محمد أبو الجواز الواسطي ، سكن بغداد دهرا طويلا ، وكان شاعرا أديبا ظريفا ، ولد سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة ، ومات في هذه السنة عن مائة وعشر سنين . ومن مستجاد شعره قوله  
واحسرتي من قولها \* قد خان عهدي ولها \* وحق من صيرني \* وقفا عليها ولها  
ماخطرت بخاطري \* إلا كستني ولها

**محمد بن أحمد بن سهل**

المعروف بابن بشران النحوي الواسطي ، ولد سنة ثمانين وثلثمائة ، وكان عالما بالأدب ، وانتهت إليه الرحلة في اللغة ، وله شعر حسن ، فنه قوله :

يا شائداً للتصور مهلاً \* أقصر قصرُ الذي المات  
لم يجتمع شمل أهل قصر \* إلا قصارام الشتات  
وإنما العيش مثل ظل \* منتقل ماله ثبات  
ودعهم ولي الدنيا مودعة \* ورحت مالي سوى ذكراهم وطرد  
وقلت يا لذي بيني وبينهم \* كأن صفو حياتي بعدهم كدر  
لولا تملق قلبي بالرجاء لهم \* ألفتة إن حدوا بالعيس ينظرو  
يا ليت عيسهم يوم النوى نحرث \* أوليتها للضواري بالفلا جزر  
يا ساءة البين أنت الساعة اقتربت \* يالوعة البين أنت النار تستعمر  
طلبت صديقا في البرية كلها \* فأعيا طلابي أن أصيب صديقا  
بلى من ممي بالصديق مجازه \* ولم يك في معنى الوداد صدوقا  
فطلقت ود العالمين ثلاثة \* وأصبحت من أسرار الحفاظ طليقا

وفيها أقبل ملك الروم أرماتوس في جحافل أمثال الجبال من الروم والكرخ والفرنج ، وعدد عظيم وعدد ، ومعه خمسة وثلاثون ألفا من البطارقة ، مع كل بطريق مائتا ألف فارس ، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفا ، ومن الغزاة الذين يسكنون القسطنطينية خمسة عشر ألفا ، ومعه مائة ألف نقاب وحفار ، وألف روزجاري ، ومعه أربعمائة عجلة تحمل النعال والمسامير ، وألفا عجلة تحمل السلاح والسروج والفراوات والمناجيق ، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رحل ، ومن عزمه قبحة الله أن يبديد الاسلام وأهله ، وقد أقطع بطارقه البلاد حتى بغداد ، واستوصى نائبها بالخليفة خيرا ، فقال له : ارفق بذلك الشيخ فانه صاحبنا ، ثم إذا استوتقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة ، فاستعادوه من أيدي المسلمين ، والقدر يقول ( لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون )

فالتقاء السلطان ألب أرسلان في جيشه وهم قريب من عشرين ألفاً ، بمكان يقال له الزهوة ، في يوم الأربعاء لحس بقين من ذى القعدة ، وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم ، فأشار عليه القتيبة أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال حين يكون الخطباء يدعون للجهاديين ، فلما كان ذلك الوقت وتواقف الفريقان وتواجه الفتيان ، نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عز وجل ، ومرغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره ، فأنزل نصره على المسلمين ، ومنحهم أكتافهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأسر ملكهم أرماتوس ، أسره غلام رومي ، فلما أوقف بين يدي الملك ألب أرسلان ضربه بيده ثلاث مقارع وقال : لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل ؟ قال : كل قبيح ، قال : فما ظنك بي ؟ فقال : إما أن تقتل وتشهرني في بلادك ، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء وتميدني . قال : ما عزمت على غير العفو والفداء . فافتدى نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار . فقام بين يدي الملك وسقاه شربة من ماء وقبيل الأرض بين يديه ، وقبل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالاً وإكراماً ، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها ، وأطلق معه جماعة من البطارقة وشيعه فرسخاً ، وأرسل معه جيشاً يحفظونه إلى بلاده ، ومعهم راية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلما انتهى إلى بلاده وجد الروم قد ملكوا عليهم غيره ، فأرسل إلى السلطان يمتد إليه ، وبعث من الذهب والجواهر ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار ، وتزهد ولبس الصوف ثم استغاث بملك الأرمن فأخذه وكحله وأرسله إلى السلطان يتقرب إليه بذلك .

وفيها خطب محمود بن مرداس للقائم وللسلطان ألب أرسلان ، فبعث إليه الخليفة بالخلع والهدايا والتحف ، والعهد مع طراد . وفيها حج بالناس أبو الفنائم العسوي ، وخطب بمكة للقائم ، وقطعت خطبة المصريين منها ، وكان يخطب لهم فيها من نحو مائة سنة ، فانقطع ذلك .  
وفيها توفي من الأعيان .  
أحمد بن علي

ابن ثابت بن أحمد بن مهدي ، أبو بكر الخطيب البغدادي ، أحد مشاهير الحفاظ ، وصاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات العديدة المفيدة ، نحو من ستين مصنفًا ، ويقال بل مائة مصنف .  
فأله أعلم . ولد سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، وقيل سنة ثنتين وتسعين ، وأول سماعه سنة ثلاث وأربعمائة ، ونشأ ببغداد ، وتفق على أبي طالب الطبري وغيره من أصحاب الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، وسمع الحديث الكثير ، ورحل إلى البصرة ونيسابور وأصبهان وهمدان والشام والحجاز ، وسمى الخطيب لأنه كان يخطب بدرب ريجان ، وسمع بمكة على القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ، وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد في خمسة أيام ، ورجع إلى بغداد وحظي عند الوزير أبي القاسم بن مسلمة ، ولما ادعى اليهود الخيابة أن معهم كتاباً نبويًا فيه إسقاط الجزية

عنهم أوقف ابن مسleme الخطيب علي هذا الكتاب . فقال : هذا كذب ، فقال له : وما الدليل علي كذبه ؟ فقال : لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر ، وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة ، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد مات قبل خيبر عام الخندق سنة خمس . فأعجب الناس ذلك . وقد سبق الخطيب إلى هذا النقل ، سبقه محمد بن جرير كما ذكرت ذلك في مصنف مفرد ، ولما وقعت فتنه البساسيري ببغداد سنة خمسين خرج الخطيب إلى الشام فأقام بدمشق بالمأذنة الشرقية من جامعها ، وكان يقرأ علي الناس الحديث ، وكان جهورى الصوت ، يسمع صوته من أرجاء الجامع كلها ، فاتفق أنه قرأ علي الناس يوما فضائل العباس فنار عليه الروافض من أتباع الفاطميين ، فأرادوا قتله فتشع بالشريف الزينبي فأجاره ، وكان مسكنه بدار العبقي ، ثم خرج من دمشق فأقام بمدينة صور ، فكتب شيئا كثيرا من مصنفات أبي عبد الله الصوري بخطه كان يستميرها من زوجته ، فلم يزل مقبلا بالشام إلى سنة ثنتين وستين ، ثم عاد إلى بغداد فحدث بأشياء من مسموعاته ، وقد كان سأل الله أن يملك ألف دينار ، وأن يحدث بالتاريخ بجامع المنصور ، فملك ألف دينار أو ما يقاربها ذهباً ، وحين احتضر كان عنده قريب من مائتي دينار ، فأوصى بها لأهل الحديث ، وسأل السلطان أن يعفى ذلك ، فانه لا يترك وارثاً ، فأجيب إلى ذلك ، وله مصنفات كثيرة مفيدة ، منها كتاب التاريخ ، وكتاب الكفاية ، والجامع ، وشرف أصحاب الحديث ، والمتفق والمفترق ، والسابق واللاحق ، وتلخيص المتشابه في الرسم ، وفضل الوصول ، ورواية الآباء عن الأبناء ، ورواية الصحابة عن التابعين ، واقتضاء العلم للعمل ، والفقيه والمتفقه ، وغير ذلك . وقد سردها ابن الجوزي في المنتظم . قال ويقال : إن هذه المصنفات أكثرها لأبي عبد الله الصوري ، أو ابتدأها فتممها الخطيب ، وجعلها لنفسه ، وقد كان الخطيب حسن القراءة فصيح اللفظ عارفا بالأدب يقول الشعر ، وكان أولاً يتكلم علي مذهب الامام أحمد بن حنبل ، فانتقل عنه إلى مذهب الشافعي ، ثم صار يتكلم في أصحاب أحمد ويقدم فيهم ما أمكنه ، وله دسائس عجيبية في ذمهم ، ثم شرع ابن الجوزي ينتصر لأصحاب أحمد ويذكر مثالب الخطيب ودسائسه ، وما كان عليه من محبة الدنيا والميل إل أهلها بما يطول ذكره ، وقد أورد ابن الجوزي من شعره قصيدة جيدة المطلع حسنة المترع أولها قوله :

لعمرك ما شجاني رسم دارٍ \* وقتُ به ولا رسم الغاني  
ولا أترُ الخيام أراق دمي \* لأجل تذكري عهد الغواني  
ولا ملك الهوى يوماً قيادي \* ولا عاصيتُه فتني عنائي  
ولم أطمعُ فيّ وكم قنيلٍ \* له في الناس ما تحصى دعائي

عرفت فعالة بذوى التصابي \* وما يلقون من ذل الهوان  
 طلبت أختاً صبيح الود محظي \* سليم الغيب محفوظ اللسان  
 فلم أعرف من الإخوان إلا \* نفاقاً في التباعد والتداني  
 وعالم دهرنا لا خير فيهم \* ترى صوراً تروق بلامعاني  
 ووصف جميعهم هذا فما أن \* أقول سوى فلان أوفلان  
 ولما لم أجد حراً يواتي \* على ما ناب من صرف الزمان  
 صبرت تكراً لفراع دهرى \* ولم أجزع لما منه دهاني  
 ولم أك في الشدائد مستكيناً \* أقول لها ألا كفي كفاني  
 ولكني صليب العود عود \* ربيط الجاش مجتمع الجنان  
 أبى النفس لا أختار رزقاً \* بجي بغير سيني أو سناني  
 فمز في لظى باغيه بهوى \* أذ من المنة في الجنان  
 وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه ترجمة حسنة كما دته وأورد له من شعره قوله :  
 لا يفتن أخا الدنيا زخرفها \* ولا للذة عيش عجلت فرحا  
 فالدهر أسرع شئ في قلبه \* وفعلة بين للخلق قد وضحا  
 كم شارب عسلاً فيه منيته \* وكم مقلد سيفاً من قر به ذبحا

توفي يوم الاثنين ضحى من ذى الحجة منها ، وله ثنتان وسبعون سنة ، في حجرة كان يسكنها  
 بدرب السلسلة ، جوار المدرسة النظامية ، واحتفل الناس بجزائه ، وحمل نعشه فيمن حمل الشيخ أبو  
 إسحاق الشيرازي ، ودفن إلى جانب قبر بشر الحافي ، في قبر رجل كان قد أعده لنفسه ، فستل أن  
 يتركه للخطيب فشح به ولم تسمح نفسه ، حتى قال له بعض الحاضرين : بالله عليك لو جلست أنت  
 والخطيب إلى بشر أيكما كان يجلسه إلى جانبه ؟ فقال : الخطيب ، فقيل له : فاصبح له به ، فوهبه منه  
 فدفن فيه رحمه الله وسامحه ، وهو ممن قيل فيه وفي أمثاله قول الشاعر :

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهداً \* حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً

حسان بن سعيد

ابن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن  
 الوليد الخزومي المنيعي ، كان في شبابه يجمع بين الزهد والتجارة حتى ساد أهل زمانه ، ثم ترك ذلك ،  
 وأقبل على العبادة والزهد والبر والصلة والصدقة وغير ذلك ، وبناء المساجد والرباطات ، وكان السلطان  
 يأتي إليه ويتبرك به ، ولما وقع الغلاء كان يعمل كل يوم شيئاً كثيراً من الخبز والأطعمة ، ويتصدق به

وكان يكسو في كل سنة قريباً من ألف فقير ثياباً وجباباً ، وكذلك كان يكسو الأرمال وغيرهن من النساء ، وكان يجهز البنات الأيتام وبنات الفقراء ، وأسقط شيئاً كثيراً من المكوس والوظائف السلطانية عن بلاد نيسابور ، وقرأها وهو مع ذلك في غاية التبذل والنياب والاطمار ، وترك الشهوات ولم يزل كذلك إلى أن توفي في هذه السنة ، في بلدة مرو الروز ، تعهده الله رحمته ، ورفع درجته ، ولاخيب الله له سعيًا .

### أمين بن محمد بن الحسن بن حمزة

أبو علي الجهمري فقيه الشيعة في زمانه محمد بن وشاح بن عبد الله أبو علي مولى أبي تمام محمد بن علي بن الحسن الزينبي ، سمع الحديث ، وكان أديبا شاعرا ، وكان ينسب إلى الاعتزال والرفض ، ومن شعره قوله :

حملت المصلا للضمف أوجب حملها \* على ولا أني نحلث من الكبر  
ولكنني أزهت نفسي حملها \* لأعلمها أن المقيم على سفر

### الشيخ الأجل أبو عمر عبد البر النمري

صاحب التصانيف المليحة الهائلة ، منها التمهيد ، والاستذكار ، والاستيعاب ، وغير ذلك .  
ابن زيدون الشاعر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون أبو الوليد ، الشاعر الماهر الأندلسي القرطبي ، اتصل بالأمر المعتمد بن عباد ، صاحب إشبيلية ، فخطب عنده وصار مشاوراً في منزلة الوزير ، ثم وزر له ولولده أبي بكر بن أبي الوليد ، وهو صاحب القصيدة الفراقية التي يقول فيها :

بنتم وبننا فما ابتلت جوانحننا \* شوقاً إليكم ولا جنت مآقينا  
تكاد حين تناجيكم ضاهرنا \* يقضى عليها الامى لولانا سينا  
حالت لبعدم أيامنا فعدت \* سوداً وكانت بكم بيضاً لبالينا  
بالامس كنا ولا نخشى تفرقنا \* واليوم نحن ولا يرجى تلاقينا

وهي طويلة وفيها صنعة قوية مهيبة على البكاء لكل من قرأها أو سمعها ، لأنه ما من أحد إلا فارق خلا أو حبيباً أو نسيباً ، وله أيضاً :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع \* سر إذا ذاعت الاسرار لم يدع  
يا بألما حظه مني ولو بذلت \* لي الحياة بحظي منه لم أبع  
يكفيك أنك لو حملت قلبي ما \* لاستطيع قلوب الناس يستطع  
ته احتمال واستطل أصبر وعزهن \* وول أقبل وقل أسمع ومر أطمع



توفى في رجب منها واستمر ولده أبو بكر وزيراً للمعتد بن عباد ، حتى أخذ ابن ياسين قرطبة من يده في سنة أربع وثمانين ، قتل يومئذ . قاله ابن خلكان .

كريمة بنت أحمد

ابن محمد بن أبي حاتم المروزي ، كانت عالة سالحة ، سمعت صحيح البخاري على الكشميهني ، وقرأ عليها الأئمة كالخطيب وأبي المظفر السمعاني وغيرهما .

ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعين

فيها قام الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مع الخنابلة في الإنكار على المفسدين ، والذين يبيعون الخمر ، وفي إبطال المواجرات وهن البغايا ، وكتبوا إلى السلطان في ذلك فجاءت كتبه في الإنكار . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد ارتجت لها الأرض ست مرات . وفيها كان غلاء شديد وموتان ذريع في الحيوانات ، بحيث إن بعض الرعاة بخراسان قام وقت الصباح ليسرح بعنقه فاذاهن قدمتن كاهن ، وجاء سيل عظيم وبرد كبار أتلف شيئاً كثيراً من الزروع والثمار بخراسان . وفيها تزوج الأمير عدة الدين ولد الخليفة بابنة السلطان ألب أرسلان « سفري خاتون » وذلك بنيسابور ، وكان وكيل السلطان نظام الملك ، ووكيل الزوج عميد الدولة ابن جبير ، وحين عقد العقد نثر على الناس جواهر نفيسة .

ومن توفى فيها من الأعيان زكريا بن محمد بن حميد

أبو منصور النيسابوري ، كان يزعم أنه من سلالة عثمان بن عفان ، وروى الحديث عن أبي بكر بن المذهب ، وكان ثقة . توفى في الحرم منها وقد قارب الثمانين .

محمد بن أحمد

ابن محمد بن عميد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو الحسن الهاشمي ، خطيب جامع المنصور ، كان ممن يلبس القلائس الطوال ، حدث عن ابن زرقويه وغيره ، روى عنه الخطيب ، وكان ثقة عدلاً شهد عند ابن الدامغاني وابن ما كولا قبلاه توفى عن ثمانين سنة ودفن بقرب قبر بشر الحافي .

محمد بن أحمد بن شاره

ابن جعفر أبو عبد الله الأصفهاني ، ولي القضاء بدجيل ، وكان شافعيًا ، روى الحديث عن أبي عمرو بن مهدي ، توفى ببغداد ونقل إلى دجيل من عمل واسط ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعين

في يوم الخميس حادي عشر المحرم حضر إلى الديوان أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل العقيلي الحنبلي ، وقد كتب على نفسه كتاباً يتضمن توبته من الاعتزال ، وأنه رجع عن اعتقاد كون الحلاج

من أهل الحق والخير ، وأنه قد رجع عن الجزء الذي عمله في ذلك ، وأن الحلّاج قد قتل بإجماع علماء أهل عصره على زندقته ، وأنهم كانوا مصيبين في قتله وما رموه به ، وهو مخطئ ، وأشهد عليه جماعة من الكتاب ، ورجع من الديوان إلى دار الشريف أبي جعفر فسلم عليه وصالحه واعتذر إليه ، فعظمه

**وفاة السلطان ألب أرسلان وملك ولده ملكشاه**

كان السلطان قد سار في أول هذه السنة يريد أن يغزو بلاد ما وراء النهر ، فاتفق في بعض المنازل أنه غضب على رجل يقال له يوسف الخوارزمي ، فأوقف بين يديه فشرع يماثبه في أشياء صدرت منه ، ثم أمر أن يضرب له أربعة أوتاد ويصلب بينها ، فقال للسلطان : يا مخنث ومثلي يقتل هكذا ؟ فاحتد السلطان من ذلك وأمر بإرساله وأخذ القوس فرماه بسهم فأخطأه ، وأقبل يوسف نحو السلطان فتمض السلطان عن السرير خوفاً منه ، فنزل عنه فمتر فوق فأدركه يوسف فضر به بمخنجر كان معه في خاصرته فقتله ، وأدرك الجيش يوسف فقتلوه ، وقد جرح السلطان جرحاً منكراً ، فتوفي في يوم السبت عاشر ربيع الأول من هذه السنة ، ويقال إن أهل بخارى لما اجتاز بهم نهب عسكره أشياء كثيرة لهم ، فدعوا عليه فهلك .

ولما توفي جلس ولده ملكشاه على سرير الملك وقام الأمراء بين يديه ، فقال له الوزير نظام الملك : تكلم أيها السلطان ، فقال : الأكبر منكم أبي والأوسط أخي والأصغر ابني ، وسأفعل معكم ما لم أسبق إليه . فأمسكوا فأعاد القول فأجابوه بالسمع والطاعة . وقام بأعباء أمره الوزير نظام الملك فزاد في أرزاق الجنود سبعمائة ألف دينار ، وسار إلى مرو فدفنوا بها السلطان ، ولما بلغ موته أهل بغداد أقام الناس له العزاء ، وغلقت الأسواق وأظهر الخليفة الجزع ، وخلصت ابنة السلطان زوجة الخليفة ثيابها ، وجلست على التراب ، وجاءت كتب ملكشاه إلى الخليفة يتأسف فيها على والده ، ويسأل أن تقام له الخطبة بالعراق وغيرها . ففعل الخليفة ذلك ، وخلع ملكشاه على الوزير نظام الملك خلعاً سنياً ، وأعطاه نجفاً كثيرة ، من جعلتها عشرون ألف دينار ، ولقبه أتابك الجيوش ، ومعناه الأمير الكبير الوالد ، فسار سيرة حسنة ، ولما بلغ قاورت موت أخيه ألب أرسلان ركب في جيوش كثيرة فاصداً قتال ابن أخيه ملكشاه ، فالتقيا فاقنتلا فانهزم أصحاب قاورت وأسر هو ، فأنبه ابن أخيه ثم اعتقله ثم أرسل إليه من قتله .

وفيها جرت فتنة عظيمة بين أهل الكرخ وباب البصرة والتسلايين فاقنتلوا قتل منهم خلق كثير ، واحترق جانب كبير من الكرخ ، فانتقم المتولى لأهل الكرخ من أهل باب البصرة ، فأخذ منهم أموالاً كثيرة جنابية لهم على ما صنعوا . وفيها أقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس . وفيها ملك صاحب سمرقند وهو محمد التكين مدينة ترمذ . وفيها حج بالناس أبو الفغائم العلوي .

وفيها توفي من الأعيان . السلطان ألب ارسلان

الملقب بسلطان العالم ، ابن داود جفري بك ، بن ميكائيل بن سلجوق التركي ، صاحب الممالك المتسعة ، ملك بعد عمه طغرل بك سبع سنين وستة أشهر وأياماً ، وكان عادلاً يسير في الناس سيرة حسنة ، كريم رحباً ، شفوفاً على الرعية ، رفيقاً على الفقراء ، باراً بأهله وأصحابه ومماليكه ، كثير الدعاء بدوام النعم به عليه ، كثير الصدقات ، يتفقد الفقراء في كل رمضان بخمسة عشر ألف دينار ، ولا يعرف في زمانه جنابية ولا مصادرة ، بل كان يقنع من الرعية بالخراج في قسطين ، رفقاً بهم . كتب إليه بعض السعاة في نظام الملك وزيره وذكر ماله في ممالكه فاستدعاه فقال له : خذ إن كان هذا صحيحاً فهدب أخلاقك وأصلح أحوالك ، وإن كذبوا فاغفر له زلته ، وكان شديد الحرص على حفظ مال الرعايا ، باغته أن غلاماً من غلمانه أخذ إزاراً لبعض أصحابه فصلبه فارتدع سائر المماليك به خوفاً من سطوته ، وترك من الأولاد ملكشاه وإياز ونكشور وبوري برس وأرسلان وارغو وسارة وعائشة وبناتاً أخرى ، توفي في هذه السنة عن إحدى وأربعين سنة ، ودفن عند والده بالرى رحمه الله .

#### أبو القاسم القشيري

صاحب الرسالة ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد المطلب بن طلحة ، أبو القاسم القشيري ، وأمه من بني سليم ، توفي أبوه وهو طفل فقرأ الأدب والعربية ، وصحب الشيخ أبا علي الدقاق ، وأخذ الفقه عن أبي بكر بن محمد الطوسي ، وأخذ الكلام عن أبي بكر بن فورك وصنف الكثير ، وله التفسير والرسالة التي ترجم فيها جماعة من المشايخ الصالحين ، وحب صحبة إمام الحرمين وأبي بكر البيهقي ، وكان يعظ الناس ، توفي بنيسابور في هذه السنة عن سبعين سنة ، ودفن إلى جانب شيخه أبي علي الدقاق ، ولم يدخل أحد من أهله بيت كتبه إلا بعد سنين ، احتراماً له ، وكان له فرس يركبها قد أهديت له ، فلما توفي لم تأكل علفاً حتى نفقت بدمه يبسير فماتت ، ذكره ابن الجوزي ، وقد أثنى عليه ابن خلكان ثناء كثيراً ، وذكر شيئاً من شعره من ذلك قوله :

سقى الله وقتاً كنتُ أخلو بوجهكم \* وثغر الهوى في روضة الأانس ضاحكُ

أقنا زماناً والعيونُ قريرة \* وأصبحتُ يوماً والجفونُ سوافكُ

وقوله لو كنتُ ساعةً بيننا ما بيننا \* وشهدتُ حينَ فراقنا التوديعا

أيقنتُ أن من الدموعِ محدثاً \* وعلمتُ أن من الحديثِ دموعا

وقوله ومن كان في طولِ الهوى ذاقَ سلوةً \* فاني من ليلي لها غيرَ ذاتي

وأكثرُ شيءٍ نلتُهُ من وصالها \* أماني لم تصدقْ كخطفةِ بارقِ

## ابن صربعر

الشاعر اسمه علي بن الحسين بن علي بن الفضل ، أبو منصور الكاتب المعروف بابن صربعر  
وكان نظام الملك يقول له أنت صردر لا صربعر ، وقد هجاه بعضهم فقال :

لئن لقبَ الناسَ قدماً أباك \* وسموه من شحرِ صربعا  
فانك تنثرُ ما صره \* عقوقاً له وتسميه شعرا

قال ابن الجوزي : وهذا ظلم فاحش فان شعره في غاية الحسن ، ثم أورد له أبياتا حسانا فن ذلك :

أيه أحاديثُ نمانُ وساكنه \* أن الحديثَ عن الاحبابِ أسمارُ  
أفتشُ الريحَ عنكم كلما نفحت \* من نحو أرضكم مسكاً ومطارُ

قال : وقد حفظ القرآن وسمع الحديث من ابن شيران وغيره ، وحدث كثيرا ، وركب يوماً دابة  
هو والديه فسقطا بالشونيزية عنها في بئر فماتا فدفنا ببرر ، وذلك في صفر من هذه السنة ، قال ابن  
الجوزي : قرأت بخط ابن عقيل صربعر جارنا بالرصافة ، وكان ينبذ بالاحقاد ، وقد أورد له ابن خلكان  
شيئا من أشعاره ، وأثنى عليه في فنه والله أعلم بحاله .

محمد بن علي

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو الحسين ، ويعرف بابن العريف ، ولد  
سنة سبعين وثلثمائة وسمع الدارقطني ، وهو آخر من حدث عنه في الدنيا ، وابن شاهين وتفرد عنه ،  
وسمع خلقا آخرين ، وكان ثقة دينا كثير الصلاة والصيام ، وكان يقال له راهب بنى هاشم ، وكان  
غزير العلم والعقل ، كثير التلاوة ، رقيق القلب غزير الدمعة ، وقد رحل إليه الطلبة من الآفاق ،  
ثم ثقل سمعه ، وكان يقرأ على الناس ، وذهبت إحدى عينيه ، وخطب وله ست عشرة سنة ، وشهد  
عند الحكم سنة ست وأربعمائة ، وولى الحكم سنة تسع وأربعمائة ، وأقام خطيبا بجامع المنصور  
وجامع الرصافة ستا وسبعين سنة ، وحكم ستا وخمسين سنة ، وتوفي في سلخ ذي القعدة من هذه السنة  
وقد جاوز تسعين سنة ، وكان يوم جنازته يوماً مشهودا ، ورئيت له منامات صالحة حسنة ، رحمه الله  
وسامحه ورحمنا وسامحنا ، إنه قريب مجيب ، رحيم ودود .

ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة

في صفر منها جلس الخليفة جلوساً عاماً وعلى رأسه حفيده الأمير عدة الدين ، أبو القاسم عبد الله  
ابن المهدي بالله ، وعمره يومئذ ثمانى عشرة سنة ، وهو في غاية الحسن ، وحضر الأمراء والكبراء  
فمقد الخليفة بيده لواء السلطان ملكشاه ، كثر الزحام يومها ، وهنأ الناس بعضهم بعضاً بالسلمة .

## غرق بغداد

في جمادى الآخرة نزل مطر عظيم وسيل قوى كثير ، وسالت دجلة وزادت حتى غرقت جانباً كبيراً من بغداد ، حتى خاص ذلك إلى دار الخلافة ، فخرج الجوارى حاسرات عن وجوههن ، حتى صرن إلى الجانب الغربي ، وهرب الخليفة من مجلسه فلم يجد طريقاً يسلكه ، فحمله بعض الخدم إلى التاج ، وكان ذلك يوماً عظيماً ، وأمراً هائلاً ، وهلك للناس أموال كثيرة جداً . ومات تحت الردم خلق كثير من أهل بغداد والغرباء وجاء على وجه السيل من الأخشاب والأحطاب والوحوش والحيات شيء كثير جداً ، وسقطت دور كثيرة في الجانبين ، وغرقت قبور كثيرة ، من ذلك قبر الخيزران ومقبرة أحمد بن حنبل . ودخل الماء من شبابيك المارستان المضدى وأتلف السيل في الموصل شيئاً كثيراً ، وصدت سور سنجار فهدمه : وأخذ بابه من موضعه إلى مسيرة أربعة فراسخ . وفي ذى الحجة منها جاءت ريح شديدة في أرض البصرة فأنجم منها نحو من عشرة آلاف نخلة .

ومن توفي فيها من الأعيان .. أحمد بن محمد بن الحسن السهماني

الحنفى الأشعري . قال ابن الجوزى : وهذا من الغريب ، تزوج قاضى القضاة ابن الدامغانى

ابنته وولاه نيابة القضاة ، وكان ثقة نبيلاً من ذوى الهيئات ، جاوز الثمانين .

عبد العزيز بن أحمد بن علي

ابن سليمان ، أبو محمد الكنتانى الحافظ الدمشقى ، سمع الكثير ، وكان يلى من حفظه ، وكتب

عنه الخطيب حديثاً واحداً ، وكان معظماً ببلده ، ثقة نبيلاً جليلاً .

## الماوردية

ذكر ابن الجوزى أنها كانت عجوزاً سالحة من أهل البصرة تعظ النساء بها ، وكانت تكتب

وتقرأ ، ومكثت خمسين سنة من عمرها لا تفطر نهائياً ولا تنام ليلاً ، وتقتات بخبز الباتلا ، وتأكل

من التين اليابس لا الرطب ، وشيئاً يسيراً من العنب والزيت ، وربما أكلت من اللحم اليسير ، وحين

توفيت تبع أهل البلد جنازتها ودفنت في مقابر الصالحين .

ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة

في صفر منها مرض الخليفة القائم بأمر الله مرضاً شديداً انتفخ منه حلقه ، وامتنع من الفصد ،

فلم يزل الوزير نغر الدولة عليه حتى اقتصد وانصلح الحال ، وكان الناس قد انزعجوا ففرحوا بما فيها

وجاء في هذا الشهر سيل عظيم قاسى الناس منه شدة عظيمة ، ولم تكن أكثر أبنية بغداد تكاملت

من الفرق الأول ، فخرج الناس إلى الصحراء فجلسوا على رؤس التلّول تحت المطر ، ووقع وباء

عظيم بالرجبة ، فمات من أهلها قريب من عشرة آلاف ، وكذلك وقع بواسط والبصرة وخوزستان

وأرض خراسان وغيرها والله أعلم .

### موت الخليفة القائم بأمر الله

لما اقتصد في يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب من بواسير كانت تعتاده من عام الفرق ، ثم نام بعد ذلك فانفجر فصاده ، فاستيقظ وقد سقطت قوته ، وحصل الاياس منه ، فاستدعى بحفيده وولى عهده عدة الدين أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم ، وأحضر إليه القضاة والفقهاء وأشهدهم عليه فانيا بولاية العهد له من بعده ، فشهدوا ، ثم كانت وفاته ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان عن أربع وتسعين سنة ، وثمانية أشهر ، وثمانية أيام ، وكانت مدة خلافته أربعمائة وأربعين سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، ولم يبلغ أحد من العباسيين قبله هذه المدة ، وقد تجاوزت خلافة أبيه قبله أربعين سنة ، فكان مجموع أيامها خمسا وثمانين سنة وأشهرًا ، وذلك مقاوم لدولة بني أمية جميعها ، وقد كان القائم بأمر الله جميلا مليحا حسن الوجه ، أبيض مشربا بحمرة ، فصيحًا ورعا زاهدا ، أديبًا كاتبًا بليغًا ، شاعرًا ، كما تقدم ذكره من شعره ، وهو بمحديثة عانة سنة خمسين ، وكان عادلا كثير الاحسان إلى الناس رحمه الله . وغسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلية عن وصية الخليفة بذلك ، فلما غسله عرض عليه ما هنالك من الأثاث والأموال ، فلم يقبل منه شيئا ، وصلى على الخليفة في صبيحة يوم الخميس المذكور ، ودفن عند أجداده ، ثم نقل إلى الرصافة ، فقبره يرار إلى الآن وغلقت الأسواق لموته ، وعلقت المسوح ، وناحت عليه نساء الهاشميين وغيرهم ، وجلس الوزير ابن جبير وابنه للعزاء على الأرض ، وخرق الناس ثيابهم ، وكان يوما عصيبا ، واستمر الحال كذلك ثلاثة أيام ، وقد كان من خيار بني العباس دينًا واعتقادًا ودولة ، وقد امتحن من بينهم بفتنة البساسيري التي اقتضت إخراجهم من داره ومفارقة أهله وأولاده ووطنه ، فأقام بمحديثة عانة سنة كاملة ثم أعاد الله تعالى عليه نعمته وخلافته . قال الشاعر :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم \* إذ هم قريشٌ وإذ ماملهم بشر

وقد تقدم له في ذلك سلف صالح كما قال تعالى [ ولقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ] وقد ذكرنا ملخص ما ذكره المفسرون في سورة ص ، وبسطنا الكلام عليه في هذه القصة العباسية والفتنة البساسيرية في سنة خمسين ، وإحدى وخمسين ، وأربعمائة .

### خلافة المقتدي بأمر الله

وهو أبو القاسم عدة الدين عبد الله بن الأمر ذخيرة الدين أبي القاسم محمد بن الخليفة القائم بأمر الله بن القادر العباسي ، وأمه أرمنية تسمى أرجوان ، وتدعى قرّة العين ، وقد أدركت خلافة ولدها هنا ، وخلافة ولديه من بعده ، المستظهر والمسترشد . وقد كان أبوه توفي وهو حمل ، فحين ولد ذكرًا فرح به جده والمسلمون فرحا شديدا ، إذ حفظ الله على المسلمين بقاء الخلافة في البيت القادري ، لأن

من عدام كانوا يقبذون في الاسواق ، ويختلطون مع العوام ، وكانت القلوب تنفر من تولية مثل أولئك الخليفة على الناس ، ونشأ هذا في حجر جده القائم بأمر الله يريه بما يليق بأمثاله ، ويدربه على أحسن السجايا والله الحمد ، وقد كان المقتدى حين ولي الخلافة عمره عشرين سنة ، وهو في غاية الجمال خلقا وخلقا ، وكانت بيئته يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان من هذه السنة ، وجلس في دار الشجرة ، بقميص أبيض ، وعمامة بيضاء لطيفة ، وطرحه قصب أدريه ، وجاء الوزراء والأمراء والأشراف ووجوه الناس فبايعوه ، فكان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحبلي ، وأنشده قول الشاعر :

\* إذا سيدنا مضى قام سيد \*

ثم أرتج عليه فلم يدر ما بعده ، فقال الخليفة \* قوول بما قال الكرام فمول \*

وبايعه من شيوخ العلم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، والشيخ أبو نصر بن الصباغ ، الشافعيان ، والشيخ أبو محمد التميمي الحبلي ، وبرز فصلى بالناس المصر ثم بعد ساعة أخرج تابوت جده بسكون ووقار من غير صراخ ولا نوح ، فصلى عليه وحمل إلى المقبرة ، وقد كان المقتدى شهيا شجاعاً أيامه كلها مباركة ، والرزق دار والخلافة معظمة جدا ، وتصاغرت الملوك له ، وتضاهوا بين يديه ، وخطب له بالحرمين وبيت المقدس والشام كلها ، واسترجع المسلمون الرها وأنطاكية من أيدي العدو ، وعمرت بغداد وغيرها من البلاد ، واستوزر ابن جيهن ثم أبا شجاع ، ثم أعاد ابن جيهن وقاضيه الدماغاني ، ثم أبو بكر الشاشي ، وهؤلاء من خيار القضاة والوزراء والله الحمد .

وفي شعبان منها أخرج المفسدات من الخواطي من بغداد ، وأمرهن أن ينادين على أنفسهن بالمار والفضيحة ، وخرب الخمرات ودور الزواني والمغاني ، وأسكنهن الجانب الغربي مع النمل والصفار ، وخرب أبرجة الحمام ، ومنع اللعب بها ، وأمر الناس باحتراز عوراتهم في الحمامات ومنع أصحاب الحمامات أن يصرفوا فضلاتها إلى دجلة ، وألزهم بحفر آبار لتلك المياه القذرة صيانة لماء الشرب . وفي شوال منها وقعت نار في أماكن متعددة في بغداد ، حتى في دار الخلافة ، فأحترقت شيئا كثيراً من الدور والداكاكين ، ووقع بواسطة حريق في تسعة أماكن ، واحترق فيها أربعة وثمانون داراً وستة خانات ، وأشياء كثيرة غير ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفيهما عمل الرصد للسلطان ملكشاه اجتمع عليه جماعة من أعيان المنجمين وأنفق عليه أموالا كثيرة ، وبقى دائراً حتى مات السلطان فيبطل .

وفي ذي الحجة منها أعيدت الخطب للمصريين وقطعت خطبة العباسيين ، وذلك لما قوى أمر صاحب مصر بعدما كان ضعيفا بسبب غلاء بلده ، فلما رخصت تراجع الناس إليها ، وطاب العيش بها ، وقد كانت الخطبة للعباسيين بمكة منذ أربعين سنة وخمسة أشهر ، وستمود كما كانت على ماسياتي

بيانه في موضعه، وفي هذا الشهر أنجفل أهل السواد من شدة الوباء وقلة ماء دجلة ونقصها . وحج بالناس الشريف أبو طالب الحسيني بن محمد الزينبي ، وأخذ البيعة للخليفة المقتدى بالحرمين .  
ومن توفي فيها من الأعيان . الخليفة القائم بامر الله  
عبد الله ، وقد ذكرنا شيئاً من ترجمته عند وفاته .

#### الداوودي

راوى صحيح البخارى ، عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود ، أبو الحسن ، بن أبي طلحة الداوودي ، ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، سمع الكثير وتفقه على الشيخ أبي حامد الاسفراييني ، وأبي بكر القفال ، وصحب أبا علي الدقاق وأبا عبد الرحمن السلي ، وكتب الكثير ودرس وأفتى وصنف ، ووعظ الناس . وكانت له يد طولى في النظم والنثر ، وكان مع ذلك كثير الذكر ، لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى ، دخل يوماً عليه الوزير نظام الملك نجاس بين يديه فقال له الشيخ : إن الله قد سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم . وكانت وفاته ببوشح في هذه السنة وقد جاوز التسعين . ومن شعره الجيد القوي قوله :

كان في الاجتماع بالناس نوراً \* ذهب النور واذلهم الظلام

فسد الناس والزمان جميعاً \* فعلى الناس والزمان السلام

#### أبو الحسن علي بن الحسن

ابن علي بن أبي الطيب الباخريّ الشاعر المشهور ، اشتغل أولاً على الشيخ أبي محمد الجويني ثم ترك ذلك وعمد إلى الكتابة والشعر ، ففارق أقرانه ، وله ديوان مشهور فنه :

وإني لأشكولسعُ أصداعكُ التي \* عقاربها في وجنتيكُ نجومُ

وأبكي لدرِ الثغرِ منكُ ولي أبّ \* فكيفَ نديمُ الضحكِ وهو يتيمُ

ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي : جاء جراد في شعبان بعدد الرمل والحصى ، فأكل الفلات وآذى الناس ، وجاعوا فطحن الخروب بدقيق الدخن فأكلوه ، ووقع الوباء ، ثم منع الله الجراد من الفساد ، وكان يمر ولا يضر ، فرخصت الأسمار . قال : ووقع غلاء شديد بدمشق واستمر ثلاث سنين . وفيها ملك نصر ابن محمود بن صالح بن مرداس مدينة متبج ، وأجلى عنها الروم ولله الحمد والمنة في ذى القعدة منها . وفيها ملك الاقسيس مدينة دمشق ، وانهمزم عنها المولى بن حيدر نائب المستنصر المبيدى إلى مدينة بانياس ، وخطب فيها للمقتدى ، وقطعت خطبة المصريين عنها إلى الآن ولله الحمد والمنة . فاستدعى المستنصر نائبه فحبسه عنده إلى أن مات في السجن .



قلت : الاتسيس هذا هو أنسز بن أوف الخوارزمي ، ويلقب بالملك المظم ، وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين ، وأزال الأذان منها بجي على خير العمل ، بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام ، مائة وست سنين : كان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضي الله عنهم ، فأمر هذا السلطان المؤذنين والخطباء أن يتروا عن الصحابة أجمعين ، ونشر المدل وأظهر السنة : وهو أول من أسس القلعة بدمشق ، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يلجئ إليه المسلمون من العدو ، فبناها في محلها هذ التي هي فيها اليوم ، وكان موضعها بباب البلد يقال له باب الحديد ، وهو تجاه داررضوان منها ، وكان ابتداء ذلك في السنة الآتية ، وإنما أكملها بعده الملك المظفر تنش بن ألب أرسلان الساجوقى كما سيأتى بيانه . وحج بالناس فيها مقطع الكوفة . وهو الأمير السكيتى جنفل التركي ، ويعرف بالطويل ، وكان قد شردخفاجة في البلاد وقهرهم ، ولم يصحب معه سوى ستة عشر تركيا ، فوصل إلى مكة سالما ، ولما نزل ببعض دورها كبسه بعض العبيد . فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وهزمهم هزيمة شديدة ، ثم إنه بعد ذلك إنما كان ينزل بالزاهر . قاله ابن الساعى في تاريخه ، وأعيدت الخطبة في هذه السنة للعباسيين في ذى الحجة منها ، وقطعت خطبة المصريين والله الحمد والمنة .

ومن توفى فيها من الأعيان . **محمد بن علي**

ابن أحمد بن عيسى بن موسى ، أبو تمام ابن أبي القاسم بن القاضى أبى على الهاشمى ، تقيب الهاشميين ، وهو ابن عم الشريف أبى جعفر بن أبى موسى الفقيه الحنبلى ، روى الحديث وسمع منه أبو بكر بن عبد الباقي ، ودفن بباب حرب .

**محمد بن القاسم**

ابن حبيب بن عبدوس ، أبو بكر الصفار من أهل نيسابور ، سمع الحاكم وأبا عبد الرحمن السلمى وخلقا ، وتفقه على الشيخ أبى محمد الجوينى ، وكان يخلفه في حلقة .

**محمد بن محمد بن عبد الله**

أبو الحسين البيضاوى الشافعى ، ختن أبى الطيب الطبرى على ابنته ، سمع الحديث وكان ثقة خيراً ، توفى في شعبان منها ، وتقدم للصلاة عليه الشيخ أبو نصر بن الصباغ ، وحضر جنازته أبو عبد الله الدامغانى مأوياً ، ودفن بداره في قطعة الكرخ .

**محمد بن نصر بن صالح**

ابن أمير حاب ، وكان قد ملكها في سنة تسع وخسين ، وكان من أحسن الناس شكلاً وفملاً .

**مسعود بن الحسن**

ابن الحسن بن عبد الرزاق بن جعفر البيضاى الشاعر ومن شعره :

ليس لي صاحبٌ معينٌ سوى إلا \* يل إذا طال بالصدودِ عليا  
 أنا أشكو بعد الحبيبِ إليه \* وهو يشكو بعد الصباحِ إلينا  
 يامن لبستُ لهجره طولَ الضنا \* حتى خفيتُ إذا عن العوادِ  
 وأنستُ بالسهر الطويلِ فأنسيتُ \* أجفانُ عيني كيف كان رقادي  
 إن كان يوسفُ بالجمالِ مقطَعاً \* أيدي فانتُ مفتتُ الأُكبادِ

### الواحدى المفسر

على بن حسن بن أحمد بن علي بن بويه الواحدى ، قال ابن خلكان : ولا أدرى هذه النسبة إلى ماذا ، وهو صاحب التفسير الثلاثة : البسيط ، والوسيط والوجيز . قال : ومنه أخذ الغزالي أسماء كتبه . قال : وله أسباب النزول ، والتجبير فى شرح الأسماء الحسنى ، وقد شرح ديوان المتنبي ، وليس فى شروحه مع كثرتها مثله . قال : وقد رزق السعادة فى تصانيفه ، وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون فى دروسهم ، وقد أخذ التفسير عن الثعالبي ، وقد مرض مدة ، ثم كانت وفاته بنيسابور فى جمادى الآخرة منها . ناصر بن محمد

ابن علي أبو منصور التركي الصافرى ، وهو والد الحافظ محمد بن ناصر ، قرأ القرآن ، وسمع الكثير ، وهو الذى تولى قراءة التاريخ على الخطيب بجامع المنصور ، وكان ظريفا صبيحا ، مات شابا دون الثلاثين سنة فى ذى القعدة منها ، وقد رناه بعضهم بقصيدة طويلة أوردتها كلها فى المنتظم ابن الجوزى . يوسف بن محمد بن الحسن

أبو القاسم الهمداني ، سمع وجمع وصنف وانتشرت عنه الرواية ، توفى فى هذه السنة وقد قارب التسعين . ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة

فيها كان ابتداء عمارة قلعة دمشق ، وذلك أن الملك المعظم أنسز بن أوف الخوارزمي لما انتزع دمشق من أيدي العبيديين فى السنة الماضية ، شرع فى بناء هذا الحصن المنيع بدمشق فى هذه السنة وكان فى مكان القلعة اليوم أحد أبواب البلدة ، باب يعرف بباب الحديد ، وهو الباب المقابل لدار رضوان منها اليوم ، داخل البركة البرانية منها ، وقد ارتفع بعض أبرجتها فلم يتكامل حتى انتزع ملك البلد منه الملك المظفر تاج الملوك تنش بن ألب أرسلان السلجوقى ، فأكلها وأحسن عمارتها ، وابتنى بها دار رضوان للملك ، واستمرت على ذلك البناء فى أيام نور الدين محمود بن زنكى ، فلما كان الملك صلاح الدين بن يوسف بن أيوب جدد فيها شيئا ، وابتنى له نائبه ابن مقدم فيها داراً هائلة للملكة ، ثم إن الملك العادل أخا صلاح الدين ، اقتسم هو وأولاده أبرجتها ، فبنى كل ملك منهم برجاً منها جده وعلاه وأطده وأكده . ثم جدد الملك الظاهر بيبرس منها البرج الغربى القبلى ،

ثم ابتنى بعده في دولة الملك الأشرف خليل بن المنصور ، نائبه الشجاعى ، الطارمة الشمالية والقبّة الزرقاء وما حولها ، وفي المحرم منها مرض الخليفة مرضا شديدا فأرجف الناس به ، فركب حتى رآه الناس جهرة فسكنوا ، وفي جمادى الآخرة منها زادت دجلة زيادة كثيرة ، إحدى عشرين ذراعا ونصفا ، فنقل الناس أموالهم وخيف على دار الخلافة ، فنقل تابوت القائم بأمر الله ليللا إلى الترب بالرصافة . وفي شوال منها وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية . وذلك أن ابن القشيري قدم ببغداد فجلس يتكلم في النظامية وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم ، وساعده أبو سعد الصوفى ، ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الحنابلة ويسأله المعونة عليهم ، وذهب جماعة إلى الشريف أبى جعفر بن أبى موسى شيخ الحنابلة ، وهو فى مسجده ، فدافع عنه آخرون ، واقتتل الناس بسبب ذلك وقتل رجل خياط من سوق التبن ، وجرح آخرون ، وثارَت الفتنة ، وكتب الشيخ أبو إسحاق وأبو بكر الشاشى إلى نظام الملك فى كتابه إلى نجر الدولة ينكر ما وقع ، ويكره أن ينسب إلى المدرسة التى بناها شىء من ذلك . وعزم الشيخ أبو إسحاق على الرحلة من بغداد غضبا مما وقع من الشر ، فأرسل إليه الخليفة يسكنه ، ثم جمع بينه وبين الشريف أبى جعفر وأبى سعد الصوفى ، وأبى نصر بن القشيري ، عند الوزير ، فأقبل الوزير على أبى جعفر يعظه فى الفعّال والمقال ، وقام إليه الشيخ أبو إسحاق فقال : أنا ذلك الذى كنت تعرفه وأنا شاب ، وهذه كتبى فى الأصول ، ما أقول فيها خلافا للأشعرية ، ثم قبل رأس أبى جعفر ، فقال له أبو جعفر : صدقت ، إلا أنك لما كنت فقيرا لم تظهر لنا مافى نفسك ، فلما جاء الأعوان والسلطان وخواجه برك - يعنى نظام الملك - وشبعت ، أبديت ما كان مخفيا فى نفسك . وقام الشيخ أبو سعد الصوفى وقبل رأس الشريف أبى جعفر أيضا وتلطّف به ، فالتفت إليه مغضبا وقال : أيها الشيخ أما الفقهاء إذا تكلموا فى مسائل الأصول فلمهم فيها مدخل ، وأما أنت فصاحب لهو وسباح وتغيير ، فمن زاحك منا على باطلاك ؟ ثم قال : أيها الوزير أنى تصلح بيننا ؟ وكيف يقع بيننا صلح ونحن نوجب ما نعتقده وهم يحرّمون ويكفرون ؟ وهذا جد الخليفة القائم والقادر قد أظهرنا اعتقادهما للناس على رؤس الأشهاد على مذهب أهل السنة والجماعة والسلف ، ونحن على ذلك كما وافق عليه العراقيون والخراسانيون ، وقرىء على الناس فى الدواوين كلها ، فأرسل الوزير إلى الخليفة يعلمه بما جرى ، فجاء الجواب بشكر الجماعة وخصوصا الشريف أبى جعفر ، ثم استدعى الخليفة أبى جعفر إلى دار الخلافة للسلام عليه ، والتبرك بدعائه . قال ابن الجوزى : وفى ذى القعدة منها كثرت الأمراض فى الناس ببغداد وواسط والسواد ، وورد الخبر بأن الشام كذلك . وفى هذا الشهر أزيلت المنكرات والبغايا ببغداد ، وهرب الفساق منها . وفيها ملك حلب نصر بن محمود بن مرداس بعد وفاة أبيه . وفيها تزوج

الأمير علي بن أبي منصور بن قرامز بن علاء الدولة بن كالويه السلت أرسلان خاتون بنت داود عم  
السلطان ألب أرسلان ، وكانت زوجة القائم بأمر الله . وفيها حاصر الأقباس صاحب دمشق مصر  
وضيق على صاحبها المستنصر بالله ، ثم كراجماً إلى دمشق . وحج بالناس فيها الأمير جنفل  
التركي <sup>(١)</sup> مقطوع الكوفة .

ومن توفي فيها من الأعيان **اسمه دومت بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمي**  
الشاعر ، ابي أبا عبد الله بن الحاج وعبد العزيز بن نباتة وغيرهما من الشعراء ، وكان شيعياً  
فناج ، وقال في قصيدة له في ذلك قوله في اعتقاده :

وإذا سئلت عن اعتقادي قلت ما \* كانت عليه مذاهب الأبرار  
وأقول خير الناس بمد محمد \* صديقه وأنيسه في الفار  
ثم الثلاثة بعده خير الوري \* أكرم بهم من سادة أطهار  
هذا اعتقادي والذي أرجو به \* فوزي وعنتي من عذاب النار

طاهر بن أحمد بن بابشاذ

أبو الحسن البصري النهدي ، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات من ساعته  
في رجب من هذه السنة . قال ابن خلكان : كان بمصر إمام عصره في النحو ، وله المصنفات المفيدة  
من ذلك مقدمته وشرحها وشرح الجمل للزجاجي . قال : وكانت وظيفته بمصر أنه لا تكتب الرسائل  
في ديوان الانشاء إلا عرضت عليه فيصلح منها ما فيه خلل ثم تنفذ إلى الجهة التي عينت لها ، وكان  
له على ذلك معلوم وراتب جيد . قال فاتفق أنه كان يأكل يوماً مع بعض أصحابه طعاماً فجاءه قط فرموا  
له شيئاً فأخذه وذهب سريعاً ، ثم أقبل فرموا له شيئاً أيضاً فأنطلق به سرعانم جاء فرموا له شيئاً أيضاً  
فمدوا أنه لا يأكل هذا كله فتبعوه فاذا هو يذهب به إلى قط آخر أعمى في سطح هناك ، فتمجبوا من  
ذلك ، فقال الشيخ : يا سبحان الله هذا حيوان بهم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره أفلا يرزقني  
وأنا عبده وأعبده . ثم ترك ما كان له من الراتب وجمع حواشيه وأقبل على العبادة والاشتغال والملازمة  
في غرفة في جامع عمرو بن العاص ، إلى أن مات كما ذكرنا . وقد جمع تعليقه في النحو وكان قريبان  
خمس عشرة مجلداً ، فأصحابه كابن بري وغيره ينقلون منها وينتفعون بها ، ويسمونها تعليق الغرفة .

عبد الله بن محمد بن عبد الله

ابن عمر بن أحمد بن المجمع بن محمد بن يحيى بن معبد بن هزار مرد ، أبو محمد الصريفي ،  
ويعرف بابن المعلم ، أحد مشايخ الحديث المسنين المشهورين ، تفرد فيه عن جماعة من المشايخ لطول

(١) يعني هو نكل . كذا بهامش نسخة الآستانة .

عمره ، وهو آخر من حدث بالجمديات عن ابن حبانة عن أبي القاسم البغوي عن علي بن الجعد ، وهو سماعنا ، ورحل إليه الناس بسببه ، وسمع عليه جماعة من الحفاظ منهم الخطيب ، وكان ثقة محمود الطريقة ، صافى الطوية ، توفي بصريفة في جمادى الأولى عن خمس وثمانين سنة .

### حيان بن خلف

ابن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان أبو مروان القرطبي ، وولي بني أمية ، صاحب تاريخ المغرب في ستين مجلداً ، أثنى عليه الحافظ . أبو علي النسائي في فصاحته وصدقه وبلاغته . قال : وسمعه يقول : التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالوادة ، والتعزية بعد ثلاث إغراء بالمصيبة . قال ابن خلكان : توفي في ربيع الأول منها ، وراه بعضهم في المنام فسأله عن حاله فقال غفر لي . وأما التاريخ فقدمت عليه ، ولكن الله بلطفه أقالني وعفا عني .

### أبو نصر السجزي الواهلي

نسبة إلى قرية من قرى سجستان يقال لها وابل ، سمع الكثير وصنف وخرج وأقام بالحرم ، وله كتاب الابانة في الأصول ، وله في الفروع أيضاً . ومن الناس من كان يفضل في الحفظ على الصوري

### محمد بن علي بن الحسين

أبو عبد الله الأنماطي ، المعروف بابن سكينه ، ولد سنة تسعين وثلاثمائة ، وكان كثير السماع ، ومات عن تسع وسبعين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة

قال ابن الجوزي : في ربيع الأول منها وقعت صاعقة بمحلة النبوة من الجانب الغربي ، على نخاعين في مسجد فأحرقت أعاليها ، وصعد الناس فأخطأوا النار ، ونزلوا بالسف وهو يشتمل ناراً . قال : وورد كتاب من نظام الملك إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في جواب كتابه إليه في شأن الحنابلة ، ثم مرده ابن الجوزي وهو مضمونه : أنه لا يمكن تمييز المذاهب ولا نقل أهلها عنها ، والغالب دلي تلك الناحية هو مذهب الإمام أحمد ، ومحل معرف عند الأئمة والناس ، وقدره معلوم في السنة . في كلام طويل . قال : وفي شوال منها وقت فتنة بين الحنابلة وبين قهاء النظامية ، وحى لكل من الفريتين طائفة من العوام ، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلاً ، وجرح آخرون ، ثم سكنت الفتنة . قال : وفي تاسع عشر شوال ولد للخليفة المقتدى ولده المستظهر أبو العباس أحمد ، وزينت البلاد وجلس الوزير للهناء ، ثم في يوم الأحد السادس والعشرين من شوال ولد له ولد آخر وهو أبو محمد هارون . قال : وفيها ولي تاج الدولة أرسلان الشام وحاصر حلب . وحج بالناس جنفل مقطع الكوفة ، وذكر ان الجوزي أن الوزير ابن جبير كان قد عمل منبراً هائلاً لتقام عليه الخطبة بمكة ،

فحين وصل إليها إذا الخطبة قد أعيدت للمصريين ، فكسر ذلك المنبر وأحرق .  
ومن توفى فيها من الاعيان أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب

ابن أحمد أبو بكر البربوعى المقرئ آخر من حدث عن أبي الحسين بن سمعون وقد كان ثقة متعبداً  
حسن الطريقة ، كتب عنه الخطيب وقال : كان صدوقاً . توفى فى هذه السنة عن سبع وثمانين سنة .

#### أحمد بن محمد

ابن أحمد بن عبد الله أبو الحسن ابن النقور البرزاز ، أحد المسنين المعمرين تفرد بنسخ كثيرة  
عن ابن حبان عن البغوى عن أشياخه ، كندسخة هدبة وكامل بن طلحة وعمرو بن زرارة وأبى السكن  
البكرى ، وكان متكثراً متبحراً وكان يأخذ على إسماع حديث طالوت بن عباد دیناراً ، وقد  
أفتاه الشيخ أبو إسحاق الشيرازى بجواز أخذ الأجرة على إسماع الحديث ، لاشتغاله به عن  
الكسب . توفى عن تسع وثمانين سنة .

#### أحمد بن عبد الملك

ابن على بن أحمد ، أبو صالح المؤذن النيسابورى الحافظ ، كتب الكثير وجمع وصنف ، كتب  
عن ألف شيخ ، وكان يهظ ويؤذن ، مات وقد جاوز الثمانين .

#### عبد الله بن الحسن بن علي

أبو القاسم بن أبى محمد الحلالى ، آخر من حدث عن أبى حفص الكنانى ، وقد سمع الكثير ،  
روى عنه الخطيب ووثقه ، توفى عن خمس وثمانين سنة ودفن بباب حرب

#### عبد الرحمن بن منده

ابن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم أبو القاسم بن أبى عبد الله الامام ، سمع أباه  
وابن مردويه وخلقاً فى أقاليم شتى ، سافر إليها وجمع شيئاً كثيراً ، وكان ذا وقار وسمت حسن ، واتباع  
للسنة وفهم جيد ، كثير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، وكان مسعد  
ابن محمد الريمائى يقول : حفظ الله الاسلام به ، وبعبد الله الانصارى الهروى . توفى ابن منده  
هذا بأصبهان عن سبع وثمانين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل

#### عبد الملك بن محمد

ابن عبد العزيز بن محمد بن المظفر بن على أبو القاسم الهمداني أحد الحفاظ الفقهاء الأولياء ،  
كان يلقب ببجير وقد سمع الكثير ، وكان يكثر للطلبة ويقرأ لهم ، توفى بالرى فى الحرم من هذه  
السنة ، ودفن إلى جانب إبراهيم الخواص .

## الشريف أبو جعفر الحنبلي

عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطالب الهاشمي بن أبي موسى الحنبلي العباسي ، كان أحد الفقهاء العلماء العباد الزهاد المشهورين بالديانة والفضل والعبادة والقيام في الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لأثم ، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، واشتغل على القاضي أبي يعلى بن الفراء ، وزكاه شيخه عند ابن الدامغاني قبله ، ثم ترك الشهادة بعد ذلك ، وكان مشهوراً بالصلاح والديانة ، وحين احتضر الخليفة القائم بأمر الله أوصى أن يغسله الشريف أبو جعفر هذا وأوصى له بشيء كثير ، ومال جزيل ، فلم يقبل من ذلك شيئاً ، وحين وقعت الفتنة بين الحنابلة والاشعرية بسبب ابن القشيري اعتقل هو في دار الخلافة مكرماً معظماً ، يدخل عليه الفقهاء وغيرهم ، ويقبلون يده ورأسه ، ولم يزل هناك حتى اشتكى فأذن له في المسير إلى أهله فتموفى عندهم ليلة الخميس النصف في صفر منها ، ودفن إلى جانب الإمام أحمد ، فأنخذت العامة قبره سوقاً كل ليلة أربعمائة يترددون إليه ويقروون الختمات عنده حتى جاء الشتاء ، وكان جملة ما قرىء عليه وأهدى له عشرة آلاف ختمة والله أعلم .

محمد بن محمد بن عبد الله

أبو الحسن البيضاوي ، أحد الفقهاء الشافعيين بربيع الكرخ ودفن عند والده .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

فيها ملك السلطان الملك المظفر تاج الملوك تنش بن ألب أرسلان السلجوقي دمشق وقتل ملكها إقسيص ، وذلك أن إقسيص بعث إليه يستنجده على المصريين ، فلما وصل إليه لم يركب لتلقيه فأمر بقتله فقتل لساعته ، ووجد في خزائنه حجر ياقوت أحمر وزنه سبعة عشر مثقالاً ، وستين حبة لؤلؤ لكل حبة منها أزيد من مئة مثقال ، وعشرة آلاف دينار ومائتي سرج ذهب وغير ذلك . وقد كان إقسيص هذا هو أئسز بن أوف الخوارزمي ، كان يلقب بالعظيم ، وكان من خيار الملوك وأجودهم سيرة ، وأصحهم سريرة ، أزال الرفض عن أهل الشام ، وأبطل الأذان بحى على خير العمل ، وأمر بالترضى عن الصحابة أجمعين . وعمر بدمشق القلعة التي هي معقل الاسلام بالشام المحروس ، فرحمه الله وبل بالرحمة ثراه ، وجعل جنسة الفردوس مأواه . وفيها عزل الوزير ابن جهير بأشارة نظام الملك ، بسبب عمالاته على الشافعية ، ثم كاتب المتتدى نظام الملك في إعادته فأعيد ولده وأطلق هو . وفيها قدم سعد الدولة جوهر أميراً إلى بغداد ، وضرب الطبول على بابه في أوقات الصلوات ، وأساء الأدب على الخليفة ، وضرب طوالات الخليل على باب الفردوس ، فكاتب السلطان بأمره نجاء الكتاب من السلطان بالانكار عليه . وحج بالناس مقطع الكوفة جنفل التركي أثابه الله .

ومن توفي فيها من الأعيان . . سعد بن علي

ابن محمد بن علي بن الحسين أبو القاسم الزنجاني ، رحل إلى الآفاق ، وسمع الكثير ، وكان إماماً حافظاً متعبداً ، ثم انقطع في آخر عمره بمكة ، وكان الناس يتبركون به . قال ابن الجوزي : ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود .

سليم بن الجوزي

نسبة إلى قرية من قرى دجيل ، كان عبداً زاهداً يقال إنه مكث مدة يتقوت كل يوم بزبينة ، وقد سمع الحديث وقرأ عليه رحمه الله .

عبدالله بن شمعون

أبو أحمد الفقيه المالكي القيرواني ، توفي ببغداد ودفن بباب حرب والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة

فيها ملك محمود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة قلاعاً كثيرة حصينة من بلاد الهند ، ثم عاد إلى بلاده سلماً غانماً . وفيها ولد الأمير أبو جعفر بن المقتدى بالله ، وزينت له بغداد وفيها ملك صاحب الموصل الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي بعد وفاة أبيه . وفيها ملك منصور بن مروان بلاد بكر بعد أبيه . وفيها أمر السلطان بتفريق ابن علان اليهودي ضامن البصرة ، وأخذ من ذخائره أربعمائة ألف دينار ، فضمن خمارتكين البصرة بمائة ألف دينار ومائة فرس في كل سنة . وفيها فتح عبيد الله بن نظام الملك تكريت . وحج بالناس جنغل التركي وقطعت خطبة المصريين بمكة وخطب للمقتدى وللسلطان ملكشاه السلجوقي .

ومن توفي فيها من الأعيان عبدالله بن الحسن بن أحمد بن حبرون

أبو نصر سمع الكثير وكان زاهداً عبداً ، يسرد الصوم ، ويختم في كل ليلة ختمه رحمه الله .

محمد بن محمد بن أحمد

ابن الحسين بن عبد العزيز بن مهران العكبري ، سمع هلال الحفار ، وابن زرقويه والحامبي وغيرهم ، وكان فاضلاً جيد الشعر ، فن شعره قوله :

أطيلُ فكري في أي ناسٍ \* مضوا قدماً وفيمن خلفونا

هم الأحياء بعد الموتِ ذكراً \* ونحن من الخمول الميتونا

توفي في رمضان منها وله سبعون سنة .

هياج بن عبدالله

الخطيب الشامي ، سمع الحديث وكان أوحداً زمانه زهداً ووقفاً واجتهاداً في العبادة ، أقام بمكة مدة



يفتى أهلها و يهتم في كل يوم ثلاث مرات على قدميه ، ولم يلبس ثياباً منسداً أقم بمكة ، وكان يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله ، مع أهل مكة ماشياً ، وكذلك كان يزور قبر ابن عباس بالطائف ، وكان لا يدخر شيئاً ، ولا يلبس إلا قيصاً واحداً ، ضربه بعض أمراء مكة في بعض فتن الروافض فاشتكى أياماً ومات ، وقد نيف على الثمانين رحمه الله ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين واربعمائة

فيها استولى تكش أخو السلطان ملك شاه على بعض بلاد خراسان . وفيها أذن للوعاظ في الجلوس للوعظ ، وكانوا قد منعوا في فتنة ابن القشيري . وفيها قبض على جماعة من الفتيان كانوا قد جعلوا عليهم رئيساً يقال له عبد القادر الهاشمي ، وقد كاتبوه من الأقطار ، وكان الساعي له رجلاً يقال له ابن رسول ، وكانو يجتهدون عند جامع برانا ، نحيف من أمرهم أن يكونوا ممالئين للمصريين ، فأمر بالقبض عليهم . وحج بالناس جنفل .

ومن توفي فيها من الأعيان . . . أحمد بن محمد بن عمر

ابن محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله بن الأخضر المحدث ، سمع على بن شاذان ، وكان على مذهب الظاهرية ، وكان كثير التلاوة حسن السيرة ، متقللاً من الدنيا قنوعاً ، رحمه الله .

#### الصليحي

المنزب على اليمن ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الملقب بالصليحي ، كان أبوه قاضياً باليمن ، وكان سنياً ، ونشأ هذا فتعلم العلم وبرع في أشياء كثيرة من العلوم ، وكان شيعياً على مذهب القرامطة ، ثم كان يدل بالحجيج مدة خمس عشرة سنة ، وكان اشتهر أمره بين الناس أنه سيملك اليمن ، فنجم ببلاد اليمن بعد قتله نجاح صاحب تهامة ، واستحوذ على بلاد اليمن بكاملها في أقصر مدة ، واستوثق له الملك بها سنة خمس وخمسين ، وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر ، فلما كان في هذا العام خرج إلى الحج في ألفي فارس ، فاعترضه سعيد بن نجاح بالموسم ، في نفر يسير ، فقاتلهم فقتل هو وأخوه واستحوذ سعيد بن نجاح على مملكته وحواصله ، ومن شعر الصليحي هذا قوله :

أنكحت بيض الهند ممر رماحهم \* فروسهم عرض النثار نثاراً  
وكذا الملا لا يستباح نيكاحها \* إلا بحيث تطلق الأعمار

#### محمد بن الحسين

ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبلي ، أبو علي الشاعر البغدادي ، أسند الحديث ، وله الشعر الرائع فنه قوله : لا تظهرن لساذل أو عاذر \* حالك في السراء والضراء  
فلحقر المتوجعين مرارة \* في القلب مثل شامة الأعداء

وله أيضاً يفنى البخيل بجمع المال مدته \* وللحوادث والوراث ما يدع  
كدودة النر ما تبنيه يخفقها \* وغيرها بالذي تبنيه يفتنع

### يوسف بن الحسن

ابن محمد بن الحسن ، أبو القاسم العسكري ، من أهل خراسان من مدينة زنجان ، ولد سنة خمس  
وتسعين وثلاثمائة ، وتفقّه على أبي إسحاق الشيرازي ، وكان من أكبر تلاميذه ، وكان عابداً ورعاً  
خاشعاً ، كثير البكاء عند الذكر ، مقبلاً على العبادة ، مات وقد قارب الثمانين .

### ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة

فيها ولي أبو كامل منصور بن نور الدولة ديبس ما كان يليه أبوه من الأعمال ، وخلع عليه  
السلطان والخليفة . وفيها ملك شرف الدولة مسلم بن قريش حران ، وصالح صاحب الرهاء . وفيها  
فتح تنش بن ألب أرسلان صاحب دمشق مدينة انطربوس . وفيها أرسل الخليفة ابن جهر إلى  
السلطان ملك شاه يتزوج ابنته فأجابت أمها بذلك ، بشرط أن لا يكون له زوجة ولا سرية  
سواها ، وأن يكون سبعة أيام عندها ، فوقع الشرط على ذلك .

### وفيها توفي من الأعيان . . داود بن السلطان بن ملك شاه

فوجد عليه أبوه وجداً كثيراً ، بحيث إنه كاد أوهم أن يقتل نفسه ، فذمه الامراء من ذلك ،  
وانتقل عن ذلك البلد وأمر النساء بالنوح عليه . ولما وصل الخبر لبغداد جلس وزير الخليفة للمراء .

### القاضي أبو الوليد الباجي

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الأندلسي الباجي الفقيه المالكي ، أحد الحفاظ  
المكثرين في الفقه والحديث ، سمع الحديث ورحل فيه إلى بلاد المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة ،  
فسمع هناك الكثير ، واجتمع بأئمة ذلك الوقت ، كالقاضي أبي الطيب الطبري ، وأبي إسحاق  
الشيرازي ، وجاور بمكة ثلاث سنين مع الشيخ أبي ذر الهروي ، وأقام ببغداد ثلاث سنين ،  
وبالموصل سنة عند أبي جعفر السمئاني قاضيها ، فأخذ عنه الفقه والأصول ، وسمع الخطيب البغدادي  
وسمع منه الخطيب أيضاً ، وروى عنه هذين البيتين الحسنين .

إذا كنت أعلمُ علماً يقيناً \* بأن جميع حياتي كساعةٌ

فلم لا أكون كضيفٍ بها \* وأجعلها في صلاح وطاعة

ثم عاد إلى بلده بعد ثلاث عشرة سنة ، وتولى القضاء هناك ، ويقال إنه تولى قضاء حلب أيضاً ،  
قاله ابن خلكان . قال : وله مصنفات عديدة منها المنتقى في شرح الموطأ ، وإحكام الفصول في أحكام  
الأصول ، والجرح والتعديل ، وغير ذلك ، وكان مولده سنة ثلاث وأربعمائة ، وتوفي ليلة الخميس بين

العشاء من التاسع والعشرين من رجب من هذه السنة ، رحمه الله .

أبو الأغر ديميس بن علي بن مزيد

المقلب نور الدولة ، توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة : مكث منها أميراً نيفاً وستين<sup>(١)</sup> سنة ، وقام بالأمر من بعده ولده أبو كامل ، ولقب بهاء الدولة .

عبد الله بن أحمد بن رضوان

أبو القاسم البغدادي ، كان من الرؤساء ، ومرض بالشقيقة ثلاث سنين ، فكث في بيت مظلم لا يرى ضوءاً ولا يسمع صوتاً ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة

فيها قدم مؤيد الملك فنزل في مدرسة أبيه ، وضربت الطبول على بابه في أوقات الصلوات الثلاث . وفيها نفذ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رسولا إلى السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك ، وكان أبو إسحاق كلما مر على بلدة خرج أهلها يتلونه بأولادهم ونسائهم ، يتبركون به ويتمسحون بركابه ، وربما أخذوا من تراب حافر بقلته . ولما وصل إلى ساوة خرج إليه أهلها ، وما مر بسوق منها إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم ، حتى اجتار بسوق الأسا كفة ، فلم يكن عندهم إلا مداواة الصغار فنثروها عليه ، فجعل يتمجب من ذلك . وفيها جدت الخطبة لبنت السلطان ملكشاه من جهة الخليفة ، فطلبت أمها أربعمائة ألف دينار ، ثم اتفق الحال على خمسين ألف دينار . وفيها حارب السلطان أخاه تنش فأسره ثم أطلقه ، واستقرت يده على دمشق وأعمالها . وحج بالناس جنفل .

عبد الوهاب بن محمد

وتوفي فيها من الأعيان .

ابن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده ، أبو عمر الحافظ من بيت الحديث ، رحل إلى الآفاق

وسمع الكثير ، وتوفي بأصبهان . ابن ماکولا

الأمير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن محمد بن دلف بن أبي دلف التميمي ، الأمير سمع الملك ، أبو نصر ابن ماکولا ، أحد أئمة الحديث وسادات الأمراء ، رحل وطاف وسمع الكثير ، وصنف الإكمال في المشتبه من أسماء الرجال ، وهو كتاب جليل لم يسبق إليه ، ولا يلحق فيه ، إلا ما استدرك عليه ابن نقطة في كتاب سماه الاستدراك . قتله مماليكه في كرمان في هذه السنة ، وكان مولده في سنة عشرين وأربعمائة ، وعاش خمسا وخمسين سنة . قال ابن خلكان : وقيل إنه قتل في سنة تسع وسبعين ، وقيل في سنة سبع وثمانين . قال : وقد كان أبوه وزير القائم بأمر الله ، وعمه عبد الله بن الحسين ولي قضاء بغداد . قال : ولم أدر لم سمى الأمير إلا أن يكون منسوباً إلى جده الأمير أبي دلف ، وأصله من جر باذقان ، وولد في عكبرا في شعبان سنة (١) كذا بالأصل وفي النجوم الزاهرة أيضا . وفي الكامل لابن الأثير أن إمارته كانت سبعا وخمسين سنة .

إحدى وعشرين وأربعمائة . قال : وقد كان الخطيب البغدادي صنف كتاب المؤتلف جمع فيه بين كتابي الدارقطني وعبد الغني بن سعيد في المؤتلف والمختلف ، فجاء ابن ماكولا وزاره على الخطيب وسماه كتاب الأكمال ، وهو في غاية الأفادة ورفع الالتباس والضبط . ولم يوضع مثله ، ولا يحتاج هذا الأمير بعينه إلى فضيلة أخرى ، ففيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه ومحريره وإتقانه . ومن الشعر المنسوب إليه قوله :

قَوْصَ خِيَامِكَ عَنْ أَرْضِ تَهَانُهَا \* وَجَانِبِ الدُّلِّ إِنْ الدُّلُّ يُجْتَنَبُ  
وَارْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الأَوْطَانِ مَنْقُصَةً \* فَالْمَنْدَلُ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ  
ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة

فيها عزل عميد الدولة بن جبير عن وزارة الخلافة فسار بأهله وأولاده إلى السلطان ، وقصدوا نظام الملك وزير السلطان ، فمقد لولده نجر الدولة على بلاد ديار بكر ، فسار إليها بالخلع والكوسات والمساكر ، وأمر أن ينتزعها من ابن مروان ، وأن يخطب لنفسه وأن يذكر اسمه على السكة ، فسا زال حتى انتزعها من أيديهم ، وبأد ملكهم على يديه كما سيأتي بيانه ، وسد وزارة الخلافة أبو الفتح مظفر ابن رئيس الرؤساء ، ثم عزل في شعبان واستوزر أبو شجاع محمد بن الحسين ، ولقب ظهير الدين ، وفي جمادى الآخرة ولي مؤيد الملك أبا سعيد عبد الرحمن ابن المأمون ، المتولى تدريس النظامية بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي . وفيها عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش ، فجاء فحاصرها ففتحها وهدم سورها وصلب قاضيها ابن حلبه وابنيه على السور . وفي شوال منها قتل أبو المحاسن بن أبي الرضا ، وذلك لأنه وشى إلى السلطان في نظام الملك ، وقال له سلمهم إلى حتى أستخلص لك منهم ألف ألف دينار ، فعمل نظام الملك سباطا هائلا ، واستحضر غلمانا وكانوا ألوفا من الأتراك ، وشرع يقول للسلطان : هذا كله من أموالك ، وما وقتنه من المدارس والربط ، وكاه شكره لك في الدنيا وأجره لك في الآخرة ، وأموالي وجميع ما أملكه بين يديك ، وأنا أقنع بمرقة وزاوية ، فمعد ذلك أمر السلطان بقتل أبي المحاسن ، وقد كان حاضيا عنده ، وخصيصا به وجها ليديه ، وعزل أباه عن كتابة الطغراء وولاها مؤيد الملك . وحج بالناس الأمير جنفل التركي مقطوع الكوفة .

ومن توفي فيها من الأعيان : الشيخ أبو إسحاق الشيرازي

إبراهيم بن علي بن يوسف الفير وزاباذي ، وهي قرية من قرى فارس ، وقيل هي مدينة خوارزم ، شيخ الشافعية ، ومدرس النظامية ببغداد ، ولد سنة ثلاث وقيل ست وتسعين وثلاثمائة ، وتفقه بفارس على أبي عبد الله البيضاوي ، ثم قدم بغداد سنة خمس عشرة وأربعمائة ، تفقه على القاضي أبي الطيب الطبري ، وسمع الحديث من ابن شاذان والبرقاني ، وكان زاهدا عابدا ورعا ، كبير القدر معظما محترما

إماما في الفقه والأصول والحديث ، وفنون كثيرة ، وله المصنفات الكثيرة النافعة ، كالمهذب في المذهب ، والتنبيه ، والنكت في الخلاف ، واللمع في أصول الفقه ، والتبصرة ، وطبقات الشافعية وغير ذلك . قلت : وقد ذكرت ترجمته مستقصاة مطولة في أول شرح التنبيه ، توفي ليلة الأحد الحادى والعشرين من جمادى الآخرة في دار أبي المظفر بن رئيس الرؤساء ، وغسله أبو الوغان عقيل الحنبلي وصلى عليه بباب الفردوس من دار الخلافة ، وشهد الصلاة عليه المقتدى بأمر الله ، وتقدم للصلاة عليه أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء ، وكان يومئذ لابسا ثياب الوزارة ، ثم صلى عليه مرة ثانية بجامع القصر ، ودفن بباب إبرز في تربة مجاورة للناحية رحمه الله تعالى ، وقد امتدحه الشعراء في حياته و بعد وفاته ، وله شعر رائع ، فما أنشده ابن خلكان من شعره قوله :

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنِ خَلِيٍّ وَفِي \* فَقَالُوا مَا إِلَى هَذَا سَبِيلٌ

تَمَسَّكَ إِنْ ظَفَرَتْ بِذِيْلِ حَرٍّ \* فَانَ الْحَرُّ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ

قال ابن خلكان : ولما توفي عمل الفقهاء عزاءه بالنظامية ، وعين مؤيد الملك أبا ساعد المتولى مكانه ، فلما بلغ الخبر إلى نظام الملك كتب يقول : كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله ، وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر بن الصباغ في مكانه .

#### طاهر بن الحسين

ابن أحمد بن عبد الله القواس ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري وأفتى ودرس ، وكانت له حلقة بجامع المنصور للمناظرة والفتوى ، وكان ورعا زاهدا ملازما لمسجده خمسين سنة ، توفي عن ست وثمانين سنة ، ودفن قريبا من الامام أحمد ، رحمه الله وإيانا .

#### محمد بن أحمد بن اسماعيل

أبو طاهر الأنباري الخطيب ، ويعرف بابن أبي الصفر ، طاف البلاد وسمع الكثير ، وكان ثقة صالحا فاضلا عابدا ، وقد سمع منه الخطيب البغدادي ، وروى عنه مصنفاته ، توفي بالأنبار في جمادى الآخرة عن نحو من مائة سنة ، رحمه الله .

#### محمد بن أحمد بن الحسين بن جرادة

أحد الرؤساء ببغداد ، وهو من ذوى الثروة والمروءة ، كان يجزر ماله بثلاثمائة ألف دينار ، وكان أصله من عكبرا فسكن بغداد ، وكانت له بها دار عظيمة تشتمل على ثلاثين مسكنا مستقلا ، وفيها حمام وبستان ، ولها بابان ، على كل باب مسجد ، إذا أذن المؤذن في إحداها لا يسمع الآخر من اتساعها ، وقد كانت زوجة الخليفة القائم حين وقعت فتنة البساسيري في سنة خمسين وأربعمائة ، نزلت عنده في جواره ، فبعث إلى الأمير قريش بن بدران أمير العرب بعشرة آلاف دينار ،

ليحى له داره ، وهو الذى بنى المسجد المعروف به ببغداد ، وقد ختم فيه القرآن ألوف من الناس ، وكان لا يفارق زى التجار . وكانت وفاته فى عاشر ذى القعدة من هذه السنة ، ودفن فى التربة المجاورة لتربة القزوينى ، رحمه الله وإيانا آمين .

### ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة

فبها كانت الحرب بين نجر الدولة بن جبير وزير الخليفة وبين ابن مروان صاحب ديار بكر ، فاستولى ابن جبير على ملك العرب وسبى حرهم وأخذ البلاد ومعه سيف الدولة صدقة بن منصور ابن ديبس بن علي بن يزيد الأسدى ، فاقتدى خلقا من العرب فشكره الناس على ذلك ، وامتدحه الشعراء . وفيها بعث السلطان عميد الدولة ابن جبير فى عسكر كثير ومعه قسيم الدولة اقسنقر جد بنى أنابك ملوك الشام والموصل ، فسارا إلى الموصل فلكوها . وفى شعبان منها ملك سليمان بن قتلمش أنطاكية ، فأزاد شرف الدولة مسلم بن قريش أن يستنقذها منه ، فهزمه سليمان وقتله ، وكان مسلم هذا من خيار الملوك سيرة ، له فى كل قرية وال وقاض وصاحب خبز ، وكان يملك من السندية إلى منبج . وولى بعده أخوه إبراهيم بن قريش ، وكان مسجوناً من سنين فأطلق وملك . وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه فى العشرين من رجب بسنجار . وفيها عصى تكش أخو السلطان فأخذ السلطان نفسه وسجنه . وحج بالناس فى هذه السنة الأمير خمار تكين الحسانى ، وذلك لشكوى الناس من شدة سير جنفل بهم ، وأخذ المكوسات منهم ، سافر مرة من الكوفة إلى مكة فى سبعة عشر يوماً .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن دويست

أبو سعد النيسابورى ، شيخ الصوفية ، له رباط بمدينة نيسابور يدخل من بابه الجبل براكبه ، وحج مرات على التجرد على البحرين ، حين انقطعت طريق مكة ، وكان يأخذ جماعة من الفقراء ويتوصل من قبائل العرب حتى يأتى مكة ، توفى فى هذه السنة وقد جاوز التسعين ، رحمه الله وإيانا ، وأوصى أن يخلفه ولده إسماعيل فأجلس فى مشيخة الرباط .

### ابن الصباغ

صاحب الشامل ، عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر ، الامام أبو نصر ابن الصباغ ، ولد سنة أربعمائة ، وتفقّه ببغداد على أبي الطيب الطبرى حتى فاق الشافعية بالعراق ، وصنف المصنفات المفيدة ، منها الشامل فى المذهب ، وهو أول من درس بالنظامية ، توفى فى هذه السنة ودفن بداره فى الكرخ ، ثم نقل إلى باب حرب رحمه الله ، قال ابن خلكان : كان فقيه العراقين ، وكان يضاى أبا إسحاق ، وكان ابن الصباغ أعلم منه بالمذهب ، وإليه الرحلة فيه ، وقد صنف الشامل فى الفقه والعمدة فى أصول الفقه ، وتولى تدريس النظامية أولاً ، ثم عزل بعد عشرين

يوماً بالشيخ أبي إسحاق ، فلما مات الشيخ أبو إسحاق تولاهما أبو سعد المتولى ، ثم عزل ابن الصباغ بابن المتولى ، وكان ثقة حجة صالحاً ، ولد سنة أربع مائة ، أضر في آخر عمره ، رحمه الله وإيانا .

### مصعود بن ناصر

ابن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل ، أبو سعد السجري الحافظ ، رحل في الحديث وسمع الكثير ، وجمع الكتب النفيسة ، وكان صحيح الخط ، صحيح النقل ، حافظاً ضابطاً ، رحمه الله وإيانا .

### ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

في المحرم منها زلزلت أرجان فهلك خلق كثير من الروم ومواشيهم . وفيها كثرت الأمراض بالحلى والطاعون بالمرق والحجاز والشام ، وأعقب ذلك موت الفجأة ، ثم ماتت الوحوش في البراري ثم تلاها موت البهائم ، حتى عزت الألبان واللحمان ، ومع هذا كله وقعت فتنة عظيمة بين الرافضة والسنة فقتل خلق كثير فيها . وفي ربيع الأول هاجت ريح سوداء وسفت رملاً ، وتساقطت أشجار كثيرة من النخل وغيرها ، ووقعت صواعق في البلاد حتى ظن بعض الناس أن القيامة قد قامت ، ثم انجلى ذلك والله الحمد . وفيها ولد للخليفة ولده أبو عبد الله الحسين ، وزينت بغداد وضربت الطبول والبوقات ، وكثرت الصدقات . وفيها استولى فخر الدولة ابن جبير على بلاد كثيرة ، منها آمد وميا فارقين ، وجزيرة ابن عمر ، وانقضت بنو مروان على يده في هذه السنة . وفي ثاني عشر رمضان منها ولي أبو بكر محمد بن مظفر الشامي قضاء القضاة ببغداد ، بعد وفاة أبي عبد الله الدامغاني ، وخاع عليه في الديوان . وحج بالناس جنغل ، وزار النبي (ص) ، ذاهباً وآيياً . قال : أظن أنها آخر حجتي . وكان كذلك . وفيها خرج توقيع الخليفة المقتدى بأمر الله بتجديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل محلة ، وإلزام أهل الذمة بلبس الغيار ، وكسر آلات الملاهي ، وإراقة الخمر ، وإخراج أهل الفساد من البلاد ، أنابه الله ورحمه .

### ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن الحسن

ابن محمد بن إبراهيم بن أبي أيوب ، أبو بكر الفوركي ، سبط الأستاذ أبي بكر بن فورك ، استوطن بغداد وكان متكلماً يعظ الناس في النظامية ، فوقعت بسببه فتنة بين أهل المذاهب . قال ابن الجوزي : وكان مؤثراً للدنيا لا يتحاشى من لبس الحرير ، وكان يأخذ مكس الفم ويقع المداوة بين الحنابلة والأشاعرة ، مات وقد ناف على الستين سنة ، ودفن إلى جانب قبر الأشعري بمشرفة الزوايا .

### الحسن بن علي

أبو عبد الله المردوسي ، كان رئيس أهل زمانه ، وأكلمهم مروءة ، كان خدماً في أيام بني بويه وتأخر لهذا الحين ، وكانت الملوك تعظمه وتكاتبه بعبده وخدامه ، وكان كثير الصدقة والصلوات

والبر، وبلغ من العمر خمساً وتسعين سنة، وأعد لنفسه قبراً وكفنا قبل موته بخمس سنين .  
 أبو سعد المتولي

عبد الرحمن بن المأمون بن علي أبو سعد المتولي : مصنف التتمة ، ومدرس الظامية بعد أبي إسحاق الشيرازي ، وكان فصيحاً بليغاً ، ماهراً بعلوم كثيرة ، كانت وفاته في شوال من هذه السنة وله ستة وخمسون سنة ، رحمه الله وإيانا ، وصلى عليه القاضي أبو بكر الشاشي .

#### إمام الحرمين

عبد الملك بن [ الشيخ أبي محمد ] عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه ، أبو المعالي الجويني ، وجوين من قرى نيسابور ، الملقب بإمام الحرمين ، لجاورته بمكة أربع سنين ، كان مولده في تسع عشرة وأربعمائة ، سمع الحديث وتفقه على والده الشيخ أبي محمد الجويني ، ودرس بعده في حلقة ، وتفقه على القاضي حسين ، ودخل بغداد وتفقه بها ، وروى الحديث وخرج إلى مكة فجاور فيها أربع سنين ، ثم عاد إلى نيسابور فسلم إليه التدريس والخطابة والوعظ ، وصنف نهاية المطلب في دراية المذهب ، والبرهان في أصول الفقه ، وغير ذلك في علوم شتى ، واشتغل عليه الطلبة ورحلوا إليه من الأقطار ، وكان يحضر مجلسه ثلاثمائة متفقه ، وقد استقصيت ترجمته في الطبقات ، وكانت وفاته في الخامس والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، عن سبع وخمسين سنة ، ودفن بداره ثم نقل إلى جانب والده . قال ابن خلكان : كانت أمه جارية اشتراها والده من كسب يده من النسيخ ، وأمرها أن لا تدع أحداً يرضعه غيرها ، فاتفق أن امرأة دخلت عليها فأرضته مرة فأخذته الشيخ أبو محمد فنكسه ووضع يده على بطنه ووضع أصبعه في حلقة ولم يزل به حتى قاه ماني بطنه من ابن تلك المرأة . قال : وكان إمام الحرمين ربما حصل له في مجلسه في المناظرة فتور ووقفة فيقول : هذا من آثار تلك الرضعة . قال : ولما عاد من الحجاز إلى بلده نيسابور سلم إليه المحراب والخطابة والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة ، وبقي ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع ، وصنف في كل فن ، وله النهاية التي ما صنف في الإسلام مثلها . قال الحافظ أبو جعفر : سمعت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي يقول لإمام الحرمين : يا مفيد أهل المشرق والمغرب ، أنت اليوم إمام الأئمة . ومن تصانيفه الشامل في أصول الدين ، والبرهان في أصول الفقه ، وتلخيص التقريب ، والارشاد ، والعقيدة النظامية ، وغياث الأمم <sup>(١)</sup> وغير ذلك مما سماه ولم يتمه . وصلى عليه ولده أبو القاسم وغلقت الأسواق وكسر تلاميذه أفلامهم - وكانوا أربعمائة - ومحارمهم ، ومكثوا كذلك سنة ، وقد رثى بمرثي كثيرة فن ذلك قول بعضهم :

(١) عد ابن خلكان من تصانيف إمام الحرمين «مغيث الخلق في اختيار الحق» ولكن لو كان هذا الكتاب من مؤلفاته لذكره ابن كثير وهو متأخر عن ابن خلكان. فهذا الكتاب ممدسوس على إمام الحرمين



قلوب العالمين على المقالى \* وأيام الورى شبه الليالى  
أشمر غصن أهل العلم يوماً \* وقد مات الامام أبو المعالى

محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد

أبو على بن الوليد ، شيخ المعتزلة ، كان مدرساً لهم فأنكر أهل السنة عليه ، فلزم بيته خمسين سنة إلى أن توفي في ذى الحجة منها ، ودفن في مقبرة الشونيزى ، وهذا هو الذى تناظر هو والشيخ أبو يوسف القزوينى المعتزلى المفسر فى إباحة الولدان فى الجنة ، وأنه يباح لأهل الجنة وطء الولدان فى أدبارهم ، كما حكى ذلك ابن عقيل عنهما ، وكان حاضرهما ، قال هذا إلى إباحة ذلك ، لأنه مأمون المفسدة هنالك ، وقال أبو يوسف : إن هذا لا يكون لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ومن أين لك أن يكون لهم أدبار ؟ وهذا المصو - وهو اللبر - إنما خلق فى الدنيا لحاجة العباد إليه ، لأنه مخرج للأذى عنهم ، وليس فى الجنة شئ من ذلك ، وإنما فضلات أكلهم عرق يفيض من جلودهم ، فإذا هم ضمرو فلا يحتاجون إلى أن يكون لهم أدبار ، ولا يكون لهذه المسألة صورة بالكلية . وقد روى هذا الرجل حديثاً واحداً عن شيخه أبى الحسين البصرى بسنده المتقدم ، من طريق شعبة عن منصور عن ربه عن أبى مسعود البدرى أن رسول الله (ص) قال : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وقد رواه القعنبي عن شعبة ، ولم يرو عنه سواه ، فقيل : إنه لما رحل إليه دخل عليه وهو يبول فى البالوعة فسأله أن يحدته فامتنع ، فروى له هذا الحديث كالوعظ له به ، والتزم أن لا يحدته بغيره ، وقيل : لأن شعبة مر على القعنبي قبل أن يشتغل بعلم الحديث - وكان إذ ذاك يعانى الشراب - فسأله أن يحدته فامتنع ، فسل سكيناً وقال : إن لم يحدثنى وإلا قتلتك ، فروى له هذا الحديث ، فتاب وأتاب ، ولزم مالكا ، ثم فاته الدماع من شعبة فلم يتفق له عنه غير هذا الحديث فآله أعلم .

أبو عبدالله الدامغانى القاضى

محمد بن على بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه الدامغانى ، قاضى القضاة ببغداد ، مولده فى سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، فنفق بها على أبى عبد الله الصيمرى ، وأبى الحسن القدورى ، وسمع الحديث منهما ومن ابن النقوم والخطيب وغيرهم ، وبرع فى الفقه ، وكان له عقل وافر ، وتواضع زائد ، وانتهت إليه رياسة الفقهاء ، وكان فصيحاً كثير العبادة ، وقد كان فقيراً فى ابتداء طلبه ، عليه أظفار رثة ، ثم صارت إليه الرياسة والقضاء بعد ابن ماكولا ، فى سنة تسع وأربعين وكان القائم بأمر الله يكرمه ، والسلطان طغرل بك يعظمه ، وبأمر الحكم ثلاثين سنة فى أحسن سيرة ، وغاية الامانة والديانة ، مرض أياماً يسيرة ثم توفي فى الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة ، وقد ناهز الثمانين ، ودفن بداره بدرب العلابين ، ثم نقل إلى مشهد أبى حنيفة رحمه الله .

### محمد بن علي بن المطلب

أبو سعد الأديب ، كان قد قرأ النحو والأدب واللغة والسير وأخبار الناس ، ثم أقبل عن ذلك كله ، وأقبل على كثرة الصلاة والصدقة والصوم ، إلى أن توفى في هذه السنة عن ست وثمانين سنة رحمه الله .

### محمد بن طاهر العباسي

ويعرف بابن الرجيجي ، تفقه على ابن الصباغ ، وناب في الحكم ، وكان محمود الطريقة ، وشهد عند ابن الدامغاني قبله . منصور بن دبيس

ابن علي بن مزيد ، أبو كامل الأمير بعد سيف الدولة ، كان كثير الصلاة والصدقة ، توفى في رجب من هذه السنة ، وقد كان له شعر وأدب ، وفيه فضل ، فمن شعره قوله :

فإن أنا لم أحمل عظيمًا ولم أقد \* لهاما ولم أصبر على كل معظم  
ولم أحجز الجاني وأمنع جورَه \* غداة أنادي للفخار وأتسمى  
فلا نهضت لي همة عربية \* إلى المجد ترقي بي ذرى كل محرم

### هبة الله بن أحمد بن السجبي

[ قاضي الحرير بنهرم على ، و ] مؤدب الخليفة المقتدى بأمر الله ، سمع الحديث ، وتوفى في محرم هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وله شعر جيد ، فنه قوله :

رجوت الثمانين من خالقي \* لما جاء فيها عن المصطفى  
فبلفنيها فشكراً له \* وزاد ثلاثاً بها إذ وفا  
وإني لمننظر وعدة \* لينجزه لي ، فدل أهل الوفا

### ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

وفيها كانت الوقعة بين تنش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية ، فانهزم أصحاب سليمان وقتل هو نفسه بخنجر كانت معه ، فسار السلطان ملكشاه من أصبهان إلى حلب فملكها ، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها ، مثل حران والرها وقلعة جعبر ، وكان جعبر شيخاً كبيراً قد عمى ، وله ولدان ، وكان قطاع الطريق ياجأون إليها فيتحصنون بها ، فراسل السلطان سابق بن جعبر في تسليمها فامتنع عليه ، فنصب عليها المناجيق والعرادات ففتحها وأمر بقتل سابق ، فقالت زوجته : لا تقتله حتى تقتلني معه ، فألقاه من رأسها فتكسر ، ثم أمر بتوسيطهم بعد ذلك فألقت المرأة نفسها وراءه فسلمت ، فلأمها بعض الناس فقالت : كرهت أن يصل إلي التركي فيبقى ذلك عارا علي ، فاستحسن منها ذلك ، واستناب السلطان على حلب قسيم الدولة اقسنمقر التركي وهو جد نور الدين الشهيد ، واستناب على الرحبة وحران والرقه وسروج والخابور :

محمد بن شرف الدولة مسلم وزوجه بأخته زليخا خاتون ، وعزل نجر الدولة بن جهمير عن ديار بكر ، وسلمها إلى العميد أبي علي البلخي ، وخلع على سيف الدولة صدقة بن ديبس الأسيدي ، وأقره على عمل أبيه ، ودخل بغداد في ذي القعدة من هذه السنة ، وهي أول دخلة دخلها ، فزار المشاهد والقبور ودخل على الخليفة فقبل يده ووضعها على عينيه ، وخلع عليه الخليفة خلعا سنيا ، وفوض إليه أمور الناس ، واستعرض الخليفة أمراءه ونظام الملك واقف بين يديه ، يعرفه بالأمرأه واحدا بعد واحد ، باسمه وكم جيشه وأقطاعه ، ثم أفاض عليه الخليفة خلعا سنيا ، وخرج من بين يديه فنزل بمدرسة النظامية ، ولم يكن رآها قبل ذلك ، فاستحسنها إلا أنه استصغرها ، واستحسن أهلها ومن بها وحمد الله وسأل الله أن يجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم ، ونزل بخزانة كتبها وأملى جزءا من مسموطاته ، فسمه المحدثون منه ، وورد الشيخ أبو القاسم علي بن الحسين الحسني الدبوسي إلى بغداد في تجمل عظيم ، فرتبه مدرسا بالنظامية بعد أبي سعد المتولي .

وفي ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر وأذن فيها ، وفي هذه السنة كانت زلازل هائلة بالعراق والجزيرة والشام ، فهدمت شيئا كثيرا من العمران ، وخرج أكثر الناس إلى الصحراء ثم عادوا . وحج بالناس الأمير خوارتكين الحسني ، وقطعت خطبة المصريين من مكة والمدينة ، وقلعت الصناعات التي على باب الكعبة التي عليها ذكر الخليفة المصري ، وجدد غيرها عليها ، وكتب عليها اسم المقتدي . قال ابن الجوزي : وظهر رجل بين السنديّة وواسط يقطع الطريق وهو مقطوع اليد اليسرى ، يفتح القفل في أمرع مدة ، ويفوص دجلة في غوصتين ، ويقفز الفقرة خمسة وعشرين ذراعا ، ويتساق الحيطان الملس ، ولا يقدر عليه أحد ، وخرج من العراق سالما . قال : وفيها توفي فقير في جامع المنصور فوجد في مرقمته ستمائة دينار مغربية ، أي صحاحا كبيرا ، من أحسن الذهب . قال وفيها عمل سيف الدولة صدقة سباطا للسلطان جلال الدولة أبي الفتح ملكشاه ، اشتمل على ألف رأس من الغنم ، ومائة جمل وغيرها ، ودخله عشرون ألف من السكر ، وجعل عليه من أصناف الطيور والوحوش ، ثم أردفه من السكر شيئا كثيرا ، فتناول السلطان بيده منه شيئا يسيرا ، ثم أشار فأنهب عن آخره ، ثم انتقل من ذلك المكان إلى سرادق عظيم لم ير مثله من الحرير ، وفيه خمسمائة قطعة من الفضة ، وألوان من تماثيل الند والمسك والعنبر وغير ذلك ، فدفعه سباطا خاصا فأكل السلطان حينئذ ، وحمل إليه عشرين ألف دينار ، وقدم إليه ذلك السرادق بما فيه بكاله ، وانصرف والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان الأمير جهمير بن سابق القشيري

الملقب بسابق الدين ، كان قد تملك قلعة جهمير مدة طويلة فنسبت إليه ، وإنما كان يقال لها

قبل ذلك الدوشرية ، نسبة إلى غلام النعمان بن المنذر ، ثم إن هذا الأمير كبير وعى ، وكان له ولدان  
بقطمان الطريق ، فاجتاز به السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي وهو ذاهب إلى حلب  
فأخذ القلمة وقتله كما تقدم .

### الأمير جنغل قتلغ

أمير الحاج ، كان مقطعا للكوفة وله وقعات مع العرب أعربت عن شجاعته ، وأرعبت قلوبهم .  
وشتهم في البلاد شذر منذر ، وقد كان حسن السيرة محافظا على الصلوات ، كثير التلاوة ، وله آثار  
حسنة بطريق مكة ، في إصلاح المصانع والاماكن التي تحتاج إليها الحجاج وغيرهم ، وله مدرسة على  
الحنفية بمشهد يونس بالكوفة ، وبنى مسجدا بالجانب الغربي من بغداد على دجلة ، بمشرفة الكرخ .  
توفي في جمادى الأولى منها رحمه الله ، ولما باع نظام الملك وفاته قال : مات ألف رجل ، والله أعلم .

### علي بن فضال المشاجعي

أبو علي النحوي المغربي ، له المصنفات الدالة على علمه وغزارة فهمه ، وأسند الحديث . توفي  
في ربيع الأول منها ودفن بباب إبرز .

### علي بن أحمد التستري

كان مقدم أهل البصرة في المال والجاه ، وله مراكب تعمل في البحر ، قرأ القرآن وسمع الحديث  
وتفرد برواية سنن أبي داود . توفي في رجب منها .

### يحيى بن إسماعيل الحسيني

كان قريبا على مذهب زيد بن علي بن الحسين ، وعنده معرفة بالأصول والحديث .

### ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة

في المحرم منها نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا بمجلة  
بالديباج الرومي ، غالبها أواني الذهب والفضة ، وعلى أربع وسبعين بغلة بمجلة بأنواع الديباج الملكي  
وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة ، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من الفضة ، فيها أنواع  
الجواهر والحلى ، وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرسا عليها مراكب الذهب ، مرصعة بالجواهر ،  
ومهد عظيم مجلل بالديباج الملكي عليه صفائح الذهب مرصع بالجواهر ، وبعث الخليفة لتلقيهم الوزير  
أباشجاع ، وبين يديه نحو من ثلاثمائة موكبية غير المشاعل لخدمة الست خاتون امرأة السلطان تركان  
خاتون ، حماة الخليفة ، وسألها أن تحمل الوديعه الشريفة إلى دار الخلافة ، فأجابت إلى ذلك ، فحضر  
الوزير نظام الملك وأعيان الأمراء وبين أيديهم من الشموع والمشاعل مالا يحصى ، وجاءت نساء  
الأميرات كل واحدة منهن في جماعتها وجواربها ، وبين أيديهن الشموع والمشاعل ، ثم جاءت  
الخاتون ابنة السلطان زوجة الخليفة بعد الجميع ، في محفة بمجلة ، وعليها من الذهب والجواهر مالا

تحصى قيمته ، وقد أحاط بالحفة مائتا جارية تركية ، بالراكب المزينة العجيبة مما يبهرن الأبصار ، فدخلت دار الخلافة على هذه الصفة ، وقد زين الحريم الطاهر وأشملت فيه الشموع ، وكانت ليلة مشهودة للخليفة ، هائلة جدا ، فلما كان من الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان ومد سماطا لم يرمثله ، عم الحاضرين والغائبين ، وخلع على الخاتون زوجة السلطان أم الروس ، وكان أيضاً يوماً مشهوداً ، وكان السلطان متغيباً في الصيد ، ثم قدم بعد أيام ، وكان الدخول بها في أول السنة ، ولدت من الخليفة في ذى القعدة ولدا ذكرا زينت له بغداد . وفيها ولد للسلطان ملكشاه ولد سماه محمودا ، وهو الذى ملك بعده . وفيها جعل السلطان ولده أباشجاع أحمد ولى العهد من بعده ، ولقبه ملك الملوك ، عضد الدولة ، وتاج الملة ، عدة أمير المؤمنين ، وخطب له بذلك على المنابر ، ونثر الذهب على الخطباء عند ذكر اسمه . وفيها شرع في بناء التاجية في باب إبرز وعملت بستان وغرست النخيل والفواكه هنالك وعمل سور بأمر السلطان ، والله أعلم

ومن توفى فيها من الأعيان .

#### إسماعيل بن إبراهيم

ابن موسى بن سعيد ، أبو القاسم النيسابورى ، رحل في الحديث إلى الآفاق حتى جاوز ماوراء النهر ، وكان له حظ وافر في الأدب ، ومعرفة العربية ، توفى بنيسابور في جمادى الأولى منها .

#### طاهر بن الحسين البندنجي

أبو الوفا الشاعر ، له قصيدتان في مدح نظام الملك إحداهما معجمة والأخرى غير منقوطة ، أولها :  
لاموا ولو علموا ما اللوم ما لاموا \* وردك لومهم هم وآلام  
توفى ببغداد في رمضان عن نيف وسبعين سنة .

#### محمد بن أمير المؤمنين المعتدي

عرض له جدري فمات فيها وله تسع سنين ، فخرن عليه والده والناس ، وجلسوا للرزاء ، فأرسل إليهم يقول : إن لنا في رسول الله أسوة حسنة ، حين توفى ابنه إبراهيم ، وقال الله تعالى [ والذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ] ثم عزم على الناس فانصرفوا .

#### محمد بن محمد بن زيد

ابن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسن الحسيني ، الملقب بالمرتضى ذى الشرفين ، ولد سنة خمس وأربعمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وقرأ بنفسه على الشيوخ ، وصحب الحافظ أبا بكر الخطيب ، فصارت له معرفة جيدة بالحديث ، وسمع عليه الخطيب شيئا من مروياته ، ثم انتقل إلى سمرقند وأملى الحديث بأصبهان وغيرها ، وكان يرجع إلى عقل كامل ، وفضل ومروءة ، وكانت له أموال جزيلة ، وأملاك متسعة ، ونعمة وافرة ، يقال إنه ملك

أربعين قرية ، وكان كثير الصدقة والبر والصلة للعلماء والفقراء ، وبلغت زكاة ماله الصامت عشرة آلاف دينار غير العشور ، وكان له بستان ليس لملك مثله ، فطلبه منه ملك ما وراء النهر ، واسمه الخضر بن إبراهيم ، عارية لیتززه فيه ، فأبى عليه وقال : أعيره إياه ليشرب فيه الخمر بعد ما كان مأوى أهل العلم والحديث والدين ؟ فأعرض عنه السلطان وحقد عليه ، ثم استدعاه إليه ليستشيره في بعض الأمور على العادة ، فلما حصل عنده قبض عليه وسجنه في قلعته ، واستحوذ على جميع أملاكه وحواصله وأمواله ، وكان يقول : ما تحققت صحة نسبي إلا في هذه المصادرة : فأني ربيت في النعيم فكنت أقول : إن مثلي لا بد أن يبتلى ، ثم منعه الطعام والشراب حتى مات رحمه الله .

### محمد بن هلال بن الحسن

أبو الحسن الصابي ، الملقب بفرس النعمة ، سمع أباه وابن شاذان ، وكانت له صدقة كثيرة ، ومعروف ، وقد ذيل على تاريخ أبيه الذي ذيله على تاريخ ثابت بن سنان ، الذي ذيله على تاريخ ابن جرير الطبري ، وقد أنشأ داراً ببغداد ، ووقف فيها أربعة آلاف مجلد ، في فنون من العلوم ، وترك حين مات سبعين ألف دينار ، ودفن بمشهد على .

### هبة الله بن علي

ابن محمد بن أحمد بن المجلي أبو نصر ، جمع خطباً ووعظاً ، وسمع الحديث على مشايخ عديدة ، وتوفي شاباً قبل أوان الرواية . أبو بكر بن عمر أمير المثلثين

كان في أرض فرغانة ، اتفق له من الناموس ما لم يتفق لغيره من الملوك ، كان يركب معه إذا سار لقتال عدو خمسمائة ألف مقاتل ، كان يمتد طاعته ، وكان مع هذا يقيم الحدود ويحفظ محارم الإسلام ، ويحوط الدين ويسير في الناس سيرة شرعية ، مع صحة اعتقاده ودينه ، وموالاته الدولة العباسية ، أصابته نشابة في بعض غزواته في حلقه فقتلته في هذه السنة .

### فاطمة بنت علي

المؤدبة الكاتبة ، وتعرف ببنت الأقرع ، سمعت الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره ، وكانت تكتب المنسوب على طريقة ابن البواب ، ويكتب الناس عليها ، وبخطها كانت الهدنة من الديوان إلى ملك الروم ، وكتبت مرة إلى عميد الملك الكندي رقعة فأعطها ألف دينار ، توفيت في المحرم من هذه السنة ببغداد ، ودفنت بباب إبرز .

### ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

فيها كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة ببغداد ، وجرت خطوب كثيرة . وفي ربيع الأول أخرجت الأتراك من حریم الخلافة ، فكان في ذلك قوة للخلافة . وفيها ملك مسعود بن

الملك المؤيد بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد غزنة بعد أبيه . وفيها فتح ملكشاه مدينة سمرقند . وحج بالناس الأمير خمارتكين .

ومن توفى فيها من الأعيان . أحمد بن السلطان ملكشاه

وكان ولي عهد أبيه . توفى وعمره إحدى عشرة سنة ، فمكث الناس في العزاء سبعة أيام لم يركب أحد فرساً ، والناس ينحن عليه في الأسواق ، وسود أهل البلاد التي لأبيه أبوابهم .

عبدالله بن محمد

ابن علي بن محمد ، أبو إسماعيل الأنصاري الهروي ، روى الحديث وصنف ، وكان كثير السهر بالليل ، وكانت وفاته بهراة في ذى الحجة عن ست وثمانين سنة . وحج بالناس فيها الوزير أبو أحمد ، واستناب ولده أبا منصور وتقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة

في المحرم درس أبو بكر الشاشي في المدرسة الناجية بباب إبرز ، التي أنشأها صاحب تاج الدين أبو الفنائم على الشافعية . وفيها كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة ، ورفعوا المصاحف ، وجرت حروب طويلة ، وقتل فيها خلق كثير ؛ نقل ابن الجوزي في المنتظم من خط ابن عقيل أنه قتل في هذه السنة قريب من مائتي رجل ، قال : وسب أهل الكرخ الصحابة وأزواج النبي (س) ، فلعنة الله على من فعل ذلك من أهل الكرخ ، وإنما حكيت هذا ليعلم ما في طوايا الروافض من الخبث والبغض لدين الاسلام وأهله ، ومن العداوة الباطنة الكامنة في قلوبهم ، لله ولرسوله وشريعته . وفيها ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وطائفة كبيرة من تلك الناحية ، بعد حروب عظيمة ، ووقعات هائلة . وفيها استولى جيش المصريين على عدة بلاد من بلاد الشام . وفيها عمرت منارة جامع حلب . وفيها أرسلت الخاتون بنت السلطان امرأة الخليفة تشكو إلى أبيها إعراض الخليفة عنها ، فبعث إليها أبوها الطواشي صواب والأمير مران ليرجمها إليه ، فأجاب الخليفة إلى ذلك ، وبعث معها بالنقيب وجماعة من أعيان الأمراء ، وخرج ابن الخليفة أبو الفضل والوزير فشيماها إلى النهر وان وذلك في ربيع الأول ، فلما وصلت إلى عند أبيها توفيت في شوال من هذه السنة ، بأصبهان ، فعمل عزاهاب بغداد سبعة أيام ، وأرسل الخليفة إلى السلطان أميرين لتعزيتة فيها . وحج بالناس خمارتكين .

ومن توفى فيها من الأعيان . عبد الصمد بن أحمد بن علي

المعروف بطاهر ، النيسابوري الحافظ ، رحل وسمع الكثير ، وخرج ، وعاجله الموت في هذه السنة

بهمدان وهو شاب . علي بن أبي يعلى

أبو القاسم الدبوسي ، مدرس النظامية بعد المتولى ، سمع شيئاً من الحديث ، وكان قفيها ماهراً ،

وجدياً باهراً ،

عاصم بن الحصن

ابن محمد بن علي بن عاصم بن مهران ، أبو الحسين العاصمي ، من أهل الكرخ ، سكن باب الشعير  
ولد سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، وكان من أهل الفضل والأدب ، وسمع الحديث من الخطيب وغيره ،  
وكان ثقة حافظاً ، ومن شعره قوله :

لُفِي عَلَى قَوْمٍ بِكَاطِمَةٍ \* وَدَعْتَهُمُ وَالرَّيْبُ مُعْتَرِضُ  
لَمْ تَتْرِكِ الْعِبْرَاتُ مَذْبَعًا \* لِي مَقَلَّةً تَرْنُو وَتَقْتَمِضُ  
رَحَلُوا فِدْمَعِي وَكَفُّ هُطْلُ \* جَارٍ وَقَلْبِي حَشْوُهُ مَرَضُ  
وَتَعْرَضُوا لَا ذَقْتُ فُقْدَمُ \* عَيْبِي وَمَالِي عَنْهُمْ عَوْضُ  
أَقْرَضْتُهُمْ قَلْبِي عَلَى ثِقَةٍ \* مِنْهُمْ فَارَدُوا الَّذِي اقْتَرَضُوا

محمد بن أحمد بن حامد

ابن عبيد ، أبو جعفر البخاري المتكلم المعتزلي ، أقام ببغداد وتعرف بقاضي حلب ، وكان حنفي  
المذهب في الفروع ، معتزلياً في الأصول ، مات ببغداد في هذه السنة ، ودفن بباب حرب .

محمد بن أحمد بن عبدالله

ابن محمد بن إسماعيل الأصبهاني ، المعروف بمسرفة ، أحد الحفاظ الجوالين الرحالين ، سمع الكثير  
وجمع الكتب ، وأقام بهراة ، وكان صالحاً كثير العبادة ، توفي بنيسابور في ذي الحجة من هذه السنة  
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة . والله أعلم .

في المحرم منها ورد إلى الفقيه أبي عبد الله الطبري منشور نظام أئمة بتدريس النظامية ، فدرس  
بها ، ثم قدم الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي في ربيع الآخر منها منشور بتدريسها فاتفق  
الحال على أن يدرس هذا يوماً وهذا يوماً ، وفي جمادى الأولى دم أهل البصرة رجل يقال له بلياء ،  
كان ينظر في النجوم ، فاستغوى خلقاً من أهلها وزعم أنه المهدي ، وأحرق من البصرة شيئاً كثيراً ،  
من ذلك دار كتب وقفت على المسلمين لم يرفى الإسلام مثلها ، وأتلف شيئاً كثيراً من الدوايب  
والمضائع وغير ذلك . وفيها خلع على أبي القاسم طراد الزينبي بنقابة العباسيين بعد أبيه . وفيها  
استفتى على معلى الصبيان أن يمتنعوا من المساجد صيانة لها ، فأفتوا بمنعهم ، ولم يُسْتَنْ مَنْهُمْ سِوَى  
رجل كان قميها شافعي يدرى كيف تصان المساجد ، واستدل المفتي بقوله عليه الصلاة والسلام « سدوا  
كل خوخة الاخوخة أبي بكر » وحج بالناس خمار تكين على العادة .

الوزير ابو نصر بن جبير

ومن توفي فيها من الأعيان

ابن محمد بن محمد بن جبير عميد الدولة أحد مشاهير الوزراء ، وزر للقائم ، ثم لولده المقتدى ، ثم



عزل ملكشاه السلطان وولى ولده نجر الدولة ديار بكر وغيرها، مات بالموصل وهى بلده التى ولد بها  
وفىها كان مقتل صاحب اليمن الصليحي وقد تقدم ذكره .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

فى المحرم منها كتب المنجم الذى أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته، ويذكر  
فى كتابه أنه المهدي صاحب الزمان الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويهدى الخلق إلى الحق،  
فان أظعتم أمنتم من العذاب، وإن عدتم خسف بكم، فآمنوا بالله وبالامام المهدي. وفيها أزم أهل  
الذمة بلبس الغيار وبشد الزنار، وكذلك نساؤهم فى الحمامات وغيرها. وفى جمادى الأولى قدم  
الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الفزالي الطوسي من أصبهان إلى بغداد على تدريس النظامية، ولقبه  
نظام الملك زين الدين شرف الأئمة. قال ابن الجوزي: وكان كلامه مقبولا، وذكاؤه شديدا. وفى  
رمضان منها عزل الوزير أبو شجاع عن وزارة الخلافة فأنشد عند عزله:

تولأها وليس له عدو \* وفارقها وليس له صديق

ثم جاءه كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد، فخرج منها إلى عدة أماكن، فلم تطبله، فعزم  
على الحج، ثم طابت نفس النظام عليه فبعث إليه يسأله أن يكون عديله فى ذلك، وناب ابن الموصلايا  
فى الوزارة، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة فى أول هذه السنة. وفى رمضان منها دخل السلطان  
ملكشاه بغداد ومعه الوزير نظام الملك، وقد خرج لتلقيه قاضى القضاة أبو بكر الشاشي، وابن  
الموصلايا المسلماني، وجاءت ملوك الأطراف إليه للسلام عليه، منهم أخوه تاج الدولة تتش صاحب  
دمشق، وإتابكه قسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب. وفى ذى القعدة خرج السلطان ملكشاه وابنه  
وابن ابنته من الخليفة فى خلق كثير من الكوفة. وفيها استوزر أبو منصور بن جهير وهى النوبة  
الثانية لوزارته للعقدي، وخلع عليه، وركب إليه نظام الملك فهنا فى داره بباب العامة، وفى ذى  
الحجة عمل السلطان الميلاد فى دجلة، وأشعلت نيران عظيمة، وأوقدت شموع كثيرة، وجمعت  
المطربات فى السمريات، وكانت ليلة مشهودة عجيبة جدا، وقد نظم فيها الشعراء الشعر، فلما أصبح  
النهار من هذه الليلة جى بالخبيث المنجم الذى حرق البصرة وادعى أنه المهدي، محمولا على جمل ببغداد  
وجعل يسب الناس والناس يلعنونه، وعلى رأسه طرطورة بودع، والذرة تأخذة من كل جانب،  
فطافوا به ببغداد ثم صلب بعد ذلك. وفيها أمر السلطان ملكشاه جلال الدولة بهارة جامعه المنسوب  
إليه بظاهر السور. وفى هذه السنة ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بعد صاحب بلاد المغرب  
كثيراً من بلاد الأندلس، وأسر صاحبها المعتمد بن عباد وسجنه وأهله، وقد كان المعتمد هذا موصوفاً  
بالكرم والأدب والحلم، حسن السيرة والعشرة والاحسان إلى الرعية، والرفق بهم، فحزن الناس

عليه ، وقال في مصابه الشعراء فأكثرُوا . وفيها ملكت الفرج مدينة صقليةً من بلاد المغرب ، ومات ملكهم ققام ولده مقامه فسار في الناس سيرة ملوك المسلمين ، حتى كأنه منهم ، لما ظهر منه من الاحسان إلى المسلمين . وفيها كانت زلازل كثيرة بالشام وغيرها ، فهدمت بنيانا كثيراً ، من جملة ذلك تسعون برجاً من سور إنطاكية ، وهلك تحت الهدم خلق كثير . وحج بالناس خمارتكين .  
ومن توفى فيها من الأعيان . **عبد الرحمن بن أحمد**

أبو طاهر ولد بأصبهان ، وتفقه بسمرقند ، وهو الذي كان سبب فتحها على يد السلطان ملك شاه ، وكان من رؤساء الشافعية ، وقد سمع الحديث الكثير . قال عبد الوهاب بن منده : لم نر فقيها في وقتنا أنصف منه ، ولا أعلم . وكان فصيح اللهجة كثير المروءة عزيز النعمة ، توفي ببغداد ، ومشى الوزراء والكبراء في جنازته ، غير أن النظام ركب واعتذر بكبر سنه ، ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وجاء السلطان إلى التربة . قال ابن عقيل : جلست بكرة العزاء إلى جانب نظام الملك والملوك قيام بين يديه ، اجترأت على ذلك بالملم . حكاه ابن الجوزي .  
**محمد بن أحمد بن علي**

أبو نصر المروزي ، كان إماماً في القراءات ، وله فيها المصنفات ، وسافر في ذلك كثيراً ، واتفق له أنه غرق في البحر في بعض أسفاره ، فبينما الموج يرفعه ويضعه إذ نظر إلى الشمس قد زالت ، فنوى الوضوء وانغمس في الماء ثم صعد فاذا خشبة فركبها وصلى عليها ، ورزقه الله السلامة ببركة امتثاله للأمر ، واجتهاده على العمل ، وعاش بعد ذلك دهراً ، وتوفى في هذه السنة ، وله نيف وتسعون سنة .  
**محمد بن عبدالله بن الحسن**

أبو بكر الناصح الفقيه الحنفي المناظر المتكلم المعتزلي ، وولى القضاء بنيسابور ، ثم عزل لجنونه وكلامه وأخذ الرشاش ، وولى قضاء الري ، وقد سمع الحديث ، وكان من أكابر العلماء . توفي في رجب منها .  
**ارتق بن الرب التركاني**

جد الملوك الارتقية الذين هم ملوك مازدين ، كان شهماً شجاعاً عالي الهمة ، تغلب على بلاد كثيرة وقد ترجمه ابن خلكان وأرخ وفاته بهذه السنة .

**ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة**

فيها أمر السلطان ملكشاه ببناء سور سوق المدينة المعروفة بطغربك ، إلى جانب دار الملك ، وجدد خاناتها وأسواقها ودورها ، وأمر بتجديد الجامع الذي تم على يد هارون الخادم ، في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ووقف على نصب قبلته بنفسه ، ومنجمه إبراهيم حاضر ، ونقلت أخشاب جامع سامرا ، وشرع نظام الملك في بناء دار له هائلة ، وكذلك تاج السلوك أبو الفناهم ، شرع في بناء دار

هائلة أيضاً ، واستوطنوا بغداد . وفي جمادى الأولى وقع حريق عظيم ببغداد في أماكن شتى ،  
فما طفي حتى هلك للناس شيء كثير ، فمعمروا بقدر ما حرق وما غرموا . وفي ربيع الأول خرج  
السلطان إلى أصبهان ، وفي صحبته ولد الخليفة أبو الفضل جعفر ، ثم عاد إلى بغداد في رمضان ، فبينما  
هو في الطريق يوم عاشوراء عدا صبي من الديلم على الوزير نظام الملك ، بعد أن أظفر ، فضر به  
بسكين فقتل عليه بعد ساعة ، وأخذ الصبي الديلمي فقتل ، وقد كان من كبار الوزراء وخيار الأمراء  
وسنذكر شيئاً من سيرته عند ذكر ترجمته ، وقدم السلطان بغداد في رمضان بنية غير صالحة ، فلقيه  
الله في نفسه ما تمناه لأعدائه ، وذلك أنه لما استقر ركابه ببغداد ، وجاء الناس للسلام عليه ، والتهنئة  
بقدمه ، وأرسل إليه الخليفة بهنئه ، فأرسل إلى الخليفة يقول له : لا بد أن تنزل لي عن بغداد ،  
وتتحول إلى أي البلاد شئت . فأرسل إليه الخليفة يستنظره شهراً ، فرد عليه : ولا ساعة واحدة ،  
فأرسل إليه يتوسل في إنظاره عشرة أيام ، فأجاب إلى ذلك بعد تمتع شديد ، فما استتم الأجل حتى  
خرج السلطان يوم عيد الفطر إلى الصيد فأصابته حمى شديدة ، فافتصد فقام منها حتى مات قبل  
العشرة أيام والله الحمد والمنة . فاستحوذت زوجته زبيدة خاتون على الجيش ، وضبطت الأموال  
والأحوال جيداً ، وأرسلت إلى الخليفة تسأل منه أن يكون ولدها محمود ملكاً بعد أبيه ، وأن يخطب  
له على المنابر ، فأجابها إلى ذلك ، وأرسل إليه بالخلع ، وبمئزبها وبهنئها مع وزيره عميد الدولة  
ابن جبير ، وكان عمر الملك محمود هذا يومئذ خمس سنين ، ثم أخذته والدته في الجيوش وسارت به نحو  
أصبهان ليتوطد له الملك ، فدخلوها وتم لهم مرادهم ، وخطب لهذا الغلام في البلدان حتى في الحرمين ،  
واستوزر له تاج الملك أبا الغنائم المرزبان بن خسرو ، وأرسلت أمه إلى الخليفة تسأل أن تكون  
ولايات المال إليه ، فامتنع الخليفة وواقفه الغزالي على ذلك ، وأفتى العلماء بجواز ذلك ، منهم المنطبي  
ابن محمد الحنفي ، فلم يعمل إلا بقول الغزالي ، وانحاز أكثر جيش السلطان إلى ابنه الآخر بركيارق  
فبايعوه وخطبوا له بالرى ، وانفردت الخاتون وولدها ومعهم شرذمة قليلة من الجيش والخاصكية ،  
فأنفقت فيهم ثلاثين ألف دينار لقتال بركيارق بن ملكشاه ، فالتقوا في ذى الحجة فكانت  
الخاتون هي المنهزمة ومعها ولدها . وفي صحيح البخارى « لن ينلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . وفي ذى  
القعدة اعترضت بنو خفاجة للحجيج فقاتلهم من في الحجيج من الجند مع الأمير حماد تسكين ،  
فهزمهم ، ونهبت أموال الأعراب والله الحمد والمنة . وفيها جاء بردٌ شديد عظيم بالبصرة ، وزن  
الواحدة منها خمسة أرتال ، إلى ثلاثة عشر رطلاً ، فأتلقت شيئاً كثيراً من النخيل والأشجار ، وجاء  
ريح عاصف قاصف فألقى عشرات الألوف من النخيل ، فانا لله وإنا إليه راجعون [ وما أصابكم من  
مصيبة فيما كتبت أيديكم ويهفو عن كثير ] وفيها ملك تاج الدولة تتش صاحب دمشق مدينة حمص ،

وقلمة عرقه ، وقلمة فامية ، ومعه قسيم الدولة أفسنقر ، وكان السلطان قد جهز سرية إلى اليمن صحبة سعد كوهرائين الدولة وأمير آخر من التركان ، فدخلها وأساء فيها السيرة فتوفي سعد كوهرائين يوم دخوله إليها في مدينة عدن والله الحمد والمنة .

ومن توفي فيها من الأعيان . **جعفر بن يحيى بن عبدالله**

أبو الفضل المنعمي ، المعروف بالحكك المكي ، رحل في طلب الحديث إلى الشام والعراق وأصبهان وغير ذلك من البلاد ، وسمع الكثير وخرّج الأجزاء ، وكان حافظاً متقناً ، ضابطاً أديباً ، ثقة صدوقاً ، وكان يرأس صاحب مكة ، وكان من ذوى الهيئات والروءات ، قارب الثمانين ، رحمه الله!

### نظام الملك الوزير

الحسن بن علي بن إسحاق ، أبو علي ، وزير للملك ألب أرسلان وولده ملكشاه تسماً وعشرين سنة ، كان من خيار الوزراء . ولد بطوس سنة ثمان وأربعمائة ، وكان أبوه من أصحاب محمود بن سبكتكين ، وكان من الدهاقين ، فأشغل ولده هذا ، فقرأ القرآن وله إحدى عشرة سنة ، وأشغله بالعلم والقراءات والتفقه على مذهب الشافعي ، وسمع الحديث واللغة والنحو ، وكان على الهمة ، فحصل من ذلك طرفاً صالحاً ، ثم ترقى في المراتب حتى وزيراً لسلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ثم من بعده للملكشاه تسماً وعشرين سنة ، لم ينسكب في شيء منها ، وبنى المدارس النظامية ببغداد ونيسابور وغيرهما ، وكان مجاسه عامراً بالفقهاء والعلماء ، بحيث يقضى معهم غالب نهاره ، فقيل له : إن هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح ، فقال : هؤلاء جمال الدنيا والآخرة ، ولو أجلستهم على رأسي لما استكثرت ذلك ، وكان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري وأبو المعالي الجويني قام لهما وأجلسهما معه في المقعد ، فإذا دخل أبو علي الفارسي قام وأجلسه مكانه ، وجلس بين يديه ، فعوتب في ذلك فقال : إنهما إذا دخلا علي قال : أنت وأنت ، يطرني ويظهوني ، ويقولوا في ما ليس في ، فأزداد بهما ما هو مركز في نفس البشر ، وإذا دخل علي أبو علي الفارسي ذكرني عيوني وظلمي ، فأنكسر فأرجع عن كثير من الذي أنا فيه . وكان محافظاً على الصلوات في أوقاتها ، لا يشغله بعد الأذان شغل عنها وكان يواظب على صيام الاثنين والخميس ، وله الأوقاف الدارة ، والصدقات البارة

وكان يعظم الصوفية تعظيماً زائداً ، فعوتب في ذلك ، فقال : بينما أنا أخدم بعض الملوك جاءني يوماً إنسان فقال لي : إلى متى أنت تخدم من تأكله الكلاب غداً ؟ أخدم من تنفك خدمته ، حولا تخدم من تأكله الكلاب غداً . فلم أنهم ما يقول ، فاتفق أن ذلك الأمير سكر تلك الليلة فخرج في أثناء الليل وهو نمل ، وكانت له كلاب تنقرس الغرباء بالليل ، فلم تعرفه فزقته ، فأصبح وقد أكلته الكلاب ، قال : فانا أطلب مثل ذلك الشيخ . وقد سمع الحديث في أما كن شتى ببغداد وغيرها ،

وكان يقول : إني لأعلم بأني لست أهلا للرواية ولكني أحب أن أربط في قطار نقلة حديث رسول الله (س)، وقال أيضاً : رأيت ليلة في المنام إبليس فقلت له : ويحك خلقتك الله وأمرتك بالسجود له مشافهة فأبيت ، وأنا لم يأمرني بالسجود له مشافهة وأنا أسجد له في كل يوم مرات ، وأنشأ يقول :

من لم يكن للوصال أهلاً \* فكل إحسانه ذنوب

وقد أجاسه المقتدى مرة بين يديه وقال له : يا حسن ، رضى الله عنك برضا أمير المؤمنين عنك ، وقد ملك ألوفا من الترك ، وكان له بنون كثيرة ، وزر منهم خمسة ، وزر ابنه أحمد للسلطان محمد بن ملك شاه ، ولا أمير المؤمنين المسترشد بالله ،

وخرج نظام الملك مع السلطان من أصبهان قاصداً بغداد في مستهل رمضان من هذه السنة ، فلما كان اليوم العاشر اجتاز في بهض طريقه بقرية بالقرب من نهاوند ، وهو يساره في محفة ، فقال : قد قتل هنا خاق من الصحابة زمن عمر ، فطوبى لمن يكون عندهم ، فاتفق أنه لما أظفر جاءه صبي في هيئة مستغيث به و معه آفة ، فلما انتهى إليه ضربه بسكين في فؤاده وهرب ، وعثر بطنب الخليفة فأخذ قتل ، ومكث الوزير ساعة ، وجاءه السلطان يعوده فأت وهو عنده ، وقد أتهم السلطان في أمره أنه هو الذي مالاً عليه ، فلم تطل مدته بعده سوى خمسة وثلاثين يوماً ، وكان في ذلك عبرة لأولى الألباب . وكان قد عزم على إخراج الخليفة أيضاً من بغداد ، فأتته له ماعزم عليه ، ولما بلغ أهل بغداد موت النظام حزنوا عليه ، وجلس الوزير والرؤساء للرزاء ثلاثة أيام ، ورتاه الشعراء بقصائد ، منهم مقاتل بن عطية فقال :

كان الوزيرُ نظامُ الملكِ لؤلؤةً \* يتيمةٌ صاغها الرحمنُ من شرفِ  
عزتٍ فلم تعرفِ الأيامُ قيمتها \* فردّها غيرةً منهُ إلى الصدفِ  
وأتى عليه غير واحد حتى ابن عقيل وابن الجوزي وغيرهما رحمه الله .

#### عبد الباقي بن محمد بن الحسين

ابن داود بن ياقيا ، أبو القاسم الشاعر ، من أهل الحرير الظاهري ، ولد سنة عشر وأربعمائة ، وكان ماهراً ، وقد رماه بعضهم باعتقاد الأوائل ، وأنكر أن يكون في السماء نهر من ماء أو نهر من لبن ، أو نهر من خمر ، أو نهر من عسل ، يعرف في الجنة ، وما سقط من ذلك قطرة إلى الأرض إلا هذا الذي هو يخرب البيوت ويهدم الحيطان والسقوف ، وهذا الكلام كفر من قائله ، نقله عنه ابن الجوزي في المنتظم ، وحكى بعضهم أنه وجد في كنفه مكتوباً حين مات هذين البيتين .

نزلت بجارٍ لا يخيبُ ضيفهُ \* أرجي نجاتي من عذابِ جهنمِ  
وإني على خوفٍ من اللهِ واثقٌ \* بانعامهِ واللهُ أكرمُ منعمِ

## مالك بن أحمد بن علي

ابن إبراهيم ، أبو عبد الله البانياسي الشامي ، وقد كان له اسم آخر سمته به أمه علي أبو الحسن فغلب عليه ما سماه به أبوه ، وما كناه به ، سمع الحديث على مشايخ كثيرة ، وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن الصلت ، هلك في حريق سوق الرميانيين ، وله ثمانون سنة ، كان ثقة عند المحققين .

### السلطان ملكشاه

جلال الدين والدولة ، أبو الفتح ملكشاه ، ابن أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق تقاتل التركي ، ملك بعد أبيه وامتدت مملكته من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن ، وراسله الملوك من سائر الأقاليم ، حتى ملك الروم والخزر واللات ، وكانت دولته صارمة ، والطرق في أيامه آمنة ، وكان مع عظمته يقف للمسكين والضعيف ، والمرأة ، فيقضي حوائجهم ، وقد عمر العمارات الهائلة ، وبني القنطرة ، وأسقط المكوس والضرائب ، وحفر الأنهار الكبار ، وبني مدرسة أبي حنيفة والسوق ، وبني الجامع الذي يقال له جامع السلطان بفسداد ، وبني منارة القرون من صيوده بالكوفة ، ومثلها فيما وراء النهر ، وضبط ما صاده بنفسه في صيوده فكان ذلك نحواً من عشرة آلاف صيد ، فنصدق بمشيرة آلاف درهم ، وقال : إني خائف من الله تعالى أن أكون أزهدت نفس حيوان لغير ما كلة ، وقد كانت له أفعال حسنة ، وسيرة صالحة ، من ذلك أن فلاحاً أتى إليه أن غلماناً له أخذوا له حمل بطيخ ، ففتشوا فإذا في خيمة الحاجب بطيخ فحملوه إليه ، ثم استدعى بالحاجب فقال : من أين لك هذا البطيخ ؟ قال : جاء به الغلمان ، فقال : أحضرم ، فذهب وأمرهم بالهرب فأحضره وسلّمه للفلاح ، وقال : خذ بيده فإنه مملوكي ومملوك أبي ، وإياك أن تفارقه ، ثم رد على الفلاح الحمل البطيخ ، فخرج الفلاح يحمله ويبيده الحاجب ، فاستنقذ الحاجب نفسه من الفلاح بثلاثمائة دينار . ولما توجه لقتال أخيه تنش اجتاز بطوس فدخلها لزيارة قبر علي بن موسى الرضي ، ومعه نظام الملك ، فلما خرجا قال للنظام : بم دعوت الله ؟ قال : دعوت الله أن يظفرني على أخيك . قال : لكنني قلت اللهم إن كان أخي أصلح للسدين فظفره بي ، وإن كنت أنا أصاح لهم فظفرني به ، وقد سار بعسكره من أصهبان إلى أنطاكية فما عرف أن أحداً من جيشه ظلم أحداً من الرعية ، وكانوا مئتين ألف ، واستمدى إليه مرة تركاني أن رجلاً اقتض بكاره ابنته وهو يريد أن يمكنه من قتله ، فقال له : يا هذا إن ابنتك لو شادت ما مكنته من نفسها ، فإن كنت لا بد فاعلا فاقتلها معه ، فسكت الرجل ، فقال له الملك : أو تفعل خيراً من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : فإن بكارتها قد ذهبت ، فزوجها من ذلك الرجل وأنا أمهرها من بيت المال كفايتهما ، ففعل . وحدثني له بعض الوعاظ أن كسرى اجتاز يوماً في بعض أسفاره بقرية وكان منفرداً من جيشه ، فوقف على باب دار فاستسقى فأخرجت إليه جارية إناء

فيه ماء قصب السكر بالثلج ، فشرب منه فأعجبه فقال : كيف تصنعون هذا ؟ فقالت : إنه سهل علينا  
اعتصاره على أيدينا ، فطلب منها شربة أخرى فذهبت لتأتيه بها فوقع في نفسه أن يأخذ هذا  
المكان منهم ويعوضهم عنه غيره ، فلأبطأت عليه ثم خرجت وليس معها شيء ، فقال : مالك ؟  
فقالت : كأن نية سلطاننا تغيرت علينا ، فتمسر على اعتصاره - وهي لا تعرف أنه السلطان - فقال :  
اذهي فانك الآن تقدرين عليه ، وغير نيته إلى غيرها ، فذهبت وجاءته بشربة أخرى سريعاً  
فشربها وانصرف . فقال له السلطان : هذه تصنع لي ولكن قص على الرعية أيضاً حكاية كسرى  
الأخرى حين اجتاز ببستان وقد أصابته صفراء في رأسه وعطش ، فطلب من ناطوره عنقوداً من  
حصرم ، فقال له الناطور : إن السلطان لم يأخذ حقه منه ، فلا أقدر أن أعطيك منه شيئاً . قال : فعجب  
الناس من ذكاء الملك وحسن استحضاره هذه في مقابلة تلك . واستعداه رجالان من الفلاحين على  
الأمير خمارتكين أنه أخذ منهما مالا جزيلاً وكسر ثنيتهما ، وقال : سمعنا بعدك في العالم ، فان  
أقدتنا منه كما أمرك الله وإلا استعدينا عليك الله يوم القيامة ، وأخذوا بركابه ، فنزل عن فرسه وقال  
لهما : خذا بكى واسحباني إلى دار نظام الملك ، فهابا ذلك ، فعزم عليهما أن يفعلا ، ففعل ما أمرهما  
به ، فلما بلغ النظام بجى السلطان إليه خرج مسرعاً فقال له الملك : إني إنما قدتك الأمر لتنصف  
المظلوم ممن ظلمه ، فكتب من فوره فمزل خمارتكين وحل أقطاعه ، وأن يرد إليهما أموالهما ، وأن  
يقلما ثنيتيه إن قامت عليه البينة وأمر لها الملك من عنده بمائة دينار ، وأسقط مرة بعض المكوس ،  
فقال له رجل من المستوفين : يا سلطان العالم ، إن هذا الذي أسقطته يعدل ستائة ألف دينار وأكثر ،  
فقال : ويحك إن المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والبلاد بلاده ، وإنما أردت أن يبقى هذا لي عند  
الله ، ومن نازعني في هذا ضربت عنقه . وغنته امرأة حسناء فطرب وناقت نفسه إليها ، فهم بها  
فقالت : أيها الملك إني أغار على هذا الوجه الجميل من النار ، وبين الحلال والحرام كلمة واحدة ،  
فاستدعي القاضي فزوجه بها .

وقد ذكر ابن الجوزي عن ابن عقيل أن السلطان ملك شاه كان قد فسدت عقيدته بسبب  
معاشرته لبعض الباطنية ثم اتصل من ذلك وراجع الحق . وذكر ابن عقيل أنه كتب له شيئاً في إثبات  
الصانع ، وقد ذكرنا أنه لما رجع آخر مرة إلى بغداد فعزم على الخليفة أن يخرج منها ، فاستنظره  
عشرة أيام فرض السلطان ومات قبل انقضاء العشرة أيام ، وكانت وفاته في ليلة الجمعة النصف من  
شوال عن سبع وثلاثين سنة وخمسة أشهر ، وكان مدة ملكه من ذلك تسع عشرة سنة وأشهرها ،  
ودفن بالشويزي ، ولم يصل عليه أحد لسكتان الأمر ، وكان مرضه بالحمى ، وقيل إنه سم ، والله أعلم .

## باني التاجيه ببغداد

المرزبان بن خسرو ، تاج الملك ، الوزير أبو الغنائم باني التاجية ، وكان مدرسها أبو بكر الشاشي وبنى تربة الشيخ أبي إسحاق ، وقد كان السلطان ملكشاه أراد أن يستوزره بعد نظام الملك فمات سريعاً ، فاستوزر لولده محمود ، فلما قهره أخوه بركيارق قتله غلمان النظام وقطعوه إرباً إرباً في ذى الحجة من هذه السنة .  
**هبة الله بن عبد الوارث**

ابن علي بن أحمد نوري ، أبو القاسم الشيرازي ، أحد الرحالين الجوالين في الآفاق ، كان حافظاً ثقة ديناً ورعاً ، حسن الاعتقاد والسيرة ، له تاريخ حسن ، ورحل إليه الطلبة من بغداد وغيرها والله أعلم .  
**ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة**

فيها قدم إلى بغداد رجل يقال له أردشير بن منصور أبو الحسين العبادي ، مرجعه من الحج ، فنزل النظامية فوعظ الناس وحضر مجلسه الغزالي مدرس المكان ، فازدحم الناس في مجلسه ، وكثروا في المجالس بعد ذلك ، وترك كثير من الناس معايشهم ، وكان يحضر مجلسه في بعض الأحيان أكثر من ثلاثين ألفاً من الرجال والنساء ، وتاب كثير من الناس ولزوا المساجد ، وأريقت الخمر وكسرت الملاهي ، وكان الرجل في نفسه صالحاً ، له عبادات ، وفيه زهد وافر ، وله أحوال صالحة ، وكان الناس يزدحمون على فضل وضوئه ، وربما أخذوا من البركة التي يتوضأ منها ماء البركة ، ونقل ابن الجوزي أنه اشتمى مرة على بعض أصحابه توتاً شامياً وثلمجاً فظاف البلد بكاله فلم يجده ، فرجع فوجد الشيخ في خلوته فسأل هل جاء اليوم إلى الشيخ أحد ؟ فقيل له جاءت امرأة فقالت إني غزلت بيدي غزلاً وبعته وأنا أحب أن أشترى للشيخ طرفة فامتنع من ذلك فبكت فرحها ، وقال : اذهبي فاشترى ، فقالت ماذا تشتمى ؟ فقال : ماشئت ، فذهبت فأتته بتوت شامى وثلمج فأكله . وقال بعضهم : دخلت عليه وهو يشرب مرقاً فقلت في نفسي : لينة أعطاني فضله لأشربه لحفظ القرآن فناولني فضله فقال : اشربها على تلك النية ، قال : فرزقني الله حفظ القرآن . وكانت له عبادات ومجاهدات ، ثم اتفق أنه تكلم في بيع القراضة بالصحيح فتمنع من الجلوس وأخرج من البلد .

وفيها خطب تتش بن ألب أرسلان لنفسه بالسلطنة ، وطلب من الخليفة أن يخطب له بالعراق فحصل التوقف عن ذلك بسبب أخيه بركيارق بن ملكشاه ، فسار إلى الرجة وفي صحبته وطاعته أقسنقر صاحب حلب ، وبوران صاحب الرها ، ففتح الرجة ، ثم سار إلى الموصل فأخذها من يد صاحبها إبراهيم بن قریش بن بدران ، وهزم جيوشه من بني عقيل ، وقتل خلقاً من الأمراء صبراً ، وكذلك أخذ ديار بكر ، واستوزر الكافي بن نجر الدولة بن جبير ، وكذلك أخذ همدان وخراسان ، وفتح أذربيجان واستفحل أمره ، ثم فارقه الأميران أقسنقر وبوران فسارا إلى الملك بركيارق وبقى تتش



وحده ، فقطع فيه أخوه بركيارق فرجع تتش فاجته قسم الدولة اقسنقر و بوران يبالب حلب فكسرهما وأسر بوران واقسنقر فصلبهما وبعث برأس بوران فطيف به حران والرها وملكها من بعده .  
وفيهما وقعت الفتنة بين الروائض والسنة ، وانتشرت بينهم شرور كثيرة ، وفي ثلثي شعبان ولد للخليفة ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس ، أحمد المستظهر ، ففرح الخليفة به وفي ذى القعدة دخل السلطان بركيارق بغداد ، وخرج إليه الوزير أبو منصور بن جبير ، وهناك عن الخليفة بالتقدم . وفيها أخذ المستنصر العبيدي مدينة صور من أرض الشام . ولم ينجح فيها أحد من أهل العراق .

ومن توفي فيها من الأعيان . **جعفر بن المقتدي بالله**

من الخاتون بنت السلطان ملكشاه ، في جمادى الأولى ، وجلس الوزير للمزاء والدولة ثلاثة ،

أيام . **سليمان بن إبراهيم**

ابن محمد بن سليمان ، أبو مسعود الأصبهاني ، سمع الكثير وصنف وخرج على الصحيحين ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، سمع ابن مردويه وأبا نعيم والبرقاني ، وكتب عن الخطيب وغيره ، توفي في ذى القعدة عن تسع وثمانين سنة .

**عبد الواحد بن أحمد بن الحسن**

الاشكري ، أبو سعد الفقيه الشافعي ، صحب أبا إسحاق الشيرازي ، وروى الحديث ، وكان مؤلفاً لأهل العالم ، وكان يقول : مامشي قدمي هاتين في لذة قط ، توفي في رجب منها ودفن بباب حرب

**علي بن أحمد بن يوسف**

أبو الحسن الهكاري ، قدم بغداد ونزل برباط الدوري ، وكانت له أربعة قد أنشأها ، سمع الحديث وروى عنه غير واحد من الحفاظ ، وكان يقول : رأيت رسول الله (س) في المنام في الروضة فقلت : يا رسول الله أوصني ، فقال : عليك باعتقاد أحمد بن حنبل ، ومذهب الشافعي ، وإياك ومجالسة أهل البدع . توفي في المحرم منها . **علي بن محمد بن محمد**

أبو الحسن الخطيب الأنباري ، ويعرف بابن الأخضر ، سمع أبا عبد الرضى ، وهو آخر من حدث عنه ، توفي في شوال منها عن خمس وتسعين سنة :

**أبو نصر علي بن هبة الله ، ابن ماكولا**

[ ولد سنة ثنتين وأربعمائة ، وسمع الكثير وكان من الحفاظ ، وله كتاب الاكمال في المؤلف والمختلف ، جمع بين كتاب عبد النبي وكتاب الدارقطني وغيرهما ، وزاد عليهما أشياء كثيرة ، بهمة حسنة مفيدة نافعة ، وكان نحوياً مبرزاً ، فصيح العبارة حسن الشعر . قال ابن الجوزي : وصحبت

شيخنا عبد الوهاب يطعن في دينه ويقول: المعلم يحتاج إلى دين. وقتل في خوزستان في هذه السنة أو التي بعدها، وقد جاوز الثمانين. كذا ذكره ابن الجوزي [١].

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربع مائة

فيها كانت وفاة الخليفة المقتدى وخلافة ولده المستظهر بالله

### صفة موته

لما قدم السلطان بركيارق بغداد، سال من الخليفة أن يكتب له بالسلطنة كتابا فيه العهد إليه فكتب ذلك، وهيئت الخلع وعرضت على الخليفة، وكان الكتاب يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم ثم قدم إليه الطعام فتناول منه على العادة وهو في غاية الصحة، ثم غسل يده وجلس ينظر في العهد بعدما وقع عليه، وعنده قهرمانة تسمى شمس النهار، قالت: فنظر إلى وقال: من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن؟ قالت: فالتفت فلم أر أحدا، ورأيت قد تغيرت حالته واسترخت يده ورجلاه، وأنحلت قواه، وسقط إلى الأرض. قالت: فظننت أنه غشى عليه، فخلت أزرار ثيابه فاذا هو لا يجيب داعيا، فأغلقت عليه الباب وخرجت فأعلمت ولي العهد بذلك، وجاء الأمراء ورؤس الدولة يمزونه بأبيه، ويهنتونه بالخلافة، فبايعوه.

شيء من ترجمة المقتدى بأمر الله

هو أمير المؤمنين المقتدى بالله، أبو عبد الله بن الذخيرة، الأمير ولي العهد أبي العباس أحمد، ابن أمير المؤمنين القائم بأمر الله، بن القادر بالله العباسي، أمه أم ولد اسمها أرجوان أرمنية، أدركت خلافة ولدها وخلافة ولده المستظهر وولد ولده المسترشد أيضاً، وكان المقتدى أبيض حلوا الشمائل، عمرت في أيامه محال كثيرة من بغداد، ونفى عن بغداد المغنيات وأرباب الملاهي والمعاصي، وكان غيوراً على حريم الناس، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، حسن السيرة، رحمه الله، توفي يوم الجمعة رابع عشر المحرم من هذه السنة، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وثمان شهور وتسعة أيام، خلافته من ذلك تسع عشرة سنة وثمان شهور إلا يومين، وأخفى موته ثلاثة أيام حتى توطدت البيعة لابنه المستظهر، ثم صلى عليه ودفن في تربتهم والله أعلم.

خلافة المستظهر بأمر الله أبي العباس

لما توفي أبوه يوم الجمعة أحضره وله من العمر ست عشرة سنة وشهران، فبايع بالخلافة، وأول من بايعه الوزير أبو منصور ابن جبير، ثم أخذ البيعة له من الملك ركن الدولة بركيارق بن ملكشاه ثم من بقية الأمراء والرؤساء، وتمت البيعة تؤخذ له إلى ثلاثة أيام، ثم أظهر التابوت يوم

(١) زيادة من المصرية.

الثلاثاء الثامن عشر من المحرم ، وصلى عليه ولده الخليفة ، وحضر الناس ، ولم يحضر السلطان ، وحضر أكثر أمراءه ، وحضر الغزالي والشاشي وابن عقيل ، وبايعوه يوم ذلك ، وقد كان المستظهر كريم الأخلاق حافظاً للقرآن فصيحاً بليغاً شاعراً منطيقاً ، ومن لطيف شعره قوله :

أَذَابَ حُرَّ الْجَوَى فِي الْقَلْبِ مَا جَمَدَا \* يوماً مَدَدْتُ عَلَى رَسْمِ الْوَدَاعِ يَدَا  
فَكَيْفَ أَسْلَكْتُ نَهْجَ الْأَصْطَبَارِ وَقَدْ \* أَرَى طَرَائِقَ مِنْ يَهْوَى الْهَوَى قَدْ دَا  
قَدْ أَخْلَفَ الْوَعْدَ بَدْرٌ قَدْ شَغَفَتْ بِهِ \* مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ وَفَى دَهْرًا بِمَا وَعَدَا  
إِنْ كُنْتُ أَنْقَضُ عَهْدَ الْحَبِّ فِي خَلْدِي \* مِنْ بَعْدِ هَذَا فَلَا عَايِنْتُهُ أَبَدَا

وفوض المستظهر أمور الخلافة إلى وزيره أبي منصور عميد الدولة بن جبير ، فدبرها أحسن تدبير ، ومهد الأمور أتم تمهيد ، وساس الرعايا ، وكان من خيار الوزراء . وفي ثالث عشر شعبان عزل الخليفة أبا بكر الشاشي عن القضاء ، وفوضه إلى أبي الحسن ابن الدامغاني . وفيها وقعت فتنة بين السنة والروافض فأحرقت محال كثيرة ، وقتل ناس كثير ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولم ينجح أحد لاختلاف السلاطين . وكانت الخطبة للسلطان بركيارق ركن الدولة يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم وهو اليوم الذي توفى فيه الخليفة المقتدى بعد ما علم على توقيعه .

ومن توفى فيها من الأعيان . أقسنقر الأتابك

الملقب قسيم الدولة الساجوقى ، ويعرف بالحاجب ، صاحب حلب وديار بكر والجزيرة . وهو جد الملك نور الدين الشهيد بن زنكي بن أقسنقر ، كان أولاً من أخص أصحاب السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان الساجوقى ، ثم ترقى منزلته عنده حتى أعطاه حلب وأعمالها بإشارة الوزير نظام الملك وكان من أحسن الملوك سيرة وأجودهم سريرة ، وكانت الرعية معه فى أمن ورخص وعدل ، ثم كان موته على يد السلطان تاج الدولة تتش صاحب دمشق ، وذلك أنه استعان به وبصاحب حران والرها على قتال ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه ، ففرا عنه وتركاه ، فهرب إلى دمشق ، فلما تمكن ورجعا قاتلها بباب حباب فقتلها وأخذ بلادها إلا حلب فانها استقرت لولد أقسنقر زنكى فيما بعد ، وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة كما سيأتى بيانه . وذكر ابن خلكان أنه كان مملوكاً للسلطان ملكشاه ، هو وبوزان صاحب الرها ، فلما ملك تتش حلب استنابه بها فعصى عليه فقصده وكان قد ملك دمشق أيضاً فقاتله فقتله فى هذه السنة فى جمادى الأولى منها ، فلما قتل دفته ولده عماد الدين زنكى ، وهو أبو نور الدين ، فقبره بحلب أدخله ولده إليها من فوق الصور ، فدفته بها .

أمير الجيوش بدر الجمالى

صاحب جيوش مصر ومدبر الممالك الفاطمية ، كان عاقلاً كريماً محباً للعلماء ، وهم عليه رسوم دارة

تمكن في أيام المستنصر تمكنا عظيماً ، ودارت أزمة الأمور على آرائه ، وفتح بلاداً كثيرة ، وامتدت أيامه وبعده صيته وامتدحته الشعراء . ثم كانت وفاته في ذى القعدة منها ، وقام بالأمر من بعده ولده الأفضل .

### الخليفة المقتدي

وقد تقدم شيء من ترجمته .

### الخليفة المستنصر الفاطمي

أبو نعيم معد بن أبي الحسن علي بن الحاكم ، استمرت أيامه ستين سنة ، ولم يتفق هذا لخليفة قبله ولا بعده ، وكان قد عهد بالأمر إلى ولده نزار ، فخلعه الأفضل بن بدر الجمالي بعد موت أبيه . وأمر الناس فبايعوا أحمد بن المستنصر أخاه ، ولقبه بالمستعلي ، فهرب نزار إلى الاسكندرية فجمع الناس عليه فبايعوه ، وتولى أمره قاضي الاسكندرية : جلال الدولة بن عمار ، فقصده الأفضل فحاصره وقتلهم نزار وهزمهم الأفضل وأسر القاضي ونزار ، فقتل القاضي وحبس نزار بين حيطين حتى مات ، واستقر المستعلي في الخلافة ، وعمره إحدى وعشرون سنة .

### محمد بن أبي هاشم

أمير مكة ، كانت وفاته فيها عن نيف وتسعين سنة .

### محمود بن السلطان ملكشاه

كانت أمه قد عقلت له الملك ، وأنفقت بسببه الأموال ، فقاتله بركيارق فكسره ، ولزم بلده أصبهان ، فمات بها في هذه السنة ، وحمل إلى بغداد فدفن بها بالترربة النظامية ، كان من أحسن الناس وجهاً ، وأظرفهم شكلاً ، توفي في شوال منها ، وماتت أمه اغلطان تركيان شاه في رمضان ، فأنحل نظامه ، وكانت قد جمعت عليه المساكر ، وأسندت أزمة أمور المملكة إليه ، وملك عشرة آلاف مملوك تركي ، وأنفقت في ذلك قريباً من ثلاثة آلاف ألف دينار ، فأنحل النظام ولم تحصل على طائل ، والله سبحانه أعلم .

### ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

فيها قدم يوسف بن أبق التركاني من جهة تنش صاحب دمشق إلى بغداد لأجل إقامة الدعوة له ببغداد ، وكان تنش قد توجه لقتال ابن أخيه بناحية الرى ، فلما دخل رسوله ببغداد هابوه وخافوه واستداه لخليفة قمر به وقبل الأرض بين يدي الخليفة ، وتأهب أهل بغداد له ، وخافوا أن ينهبهم ، فبينما هو كذلك إذ قدم عليه رسول ابن أخيه فأخبره أن تنش قتل في أول من قتل في الوقعة ، وكانت وفاته في سابع عشر صفر من هذه السنة ، فاستنحل أمر بركيارق ، واستقل بالأمر . وكان دقاق بن تنش مع أبيه حين قتل ، فسار إلى دمشق فملكها ، وكان نائب أبيه عليها الأمير ساوتكين ،

واستوزر أبا القاسم الخوارزمي، ومالك عبد الله بن تتش مدينة حلب، ودبر أمر مملكته جناح الدولة ابن اتكين، ورضوان بن تتش صاحب مدينة حماه، وإليه تنسب بنو رضوان بها. وفي يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول منها خطب لولي العهد أبي المنصور الفضل بن المستظهر، ولقب بنخيرة الدين. وفي ربيع الآخر خرج الوزير ابن جبير فاخبط سورا على الحریم، وأذن للموام في العمل والتفرج فأظهروا منكرات كثيرة، وسخافات عقول ضعيفة، وعملوا أشياء منكرة، فبعث إليه ابن عقيل رقعة فيها كلام غليظ، وإنكار بفيض. وفي رمضان خرج السلطان بركيارق فمدا عليه فداوى، فلم يتمكن منه، فسك فعوقب فأقر على آخرين فلم يقرأ فقتل الثلاثة. وجاء الطواشي من جهة الخليفة مهنثا له بالسلامة. وفي ذي القعدة منها خرج أبو حامد الغزالي من بغداد متوجها إلى بيت المقدس تاركا لتدريس النظامية، زاهدا في الدنيا، لا بسأ خشن الثياب بمدانها، وناب عنه أخوه في التدريس ثم حج في السنة التالية ثم رجع إلى بلده، وقد صنف كتاب الإحياء في هذه المدة، وكان يجتمع إليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمونه. وفي يوم عرفة خلع على القاضي أبي الفرج عبدالرحمن بن هبة الله بن البستي، ولقب بشرف القضاة، ورد إلى ولاية القضاء بالحریم وغيره. وفيها اصطاح أهل الكرخ من الرافضة والسنة مع بقية الحال، وتزاوروا وتواصلوا وتواكلوا، وكان هذا من المعائب، وفيها قتل أحمد بن خاقان صاحب سمرقند، وسببه أنه شهد عليه بالزندقة فخنق وولى مكانه ابن عمه مسعود. وفيها دخل الأتراك إفريقية وغدروا ببيحي بن تميم بن المعز بن باديس، وقبضوا عليه، وملكوا بلاده وقتلوا خلقا، بعد ما جرت بينه وبينهم حروب شديدة، وكان مقدمهم رجل يقال له شاه ملك، وكان من أولاد بهض أمراء المشرق، فقدم مصر وخدم بها ثم هرب إلى المغرب، ومعه جماعة ففعل ما ذكر. ولم يجج أحد من أهل العراق فيها.

ومن توفي فيها من الأعيان **الحسن بن أحمد بن خيرون**

أبو الفضل المعروف بابن الباقلاني، سمع الكثير، وكتب عنه الخطيب، وكانت له معرفة جيدة، وهو من الثقات، وقبله الدامغاني، ثم صار أميناً له، ثم ولى إشراف خزانة الغلات. توفي في رجب عن ثنتين وثمانين سنة.

**تتش أبو المظفر**

تاج الدولة بن ألب أرسلان، صاحب دمشق وغيرها من البلاد، وقد تزوج امرأة على ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه، ولكن قدر الله وماتت، وقد قال المتنبي:

ولله سرٌّ في علاك وإنما \* كلامُ المدي ضربٌ من الهديان

قال ابن خلكان: كان صاحب البلاد الشرقية فاستنجدته أنسز في محاربة أمير الجيوش من جهة صاحب مصر، فلما قدم دمشق لنجدته وخرج إليه أنسز، أمر بمسكه وقتله، واستحوذ هو على دمشق

وأعمالها في سنة إحدى وسبعين ، ثم حارب أئسز ققتله ، ثم تحارب هو وأخوه بركيارق ببلاد الري ، فكسره أخوه وقتل هو في المعركة ، وتملك ابنه رضوان حلب ، وإليه تنسب بنو رضوان بها ، وكان ملكه عليها إلى سنة سبع وخمسين وخمسة ، سمته أمه في عنقود عنب ، فقام من بعده ولده تاج الملك بوري أربع سنين ، ثم ابنه الآخر شمس الملك إسماعيل ثلاث سنين ، ثم قتلته أمه أيضا ، وهي زمرد خاتون بنت جاولي ، وأجاست أخاه شهاب الدين محمود بن بوري ، فمكث أربع سنين ، ثم ملك أخوه محمد بن بوري طفرकिन سنة ، ثم تملك مجير الدين أبق من سنة أربع وثلاثين إلى أن انتزع الملك منه نور الدين محمود زنكي كما سيأتي . وكان إتابك العساكر بدمشق أيام أئق معين الدين ، الذي تنسب إليه المعينية بالفور ، والمدرسة المعينية بدمشق .

### رزق الله بن عبد الوهاب

ابن عبد العزيز أبو محمد التميمي أحد أئمة القراء والفقهاء على مذهب أحمد ، وأئمة الحديث ، وكان له مجالس للوعظ ، وحلقة للفتوى بجامع المنصور ، ثم بجامع القصر ، وكان حسن الشكل محبباً إلى العامة له شعر حسن ، وكان كثير العبادة ، فصيح العبارة ، حسن المناظرة . وقد روى عن آبائه حديثاً مسلسلاً عن علي بن أبي طالب أنه قال : هتف العلم بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل . وقد كان ذا وجهة عند الخليفة ، يفد في مهام الرسائل إلى السلطان . توفي يوم الثلاثاء النصف من جمادى الأولى من هذه السنة ، عن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بداره بباب المراتب باذن الخليفة ، وصلى عليه ابنه أبو الفضل

### أبو سيف القزويني

عبد السلام بن محمد بن سيف بن بندار الشيخ ، شيخ المعتزلة ، قرأ على عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، ورحل إلى مصر ، وأقام بها أربعين سنة ، وحصل كتباً كثيرة ، وصنف تفسيراً في سبعمائة مجلد . قال ابن الجوزي : جمع فيه العجب ، وتكلم على قوله تعالى ( واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ) في مجلد كامل . وقال ابن عقيل : كان طويل اللسان بالعلم تارة ، وبالشعر أخرى ، وقد جمع الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره ، ومات ببغداد عن ست وتسعين سنة . وما تزوج إلا في آخر عمره .

### أبو شعاع الوزير

محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم ، أبو شعاع ، الملقب بظهير الدين ، الروذراوري الأصل الأهوازي المولد ، كان من خيار الوزراء كثير الصدقة والاحسان إلى العلماء والفقهاء ، وسمع الحديث من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيره ، وصنف كتباً ، منها كتابه الذي ذيله على تجارب الأمم . ووزر لأخليفة المقتدى وكان يملك ستمائة ألف دينار ، فأنفقها في سبيل الخيرات والصدقات ، ووقف الوقوف الحسنة ، وبنى المشاهد ، وأكثر الانعام على الأراامل والأيتام . قال

له رجل : إلى جانبنا أرملة لها أربعة أولاد وهم عراة وجياع ، فبعث إليهم مع رجل من خاصته نفقة وكسوة وطعاماً ، ونزع عنه ثيابه في البرد الشديد ، وقال : والله لا ألبسها حتى ترجع إلى بخبرهم ، فذهب الرجل مسرعاً بما أرسله على يديه إليهم ، ثم رجع إليه فأخبره أنهم فرحوا بذلك ودعوا للوزير ، فسر بذلك ولبس ثيابه . وجئ\* إليه مرة بقطائف سكرية فلما وضعت بين يديه تنغص عليه بمن لا يقدر عليها ، فأرسلها كلها إلى المساجد ، وكانت كثيرة جداً ، فأطعمها الفقراء والعميان وكان لا يجلس في الديوان إلا وعنده الفقهاء ، فاذا وقع له أمر مشكل سألم عنه فحكم بما يفتونه ، وكان كثير التواضع مع الناس ، خاصتهم وعامتهم ، ثم عزل عن الوزارة فسار إلى الحج وجاور بالمدينة ثم مرض ، فلما ثقل في المرض جاء إلى الحجرة النبوية فقال : يا رسول الله قال الله تعالى [ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ] وها أنا قد جئتك أستغفر الله من ذنوبي وأرجو شفاعتك يوم القيامة ، ثم مات من يومه ذلك رحمه الله ، ودفن في البقيع .

### القاضي أبو بكر الشاشي

محمد بن المظفر بن بكران الحموي أبو بكر الشاشي ، ولد سنة أربع مائة ، وتفقه ببلده ، ثم حج في سنة سبع عشرة وأربعمائة ، وقدم بغداد فتفقه على أبي الطيب الطبري وسمع بها الحديث ، وشهد عند ابن الدامغانى قبله ، ولازم مسجده خمساً وخمسين سنة ، يقرئ الناس ويفقههم ، ولما مات الدامغانى أشار به أبو شجاع الوزير فولاه الخليفة المقتدى القضاء ، وكان من أنزه الناس وأعفهم ، لم يقبل من سلطان عطية ، ولا من صاحب هدية ، ولم يغير ملبسه ولا مأكله ، ولم يأخذ على القضاء أجراً ولم يستنب أحدًا ، بل كان يباشر القضاء بنفسه ، ولم يحاب مخلوقاً ، وقد كان يضرب بعض المنكرين حيث لا بينة ، إذا قامت عنده قرائن التهمة ، حتى يقرؤا ، ويذكر أن في كلام الشافعي ما يدل على هذا . وقد صنّف كتاباً في ذلك ، ونصره ابن عقيل فيما كان يتعاطاه من الحكم بالقرائن ، واستشهد له بقوله تعالى [ إن كان قبضه قد من قبل ] الآية . وشهد عند مناجل من كبار الفقهاء والمناظرين يقال له المشطب بن أحمد بن أسامة الفرغانى ، فلم يقبله ، لما رأى عليه من الحرير وخاتم الذهب ، فقال له المدعى : إن السلطان ووزيره نظام الملك يلبسان الحرير والذهب ، فقال القاضي الشاشي : والله لو شهدا عندي على باقة بقله ما قبلتهما ، ولرددت شهادتهما . وشهد عنده مرة فقيه فاضل من أهل مذهبه فلم يقبله ، فقال : لأى شئ ترد شهادتي وهي جائزة عند كل حاكم إلا أنت ؟ فقال له : لا أقبل لك شهادة ، فاني رأيتك تغتسل في الحمام عرياناً غير مستور العورة ، فلا أقبلك . توفي يوم الثلاثاء عاشر شعبان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بالقرب من ابن شريح .

## أبو عبد الله الحميدي

محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد ، الأندلسي ، من جزيرة يقال لها برقة قريبة من الأندلس ، قدم بغداد فسمع بها الحديث ، وكان حافظاً مكثراً أديباً ماهراً ، عفيفاً نزهاً ، وهو صاحب الجمع بين الصحيحين ، وله غير ذلك من المصنفات ، وقد كتب مصنفات ابن حزم والخطيب ، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة ، وقد جاوز التسعين ، وقبره قريب من قبر بشر الحافي ببغداد .

### هبة الله ابن الشيخ أبي الوفا بن عقيل

كان قد حفظ القرآن وتفقه وظهر منه نجابة ، ثم مرض فأنفق عليه أبوه أموالاً جزيلة فلم يند شيئا فقال له ابنه ذات يوم : يا أبت إنك قد أكثرت الأدوية والأدعية ، والله في اختيار فدعني واختيار الله في ، قال أبوه : فعلت أنه لم يوفق لهذا الكلام إلا وقد اخترت للاحتظة والله سبحانه أعلم .

### ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة

قال ابن الجوزي في المنتظم : في هذه السنة حكم جهلة المنجمين أنه سيكون في هذه السنة طوفان قريب من طوفان نوح ، وشاع الكلام بذلك بين العوام وخافوا ، فاستدعى الخليفة المستظهر ابن عشبون المنجم فسأله عن هذا الكلام فقال : إن طوفان نوح كان في زمن اجتمع في بحر الحوت الطوالع السبعة ، والآن فقد اجتمع فيه ستة ولم يجتمع معها زحل ، فلا بد من وقوع طوفان في بعض البلاد ، والأقرب أنها ببغداد . فتقدم الخليفة إلى وزيره باصلاح المسيلات والمواقع التي يخشى انفجار الماء منها ، وجعل الناس ينتظرون ، فجاء الخبر بأن الحجاج حصلوا بوادي المناقب بعد نحلة فأنام سيل عظيم ، فأنجا منهم إلا من تعلق برؤس الجبال ، وأخذ الماء الجمال والرجال والرجال ، فغلق الخليفة على ذلك المنجم وأجرى له جارية . وفيها ملك الأمير قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل ، وقتل شرف الدولة محمد بن مسلم بن قريش ، وغرقه بعد حصار تسعة أشهر . وفيها ملك تميم بن المعز المغربي مدينة قابس وأخرج منها أخاه عمر ، فقال خطيب سوسة في ذلك أبياتاً .

ضحك الزمان وكان يأنى عابساً \* لما فتحت بحد سيفك قابسا  
وأتينها بكراً وما أمرتها \* إلا قناً وصوارما وفوارساً  
الله يعلم ما جنيت ثمارها \* إلا وكان أبوك قبلاً غارساً  
من كان في زرق الأسنه خاطباً \* كانت له قتل البلاد عرائسا

وفي صفر منها درس الشيخ أبو عبد الله الطبري بالنظامية ، ولاة إياها نخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق . وفيها أغارت خفاجة على بلاد سيف الدولة صدقة بن يزيد بن منصور بن ديبس وقصدوا شهد الحسين بالخابر ، وتظاهر وافية بالمنكرات والفساد ، فكبسهم فيه الأمير صدقة المذكور ،



فقتل منهم خلقا كثيرا عند الضريح . ومن العجائب أن أحدهم ألقى نفسه وفرسه من فوق السور فسلم وسلمت فرسه . وحج بالناس الأمير خمارتكين الحسناني .

ومن توفي فيها من الأعيان **عبدالله بن إبراهيم بن عبد الله**

أخو أبي حكيم الخيري ، وخير : إحدى بلاد فارس ، سمع الحديث وتفقّه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكانت له معرفة بالفرائض والأدب واللغة ، وله مصنفات ، وكان مرضى الطريقة ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة ، فبينما هو ذات يوم يكتب وضع القلم من يده واستند وقال : والله لئن كان هذا موثقا إنه لطيب ، ثم مات .

### عبد المحسن بن أحمد الشنجي

التاجر ، ويعرف بابن شهداء مكة ، بغدادى ، سمع الحديث الكثير ، ورحل وأكثر عن الخطيب وهو بصور ، وهو الذى حمله إلى العراق ، فلهذا أهدى إليه الخطيب تاريخ بغداد بخطه ، وقد روى عنه فى مصنفاته ، وكان يسميه عبدالله ، وكان ثقة .

### عبد الملك بن إبراهيم

ابن أحمد أبو الفضل المعروف بالهمداني ، تفقه على المارودي ، وكانت له يدطولى فى العلوم الشرعية والحساب وغير ذلك ، وكان يحفظ غريب الحديث لأبي عبيد والمجمل لابن فارس ، وكان عفيفا زاهدا ، طلبه المقتدى ليوليه قاضى القضاة فأبى أشد الأباه ، واعتزله بالمعز وعلو السن ، وكان ظريفا لطيفا ، كان يقول : كان أبى إذا أراد أن يؤذبنى أخذ المصا بيده ثم يقول : نويت أن أضرب ولدى تأديبا كما أمر الله ، ثم يضربنى . قال : وإلى أن يدوى ويتم النية كنت أهرب . توفي فى رجب منها ودفن عند قبر ابن شريح .  
محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور

أبو بكر الدقاق ، ويعرف بابن الحاضنة ، كان معروفاً بالأفادة وجودة القراءة وحسن الخط وصحة النقل ، جمع بين علم القراءات والحديث ، وأكثر عن الخطيب وأصحاب المخلص . قال : لما غرقت بغداد غرقت دارى وكتبى فلم يبق لى شئ ، فاحتجت إلى النسخ فكتبت صحيح مسلم فى تلك السنة سبع مرات ، فتمت فرأيت ذات ليلة كأن القيامة قد قامت وقائل يقول أين ابن الحاضنة ؟ فجننت فأدخلت الجنة فلما دخلتها استلقيت على قنأى ووضعت إحدى رجلى على الأخرى وقلت : استرحت من النسخ ، ثم استيقظت والقلم فى يدى والنسخ بين يدى .

### أبو المظفر السمعاني

منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد ، أبو المظفر السمعاني ، الحافظ ، من أهل مرو ، تفقه أولا على أبيه فى مذهب أبي حنيفة ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعى فأخذ عن أبي إسحاق وابن

الصباغ، وكانت له يد طولى فى فنون كثيرة ، وصنف التفسير وكتاب الانتصار فى الحديث ،  
والبرهان والقواطع فى أصول الفقه ، والاصطلام وغير ذلك ، ووعظ فى مدينة نيسابور ، وكان يقول :  
ما حفظت شيئاً فنسيتنه ، وسئل عن أخبار الصنفات فقال : عليكم بدين العجائز وصبيان الكتاتيب ،  
وسئل عن الاستواء فقال :

جنتاني لبعلا سرّ سمدى \* تجداني بسرّ سمدى شحيحا  
إن سمدى لمنية المتنى \* جمعت عفةً ووجهاً صبيحا

توفى فى ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن فى مقبرة مرورحمه الله تعالى وإيانا آمين .

تم دخلت سنة تسعين وأربعمائة من الهجرة

فيها كان ابتداء ملك الخوارزمية ، وذلك أن السلطان بركيارق ملك فيها بلاد خراسان بعد  
مقتل عمه أرسلان أرغون بن ألب أرسلان وسلمها إلى أخيه المعروف بالملك سنجر ، وجعل إتابكه  
الأمير قجاج ، ووزيره أبو الفتح على بن الحسين الطغرائى . واستعمل على خراسان الأمير حبشى بن  
البرشاق ، فولى مدينة خوارزم شاباً يقال له محمد بن أنوش تكين ، وكان أبوه من أمراء السلاجقة ،  
ونشأ هو فى أدب وفضيلة وحسن سيرة ، ولما ولى مدينة خوارزم لقب خوارزم شاه ، وكان أول  
ملوكهم ، فأحسن السيرة وعامل الناس بالجميل ، وكذلك ولده من بعده اتسزجرى على سيرة أبيه ،  
وأظهر العدل ، فخطى عند السلطان سنجر وأحبه الناس ، وارتفعت منزلته . وفيها خطب الملك رضوان  
ابن تاج الملك تنش للخليفة الفاطمى المستعلى ، وفى شوال قتل رجل باطنى عند باب النبوى كان قد  
شهد عليه عدلان أحدهما ابن عقيل أنه دعاها إلى مذهبه فحمل يقول أتقتلوننى وأنا أقول لا إله إلا  
الله ؟ فقال ابن عقيل قال الله تعالى [ فلها رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ] الآية وما بمسدها ،  
وفى رمضان منها قتل برسق أحد أكبر الأمراء وكان أول من تولى شحنة بغداد . وحج بالناس  
فيها خوارتكين الحسنانى ، وفى يوم عاشوراء كبست دار بهاء الدولة أبو نصر بن جلال الدولة أبى طاهر  
ابن بويه لأموار ثبتت عليه عند القاضى فأريق دمه ونقضت داره وعمل مكانها مسجدان للحنفية  
والشافعية ، وقد كان السلطان ملكشاه قد أقطعته المدائن وديرعا قول وغيرهما .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن الحسن

ابن على بن زكريا بن دينار ، أبو يعلى العبدي البصرى ، ويعرف بابن الصواف ، ولد سنة  
أربعمائة ، وسمع الحديث ، وكان زاهداً متصوفاً ، وفقياً مدرساً ، ذا سمع ووقار ، وسكينة ودين ، وكان  
علامة فى عشرة علوم ، توفى فى رمضان منها عن تسعين سنة رحمه الله .

### المعمر بن محمد

ابن المعمر بن أحمد بن محمد، أبو الفخائم الحسيني، سمع الحديث، وكان حسن الصورة كريم الأخلاق كثير التعبد، لا يعرف أنه آذى مسلماً ولا شتم صاحباً. توفي عن نيف وستين سنة، وكان نقيباً ثنتين وثلاثين سنة، وكان من سادات قریش، وتولى بعده ولده أبو الفتح حيدرة، ولقب بالرضي ذي الفخرين، ورواه الشعراء بأبيات ذكرها ابن الجوزي.

### يحيى بن أحمد بن محمد البستي

سمع الحديث ورحل فيه، وكان ثقة صالحاً صدوقاً أديباً، عمر مائة سنة وثنى عشرة سنة وثلاثة أشهر، وهو مع ذلك صحيح الحواس، يقرأ عليه القرآن والحديث، رحمه الله وإيانا آمين.

### ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

في جمادى الأولى منها ملك الأفرنج مدينة إنطاكية بعد حصار شديد، بمواطاة بعض المستحفظين على بعض الأبراج، وهرب صاحبها باغيسيان في نفر يسير، وترك بها أهله وماله، ثم إنه ندم في أثناء الطربق فندما شديداً على ما فعل، بحيث إنه غشى عليه وسقط عن فرسه، فذهب أصحابه وتركوه، فجاء راعي غنم فقطع رأسه وذهب به إلى ملك الفرنج، ولما بلغ الخبر إلى الأمير كربوقا صاحب الموصل جمع عساكر كثيرة، واجتمع عليه دقاق صاحب دمشق، وجناح الدولة صاحب حمص، وغيرهما، وسار إلى الفرنج فالتقوا معهم بأرض إنطاكية فهزموهم الفرنج وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأخذوا منهم أموالاً جزيلة، فانا لله وإنا إليه راجعون. ثم صارت الفرنج إلى معرة النعمان فأخذوها بعد حصار فلا حول ولا قوة إلا بالله. ولما بلغ هذا الأمر الفظيع إلى الملك بركيارق شق عليه ذلك وكتب إلى الأمراء ببغداد أن يتجهزوا هم والوزير ابن جبير، لقتال الفرنج، فبرز بهض الجيش إلى ظاهر البلد بالجانب الغربي ثم انفسخت هذه العزيمة لأنهم بلغتهم أن الفرنج في ألف مقاتل فلا حول ولا قوة إلا بالله. وحج بالناس فيها خمارتكين.

### ومن توفي فيها من الأعيان طراد بن محمد بن علي

ابن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الامام بن محمد بن علي بن عباس، أبو الفوارس بن أبي الحسن بن أبي القاسم بن أبي تمام، من ولد زيد بن بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وهي أم ولده عبد الله بن محمد بن إبراهيم الامام بن محمد بن عبد الله بن عباس، سمع الحديث الكثير، والكتب الكبار، وتفرد بالرواية عن جماعة، ورحل إليه من الآفاق وأملى الحديث في بلدان شتى، وكان يحضر مجلسه العلماء والسادات وحضر أبو عبد الله الدامغانى مجلسه، وباشر نقابة الطالبين مدة طويلة، وتوفي عن نيف وتسعين سنة، ودفن

في مقابر الشهداء رحمه الله المظفر أبو الفتح ابن رئيس الروساء أبو القاسم  
ابن المسلمة كانت داره مجماً لأهل العلم والدين والأدب ، وبها توفي الشيخ أبو إسحاق  
الشيرازي ، ودفن عند الشيخ أبي إسحاق في تربته .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة - وفيها أخذت الفرنج بيت المقدس  
لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة ، أخذت الفرنج  
لنهم الله بيت المقدس شرفه الله ، وكانوا في نحو ألف مقاتل ، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين  
ألف قتيل من المسلمين ، وجاسوا خلال الديار ، وتبروا ماعلوا تقبيرا . قال ابن الجوزي : وأخذوا  
من حول الصخرة اثنتين وأربعمائة قنديلا من فضة ، وزنة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم ،  
وأخذوا تنوراً من فضة زنته أربعمائة رطلا بالشامى ، وثلاثة وعشرين قنديلا من ذهب ، وذهب  
الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق ، مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان ، منهم  
القاضي أبو سعد الهروي ، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا ، وقد نظم أبو  
سعد الهروي كلاماً قريء في الديوان وعلى المنابر ، فارتفع بكاء الناس ، ونسب الخليفة الفقهاء إلى الخروج  
إلى البلاد ليعرضوا الملوك على الجهاد ، فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في  
الناس فلم يفتد ذلك شيئاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، فقال في ذلك أبو المظفر الأبيوردى شعراً :

مزجنا دماناً بالدموع السواجم \* فلم يبق منا عرضة للمراجم  
وشر سلاح المرء دمع مبريقه \* إذا الحرب شبت نارها بالصوارم  
فأيها بنى الاسلام إن وراءكم \* وقائع يلحقن الذرى بالناسم  
وكيف تنام العين مل جفونها \* على هفوات أيقظت كل نائم  
وإخوانكم بالشام يضحى مقيلهم \* ظهور المذاكى أو بطون القشاعم  
تسومهم الروم الهوان وأنتم \* تجمرون ذيل الخفض فعل المسالم

ومنها قوله :

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة \* تظال لها الولدان شيب القوادم  
وتلك حروب من يغيب عن غمارها \* ليسلم يقرع بعدها سن نادم  
سللن بأيدي المشركين قواضياً \* ستغمد منهم في السكلى والحجامم  
يكاد لهن المستجير بطيبة \* ينادى بأعلا الصوت يا آل هاشم  
أرى أمي لا يشرعون إلى العدا \* رماحهم والدين واهى الدعائم  
ويجتنبون النار خوفاً من الردى \* ولا يحسبون العار ضربة لازم

أرضى صنائيد الأعراب بالأذى \* وينفى على ذل كاة الأعاجم  
فليتهمو إذ لم يذودوا حية \* عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم  
وإن زهدوا في الأجر إذ حسن الوعى \* فهلا أتوه رغبة في المغنم

وفيهما كان ابتداء أمر السلطان محمد بن ملكشاه ، وهو أخو السلطان سنجر لأبيه وأمه ،  
واستفحل إلى أن خطب له ببغداد في ذى الحجة من هذه السنة . وفيها سار إلى الرى فوجد زبيدة  
خاتون أم أخيه بركيارق فأمر بختفها ، وكان عمرها إذ ذاك ثنتين وأربعين سنة ، في ذى الحجة منها  
وكانت له مع بركيارق خمس وقعات هائلة . وفيها غلت الأسعار جدا ببغداد ، حتى مات كثير من  
الناس جوعا ، وأصابهم وباء شديد حتى عجزوا عن دفن الموتى من كثرتهم .

ومن توفى فيها من الأعيان **السلطان إبراهيم بن السلطان محمود**

ابن مسعود بن السلطان محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة وأطراف الهند ، وعدا ذلك ، كانت  
له حرمة وأبهة عظيمة ، وهيبة وافرة جدا ، حكى السكا المراسى حين بعثه السلطان بركيارق في  
رسالته إليه عما شاهدته عنده من أمور السلطنة في ملبسه ومجلسه ، وما رأى عنده من الأموال  
والسعادة الدنيوية ، قال : رأيت شيئا عجيباً ، وقد وعظه بمحدث « لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير  
من هذا » فبكى . قال : وكان لا يبني لنفسه منزلاً إلا بنى قبله مسجداً أو مدرسة أورباطا . توفى في  
رجب منها وقد جاوز التسعين ، وكانت مدة ملكه منها ثنتين وأربعين سنة .

**عبد الباقي بن يوسف**

ابن علي بن صالح ، أبو تراب البراعى ، ولد سنة إحدى وأربعمائة وتفقّه على أبي الطيب الطبرى  
وسمع الحديث عليه وعلى غيره ، ثم أقام بنيسابور ، وكان يحفظ شيئا كثيرا من الحكايات والملح ،  
وكان صبورا متقللا من الدنيا ، على طريقة السلف ، جاءه منشور بقضاء همدان فقال : أنا منتظر  
منشورا من الله عز وجل ، على يدى ملك الموت بالقدم عليه ، والله جلوس ساعة في هذه المسلة على  
راحة القلب أحب إلى من ملك العراقين ، وتعليم مسألة لطالب أحب إلى مما على الأرض من شئ ،  
والله لا أفلح قلب يعلق بالدنيا وأهلها ، وإنما العلم دليل ، فمن لم يده علمه على الزهد في الدنيا وأهلها  
لم يحصل على طائل من العلم ، ولو علم ما علم ، فانما ذلك ظاهر من العلم ، والعلم النافع وراء ذلك ، والله  
نوقعت يدى ورجلى وقلعت عيني أحب إلى من ولاية فيها انقطاع عن الله والدار الآخرة ، وما  
هو سبب فوز المتقين ، وسعادة المؤمنين . توفى رحمه الله في ذى القعدة من هذه السنة عن ثلاث  
وتسعين سنة رحمه الله آمين .

**أبو القاسم ابن إمام الحرمين**

قتله بعض الباطنية بنيسابور رحمه الله ورحم أباه .

## ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة

في صفر منها دخل السلطان بركيارق إلى بغداد، ونزل بدار الملك، وأعيدت له الخطبة، وقطعت خطبة أخيه محمد، وبعث إليه الخليفة هدية هائلة، وفرح به العوام والنساء، ولكنه في ضيق من أمر أخيه محمد، لاقبال الدولة عليه، واجتماعهم إليه، وقله ما معه من الأموال، ومطالبة الجند له بأرزاقهم، فعزم على مصادرة الوزير ابن جبير، فالتجأ إلى الخليفة فمنعه من ذلك، ثم اتفق الحال على المصالحة عنه بمائة ألف وستين ألف دينار، ثم سار فالتقى هو وأخوه محمد، وكان قريب من همدان فهزمه أخوه محمد ونجاها بنفسه في خمسين فارساً، وقتل في هذه الواقعة سعد الدولة جوهر آيين الخادم، وكان قديم الهجرة في الدولة، وقد ولي شحنة بغداد، وكان حليماً حسن السيرة، لم يتعمد ظم أحد ولم ير خادم ما رأى، من الحشمة والحزمة وكثرة الخدم، وقد كان يكثر الصلاة بالليل، ولا يجلس إلا على وضوء، ولم يمرض مدة حياته ولم يصدع قط، ولما جرى ما جرى في هذه الواقعة ضعف أمر السلطان بركيارق، ثم تراجع إليه جيشه وانضاف إليه الأمير داود في عشرين ألفاً، فالتقى هو وأخوه مع أخيه سنجر فهزمهم سنجر أيضاً وهرب في شردمة قليلة، وأسر الأمير داود فقتله الأمير برغش أحد أمراء سنجر، فضعف بركيارق وتفرقت عنه رجاله، وقطعت خطبته من بغداد في رابع عشر رجب وأعيدت خطبة السلطان محمد. وفي رمضان منها قبض على الوزير عميد الدولة بن جبير، وعلى أخويه زعيم الرؤساء أبي القاسم، وأبي البركات الملقب بالكافي، وأخذت منهم أموال كثيرة، وحبس بدار الخلافة حتى مات في شوال منها. وفي ليلة السابع والعشرين منه قتل الأمير بلكابك سرمرز رئيس شحنة أصبهان، ضرب به باطنى بسكين في خاصرته وقد كان يتعزز منهم كثيراً، وكان يدرع تحت ثيابه سوى هذه الليلة، ومات من أولاده في هذه الليلة جماعة، خرج من داره خمس جناز من صبيحتها. وفيها أقبل ملك الفرنج في ثلاثمائة ألف مقاتل فالتقى معه ستكين ابن انشمنند طايلو، إنابك دمشق الذي يقال له أمين الدولة، واقف الأمينية بدمشق وبيصرى، لا التي ببعلبك، فهزم الأفرنج وقتل منهم خلقاً كثيراً، بحيث لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف، وأكثرهم جرحى - يعني الثلاثة آلاف - وذلك في ذى القعدة منها، ولحقهم إلى ملطية فملكها وأسر ملكها والله الحمد. وحج بالناس الأمير التوتناش التركي وكان شافعي المذهب.

ومن توفي فيها من الأعيان **عبد الرزاق الغزنوي الصوفي**

شيخ رباط عتاب: حج مرات على التجريد، مات وله نحو مائة سنة، ولم يترك كفنًا، وقد قالت له امرأته لما احتضر: سنفضح اليوم. قال: لم؟ قالت له: لأنه لا يوجد لك كفن، فقال لها: لو تركت كفنًا لا فضحت، وعكسه أبو الحسن البسطامي شيخ رباط ابن الحلبان، كان لا يلبس إلا الصوف

شتاء وصيفا ، ويظهر الزهد ، وحين توفي وجد له أربعة آلاف دينار مدفونة ، فتعجب الناس من حالهما فرحم الله الأول وسامح الثاني .

### الوزير عميد الدولة بن جبير

محمد بن أبي نصر بن محمد بن جبير الوزير ، أبو منصور ، كان أحد رؤساء الوزراء ، خدم ثلاثة من الخلفاء ، ووزر لاثنتين منهم ، وكان حليماً قليل العجلة ، غير أنه كان يتكلم فيه بسبب الكبر ، وقد ولي الوزارة مرات ، يعزل ثم يعاد ، ثم كان آخرها هذه المرة حبس بدار الخليفة فلم يخرج من السجن إلا ميتاً ، في شوال منها .

### ابن جزلة الطبيب

بجى بن عيسى بن جزلة صاحب المنهاج في الطب ، كان نصرانياً ثم كان يتردد إلى الشيخ أبي علي بن الوليد المغربي يشتغل عليه في المنطق ، وكان أبو علي يدعو إلى الإسلام ويوضح له الدلالات حتى أسلم وحسن إسلامه ، واستخلفه الدامغانى في كتب السجلات ، ثم كان يطبب الناس بعد ذلك بلا أجر ، وربما ركب لهم الأدوية من ماله تبرعاً ، وقد أوصى بكتبه أن تكون وقفاً مشهد أبي حنيفة رحمه الله وإيانا آمين ،

### ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة

فيها عظم الخطب بأصبهان ونواحيها بالباطنية فقتل السلطان منهم خلقاً كثيراً ، وأبيعت ديارهم وأموالهم للعامة ، ونودي فيهم إن كل من قدرتم عليه منهم فاقتلوه وخذوا ماله ، وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة ، وأول قلعة ملكوها في سنة ثلاث وثمانين ، وكان الذي ملكها الحسن بن صباح ، أحد دعائهم ، وكان قد دخل مصر وتعلم من الزنادقة الذين بها ، ثم صار إلى تلك النواحي ببلاد أصبهان ، وكان لا يدعو إليه من الناس إلا غيباً جاهلاً ، لا يعرف يمينه من شماله ، ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز ، حتى يحرق مزاجه ويفسد دماغه ، ثم يذكر له أشياء من أخبار أهل البيت ، ويكذب له من أقاويل الرافضة الضلال ، أنهم ظلموا ومنعوا حقهم الذي أوجبه الله لهم ورسوله ، ثم يقول له فإذا كانت الخوارج تقاتل بنى أمية لعلى ، فأنت أحق أن تقاتل في نصرة إمامك علي بن أبي طالب ، ولا يزال يسقيه العسل وأمثاله ويرقيه حتى يستجيب له ويصير أطوع له من أمه وأبيه ، ويظهر له أشياء من الخرقه والنير نجيات والحليل التي لا تروج إلا على الجهال ، حتى التف عليه بشر كثير ، وجم غفير ، وقد بعث إليه السلطان ملكشاه يهدده وينهاه عن ذلك ، وبعث إليه بفتاوى العلماء ، فلما قرأ الكتاب بمحضرة الرسول قال لمن حوله من الشباب : إني أريد أن أرسل منكم رسولاً إلى مولاه ، فاشربت وجوه الحاضرين ، ثم قال لشاب منهم : اقتل نفسك ، فأخرج سكيناً

فضرب بها غلصنته فسقط ميتا ، وقال لا آخر منهم : ألق نفسك من هذا الموضع ، فرمى نفسه من رأس القلعة إلى أسفل خندقها فتقطع . ثم قال لرسول السلطان : هذا الجواب . فنها امتنع السلطان من مراسلته . هكذا ذكره ابن الجوزي ، وسيأتي ما جرى للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس وما جرى له مع سنان صاحب الايوان مثل هذا إن شاء الله تعالى .

[وفي شهر رمضان أمر الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وأن لا يبيض وأن يصلى فيه التراويح وأن يجهر بالبسملة ، وأن يمنع النساء من الخروج ليلا للفرجة . وفي أول هذه السنة دخل السلطان بركيارق إلى بغداد فخطب له بها ثم لحقه أخواه محمد وسنجر فدخلاها وهو مريض فمبرا في الجانب الغربي فقطعت خطبته وخطب لهما بها ، وهرب بركيارق إلى واسط ، ونهب جيشه ما اجتازوا به من البلاد والأراضي ، قتها بعض العلماء عن ذلك ووعظه فلم يند شيئا . وفي هذه السنة ملكت الفرنج قلاعا كثيرة منها : قيسارية وسروج ، وسار ملك الفرنج كندر . وهو الذي أخذ بيت المقدس - إلى عكا فحاصرها فجاءه سهم في عنقه فمات من فوره لعنه الله .

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن محمد

ابن عبد الواحد بن الصباح ، أبو منصور ، سمع الحديث وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري ثم على ابن عمه أبي نصر بن الصباح ، وكان قهبا فاضلا كثير الصلاة يصوم الدهر ، وقد ولي القضاء بربيع الكرخ والحسبة بالجانب الغربي .

عبد الله بن الحسن

ابن أبي منصور أبو محمد الطبري ، رحل إلى الآفاق وجمع وصنف ، وكان أحد الحفاظ الكثيرين ثقة صدوقا عالما بالحديث ورعا حسن الخلق .

عبد الرحمن بن أحمد

ابن محمد أبو محمد الرزاز السرخسي ، نزل مرو وسمع الحديث وأملى ورحل إليه العلماء ، وكان حافظا للمذهب الشافعي متدينا ورعا ، رحمه الله .

عزيز بن عبد الملك

منصور أبو المعالي الجيلي القاضي الملقب سيده ، كان شافعييا في الفروع أشعريا في الأصول ، وكان حاكما بباب الأزج ، وكان بينه وبين أهل باب الأزج من الحنابلة شتآن كبير ، سمع رجلا ينادى على حماره ضائع فقال : يدخل باب الأزج ويأخذ بيد من شاء . وقال يوما للنقيب طراد الزينبي : لو حاف إنسان أنه لا يرى إنسانا فرأى أهل باب الأزج لم يحث . فقال له الشريف : من عاشر قوما أربعين يوما فهو منهم . ولهذا لما مات فرحوا بموته كثيرا .



### محمد بن أحمد

ابن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق ، أبو الفضائل الربيعي الموصلی ، ثقة على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وسمع من القاضي أبي الطيب الطبري ، وكان ثقة صالحا كتب الكثير .

### محمد بن الحسن

أبو عبد الله المرادي ، نزل أوان وكان مقرئاً فقيها صالحا ، له كرامات ومكاشفات ، أخذ عن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحديث وغيره . قال ابن الجوزي : بلغني أن ابنا له صغيراً طلب منه غزالاً وأحل عليه ، فقال له : يا بني غدا يأتيك غزال . فلما كان الغد أتت غزال فصارت تنطح الباب بقربها حتى فتحت ، فقال له أبوه : يا بني أتتك الغزال .

### محمد بن علي بن عبيد الله

ابن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان ، أبو نصر الموصل القاضي ، قدم بغداد سنة ثلاث وتسعين ، وحدث عن عمه بالأربعين الودعانية ، وقد سرقها عمه أبو الفتح بن ودعان من زيد بن رطاعة الهاشمي ، فركب لها أسانيد إلى من بعد زيد بن رطاعة ، وهي موضوعة كلها ، وإن كان في بعضها معاني صحيحة والله أعلم .

### محمد بن منصور

أبو سعد المستوفي شرف الملك الخوارزمي ، جليل القدر ، وكان متمصبا لأصحاب أبي حنيفة ، ووقف لهم مدرسة بمر و ، ووقف فيها كتباً كثيرة ، وبنى مدرسة ببغداد عند باب الطاق ، وبنى القبة على قبر أبي حنيفة ، وبنى أر بطة في الفاوز ، وعمل خيراً كثيراً ، وكان من آكل الناس ما كلاً ومشرباً ، وأحسنهم ملبساً ، وأكثرم مالا ، ثم نزل العمالة بدهذا كله ، وأقبل على العبادة والاشتغال بنفسه إلى أن مات .

### محمد بن منصور القسري

المعروف بعميد خراسان ، قدم بغداد أيام طغرل بك وحدث عن أبي حفص عمر بن أحمد بن مسرور ، وكان كثير الرغبة في الخير ، وقف بمر ومدرسة على أبي بكر بن أبي المظفر السمعاني وورثته . قال ابن الجوزي : فهم يتولونها إلى الآن ، وبنى بنيسابور مدرسة ، وفيها تربته . وكانت وفاته في شوال من هذه السنة .

### نصر بن أحمد

ابن عبد الله بن البطران الخطابي البزار القاري . ولد سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وسمع الكثير وتفرد عن ابن زرقويه وغيره ، وطال عمره ، ورحل إليه من الآفاق ، وكان صحيح السماع [ (١) ] .

(١) زيادة من المصرية .

### ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة

في ثالث المحرم منها قبض على أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالسكيا الهراسي ، وعزل عن تدريس النظامية ، وذلك أنه رماه بمضهم عند السلطان بأنه باطني ، فشهد له جماعة من العلماء - منهم ابن عقيل - ببراءته من ذلك ، وجاءت الرسالة من دار الخلافة يوم الثلاثاء بخلاصه . وفيها في يوم الثلاثاء الحادي عشر من المحرم جلس الخليفة المستظهر بدار الخلافة وعلى كتفيه البردة والقضيب بيده ، ووجه الملكان الأخوان محمد وسنجر أبناء ملكشاه ، ققبلا الأرض وخلع عليهما الخلع السلطانية ، على محمد سيفاً وطوقاً وسوار لؤلؤ وأفراساً من مرا كبه ، وعلى سنجر دون ذلك ، وولى السلطان محمد الملك ، واستنابه في جميع ما يتعلق بأمر الخلافة ، دون ما أغلق عليه الخليفة بابه ، ثم خرج السلطان محمد في ناسع عشر الشهر فأرجف الناس ، وخرج بركيارق فأقبل السلطان محمد فالتقوا وجرت حروب كثيرة وانهمز محمد وجرى عليه مكروه شديد ، كما سيأتي بيانه . وفي رجب منها قبيل القاضي أبو الحسن ابن الدامغانى شهادة أبي الحسين وأبي حازم ابني القاضي أبي يعلى ابن الفراء . وفيها قدم عيسى بن عبد الله القونوي فوعظ الناس وكان شافعيًا أشعرياً ، فوقمت فتنة بين الحنابلة والأشعرية ببغداد . وفيها وقع حريق عظيم ببغداد ، وحج بالناس حميد العمري صاحب سيف الدولة صدقة بن منصور ابن ديبس ، صاحب الحلة .

ومن توفي فيها من الأعيان أبو القاسم صاحب مصر

الخليفة الملقب بالمستعلي ، في ذى الحجة منها ، وقام بالأمر بعده ابنه علي وله تسع سنين ، ولقب بالأمر بأحكام الله .

### محمد بن هبة الله

أبو نصر القاضي البندنجي الضرير الفقيه الشافعي ، أخذ عن الشيخ أبي إسحاق ثم جاور بمكة أربعين سنة ، يفتي ويدرس ويروى الحديث ويحج ، ومن شعره قوله :

عَدَمْتُكَ نَفْسِي مَا تَمَلَّى بِطَالَتِي \* وَقَدْ مَرَّ أَصْحَابِي وَأَهْلُ مَوْدِي  
أَعَاهَدُ رَبِّي ثُمَّ أَنْقَضْتُ عَهْدَهُ \* وَأَتْرَكَ عِزْمِي حِينَ تَعَرَّضْتُ شَهْوِي  
وَزَادِي قَلِيلٌ مَا أَرَاهُ مَبْلَتِي \* أَلْزَادِ أَبِي أَمْ لِبَعْدِ مَسَافَتِي ؟

### ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة

فيها حاصر السلطان بركيارق أخاه محمداً بأصبهان ، فضاقت على أهلها الأرزاق ، واشتد الغلاء عندهم جدا ، وأخذ السلطان محمد أهلها بالصادرة والحصار حولهم من خارج البلد ، فاجتمع عليهم الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، ثم خرج السلطان محمد من أصبهان هارباً

فأرسل أخوه في أثره مملوكه إياز، فلم يتمكن من القبض عليه، ونجا بنفسه سالماً. قال ابن الجوزي: وفي صفر منها زيد في ألقاب قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغانى تاج الإسلام. وفي ربيع الأول قطعت الخطبة للسلطين ببغداد، واقتصر على ذكر الخليفة فيها، والدعاء له، ثم التقي الأخوان بركيارق ومحمد، فانهزم محمد أيضاً ثم اصطالحا. وفيها ملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة الرحبة. وفيها قتل أبو المظفر الخجندی الواعظ بالرى، وكان قتيها شافعيأ مدرسأ، قتله رافضى علوى فى الفتنة، وكان علماً فاضلاً، كان نظام الملك يزوره ويعظمه. وحج بالناس خمارتكنين.

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن علي

ابن عبد الله بن سوار، أبو طاهر المقرئ، صاحب المصنفات فى علوم القرآن، كان ثقة ثباتاً مونا عالماً بهذا الشأن، قد جاوز الثمانين.

### أبو المعالي

أحد الصالحاء الزهاد، ذوى الكرامات والمكاشفات، وكان كثير العبادة متقللاً من الدنيا، لا يلبس صيفاً ولا شتاء إلا قيصاً واحداً، فاذا اشتد البرد وضع على كتفه مئزراً، وذكر أنه أصابته فاقة شديدة فى شهر رمضان، فمزم على الذهاب إلى بعض الأصحاب ليستقرض منه شيئاً، قال: فبينما أنا أريده إذا بطائر قد سقط على كتفى، وقال يا أبا المعالي أنا الملك الفلانى، لا تمض إليه نحن نأتيك به، قال فبكر إلى الرجل. رواه ابن الجوزى فى منتظمه من طرق عدة، كانت وفاته فى هذه السنة، ودفن قريباً من قبر أحمد.

### السيدة بنت القائم بأمر الله

أمير المؤمنين التى تزوجها طغرل بك، ودفنت بالرصافة، وكانت كثيرة الصدقة، وجلس لعزائها فى بيت النبوة الوزير، والله أعلم.

### ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة

فبها قصد الفرنج لعنهم الله الشام فقاتلهم المسلمون فقتلوا من الفرنج اثنى عشر ألفاً، ورد الله الذين كفروا بنيظهم لم ينالوا خيراً، وقد أسرفى هذه الوقعة بردويل صاحب الرها. وبها سقطت منارة واسط وقد كانت من أحسن المنائر، كان أهل البلد يفتخرون بها وبقية الحجاج، فلما سقطت سمع لأهل البلد بكاء وعويل شديد، ومع هذا لم يهلك بسببها أحد، وكان بناؤها فى سنة أربع وثلاثمائة فى زمن المتصدر. وبها تأكد الصلح بين الأخوين السلطانين بركيارق ومحمد، وبعث إليه بالخلع وإلى الأمير إياز. وبها أخذت مدينة عكا وغيرها من السواحل. وبها استولى الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور صاحب الحلة على مدينة واسط. وبها توفى الملك دقاق بن تتش

صاحب دمشق ، فأقام مملوكه طفتكين ولدا له صغيراً مكانه ، وأخذ البيعة له ، وصار هو أتابكه بدير المملكة مدة بدمشق . وفيها عزل السلطان سنجر وزيره أبا الفتح الطغرائي ونفاه إلى غزنة . وفيها ولي أبو نصر نظام الحضريين ديوان الأتشاء ، وفيها قتل الطبيب الماهر الحاذق أبو نعيم ، وكانت له إصابات عجيبة . وحج بالناس فيها الأمير خوارتكين .

ومن توفى فيها من الأعيان **أردشير بن منصور**

أبو الحسن العبادي الواعظ ، تقدم أنه قدم ببغداد فوعظ بها فأحبته العامة في سنة ست وثمانين وقد كانت له أحوال جيدة فيما يظهر والله أعلم .

**إسماعيل بن محمد**

ابن أحمد بن عثمان ، أبو الفرج القومساني ، من أهل همدان ، سمع من أبيه وجده . وكان حافظا حسن المعرفة بالرجال وأنواع الفنون ، مأمونا .

**العلاء بن الحسن بن وهب**

ابن الموصلايا ، سعد الدولة ، كاتب الانشاء ببغداد ، وكان نصرانياً فأسلم في سنة أربع وثمانين فكث في الرياضة مدة طويلة ، نحواً من خمس وستين سنة ، وكان فصيح العبارة ، كثير الصدقة ، وتوفى عن عمر طويل .

**محمد بن أحمد بن عمر**

أبو عمر التهاوندي . قاضي البصرة مدة طويلة ، وكان قعبها ، سمع من أبي الحسن الماوردي وغيره مولده في سنة سبع ، وقيل تسع ، وأربعمائة والله أعلم .

**ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة**

فيها توفى السلطان بركيارق وعهد إلى ولده الصغير ملكشاه ، وعمره أربع سنين وشهور ، وخطب له ببغداد ، ونثر عند ذكره الدنانير والدرهم . وجعل أتابكه الأمير إياز ولقب جلال الدولة ، ثم جاء السلطان مجد إلى بغداد فخرج إليه أهل الدولة ليتلقوه وصالحوه ، وكان الذي أخذ البيعة بالصلح الكيا الهراسي ، وخطبه بالجانب الغربي ، ولابن أخيه بالجانب الشرقي ، ثم قتل الأمير إياز وحملت إليه الخلع والدولة والدمست ، وحضر الوزير سعد الدولة عند الكيا الهراسي ، في درس النظامية ، ليرغب الناس في العلم ، وفي ثامن رجب منها أزيل الغيار عن أهل الذمة الذين كانوا ألزموه في سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، ولا يعرف ما سبب ذلك . وفيها كانت حروب كثيرة ما بين المصريين والفرنج ، قتلوا من الفرنج خلقاً كثيراً ، ثم أديل عليهم الفرنج قتلوا منهم خلقاً .

ومن توفى فيها من الأعيان **السلطان بركيارق بن ملكشاه**

ركن الدولة السلجوقي ، جرت له خطوب طويلة وحروب هائلة ، خطب له ببغداد ست مرات ،

ثم تنقطع الخطبة له ثم تعاد ، مات وله من العمر أربع وعشرون سنة وشهور ، ثم قام من بعده ولده ملكشاه ، فلم يتم له الأمر بسبب عمه محمد .

عيسى بن عبدالله

القاسم أبو الوليد الفزنوي الأشعري ، كان متمصبا للأشعري ، خرج من بغداد قاصداً لبلده قنوقى بأسفرايين .  
محمد بن أحمد بن إبراهيم  
ابن سلفة الأصهباني ، أبو أحمد ، كان شيخاً عفيفاً ثقة ، سمع الكثير ، وهو والد الحافظ أبي طاهر السلفي الحافظ .

أبو علي الخيالي الحسين بن محمد

ابن أحمد الفسافي الأندلسي ، مصنف تقييد المهمل على الألفاظ ، وهو كتاب مفيد كثير النفع وكان حسن الخط عالماً بالغة والشعر والأدب ، وكان يسمع في جامع قرطبة ، توفي ليلة الجمعة لثنتي عشرة خلت من شعبان ، عن إحدى وسبعين سنة .

محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر

أبو الحسن الواسطي ، سمع الحديث وتفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وقرأ الأدب وقال الشعر . من ذلك قوله :

مَنْ قَالَ لِي جَاءَ وَلِي حِشْمَةٌ \* وَلِي قَبُولٌ عِنْدَ مَوْلَانَا  
وَلَمْ يَمُدُّ ذَاكَ بِنَفْعِي عَلِي \* صَدِيقِي لَا كَانَ مَا كَانَا

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة

في المحرم منها ادعى رجل النبوة بنواحي نهاوند ، وسمى أربعة من أصحابه بأسماء الخلفاء الأربعة فاتبعه على ضلالتة خاق من الجهلة الرعاع ، وباعوا أملاكهم ودفعوا أيمانها إليه ، وكان كرمياً يعطي من قصده ما عنده ، ثم إنه قتل بتلك الناحية . ورام رجل آخر من ولد ألب أرسلان بتلك الناحية الملك فلم يتم أمره ، بل قبض عليه في أقل من شهرين ، وكانوا يقولون ادعى رجل النبوة وآخر الملك ، فما كان بأسرع من زوال دولتهما . وفي رجب منها زادت دجلة زيادة عظيمة ، فأتلقت شيئا كثيراً من الغلات ، وغرقت دور كثيرة ببغداد . وفيها كسر طفتكين أتاك عساكر دمشق الفرنج ، وعلا مؤيداً منصوراً إلى دمشق ، وزينت البلاد زينة عجيبية مليحة ، سروراً بكسره الفرنج . وفيها في رمضان منها حاصر الملك رضوان بن تنش صاحب حلب مدينة نصيبين ، وفيها ورد إلى بغداد ملك من الملوك ومحبتة رجل يقال له الفقيه ، فوعظ الناس في جامع القصر . وحج بالناس رجل من أقرباء الأمير سيف الدولة صدقة .

## ومن توفى فيها من الأعيان أبو الفتح الحاكم

سمع الحديث من البيهقي وغيره ، وعلق عن القاضي حسين طريقه وشكره في ذلك ، وكان قد تفقه أولاً على الشيخ أبي علي السنجبي ، ثم تفقه وعلق عن إمام الحرمين في الأصول بمحضرته ، واستجاده وولى بلده مدة طويلة ، وناظر ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وتلاوة القرآن . قال ابن خلكان : وبني للصوفية رباطاً من ماله ، ولزم التعبد إلى أن مات في مسهل المحرم من هذه السنة .

### محمد بن أحمد

ابن محمد بن علي بن عبد الرزاق ، أبو منصور الخياط ، أحد القراء والصلحاء ، ختم الوفا من الناس ، وسمع الحديث الكثير ، وحين توفى اجتمع العالم في جنازته اجتماعاً لم يجتمع لغيره مثله ، ولم ينفد له نظير في تلك الأزمان . وكان عمره يوم توفى سبعاً وتسعين سنة رحمه الله ، وقد رئاه الشعراء ، ورآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفر لي بتعليمي الصبيان الفاتحة .

### محمد بن عبيد الله بن الحسن

ابن الحسين ، أبو الفرج البصري قاضياً ، سمع أبا الطيب الطبري والماوردي وغيرهما ، ورحل في طلب الحديث ، وكان عابداً خاشعاً عند الذكر . **مهارش بن مجلى** أمير العرب بمدينة غانة ، وهو الذي أودع عنده القائم بأمر الله ، حين كانت فتنة البساسيري ، فأكرم الخليفة حين ورد عليه ، ثم جازاه الخليفة الجزاء الأوفى ، وكان الأمير مهارش هذا كثير الصدقة والصلاة ، توفى في هذه السنة عن ثمانين سنة رحمه الله تعالى .

### ثم دخلت سنة خمس مائة من الهجرة

قال أبو داود في سننه : حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله (س) : « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » . حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي (س) : « أنه قال : « إني لأرجو أن لا يعجز أمتي عند ربها أن يؤخرها نصف يوم . قيل لسعد : وم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة سنة » . وهذا من دلائل النبوة . وذكر هذه المدة لا ينفي زيادة عليها ، كما هو الواقع ، لأنه عليه السلام ذكر شيئاً من أشراط الساعة لا بد من وقوعها كما أخبر سواء بسواء . وسيأتي ذكرها فيما بعد زماننا ، وبالله المستعان .

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث أن السلطان محمد بن ملكشاه حاصر قلاعاً كثيرة من حصون الباطنية ، فافتتح منها ما كان كثيرة ، وقتل خلقاً منهم ، منها قلعة حصينة كان أبوه قد بناها بالقرب من أصبهان ، في رأس جبل منيع هناك ، وكان سبب بنائه لها أنه كان مرة في بعض صيوده

فهرب منه كلب فاتبعه إلى رأس الجبل فوجده ، وكان معه رجل من رسل الروم ، فقال الرومي : لو كان هذا الجبل ببلادنا لا نخذنا عليه قلعة ، فخذنا هذا الكلام السلطان إلى أن ابتنى في رأسه قلعة أنفق عليها ألف ألف دينار ، ومائتي ألف دينار ، ثم استحوذ عليها بعد ذلك رجل من الباطنية يقال له أحمد بن عبد الله بن عطاء ، فتعب المسلمون بسببها ، فحاصرها ابنه السلطان محمد سنة حتى افتتحها ، وسلخ هذا الرجل وحشى جلده تبنا وقطع رأسه ، وطاف به في الأقاليم ، ثم نقض هذه القلعة حجرا حجرا ، وألقت امرأته نفسها من أعلى القلعة فتلفت ، وهلك ما كان معها من الجواهر النفيسة ، وكان الناس يتشاءمون بهذه القلعة ، يقولون : كان دليلها كلبا ، والمشير بها كافرا ، والمتحصن بها زنديقا . وفيها وقعت حروب كثيرة بين بني خفاجة وبين بني عبادة ، فقهرت عبادة خفاجة وأخذت بثأرها المتقدم منها . وفيها استحوذ سيف الدولة صدقة على مدينة تكريت بعد قتال كثير . وفيها أرسل السلطان محمد الأمير جاولى سقاو وإلى الموصل وأقطعه إياها ، فذهب فانتزعها من الأمير جكرمش بعد ماقاتله وهزم أصحابه وأسره ، ثم قتله بعد ذلك وقد كان جكرمش من خيار الأمراء سيرة وعدلا وإحسانا ، ثم أقبل قليج أرسلان بن قتلش فحاصر الموصل فانتزعها من جاولى ، فصار جاولى إلى الرحبة ، فأخذها ثم أقبل إلى قتال قليج فكسره وأتى قليج نفسه في النهر الذي للخابور فهلك . وفيها نشأت حروب بين الروم والفرنج فاقتلوا قتالا عظيما والله الحمد ، وقتل من الفريقين طائفة كبيرة ، ثم كانت الهزيمة على الفرنج والله الحمد رب العالمين .

### قتل فخر الملك أبو المظفر

وفي يوم عاشوراء منها قتل فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك ، وكان أكبر أولاد أبيه ، وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور ، وكان صائما ، قتله باطنى ، وكان قد رأى في تلك الليلة الحسين بن على وهو يقول له : عجل إلينا وأفطر عندنا الليلة ، فأصبح متعجبا ، فنوى الصوم ذلك اليوم ، وأشار إليه بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنزل ، فما خرج إلا في آخر النهار فرأى شابا يتظلم وفي يده رقعة فقال : ما شأنك ؟ فناوله الرقعة فبينما هو يقرأها إذ ضربه بخنجر بيده فقتله ، فأخذ الباطنى فرفع إلى السلطان فقررده فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أسروه بذلك ، وكان كاذبا ، فقتل وقتلوا أيضا . وفي رابع عشر صفر عزل الخليفة الوزير أبا القاسم على بن جهير وخرّب داره التي كان قد بناها أبوه ، من خراب بيوت الناس ، فكان في ذلك عبيرة وموعظة لنوى البصائر والنهى ، واستنيب في الوزارة القاضي أبو الحسن الدامغانى ، ومعه آخر . وحج بالناس فيها الأمير ترکان وإسمه اليرن ، من جهة الأمير محمد بن ملكشاه .

وفيهما توفي من الأعيان أحمد بن محمد بن المظفر

أبو المظفر الخوافي الفقيه الشافعي . قال ابن خلكان : كان أنظر أهل زمانه ، تفقه على إمام الحرمين ، وكان أوجه تلامذته ، وقد ولي القضاء بطوس ونواحيها ، وكان مشهوراً بحسن المناظرة وإتمام الخصوم . قال والخوافي بفتح الخاء والواو نسبة إلى خوف ، ناحية من نواحي نيسابور .

جعفر بن محمد

ابن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج ، أبو محمد القاري البغدادي ، ولد سنة ست عشرة وأربعمائة ، وقرأ القرآن بالروايات ، وسمع الكثير من الأحاديث النبوية ، من المشايخ والشيخات في بلدان متباينات ، وقد خرج له الحافظ أبو بكر الخطيب أجزاء مسموعاته ، وكان صحيح الثبت ، جيد الذهن ، أديباً شاعراً ، حسن النظم ، نظم كتاباً في القراءات ، وكتاب التنبية والخرق وغير ذلك ، وله كتاب مصارع المشاق وغير ذلك ، ومن شعره قوله :

قتل الذين بجهلهم \* أضحوا يعييون الحبار  
والحاملين لها من الـ \* أيدي مجتمع الأساور  
لولا الحبار والمقا \* لم والصحائف والدفاتر  
والحافظون شريعة الـ \* جمعوث من خير المشائر  
والناقلون حديثه عن \* كابر ثبت وكابر  
لأيت من بشع الضلا \* ل عسا كراً تلوعسا كره  
كل يقول بجهله \* والله للظلم ناصر  
مميهم أهل الحديث \* أولى النهى وأولى البصائر  
م حشؤ جنات النعيم \* على الأسرة والمنابر  
رقاء أحمد كلهم \* عن حوضه ريان صادر

وذكر له ابن خلكان أشعاراً رائعة منها قوله :

ومدح شرح الشباب وقد \* عمه الشيب على وفرة  
يخضب بالوشمة عشونه \* يكفيه أن يكذب في لحيته

عبد الوهاب بن محمد

ابن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الشيرازي الفارسي ، سمع الحديث الكثير ، وتفقه وولاه نظام الملك تدريس النظامية ببغداد ، في سنة ثلاث وثمانين ، فدرس بها مدة ، وكان يملئ الأحاديث ، وكان كثير التصحيف ، روى مرة حديث « صلاة في إثر صلاة كتاب في عليين » . فقال :



كتاب في غلاس . ثم أخذ يفسر ذلك بأنه أكثر لاضاعتها .

محمد بن إبراهيم

ابن عبيد الأسدي الشاعر ، اتي الخنيسى التهامي ، وكان مغرمًا بما يعارض شعره ، وقد أقام  
بالعين وبالمراق ثم بالحجاز ثم بخراسان ، ومن شعره :

قالتُ قناتُ إذ أتيتُ مراراً \* قالَ قلتُ كاهلي بالأيدى

قلتُ طولتُ قال بل تطولتُ \* قلتُ مزقتُ قال حبل ودادي

يوسف بن علي

أبو القاسم الزنجباني الفقيه ، كان من أهل الديانة ، حكى عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي عن  
القاضي أبي الطيب ، قال : كنا يوماً بجماع المنصور في حلقة فجاء شاب خراساني فذكر حديث أبي هريرة  
في المعار فقال الشاب : غير مقبول ، فما استتم كلامه حتى سقطت من سقف المسجد حبة قهض  
الناس هاربين وتبعت الحبة ذلك الشاب من بينهم ، فقيل له تب تب . فقال : تب تب ، فذهبت فلا  
ندري أين ذهبت . رواها ابن الجوزي عن شيخه أبي المعمر الأتصاري عن أبي القاسم هذا والله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسةائة من الهجرة

فيها جدد الخليفة اطلع على وزيره الجديد أبي الممالى هبة الله بن محمد بن المطلب ، وأكرمه  
وعظمه . وفي ربيع الآخر منها دخل السلطان محمد إلى بغداد فتلقاه الوزير والأعيان ، وأحسن  
إلى أهلها ، ولم يتعرض أحد من جيشه إلى شيء . وغضب السلطان على صدقة بن منصور الأسدي  
صاحب الخلة وتكريت بسبب أنه آوى رجلاً من أعدائه يقال له أبو دلف سرحان الديلمي ، صاحب  
ساوة ، وبعث إليه ليرسله إليه فلم يفعل ، فأرسل إليه جيشاً فهزموا جيش صدقة . وقد كان جيشه  
عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل ، وقتل صدقة في المعركة ، وأسر جماعة من رؤس أصحابه  
وأخذوا من زوجته خمسمائة ألف دينار ، وجواهر نفيسة . قال ابن الجوزي : وظهر في هذه السنة صيبة  
عمية تتكلم على أسرار الناس ، وما في نفوسهم من الضمائر والنيات ، ويبلغ للناس في أنواع الخيل  
عليها ليمدوا حالها فلم يمدوا . قال ابن هقيل : وأشكل أمرها على العلماء والخواص والموام ،  
حتى سألوها عن نقوش الخواتم المقلوبة الصعبة ، وعن أنواع الفصوص وصفات الأشخاص وما في  
داخل البنادق من المشمع والعابن المختلف ، والخرق وغير ذلك فتخبر به سواء بسواء ، حتى بالغ  
أحدم ووضع يده على ذكره وسألها عن ذلك فقالت : يحمله إلى أهله وعياله . وفيها قدم القاضي  
نجر الملك أبو عبيد على صاحب طرابلس إلى بغداد يستنفر المسلمين على الفرنج ، فأكرمه السلطان  
غياث الدين محمد إكراماً زائداً ، وخلع عليه وبعث معه الجيوش الكثيرة لقتال الفرنج

ومن توفي فيها من الأعيان . تميم بن المعز بن باديس  
صاحب إفريقية ، كان من خيار الملوك حلما وكرما ، وإحسانا ، ملك ستا وأربعين سنة ، وعمر  
تسعا وتسعين سنة ، وترك من البنين أنهد من مائة ، ومن البنات ستين بنتا ، وملك من بعده ولده  
يحيى ، ومن أحسن ما مدح به الأمير تميم قول الشاعر :

أصحُّ وأعلى ما معناه في النداء \* من الخبير المرويِّ منذُ قديمِ  
أحاديثٍ تروها السيولُ عن الحيا \* عن البحرِ عن كفتِ الأميرِ تميمِ

#### صدقة بن منصور

ابن ديبس بن علي بن يزيد الأسدي ، الأمير سيف الدولة ، صاحب الحلة وتكريت وواسط  
وغيرها ، كان كريما عفيفا ذا ذمام ، ملجأ لكل خائف يأمن في بلادها ، وتمت جناحه ، وكان يقرأ  
الكتب المشككة ولا يحسن الكتابة ، وقد اتقن كتبا نفيسة جدا ، وكان لا يتزوج على امرأة قط ،  
ولا يتسرى على سبيرة حفظا للذمام ، ولثلا يكسر قلب أحد ، وقد مدح بأوصاف جميلة كثيرة جدا .  
قتل في بعض الحروب ، قتله غلام اسمه برغش ، وكان له من العمر تسع وخمسون سنة رحمه الله تعالى .  
ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمائة

في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالختاتون بنت ملكشاه أخت  
السلطان محمد ، على صداق مائة ألف دينار ، ونثر الذهب ، وكتب العقد بأصبهان . وفيها كانت  
الحروب الكثيرة بين الاتابك طفتكين صاحب دمشق وبين الفرنج . وفيها ملك سعيد بن حميد  
العمري الحلة السيفية . وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة ففرقت الغلات فغلت الأسعار بسبب ذلك  
غلاء شديدا . وحج بالناس الأمير قباذ .

#### ومن توفي فيها من الأعيان الحسن العلوي

أبو هاشم ابن رئيس همدان ، وكان ذامال جزيل ، صادره السلطان في بعض الأوقات بتسمائة  
ألف دينار ، فوزنها ولم يبع فيها عقارا ولا غيره .

#### الحسن بن علي

أبو الفوارس بن الخازن ، الكاتب المشهور بالخط المنسوب . توفي في ذي الحجة منها . قال ابن  
خلكان : كتب بيده خمسمائة ختمة ، مات فجأة .

#### الروباني صاحب البحر

عبد الواحد بن إسماعيل ، أبو المحاسن الروباني ، من أهل طبرستان ، أحد أئمة الشافعية ، ولد  
سنة خمس عشرة وأربعمائة ، ورحل إلى الآفاق حتى بلغ ما وراء النهر ، وحصل علوما جمة ، وسمع

الحديث الكثير ، وصنف كتباً في المذهب ، من ذلك البحر في الفروع ، وهو حافل كامل شامل للفرائب وغيرها ، وفي المثل « حدث عن البحر ولا حرج » وكان يقول : لو احترقت كتب الشافعي أمليتها من حفطي ، قتل ظلما يوم الجمعة ، وهو يوم عاشوراء في الجامع بطبرستان ، قتلته رجل من أهلها رحمه الله . قال ابن خلكان : أخذ الفقه عن ناصر المروزي وعلق عنه ، وكان للرواي الجاه العظيم ، والحرمة الوافرة ، وقد صنف كتباً في الأصول والفروع ، منها بحر المذهب ، وكتاب مناصب الامام الشافعي ، وكتاب الكافي ، وحلية المؤمن ، وله كتب في الخلاف أيضا .

### يحيى بن علي

ابن محمد بن الحسن بن بسطام ، الشيباني التبريزي ، أبو زكريا ، أحد أئمة اللغة والنحو ، قرأ على أبي الملاء وغيره ، ونخرج به جماعة منهم منصور بن الجواليقي . قال ابن ناصر : وكان ثقة في النقل ، وله المصنفات الكثيرة . وقال ابن خيرون : لم يكن مرضى الطريقة ، توفي في جمادى الآخرة ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي بباب إبرز والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة

فيها أخذت الفرنج مدينة طرابلس وقتلوا من فيها من الرجال ، وسبوا الحرم والأطفال ، وغنموا الأئمة والأموال ، ثم أخذوا مدينة جبلة بعدها بعشر ليال ، فلا حول ولا قوة إلا بالله الكبير المتعال . وقد هرب منهم نجر الملك بن عمار ، قصص صاحب دمشق طفتكين فأكرمه وأقطعته بلاداً كثيرة . وفيها وثب بعض الباطنية على الوزير أبي نصر بن نظام الملك فجرحه ثم أخذ الباطني فسقى الحرق فأقر على جماعة من الباطنية فأخذوا قتلوا . وحج بالناس الأمير قباذ .

ومن توفي فيها من الأعيان . أحمد بن علي

ابن أحمد ، أبو بكر الملو ، كان يعمل في تجصيص الحيطان ، ولا ينتقش صورة ، ولا يأخذ من أحد شيئاً ، وكانت له أملاك ينتفع منها ويتقوت ، وقد سمع الحديث من القاضي أبي يعلى ، وتفقه عليه بشيء من الفقه ، وكان إذا حج يزور القبور بمكة ، فإذا وصل إلى قبر الفضيل بن عياض يخط إلى جانبه خطأ بعصاه ويقول يا رب ههنا . فقيل إنه حج في هذه السنة فوقف بعرفات محرماً فتوفي بها من آخر ذلك اليوم ، ففسل وكفن وطيف به حول البيت ثم دفن إلى جانب الفضيل بن عياض في ذلك المكان الذي كان يخطه بعصاه ، وبلغ الناس وفاته ببغداد فاجتمعوا للصلاة عليه صلاة الغائب ، حتى لو مات بين أظهرهم لم يكن عندهم مزيد على ذلك الجمع ، رحمه الله .

### عمر بن عبد الكريم

ابن سعدويه الفتيان الدهقاني ، رحل في طلب الحديث ، ودار الدنيا ، وخرج وانتخب ، وكان

له فقه في هذا الشأن ، وكان ثقة ، وقد صحح عليه أبو حامد الغزالي كتاب الصحيحين . كانت وفاته  
بمرخس في هذه السنة . محمد ويعرف بأخي حماد

وكان أحد الصلحاء الكبار ، كان به مرض مزمن ، فرأى النبي (س) في المنام فعوفى ، فزعم  
مسجدا له أربعين سنة ، لا يخرج إلا إلى الجمعة ، واقطع عن مخالطة الناس ، كانت وفاته في هذه  
السنة ، ودفن في زاوية بالقرب من قبر أبي حنيفة رحمه الله .

ثم دخلت سنة أربع وخمسةائة

في أولها تجهز جماعة من البغدادية من الفقهاء وغيرهم ، ومنهم ابن الداغوثي ، للخروج إلى الشام  
لأجل الجهاد ، وقتل الفرنج ، وذلك حين بلغهم أنهم فتحوا مدائن عديدة ، من ذلك مدينة صيدا  
في ربيع الأول ، وكذا غيرها من المدائن ، ثم رجع كثير منهم حين بلغهم كثرة الفرنج . وفيها  
قدمت خاتون بنت ملكشاه زوجة الخليفة إلى بغداد فتزلت في دار أخيها السلطان محمد ، ثم حمل  
جهازها على مائة واثنين وستين جملا ، وسبعة وعشرين بغلا ، وزينت ببغداد لقدمها ، وكان دخولها  
على الخليفة في الليلة العاشرة من رمضان ، وكانت ليلة مشهودة . وفيها درس أبو بكر الشافعي بالنظامية  
مع التاجية ، وحضر عنده الوزير والأعيان . وحج بالناس قبازا ، ولم يتمكن الخراسانيون من الحج  
من المعطش وقلة الماء .

ومن توفى فيها من الأعيان ادريس بن حمزه

أبو الحسن الشافعي الرملي العثماني ، أحد فحول المناظرين عن مذهب الشافعي ، تفقه أولا على  
نصر بن إبراهيم ، ثم ببغداد على أبي إسحاق الشيرازي ، ودخل خراسان حتى وصل إلى ما وراء  
النهر ، وأقام بمرقند ودرس بمدرستها إلى أن توفى في هذه السنة .

علي بن محمد

ابن علي بن عماد الدين ، أبو الحسن الطبري ، ويعرف بالكيا الهراسي ، أحد الفقهاء الكبار ،  
من رؤس الشافعية ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، واشتغل على إمام الحرمين ، وكان هو والغزالي أكبر  
التلامذة ، وقد ولي كل منهما تدريس النظامية ببغداد ، وقد كان أبو الحسن هذا فصيحاً جهوريا  
الصوت جيلا ، وكان يكرر لمن إبليس على كل مرقة من مراقب النظامية بنيسابور سبع مرات ، وكانت  
المراقب سبعين مرقة ، وقد سمع الحديث الكثير ، وناظر وأنتق ودرس ، وكان من أكبر الفضلاء وسادات  
الفقهاء ، وله كتاب يرد فيه على ما انفرد به الامام أحمد بن حنبل في مجلد ، وله غيره من المصنفات ،  
وقد اتهم في وقت بأنه يمالي الباطنية ، فترج منه التدريس ثم شهد جماعة من العلماء ببراءته من ذلك  
منهم ابن عقيل ، فأعيد إليه . توفى في يوم الخميس مستهل محرم من هذه السنة عن أربع وخمسين سنة

ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي . وذكر ابن خلكان أنه كان يحفظ الحديث وينظر به ، وهو القائل : إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح ، طارت رؤس المقاييس في مهاب الرياح ، وحكى السلفي عنه أنه استفتى في كتابة الحديث هل يدخلون في الوصية للفقهاء ؟ فأجاب : نعم لقوله (س) ، « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعثه الله عالماً » . واستفتى في يزيد بن معاوية فذكر عنه تلاعباً رفسقاً ، وجوز شتمه ، وأما الفزالي فإنه خالف في ذلك ، ومنع من شتمه ولعنه ، لأنه مسلم ، ولم يثبت بأنه رضى بقتل الحسين ، ولو ثبت لم يكن ذلك مسوغاً لعنه ، لأن القاتل لا يلحق ، لا سيما وباب التوبة مفتوح ، والذي يقبل التوبة عن عباده غفور رحيم . قال الفزالي : وأما الترحم عليه فحائز ، بل مستحب ، بل نحن نترحم عليه في جملة المسلمين والمؤمنين ، عموماً في الصلوات . ذكره ابن خلكان مبسوطاً بلفظه في ترجمة الكيا هذا ، قال : والكيا كبير القدر مقدم معظم والله أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

فيها بعث السلطان غياث الدين جيشاً كثيراً ، محبة الأمير مودود بن زنكي صاحب الموصل ، في جملة أمراء ونواب ، منهم سكان القطبي ، صاحب تبريز ، وأحمد يل صاحب مراغة ، والأمير إيلغازي صاحب ماردين ، وعلى الجميع الأمير مودود صاحب الموصل ، لقتال الفرنج بالشام ، فأنزعوا من أيدي الفرنج حصونا كثيرة ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً والله الحمد ، ولما دخلوا دمشق دخل الأمير مودود إلى جامعها ليصلي فيه فجاهه باطنى في زى سائل فطلب منه شيئاً فأعطاه ، فلما اقترب منه ضربه في فؤاده فمات من ساعته ، ووجد رجل أعمى في سطح الجامع بيغداد معه سكين مسموم فقيل إنه كان يريد قتل الخليفة . وفيها ولد للخليفة من بنت السلطان ولد فصربت الدباب والبوقات ، ومات له ولد وهكذا الدنيا فرضى بوفاته وجلس الوزير للهناء والرزاء . وفي رمضان عزل الوزير أحمد بن النظام ، وكانت مدة وزارته أربع سنين وإحدى عشر شهراً . وفيها حاصرت الفرنج مدينة صور ، وكانت بأيدي المصريين ، عليها عز الملك الاعز من جهتهم ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، ومنعها منعاً جيداً ، حتى نفى ما عنده من النشاب والمدد ، فأمدته طفنكين صاحب دمشق ، وأرسل إليه المدد والآلات أقوى جأشه وترحات عنه الفرنج في شوال منها . وحج بالناس أمير الجيوش قطز الخادم ، وكانت سنة مخصصة مرخصة .

ومن توفى فيها من الأعيان أبو حامد الفزالي .

محمد بن محمد بن محمد

أبو حامد الفزالي ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وتلقه على إمام الحرمين ، وبرع في علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة ، فكان من أذكى علماء العالم في كل ما يتكلم فيه ، وساد في

شبيته حتى أنه درس بالنظامية ببغداد ، في سنة أربع وثمانين ، وله أربع وثلاثون سنة ، فحضر عنده رؤس العلماء ، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب وابن عقيل ، وهما من رؤس الخنابلة ، فتمعجبوا من فصاحته وإطلاعه ، قال ابن الجوزي : وكتبوا كلامه في مصنفاتهم ، ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة ، وكان يرتزق من النسخ ، ورحل إلى الشام فأقام بها بدمشق دبيت المقدس مدة ، وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين ، وهو كتاب عجيب ، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات ، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب ، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات وموضوعات ، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يستدل بها على الحلال والحرام ، فالكتاب الموضوع للرفائق والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره ، وقد شنع عليه أبو الفرج ابن الجوزي ، ثم ابن الصلاح ، في ذلك تشنيعاً كثيراً ، وأراد المازري أن يحرق كتابه إحياء علوم الدين ، وكذلك غيره من المغاربة ، وقالوا : هذا كتاب إحياء علوم دينه ، وأما ديننا فإحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله ، كما قد حكيت ذلك في ترجمته في الطبقات ، وقد زيف ابن شكر مواضع إحياء علوم الدين ، وبين زيفها في مصنف مفيد ، وقد كان الغزالي يقول : أنا مزجي البضاعة في الحديث ، ويقال إنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفظ للصحيحين ، وقد صنف ابن الجوزي كتاباً على الأحياء سماه علوم الأحياء بأغاليط الأحياء ، قال ابن الجوزي : ثم ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور فدرس بنظاميتها ، ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها ، وابتنى رباطاً واتخذ داراً حسنة ، وغرس فيها بستانا أنيقاً ، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح ، وكانت وفاته في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بطوس رحمه الله تعالى ، وقد سأله بعض أصحابه وهو في السياق فقال : أوصني ، فقال : عليك بالاخلاص ، ولم يزل يكررها حتى مات رحمه الله .

ثم دخلت سنة ست وخمسمائة في جمادى الآخرة منها جلس ابن الطبري مدرساً بالنظامية وعزل عنها الشاشي . وفيها دخل الشيخ الصالح أحد العباد يوسف بن داود إلى بغداد ، فوعظ الناس ، وكان له القبول التام ، وكان شافعيّاً تفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، ثم اشتغل بالعبادة والزهادة ، وكانت له أحوال صالحة ، جراه رجل مرة يقال له ابن السقافي مسألة فقال : له اسكت فاني أجد من كلامك رائحة الكفر ، ولعلك أن تموت على غير دين الاسلام ، فاتفق بعد حين أنه خرج ابن السقافي إلى بلاد الروم في حاجة فتنصر هناك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقام إليه مرة وهو يعظ الناس ابناً أبي بكر الشاشي فقال له : إن كنت تتكلم على مذهب الأشعري وإلا فاسكت ، فقال : لامتعتما بشبابكما ، فانا شابين ، ولم يبلغنا سن الكهولة . وحبج بالناس فيها أمير الجيوش بطز الخادم ، ونالهم عطش .

ومن توفي فيها من الأعيان صاعد بن منصور

ابن إسماعيل بن صاعد ، أبو العلاء الخطيب النيسابوري ، سمع الحديث الكثير ، وولى الخطابة بعد أبيه والتدريس والتذكير ، وكان أبو المعالي الجويني يثني عليه ، وقد ولى قضاء خوارزم .

محمد بن موسى بن عبد الله

أبو عبد الله البلاساعوني التركي الحنفي ، ويعرف باللامشي ، أورد عنه الحافظ ابن عساكر حديثاً وذكراً أنه ولى قضاء بيت المقدس ، فشكوا منه فعزل عنها ، ثم ولى قضاء دمشق ، وكان غالباً في مذهب أبي حنيفة ، وهو الذي رتب الإقامة منى ، قال إلى أن أزال الله ذلك بدولة الملك صلاح الدين . قال : وكان قد عزم على نصب إمام حنفي بالجامع ، فامتنع أهل دمشق من ذلك ، وامتنعوا من الصلاة خلفه ، وصلوا بأجمعهم في دار الخليل ، وهي التي قبل الجامع مكان المدرسة الامينية ، وما يجاورها وحدها الطرقات الأربعة ، وكان يقول : لو كانت لي الولاية لأخنت من أصحاب الشافعي الجزية ، وكان مبعضاً لأصحاب مالك أيضاً . قال : ولم تكن سيرته في القضاء مجودة ، وكانت وفاته يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة منها . قال : وقد شهدت جنازته وأنا صغير في الجامع .

المعمر بن المعمر

أبو سعد بن أبي عمار الواعظ ، كان فصيحاً بليغاً ماجناً ظريفاً ذكياً ، له كلمات في الوعظ حسنة ورسائل مسموعة مستحسنة ، توفي في ربيع الأول منها ، ودفن بباب حرب .

أبو علي المعري

كان عابداً زاهداً ، يتقوت بأدنى شيء ، ثم عن له أن يشتغل بعلم الكيمياء . فأخذ إلى دار الخلافة فلم يظهر له خبر بعد ذلك . نزهة

أم ولد الخليفة المستظهر بالله ، كانت سوداء محتشمة كريمة النفس ، توفيت يوم الجمعة ثاني عشر شوال منها .

أبو سعد السمعاني

مصنف الأناساب وغيره ، وهو تاج الإسلام عبد الكريم بن محمد بن أبي المظفر المنصور عبد الجبار السمعاني ، المروزي ، الفقيه الشافعي ، الحافظ المحدث ، قوام الدين أحد الأئمة المصنفين رحل وسمع الكثير حتى كتب عن أربعة آلاف شيخ ، وصنف التفسير والتاريخ والأناساب والذيل على تاريخ الخطيب البغدادي ، وذكر له ابن خلكان مصنفات عديدة جداً ، منها كتابه الذي جمع فيه ألف حديث عن مائة شيخ ، وتكلم عليها إسناداً ومتنا ، وهو مفيد جداً رحمه الله .

ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة

فيها كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والفرنج في أرض طبرية ، كان فيها ملك دمشق الاتابك

طفنتكين ، ومعه صاحب سنجار وصاحب ماردين ، وصاحب الموصل ، فهزموا الفرنج هزيمة فاضحة ، وقتلوا منهم خاتما كثيرا ، وغنموا منهم أموالا جزيلة ، وملكوا تلك النواحي كلها ، والله الحمد والمنة ، ثم رجعوا إلى دمشق فذكر ابن الساعي في تاريخه مقتل الملك مودود صاحب الموصل في هذه السنة ، قال صلى هو والملك طفنتكين يوم الجمعة بالجامع ، ثم خرجا إلى الصحن ويد كل واحد منهما في يدا الآخر فطاف بطائفي دلي مودود قتله رحمه الله ، فيقال إن طفنتكين هو الذي مالا عليه فأنه أعلم ، وجاء كتاب من الفرنج إلى المسلمين وفيه : إن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله أن يبديها . وفيها ملك حلب ألب أرسلان بن رضوان بن تنش بعد أبيه ، وقام بأمر سلطنته لؤلؤ الخادم ، فلم يبق معه سوى الرسم . وفيها فتح المارستان الذي أنشأه كشتكين الخادم ببغداد . وحج بالناس زنكي بن برشق .

ومن توفي فيها من الأعيان إسماعيل بن الحافظ أبي بكر بن الحسين البيهقي  
سمع الكثير وتنقل في البلاد ، ودرس بمدينة خوارزم ، وكان فاضلا من أهل الحديث ، مرضى الطريقة ، وكانت وفاته ببلده بهق في هذه السنة .

### شجاع بن أبي شجاع

فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهلي الحافظ ، سمع الكثير ، وكان فاضلا في هذا الشأن وشرع في تنميم تاريخ الخطيب ثم غسله ، وكان يكثر من الاستغفار والتوبة لأنه كتب شعر ابن الحجاج سبع مرات ، توفي في هذا العام عن سبع وسبعين سنة .

### محمد بن أحمد

ابن محمد بن أحمد بن إسحاق بن الحسين بن منصور بن معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن عبسة بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب ، الأموي أبو المظفر بن أبي العباس الأبيوردي الشاعر ، كان علما بالغة والأنسب ، سمع الكثير وصنف تاريخ أبي ورد ، وأنساب العرب ، وله كتاب في المؤتاف والمختاف ، وغير ذلك ، وكان ينسب إلى الكبر والتية الزائد ، حتى كان يدعو في صلاته : اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها ، وكتب مرة إلى الخليفة الخادم المعالي ، فكشط الخليفة الميم فبقت المعالي ، ومن شعره قوله :

تنكر لي دهري ولم يدري أنني \* أعز وأحداث الزمان تهون  
وظل بريني الدهر كيف اختاراه \* وبت أريه الصبر كيف يكون

### محمد بن طاهر

ابن علي بن أحمد ، أبو الفضل المقدسي الحافظ ، ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وأول سماعه



سنة ستين ، وسافر في طلب الحديث إلى بلاد كثيرة ، وسمع كثيراً ، وكان له معرفة جيدة بهذه الصناعة ، وصنف كتباً مفيدة ، غير أنه صنف كتاباً في إباحة السماع ، وفي التصوف ، وساق فيه أحاديث منكورة جداً ، وأورد أحاديث صحيحة في غيره وقد أثنى على حفظه غير واحد من الأئمة .  
 وذكر ابن الجوزي في كتابه هذا الذي سماه . « صفة التصوف » وقال عنه يضحك منه من رآه ، قال وكان داودي المذهب ، فن أثنى عليه أثنى لأجل حفظه للحديث ، وإلا فما يجرح به أولى . قال :  
 وذكره أبو سعد السمعاني وانتصر له بنير حجة ، بعد أن قال سألت عنه شيخنا إسماعيل بن أحمد الطالحي فأكثر الثناء عليه ، وكان سيء الرأي فيه . قال وصممنا أبا الفضل ابن ناصر يقول : محمد بن طاهر لا يحتاج به ، صنف في جواز النظر إلى المرد ، وكان يذهب مذهب الإباحية ، ثم أورد له من شعره قوله في هذه الأبيات .

دَعِ النَّصُوفَ وَالزَّهْدَ الَّذِي اشْتَغَلْتَ \* بِهِ خَوَارِجُ أَقْوَامٍ مِنَ النَّاسِ  
 وَعَجَّ عَلَى دِيرِ دَارِيَا فَأَنْ بِهِ الرَّهْ \* بَلَنْ مَا بَيْنَ قَسِيْسٍ وَشَمَاسِ  
 وَاشْرَبَ مَعْتَقَةً مِنْ كَفِّ كَافِرَةٍ \* تَسْمِيكَ خَمْرِينَ مِنْ لِحْظٍ وَمِنْ كَاسِ  
 ثُمَّ اسْتَمَعَ رَنَةَ الْأَوْتَارِ مِنْ رَشَا \* مَهْفَبِ طَرْفُهُ أَمْضَى مِنَ الْمَاسِ  
 فَغَى بِشَعْرِ أَحْمَرِي فِي النَّاسِ مَشْهُرٍ \* مَدُونٍ عِنْدَهُمْ فِي صَدْرِ قِرْطَاسِ  
 لَوْلَا نَسِيمٌ بَدَا مِنْكُمْ بِرُوحِي \* لَكُنْتُ مُحْتَرَقًا مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي

ثم قال السمعاني : له له قد تاب من هذا كله . قال ابن الجوزي : وهذا غير مرضي أن يذكر جرح الأئمة له ثم يعتذر عن ذلك باحتمال توبته ، وقد ذكر ابن الجوزي أنه لما احتضر جعل يردد هذا البيت .  
 وما كُنْتُمْ تُعْرِفُونَ الْجَفَا \* فَمَنْ نَرَى قَدْ تَلَمَّعُ  
 ثم كانت وفاته بالجانب الغربي من بغداد في ربيع الأول منها .

### أبو بكر الشاشي

صاحب المستظري محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي ، أحد أئمة الشافعية في زمانه ، ولد في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وسمع الحديث على أبي يعلى بن الفراء ، وأبي بكر الخطيب ، وأبي إسحاق الشيرازي ، وتفقه عليه وعلى غيره ، وقرأ الشامل على مصنعه ابن الصباغ ، واختصره في كتابه الذي جمعه للمستظهر بالله ، وسماه حلية العلماء بمعرفة مذاهب الفقهاء ، ويعرف بالمستظري ، وقد درس بالنظامية ببغداد ثم عزل عنها وكان ينشد :

كَلِّمْ يَا فَتَى وَالِدُودُ غَضْبَةً \* وَطِينِكَ لَيْتَ وَالطَّبِيعُ قَابِلٌ  
 فَحَسْبُكَ يَا فَتَى شَرْفًا وَغَفْرًا \* سَكَوتُ الْحَاضِرِينَ وَأَنْتَ قَائِلٌ

توفي سحر يوم السبت السادس عشر من شوال منها ، ودفن إلى جانب أبي إسحاق الشيرازي  
بياب إبرز .  
المؤتمن بن أحمد

ابن علي بن الحسين بن عبيد الله ، أبو نصر الساجي المقدسي ، سمع الحديث الكثير ، وخرج  
وكان صحيح النقل ، حسن الخط ، مشكور السيرة لطيفاً ، اشتغل في الفقه على الشيخ أبي إسحاق  
الشيرازي مدة ، ورحل إلى أصبهان وغيرها ، وهو معدود من جملة الحفاظ ، لا سيما المتنون ، وقد  
تكلم فيه ابن طاهر . قال ابن الجوزي : وهو أحق منه بذلك ، وأين الثريا من النري ؟ توفي المؤتمن  
يوم السبت ثاني عشر صفر منها ، ودفن بياب حرب والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة

فيها وقع حريق عظيم ببغداد . وفيها كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة ، هدمت منها ثلاثة عشر  
رجاً ، ومن الرها بيوتاً كثيرة ، وبعض دور خراسان ، ودوراً كثيرة في بلاد شقى ، فهلك من أهلها  
نحو من مائة ألف ، وخسف بنصف قلعة حران وسلم نصفها ، وخسف بمدينة ميمساط وهلك تحت  
الردم خلق كثير . وفيها قتل صاحب حلب تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان بن تقش ، قتله  
غلمانه ، وقام من بعده أخوه سلطان شاه بن رضوان . وفيها ملك السلطان سنجر بن ملكشاه بلاد  
غزنة ، وخطب له بها بعد مقاومة عظيمة ، وأخذ منها أموالاً كثيرة لم ير مثلها ، من ذلك خمس تيجان  
قيمة كل تاج منها ألف دينار ، وسبعة عشر سرباً من ذهب وفضة ، وألف وثلاثمائة قطعة  
مصاغ مرصعة ، فأقام بها أربعين يوماً ، وقرر في ملكها بهرام شاه ، رجل من بيت سبكتكين ، ولم  
يخطب بها لأحد من السلجوقية غير سنجر هذا ، وإنما كان لها ملوك سادة أهل جهاد وسنة ، لا يجسر  
أحد من الملوك عليهم ، ولا يطبق أحد مقاومتهم ، وهم بنو سبكتكين . وفيها ولي السلطان محمد  
للأمير آقسنقر البرسقي الموصل وأعمالها ، وأمره بمقابلة الفرنج ، فقاتلهم في أواخر هذه السنة فأخذ  
منهم الرها وحرىها وبروج وميمساط ، ونهب ماردین وأسر ابن ملكها إياز إيلغازي ، فأرسل  
السلطان محمد إليه من يهدده ففر منه إلى طفتكين صاحب دمشق ، فاتفقا على عصيان السلطان  
محمد ، فجرت بينهما وبين نائب حصن قرجان بن قراجه حروب كثيرة ، ثم اصطلحوا . وفيها ملكت  
زوجة مرعش الافرنجية بعد وفاة زوجها لعنهما الله . وحج بالناس فيها أمير الجيوش أبو الخير بن  
الخادم ، وشكر الناس حجهم معه .

ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة

فيها جهز السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه صاحب العراق جيشاً كثيراً مع الأمير برشق  
ابن إيلغازي صاحب ماردین إلى صاحب دمشق طفتكين ، وإلى آقسنقر البرسقي ليقاتلها ، لأجل

عصيانها عليه ، وقطع خطبته ، وإذا فرغ منهما عمد لقتال الفرنج . فلما اقترب الجيش من بلاد الشام هربا منه وتجهزا إلى الفرنج ، وجاء الأمير برشق إلى كفرطاب ففتحها عنوة ، وأخذ ما كان فيها من النساء والذرية ، وجاء صاحب إنطاكية روجيل في خمسمائة فارس وألني راجل ، فكبس المسلمين فقتل منهم خلقا كثيرا ، وأخذ أموالا جزيلة وهرب برشق في طائفة قليلة ، وتمزق الجيش الذي كان معه شد مذر ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفي ذى القعدة منها قدم السلطان محمد إلى بغداد ، وجاء إليه طفتكين صاحب دمشق معتذرا إليه ، فخلع عليه ، ورضى عنه ورده إلى عمله .

وفيهما توفى من الأعيان . إسماعيل بن محمد

ابن أحمد بن علي أبو عثمان الأصبهاني أحد الرحالين في طلب الحديث ، وقد وعظ في جامع المنصور ثلاثين مجلسا ، واستملى عليه محمد بن ناصر ، وتوفى بأصبهان .

منجب بن عبد الله المستظهري

أبو الحسن الخادم ، كان كثير العبادة ، وقد أثنى عليه محمد بن ناصر ، قال : وقف على أصحاب

الحديث وقتا عبد الله بن المبارك

ابن موسى ، أبو البركات السقطي ، سمع الكثير ورحل فيه ، وكان فاضلا عارفا باللغة ، ودفن بباب

حرب يحيى بن تميم بن المعز بن باديس

صاحب إفريقية ، كان من خيار الملوك ، عارفاً حسن السيرة محبا للفقراء والعلماء ، وله عليهم

أرزاق ، مات وله اثنتان وخمسون سنة ، وترك ثلاثين ولداً ، وقام بالأمر من بعده ولده علي .

ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة

فيها وقع حريق ببغداد احترقت فيه دور كثيرة ، منها دار نور الهدى الزينبي ، ورباط نهر زور

ودار كتب النظامية ، وسلمت الكتب لأن الفقهاء نقلوها . وفيها قتل صاحب مراغة في مجلس

السلطان محمد ، قتله الباطنية ، وفي يوم عاشوراء وقعت فتنة عظيمة بين الرافض والسنة بمشهد علي

ابن موسى الرضا بمدينة طوس ، فقتل فيها خلق كثير . وفيها سار السلطان إلى فارس بعد موت

نائبها خوفا عليها من صاحب كرمان . وحج بالناس بطرانخام ، وكانت سنة مخصبة آمنة والله الحمد .

ومن توفى فيها من الأعيان . . . عقيل بن الإمام أبي الوفا

علي بن عقيل الخنبلية ، كان شابا قد برع وحفظ القرآن وكتب وفهم المعاني جيدا ، ولما توفى

صبر أبوه وشكر وأظهر التجلد ، فقرأ قارىء في العزاء [ قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا ]

الآية ، فبكى ابن عقيل بكاء شديدا .

### علي بن أحمد بن محمد

ابن الرزاز، آخر من حدث عن ابن مخلد بجزء الحسن بن عرفة، وتفرد بأشياء غيره. توفي فيها عن سبع وأسمين سنة. محمد بن منصور

ابن محمد بن عبد الجبار، أبو بكر السمعاني، سمع الكثير وحدث ووعظ بالنظامية ببغداد، وأملى بمرو ومائة وأربعين مجلساً، وكانت له معرفة تامة بالحديث، وكان أديباً شاعراً فاضلاً، له قبول عظيم في القلوب، توفي بمرو عن ثلاث وأربعين سنة.

### محمد بن أحمد بن طاهر

ابن أحمد بن منصور الخازن، فقيه الامامية ومفتيهم بالكرخ، وقد سمع الحديث من التنوخي وابن غيلان، توفي في رمضان منها.

### محمد بن علي بن محمد

أبو بكر النسوي، الفقيه الشافعي، سمع الحديث، وكانت إليه تزكية الشهود ببغداد، وكان فاضلاً أديباً ورعاً. محفوظ بن أحمد

ابن الحسن، أبو الخطاب الكلوذاني، أحد أئمة الحنابلة ومصنفهم، سمع الكثير وتفقه بالقاضي أبي يعلى، وقرأ الفرائض على الوبي، ودرس وأفتى وناظر وصنف في الأصول والفروع، وله شعر حسن، وجمع قصيدة يذكر فيها اعتقاده ومذهبه يقول فيها:

دع عنك تذكار الخليل المتحد \* والشوق نحو الآنسات الخرد  
والنوح في تذكار سمدي إنما \* تذكار سمدي شغل من لم يسعد  
واسمع معاني إن أردت تخلصاً \* يوم الحساب وخذ بقولي تهتدي

وذكر تمامها وهي طويلة، كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة، وصلى عليه بجامع القصر، وجامع المنصور، ودفن بالقرب من الامام أحمد.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسة مائة

في رابع صفر منها انكسف القمر كسوفاً كلياً، وفي تلك الليلة هجم الفرنج على روض حماة فقتلوا خلقاً كثيراً، ورجعوا إلى بلادهم. وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد سقط منها دور كثيرة بالجانب الغربي وغلت الغلات بها جدا، وفيها قتل لؤلؤ الخادم الذي كان استحوذ على مملكة حلب بعد موت أستاذه رضوان بن تتش، قتله جماعة من الأتراك، وكان قد خرج من حلب متوجهاً إلى حمير، فنادى جماعة من مماليكه وغيرهم أرنب أرنب، فرموه بالشباب موهمين أنهم يصيدون أرنباً فقتلوه. وفيها كانت وفاة غياث الدين السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن

سلجوق ، سلطان بلاد العراق وخراسان وغير ذلك من البلاد الشاهسة . والأقاليم الواسعة . كان من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، غادلاً رحباً ، سهل الأخلاق ، محمود العشرة ، ولما حضرته الوفاة استدعى ولده محموداً وضمه إليه وبكى كل منهما ، ثم أمره بالجلوس على سرير المملكة ، وعمره إذ ذاك أربعة عشر سنة ، فجلس وعليه التاج والسواران وحكم ، ولما توفي أبوه صرف الخزائن إلى المساكين وكان فيها إحدى عشر ألف دينار ، واستقر الملك له ، وخطب له ببغداد وغيرها من البلاد ، ومات السلطان محمد عن تسع وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياماً . وفيها ولد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر ، صاحب حلب بدمشق .

ومن توفي فيها من الأعيان . القاضي المرتضى

أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري ، والد القاضي جمال الدين عبد الله الشهرزوري ، قاضي دمشق في أيام نور الدين ، اشتغل ببغداد وفتقها بها ، وكان شافعي المذهب ، بارعاً ديناً ، حسن النظم ، وله قصيدة في علم التصوف ، وكان يتكلم على القلوب ، وأورد قصيدته بتامها ابن خلكان لحسنها وفصاحتها ، وأولها :

لمت فارهم وقد عسمسَ اليد \* لؤمل الحادي وحرَّ الدليل  
فناملتها وفكري من البيت \* من عليلٍ ولحظُ عيني كليل  
وفؤادي ذاك الفؤادُ المعنى \* وغرامى ذاك الغرامُ الدخيل  
وله ياليلُ ما جئتكم زائرًا \* إلا وجدت الأرض تطوى لي  
ولا نثيت العزمَ عن بابكم \* إلا تعمرتُ بأذيالي  
وله يا قلبُ إلى متى لا يفيدُ النصيحُ \* دغ مزحك كم جنى عليك المزح  
ما جارحة منك غذاها جرح \* ما تشعُرُ بالبخارِ حتى تصحو

توفي في هذه السنة . قال ابن خلكان : وزعم عماد الدين في الخريدة أنه توفي بعد العشرين وخمسة فله أعلم .

ابن نهبان ، أبو علي الكاتب ، سمع الحديث وروى وعمره مائة سنة وتغير قبل موته ، وله شعر حسن ، فنه قوله في قصيدة له :

لى رزقَ قدره اللهُ \* نعمَ ورزقَ أتوقاهُ  
حتى إذا استوفيتُ منه \* الذى قدر لى لا أتمدها  
قال كرام كنتُ أغشاهم \* فى مجلس كنتُ أغشاهُ  
صار ابنُ نهبانَ إلى ربِّه \* برحمتنا اللهُ وإياهُ

## أمير الحاج

بن عبد الله أبو الخير المستظهرى ، كان جواداً كريماً ممدحاً ذا رأى وفطنة ناقبة ، وقد سمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن طلحة النعماني بإفادة أبي نصر الأصبهاني ، وكان يؤم به في الصلوات ، ولما قدم رسولاً إلى أصفهان حدث بها . توفي في ربيع الآخر من هذه السنة ودفن بأصفهان ثم دخلت سنة إثنى عشرة وخمسمائة

فيها خطب للسلطان محمد بن ملكشاه بأمر الخليفة المستظهر بالله ، وفيها سأل ديبس بن صدقة الأسدى من السلطان محمود أن يرده إلى الحلة وغيرها ، مما كان أبوه يتولاه من الأعمال ، فأجابته إلى ذلك ، فمظم وارفع شأنه .

## وفاة الخليفة المستظهر بالله

هو أبو العباس أحمد بن المقتدى ، كان خيراً فاضلاً ذكياً بارعاً ، كتب الخط المنسوب ، وكانت أيامه يبغداد كأنها الأعياد ، وكان راغباً في البر والخير ، مسارعاً إلى ذلك ، لا يرد سائلاً ، وكان جميل المشرة لا يصفى إلى أقوال الوشاة من الناس ، ولا يتق بالمباشرين ، وقد ضبط أمور الخلافة جيداً ، وأحكمها وعلمها ، وكان لديه علم كثير ، وله شعر حسن . قد ذكرناه أولاً عند ذكر خلافته ، وقد ولى غسله ابن عقيل وابن السنى ، وصلى عليه ولده أبو منصور الفضل وكبيراً ربماً ، ودفن في حجرة كان يسكنها ، ومن العجب أنه لما مات السلطان ألب أرسلان مات بعده الخليفة القائم ، ثم لما مات السلطان ملكشاه مات بعده المقتدى ، ثم لما مات السلطان محمد مات بعده المستظهر هذا ، في سادس عشر ربيع الآخر ، وله من العمر إحدى وأربعون سنة ، وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً .

## خلافة المسترشد أمير المؤمنين

أبو منصور الفضل بن المستظهر : لما توفي أبوه كما ذكرنا يبيع له بالخلافة ، وخطب له على المنابر وقد كان ولى العهد من بعده مدة ثلاث وعشرين سنة ، وكان الذى أخذ البيعة له قاضى القضاة أبو الحسن الداغانى ، ولما استقرت البيعة له هرب أخوه أبو الحسن فى سفينة معه ثلاثة نفر ، وقصد ديبس بن صدقة بن منصور بن ديبس بن على بن مزيد الأسدى بالحلة ، فأكرمه وأحسن إليه ، فقلق أخوه الخليفة المسترشد من ذلك ، فراسل ديبساً فى ذلك مع ققيب النقيب الزينبى ، فهرب أخو الخليفة من ديبس فأرسل إليه جيشاً فأجأوه إلى البرية ، فالحقه عطش شديد ، فلقبه بدويان فسقيه ماء وحمله إلى بغداد ، فأحضره أخوه إليه فاعتنقا وتبا كيا ، وأنزله الخليفة داراً كان يسكنها قبل الخلافة ، وأحسن إليه ، وطيب نفسه ، وكانت مدة غيبته عن بغداد إحدى عشر شهراً ، واستقرت الخلافة بلا منازعة للمسترشد . وفيها كان غلاء شديد ببغداد ، وانقطع الغيث وعمدت الأقوات ، وتفاقم أمر

العيارين ببغداد ، ونهبوا الدور نهاراً جهاراً ، ولم يستطع الشرط دفع ذلك . وحج بالناس في هذه السنة الخادم .

ومن توفي فيها من الأعيان الخليفة المستظهر

كما تقدم . ثم توفيت بعده جدته أم أبيه المقتدى .

### أرجوان الأرمينية

وتدعى قرة العين ، كان لها بر كثير ، ومعروف ، وقد حجبت ثلاث حجبات ، وأدركت خلافة ابنها المقتدى ، وخلافة ابنه المستظهر ، وخلافة ابنه المسترشد ، ورأت للمسترشد ولدا .

بكر بن محمد بن علي .

ابن الفضل أبو الفضل الأنصاري ، روى الحديث ، وكان يضرب به المثل في مذهب أبي حنيفة ، وتفقه على عبد العزيز بن محمد الحلواني ، وكان يذكر الدروس من أى موضع سئل من غير مطالعة ولا مراجعة ، وربما كان في ابتداء طلبه يكرر المسألة أربعمائة مرة . توفي في شعبان منها .

### الحسين بن محمد بن عبد الوهاب

الزيني ، قرأ القرآن ، وسمع الحديث ، وتفقه على أبي عبد الله الدامغانى ، فبرع وأفتى ودرس بمشهد أبي حنيفة ، ونظر في أوقافها ، وانتهت إليه رياسة مذهب أبي حنيفة ، ولقب نور الهدى ، وسار في الرسلية إلى الملوك ، وولى نقابة الطالبين والعباسيين ، ثم استعفى بعد شهر فثولها أخوه طراد . توفي يوم الاثنين الحادى عشر من صفر ، وله من العمر ثمان وتسعون سنة ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم على ، وحضرت جنازته الأعيان والعلماء ، ودفن عند قبر أبي حنيفة داخل القبة .

### يوسف بن أحمد أبو طاهر

ويعرف بابن الجزرى ، صاحب الخزن في أيام المستظهر ، وكان لا يوفى المسترشد حقه من التعظيم وهو ولى العهد ، فلما صارت إليه الخلافة صادره بمائة ألف دينار ، ثم استقر غلاماً له فأوماً إلى بيت فوجد فيه أربعمائة ألف دينار ، فأخذها الخليفة ثم كانت وفاته بعد هذا بقليل بهذا العام .

### أبو الفضل بن الخازن

كان أديباً لطيفاً شاعراً فاضلاً فن شعره قوله :

وافيتُ منزلهُ فلم أرُ صاحباً \* إلا تلقاني بوجهٍ ضاحكٍ  
والبشرُّ في وجهِ النلامِ نتيجةٌ \* لمقدماتِ ضياءِ وجهِ المالكِ  
ودخلتُ جنته ووزرتُ جحيمه \* فشكرتُ رضواناً ورأفةً مالكِ

### ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

فيها كانت الحروب الشديدة بين السلطان محمود بن محمد وبين عمه السلطان سنجر بن ملكشاه وكان النصر فيها لسنجر ، فغلب له ببغداد في سادس عشر جمادى الأولى من هذه السنة ، وقطعت خطبة ابن أخيه في سائر أعماله . وفيها سارت الفرنج إلى مدينة حلب فتحروها عنوة وملكوها ، وقتلوا من أهلها خلقا ، فسار إليهم صاحب ماردین إيلغازي بن أرتق في جيش كثيف ، فهزمهم ولحقهم إلى جبل قد تحصنوا به ، فقتل منهم هنالك مقتلة عظيمة ، والله الحمد . ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وأسر من مقدميهم نيفا وتسعين رجلا ، وقتل فيمن قتل سيرجال صاحب إنطاكية ، وحمل رأسه إلى بغداد ، فقال بعض الشعراء في ذلك وقد بالغ بمبالغة فاحشة :

قل ما تشاء فقولك المقبول \* وعليك بعد الخلق التعويل  
واستبشر القرآن حين نصرته \* وبكى لفقد رجاله الأنجيل

وفيها قتل الأمير منكوبرس الذي كان شحنة بغداد ، وكان ظلما غاشما سعى بالسيرة ، قتله السلطان محمود بن محمد صبرا بين يديه لأمر : منها أنه تزوج سرية أبيه قبل انقضاء عدتها ، ونعم ما فعل وقد أراح الله المسلمين منه ما كان أظلمه وأغشمه . وفيها تولى قضاء قضاء بغداد الأكل أبو القاسم ابن علي بن أبي طالب بن محمد الزينبي ، وخلع عليه بعد موت أبي الحسن الدائماني ، وفيها ظهر قبر إبراهيم الخليل عليه السلام وقبر ولديه إسحاق ويعقوب ، وشاهد ذلك الناس ، ولم تبطل أجسادهم ، وعندهم قناديل من ذهب وفضة ، ذكر ذلك ابن الخازن في تاريخه ، وأطال نقله من المنتظم لابن الجوزي والله أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان ابن عقيل

علي بن عقيل بن محمد ، أبو الوفا شيخ الحنابلة ببغداد ، وصاحب الفنون وغيرها من التصانيف المفيدة ، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وقرأ القرآن على ابن سبطا ، وسمع الحديث الكثير ، وتفقه بالقاضي أبي يعلى بن الفراء ، وقرأ الأدب على ابن برهان ، والفرائض على عبد الملك الهمداني ، والوعظ على أبي طاهر بن الملاف ، صاحب ابن معمون ، والأصول على أبي الوليد المعتزلي ، وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب ، فرجا لامة بعض أصحابه فلا يلوى عليهم ، فلهدنا برز على أقرانه وساد أهل زمانه في فنون كثيرة ، مع صيانة وديانة وحسن صورة وكثرة اشتغال ، وقد وعظ في بعض الأحيان فوقت فتنة فترك ذلك ، وقد تمتع الله بجميع حواسه إلى حين موته ، توفى بكرة الجمعة ثاني جمادى الأولى من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وكانت جنازته حافلة جدا ، ودفن قريبا من قبر الامام أحمد ، إلى جانب الخادم مخاص رحمه الله .



## أبو الحسن علي بن محمد الدامغاني

قاضى القضاة ابن قاضى القضاة ، ولد فى رجب سنة ست وأربعمائة ، وولى القضاة بباب الطاق من بغداد وله من العمر ست وعشرون سنة ، ولا يعرف حاكم قضى لأربعة من الخلفاء غيره ، لا شريح ، ثم ذكر إمامته وديانته وصيافته مما يدل على نحرته ، وتفوقه وقوته ، تولى الحكم أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر ، وقبره عند مشهد أبى حنيفة .

### المبارك بن علي

ابن الحسين أبو سعد المحرمى ، سمع الحديث وتفق على مذهب أحمد ، وناظر وأفنى ودرس ، وجمع كتباً كثيرة لم يسبق إلى مثلها ، وناب فى القضاة ، وكان حسن السيرة جميل الطريق ، سديد الأفضية ، وقد بنى مدرسة بباب الأزج وهى المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيسى الحنبلى ، ثم عزل عن القضاة وصودر بأموال جزيلة ، وذلك فى سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وتوفى فى المحرم من هذه السنة ودفن إلى جانب أبى بكر الخلال عند قبر أحمد .

### ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة

فى النصف من ربيع الأول منها كانت وقعة عظيمة بين الأخوين السلطان محمود ومسعود ابنى محمد بن ملكشاه عند عقبة اسداباذ ، فانهزم عسكر مسعود وأسر وزيره الأستاذ أبو إسماعيل وجماعة من أمرائه ، فأمر السلطان محمود بقتل الوزير أبى إسماعيل ، فقتل وله نيف وستون سنة ، وله تصانيف فى صناعة الكيمياء . ثم أرسل إلى أخيه مسعود الأمان واستقدمه عليه ، فلما التقيابكيا واصطالحا . وفيها نهب ديبس صاحب الحلة البلاد ، وركب بنفسه إلى بغداد ، ونصب خيمته بإزاء دار الخلافة ، وأظهر ما فى نفسه من الضغائن ، وذكرك كيف طيف برأس أبيه فى البلاد ، وتهدد المسترشد ، فأرسل إليه الخليفة يسكن جأشه ويمده أنه سيصلح بينه وبين السلطان محمود ، فلما قدم السلطان محمود بغداد أرسل ديبس يستأمن فأمنه وأجراه على عادته ، ثم إنه نهب جسر السلطان فركب بنفسه السلطان لقتاله واستصحب معه ألف سفينة ليعبر فيها ، فهرب ديبس والتجأ إلى إيلغازى فأقام عنده سنة ، ثم عاد إلى الحلة وأرسل إلى الخليفة والسلطان يمتدرا إليهما مما كان منه ، فلم يقبل منه ، وجهز إليه السلطان جيشاً فحاصروه وضيقوا عليه قريباً من سنة ، وهو ممتنع فى بلاده لا يقدر الجيش على الوصول إليه . وفيها كانت وقعة عظيمة بين الكرج والمسلمين بالقرب من تفليس ، ومع الكرج كفار الفعجاق فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً ، وغنموا أموالاً جزيلة ، وأسروا نحواً من أربعة آلاف أسير ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ونهب الكرج تلك النواحي وقلوا أشياء منكراً ، وحاصروا تفليس مدة ثم ملكوها عنوة ، بعد ما أحرقوا القاضى والخطيب حين خرجوا إليهم يطلبون منهم الأمان ، وقتلوا عامة أهلها ، وسبوا الثرية واستحذوا على الأموال ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . وفيها أغار

جوسكين الفرنجى على خلق من العرب والتركمان قتلهم وأخذ أموالهم ، وهذا هو صاحب الرها .  
وفيهما تمردت العيارون ببغداد وأخذوا الدور جهاراً ليلاً ونهاراً ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

وفيهما كان ابتداء ملك محمد بن تومرت ببلاد المغرب ، كان ابتداء أمر هذا الرجل أنه قدم في  
حدائة سنة من بلاد المغرب فسكن النظامية ببغداد ، واشتغل بالعلم فحصل منه جانباً جيداً من الفروع  
والأصول ، على الفزالي وغيره ، وكان يظهر التعمد والزهد والورع ، وربما كان ينكر على الفزالي  
حسن ملابسه ، ولا سيما لما لبس خلع التدريس بالنظامية ، أظهر الانكار عليه جداً ، وكذلك على  
غيره ، ثم إنه حج وعاد إلى بلاده ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقرى الناس القرآن  
ويشغلهم في الفقه ، فطار ذكره في الناس ، واجتمع به يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب بلاد  
إفريقية ، فظمه وأكرمه ، وسأله الداء ، فاشتهر أيضاً بذلك ، وبعد صيته ، وليس معه إلا ركوة  
وعصا ، ولا يسكن إلا المساجد ، ثم جعل ينتقل من بلد إلى بلد حتى دخل مرا كش ومعه تلميذه  
عبد المؤمن بن علي ، وقد كان تومر النجابة والشهامة فيه ، فرأى في مرا كش من المنكرات أضعاف  
ما رأى في غيرها ، من ذلك أن الرجال يتلثمون والنساء يمشين حاسرات عن وجوههن ، فأخذ في  
إنكار ذلك حتى أنه اجتازت به في بعض الأيام أخت أمير المسلمين يوسف ملك مرا كش وما حولها ،  
ومعها نساء مثلها را كبات حاسرات عن وجوههن ، فشرع هو وأصحابه في الإنكار عليهن ، وجعلوا  
يضربون وجوه الدواب فسقطت أخت الملك عن دابتها ، فأحضره الملك وأحضر الفقهاء فظهر عليهم  
بالحجة ، وأخذ يعظ الملك في خاصة نفسه ، حتى أبكاه ، ومع هذا نفاه الملك عن بلده فشرع يشنع  
عليه ويدعو الناس إلى قتاله ، فاتبه على ذلك خلق كثير ، فجهز إليه الملك جيشاً كبيراً فجهزهم ابن  
تومرت ، فمظم شأنه وارتفع أمره ، وقويت شوكته ، وتسمى بالمهدي ، وسمى جيشه جيش الموحدين  
وألف كتاباً في التوحيد وعقيدة تسمى المرشدة ، ثم كانت له وقعات مع جيوش صاحب مرا كش ،  
فقتل منهم في بعض الأيام نحواً من سبعين ألفاً ، وذلك بأشارة أبي عبد الله التومرتي ، وكان ذكر أنه  
نزل إليه ملك وعلمه القرآن والموطأ ، وله بذلك ملائكة يشهدون به في بئر ساه ، فلما اجتاز به وكان  
قد أُرصد فيه رجالاً ، فلما سألهم عن ذلك والناس حضور معه على ذلك البئر شهدوا له بذلك ، فأمر  
حينئذ بعم البئر عليهم فاتوا عن آخرهم ، ولهذا يقال من أعان ظالماً ساط عليه . ثم جهز ابن تومرت  
الذي لقب نفسه بالمهدي جيشاً عليهم أبو عبد الله التومرتي ، وعبد المؤمن ، لمحاصرة مرا كش ،  
فخرج إليهم أهلها فقتلوا قتالاً شديداً ، وكان في جملة من قتل أبو عبد الله التومرتي هذا الذي زعم  
أن الملائكة تخاطبه ، ثم افتقدوه في القتلى فلم يجدوه ، فقالوا : إن الملائكة رفعت ، وقد كان عبد المؤمن  
دفنه والناس في المعركة ، وقتل من معه من أصحاب المهدي خلق كثير ، وقد كان حين جهز الجيش

مريضاً مدنياً ، فلما جاءه الخبر ازداد مرضاً إلى مرضه ، وساه قتل أبي عبد الله التومرتي ، وجهل الأمر من بعده لعبد المؤمن بن علي ، ولقبه أمير المؤمنين . وقد كان شاباً حسناً حازماً عاقلاً ، ثم مات ابن تومرت وقد أتت عليه إحدى وخمسون سنة ، ومدة ملكه عشر سنين ، وحين صار إلى عبد المؤمن ابن علي الملك أحسن إلى الرعايا ، وظهرت له سيرة جيدة فأحبه الناس ، واتسعت ممالكه ، وكثرت جيوشه ورعيته ، ونصب العداوة إلى تاشفين صاحب مرا كش ، ولم يزل الحرب بينهما إلى سنة خمس وثلاثين ، فمات تاشفين قدام ولده من بعده ، فمات في سنة تسع وثلاثين ليلة سابع وعشرين من رمضان ، فتولى أخوه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فسار إليه عبد المؤمن فلما تلك النواحي ، وفتح مدينة مرا كش ، وقتل هنالك أمماً لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل ، قتل ملكها إسحاق وكان صغير السن في سنة ثنتين وأربعين ، وكان إسحاق هذا آخر ملوك المرابطين ، وكان ملكهم سبعين سنة . والذين ملكوا منهم أربعة : علي وولده يوسف ، وولده أبو سفيان وإسحاق ابنا علي المذكور ، فاستوطن عبد المؤمن مدينة مرا كش ، واستقر ملكه بتلك الناحية ، وظفر في سنة ثلاث وأربعين بدكالة وهي قبيلة عظيمة نحو مائتي ألف راجل وعشرين ألف فارس مقاتل ، وهم من الشجعان الأبطال ، قتل منهم خلقاً كثيراً ، وجما غفيراً ، وسبى ذراريهم وغنم أموالهم حتى إنه بيعت الجارية الحسنة بدرهم معدودة ، وقد رأيت لبعضهم في سيرة ابن تومرت هذا مجلداً في أحكامه وإمائه ، وما كان في أيامه ، وكيف تملك بلاد المغرب ، وما كان يتعاطاه من الأشياء التي تومر أنها أحوال برة ، وهي محالات لا تصدر إلا عن فجرة ، وما قتل من الناس وأزرق من الأنفس .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن عبد الوهاب بن السني

أبو البركات ، أسند الحديث وكان يعلم أولاد الخليفة المستظهر ، فلما صارت الخلافة إلى المسترشد ولاء الخزن ، وكان كثير الأموال والصدقات ، يتعاهد أهل العلم ، وخلف مالا كثيراً حزر بمائتي ألف دينار ، أوصى منه بثلاثين ألف دينار لملكة والمدينة ، توفى فيها عن ست وخمسين سنة وثلاثة أشهر ، وصلى عليه الوزير أبو علي بن صدقة ، ودفن بباب حرب .

عبد الرحيم بن عبد الكبير

ابن هوازن ، أبو نصر القشيري ، قرأ على أبيه وإمام الحرمين ، وروى الحديث عن جماعة ، وكان ذا ذكاء وفتنة ، وله خاطر حاضر جرى ، ولسان ماهر فصيح ، وقد دخل بغداد فوعظ بها فوقع بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية ، فحبس بسببها الشريف أبو جعفر بن أبي موسى ، وأخرج ابن القشيري من بغداد لاطفاء الفتنة فعاد إلى بلده ، توفى في هذه السنة .

## عبد العزيز بن علي

ابن جامد أبو حامد الدينوري ، كان كثير المال والصدقات ، ذا حشمة وثروة ووجاهة عند الخليفة ، وقد روى الحديث ووعظ ، وكان مليح الإبراد حلو المنطق ، توفي بالرى والله أعلم .

ثم دخلت سنة خمس عشر وخمسائة

فيها أقطع السلطان محمود الأمير إيلغازي مدينة ميا فارقين ، فبقيت في يد أولاده إلى أن أخذها صلاح الدين يوسف بن أيوب ، في سنة ثمانين وخمسائة . وفيها أقطع آقسنقر البرشقي مدينة الموصل لقتال الفرنج ، وفيها حاصر ملك بن بهرام وهو ابن أخي إيلغازي مدينة الرها فأسر ملكها جوسكين الأفرنجي وجماعة من رؤس أصحابه وسجنهم بقلمة خربت . وفيها هبت ريح سوداء فاستمرت ثلاثة أيام فأهلكت خلقا كثيرا من الناس والدواب . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالحجاز فتضعف بسببها الركن البعاني ، وتهدم بعضه ، وتهدم شيء من مسجد رسول الله (ص) . وفيها ظهر رجل علوي بمكة كان قد اشتغل بالنظامية في الفقه وغيره ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فاتبعه ناس كثير فنفاه صاحبها ابن أبي هاشم إلى البحرين . وفيها احترقت دار السلطان بأصبهان ، فلم يبق فيها شيء من الآثار والتماش والجواهر والذهب والفضة سوى الياقوت الأحمر ، وقبل ذلك بأسبوع احترق جامع أصبهان ، وكان جامعا عظيما ، فيه من الأخشاب ما يساوي ألف دينار ، ومن جملة ما احترق فيه خمسمائة مصحف ، من جملتها مصحف بخط أبي بن كعب ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفي شعبان منها جلس الخليفة المسترشد في دار الخلافة في أبهة الخلافة ، وجاء الاخوان السلطان محمود ومحمود قبلا الأرض ووقفا بين يديه ، فخلع على محمود سبع خلع وطوقا وسوارين وتاجا ، وأجلس على كرسي ووعظه الخليفة ، وتلا عليه قوله تعالى [ فن يعمل ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ] وأمره بالاحسان إلى الرعايا ، وعقد له لواءين بيده ، وقلده الملك ، وخرجا من بين يديه مطاعين معظمين ، والجيش بين أيديهما في أبهة عظيمة جدا . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفي فيها . ابن القطاع اللغوي أبو القاسم علي بن جعفر بن محمد

ابن الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب السعدي الصقلي ، ثم المصري اللغوي المصنف كتاب الأفعال ، الذي برز فيه على ابن القوطية ، وله مصنفات كثيرة ، قدم مصر في حدود سنة خمسائة لما أشرفت الفرنج على أخذ صقلية ، فأكرمه المصريون وبالغوا في إكرامه ، وكان ينسب إلى التساهل في الدين ، وله شعر جيد قوى ، مات وقد جاوز الثمانين .

أبو القاسم شاهنشاه

الأفضل بن أمير الجيوش بمصر ، مدبر دولة الفاطميين ، وإليه تنسب قيسرية أمير الجيوش

بمصر، والعامسة تقول مرجوش، وأبوه باني الجامع الذي بشجر الاسكندرية بسوق العطارين، ومشهد الرأس بعسقلان أيضاً، وكان أبوه نائب المستنصر على مدينة صور، وقيل على عكا، ثم استدعاه إليه في فصل الشتاء فركب البحر فاستنابه على ديار مصر، فسدن الأمور بمد فسادها، ومات في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وقام في الوزارة ولده الأفضل هذا، وكان كأبيه في الشهامة والصرامة، ولما مات المستنصر أقام المستعلي واستمرت الأمور على يديه، وكان عادلاً حسن السيرة، موصوفاً ببجودة السريرة فأنه أعلم، ضربه فداوى وهو راكب قتلته في رمضان من هذه السنة، عن سبع وخمسين سنة، وكانت إمارته من ذلك بعد أبيه ثمان وعشرين سنة، وكانت داره دار الوكالة اليوم بمصر، وقد وجد له أموال عديدة جداً، تفوق العد والاحصاء، من القناطير المنقطرة من الذهب والفضة والخليل المسومة والأتمام والحراث، والجواهر النفائس، فانتقل ذلك كله إلى الخليفة الفاطمي، فجعل في خزائنه، وذهب جامعه إلى سواء الحساب، على الفتيل من ذلك والنقير والقطمير واعتاض عنه الخليفة بأبي عبد الله البطائحي، ولقبه المأمون. قال ابن خلكان: ترك الأفضل من الذهب المين سنائة ألف ألف دينار مكررة، ومن الدراهم مائتين وخمسين أردبا، وسبعين ثوب ديباج أطلس، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي، ودواة ذهب فيها جوهرة بائني عشر ألف دينار، ومائة مسمار ذهب زنة كل مسمار مائة مثقال، في عشرة مجالس كان يجلس فيها، على كل مسمار منديل مشدود بذهب، كل منديل على لون من الألوان من ملابسه، وخمسمائة صندوق كسوة للبس بدنه، قال: وخلف من الرقيق والخليل والبغال والمراكب والمسك والطيب والخلي ما لا يعلم قدره إلا الله عز وجل، وخلف من البقر والجواميس والغنم ما يستحجي الانسان من ذكره، وبلغ ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين ألف دينار، وترك صندوقين كبيرين مملوئين بذهب برسم النساء.

### عبد الرزاق بن عبد الله

ابن علي بن إسحاق الطوسي، ابن أخى نظام الملك، تفقه بامام الحرمين، وأفتى ودرس وناظر،

### خاتون السفريه

ووزر للملك سنجر

حظية السلطان ملكشاه، وهى أم السلطانين محمد وسنجر، كانت كثيرة الصدقة والاحسان إلى الناس، لها في كل سنة سبيل يخرج مع الحجاج. وفيها دين وخير، ولم تزل تبحث حتى عرفت مكان أمها وأهلها، فبعثت الأموال الجزيلة حتى استحضرتهم، ولما قدمت عليها أمها كان لها عنها أربعين سنة لم ترها، فأحبت أن تستعلم فهمها فجلست بين جواربها، فلما سمعت أمها كلامها عرقها فقامت إليها فاعتنقا وبكيا، ثم أسلمت أمها على يديها جزاها الله خيراً. وقد تفردت بولادة ملكين من ملوك المسلمين، في دولة الأتراك والعجم، ولا يعرف لها نظير في ذلك إلا اليسير من ذلك، وهى

ولادة بنت العباس ، ولدت لعبد الملك الوليد وسليمان ، وشاهوند ولدت للوليد يزيد وإبراهيم ، وقد وليا الخلافة أيضاً ، والخيزران ولدت للمهدى الهادي والرشيدي .

### الطغراني

صاحب لامية المعجم ، الحسين بن علي بن عبد الصمد ، مؤيد الدين الأصبهاني ، العميد نخر الكتاب اللبني الشاعر ، المعروف بالطغراني ، ولي الوزارة بأربيل مدة ، وأورد له ابن خلكان قصيدته اللامية التي ألفها في سنة خمس وخمسمائة ، في بغداد ، يشرح فيها أحواله وأموره ، وتعرف بلامية المعجم أولها :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل \* وحلية الفضل زانتني لدى المطل  
مجدى أخيراً ومجدى أولاً شرع \* والشمس رآد الضحى كالشمس في الطفل  
فيم الإقامة بالزوراء ؟ لا سكنى \* بها ولا ناقتي فيها ولا جملي  
وقد سردها ابن خلكان بكلامها ، وأورد له غير ذلك من الشعر والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة

في الحرم منها رجع السلطان طغرلبيك إلى طاعة أخيه محمود ، بعد ما كان قد خرج عنها ، وأخذ بلاد أذربيجان . وفيها أقطع السلطان محمود مدينة واسط لآقسنقر مضافاً إلى الموصل ، فسير إليها عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، فأحسن السيرة بها وأبان عن حزم وكفاية . وفي صفر منها قتل الوزير السلطان محمود أبو طالب السميرمي ، قتله باطني ، وكان قد برز للمسير إلى همدان ، وكانت قد خرجت زوجته في مائة جارية بمراكب الذهب ، فلما بلغن قتله رجعن حافيات حاسرات عن وجوههن ، قد هن بعد العز ، واستوزر السلطان مكانه شمس الدين الملك عثمان بن نظام الملك . وفيها التقى آقسنقر ودييس بن صدقة ، فهزمه ديبس وقتل خلقاً من جيشه ، فأوثق السلطان منصور بن صدقة أخا ديبس وولده ، ورفعهما إلى القامة ، فعند ذلك آذى ديبس تلك الناحية ونهب البلاد ، وجز شره ولبس السواد ، ونهبت أموال الخليفة أيضاً ، فنودى في بغداد للخروج لقتاله ، وبرز الخليفة في الجيش وعليه قباه أسود وطرحة ، وعلى كتفيه البردة ويده القضيب ، وفي وسطه منطقة خرب صيني ، ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك ، ونقيب النقباء علي بن طراد الزيني ، وشيخ الشيوخ صدر الدين بن إسماعيل ، وتلقاه آقسنقر البرشقي ومعه الجيش فقبلوا الأرض ورتب البرشقي الجيش ، ووقف القراء بين يدي الخليفة ، وأقبل ديبس وبين يديه الاماء يضربن بالدفوف والحناييث بالملامح ، والتقى الفريقان ، وقد شعر الخليفة سيفه وكبر واقرب من المعركة ، فحمل عنتر بن أبي المسكر على ميمنة الخليفة فكسرها وقتل أميرها ثم حمل مرة ثانية فكشفهم كالاولى فحمل عليه عماد

الدين زندي بن آقسنقر فأمر عتير وأمر معه بدليل بن زائدة ، ثم انهزم عسكر ديبس وألقوا أنفسهم في الماء ، ففرق كثير منهم ، فأمر الخليفة بضرب أعناق الأسارى صبراً بين يديه ، وحصل نساء ديبس وسراريه تحت الأسر ، وعاد الخليفة إلى بغداد فدخلها في يوم عاشوراء من السنة الآتية ، وكانت غيبته عن بغداد ستة عشر يوماً ، وأما ديبس فإنه نجى بنفسه وقصد غزيرة ثم إلى المنتفق فصحبهم إلى البصرة فدخلها ونهبها وقتل أهيرها ، ثم خاف من البرشقي فخرج منها وسار على البرية والتحق بالفرج ، وحضر معهم حصار حلب ، ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل أخى السلطان محمود . وفيها ملك السلطان سهام الدين تماش بن إيلغازى ابن أرتقى قلعة ماردين بعد وفاة أبيه ، وملك أخوه سليمان ميافارقين . وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريباً من قلعة ذى القرنين . وفيها دخل جماعة من الوعاظ إلى بغداد فوعظوا بها ، وحصل لهم قبول تام من العوام . وحج بالناس قطز الخادم .

#### عبدالله بن أحمد

ومن توفى فيها من الأعيان .  
ابن عمر بن أبي الأشعث ، أبو محمد السمرقندى ، أخو أبي القاسم ، وكان من حفاظ الحديث ، وقد زعم أن عنده منه ما ليس عند أبي زرعة الرازى ، وقد صحب الخطيب مدة وجمع ألف وصنف ورحل إلى الآفاق ، توفى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول بها عن ثمانين سنة .

#### علي بن أحمد السمرقندى

نسبة إلى قرية بأصبهان ، كان وزير السلطان محمود ، وكان مجاهراً بالظلم والفسق ، وأحدث على الناس مكوساً ، وجدها بعد ما كانت قد أزيلت من مدة متطاولة ، وكان يقول : قد استحيت من كثرة ظلم من لا ناصر له ، وكثيرة ما أحدثت من السنن السيئة ، ولما عزم على الخروج إلى همدان أحضر المنجمين فضربوا له نخت رمل لساعة خروجه ليكون أسرع لهودته ، فخرج في تلك الساعة وبين يديه السيوف المسلوطة ، والماليك الكثيرة بالعدد الباهرة ، فما أغنى عنه ذلك شيئاً ، بل جاءه باطنى فضربه فقتله ، ثم مات الباطنى بعده ، ورجع نساؤه بعد أن ذهبن بين يديه على مراكب الذهب ، حاسرات عن وجوههن ، قد أبدطن الله الذل بعد العز ، والخوف بعد الأمن ، والحزن بعد السرور والفرح ، جزاء وفاقا ، وذلك يوم الثلاثاء سابع صفر ، وما أشبه حاله بقول أبي العتاهية في الخيزران وجواربها حين مات المهدي :

رُحِنَ فِي الوُشِيِّ عَلَيْهِنَّ المَسُوحُ \* كُلُّ بَطَّاحٍ مِنَ النَّاسِ لَهُ يَوْمٌ يَطْوَحُ  
لَتَمُوتَنَّ وَلَوْ عُمِّرَتْ مَا عُمِّرَتْ نُوحُ \* فَعَلَى نَفْسِكَ نَحْوَ إِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ تَنُوحُ

#### الحريري صاحب المقامات

القاسم بن علي بن محمد بن محمد بن عثمان ، فخر الدولة أبو محمد الحريري . مؤلف المقامات التي

سارت بفصاحتها الركبان ، وكاد يربو فيها على سحبان ، ولم يسبق إلى مثلها ولا يلحق ، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث واشتغل باللغة والنحو ، وصنف في ذلك كله ، وفاق أهل زمانه ، وبرز على أقرانه ، وأقام ببيعتاد وعمل صناعة الانشاء مع الكتاب في باب الخليفة ، ولم يكن ممن تنكر بديهته ولا تتمكر فكرته وقريحته . قال ابن الجوزي : صنف وقرأ الأدب واللغة ، وفاق أهل زمانه بالذكاء والفطنة والنصاحة ، وحسن العبارة ، وصنف المقامات المعروفة التي من تأملها عرف ذكاء منشئها ، وقدره وفصاحته ، وعلمه . توفي في هذه السنة بالبصرة . وقد قيل إن أبا زيد والحارث بن همام المطهر لا وجود لهما ، وإنما جعل هذه المقامات من باب الأمثال ، ومنهم من يقول أبو زيد بن سلام السروجي كان له وجود ، وكان فاضلا ، وله علم ومعرفة باللغة فأنه أعلم . وذكر ابن خلكان أن أبا زيد كان اسمه المطهر بن سلام ، وكان بصريا فاضلا في النحو واللغة ، وكان يشتغل عليه الحريري بالبصرة ، وأما الحارث بن همام فإنه غنى بنفسه ، لما جاء في الحديث كلكم حارث وكلكم همام . كذا قال ابن خلكان . وإنما اللفظ المحفوظ « أصدق الأسماء حارث وهمام » لأن كل أحد إما حارث وهو الفاعل ، أو همام من الهمة وهو العزم والخطار ، وذكر أن أول مقامة عملها الثامنة والأربعون وهي الحرامية ، وكان سببها أنه دخل عليهم في مسجد البصرة رجل ذو طمرين فصيح اللسان ، فاستسموه فقال أبو زيد السروجي ، فعمل فيه هذه المقامة ، فأشار عليه وزير الخليفة المسترشد جلال الدين عميد الدولة أبو علي الحسن بن أبي المزبن صدقة ، أن يكمل عليها تمام خمسين مقامة . قال ابن خلكان : كذا رأيته في نسخة بخط المصنف ، على حاشيتها ، وهو أوضح من قول من قال إنه الوزير شرف الدين أبو نصر أنوشروان بن محمد بن خالد بن محمد القاشاني ، وهو وزير المسترشد أيضاً ، ويقال إن الحريري كان قد عملها أربعين مقامة ، فلما قدم بغداد ولم يصدق في ذلك لعجز الناس عن مثلها ، فامتحنه بمض الوزراء أن يعمل مقامة فأخذ الدواة والقرطاس وجلس ناحية فلم يتيسر له شيء ، فلما عاد إلى بلده عمل عشرة أخرى فأنما خمسين مقامة ، وقد قال فيه أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر ، وكان من جملة المكذبين له فيها :

شيخ لنا من ربيعة الفرس \* ينتف عشونهُ من الهوس  
أطلقهُ الله بالمشان كما \* رماه وسط الديوان بالخرس

ومعنى قوله بالمشان هو مكان بالبصرة ، وكان الحريري صدر ديوان المشان ، ويقال إنه كان ذميم الخلق ، فاتفق أن رجلا رحل إليه فلما رآه ازدراه ففهم الحريري ذلك فأنشأ يقول :

ما أنت أول ساير غرة قرم \* ورائداً أعجبتهُ خُصرةُ الدمن  
فاختَر لنفسك غيري إنني رَجُلٌ \* مثل الميدي فاسمع بي ولا ترني



ويقال إن المعبدى اسم حصان جواد كان في العرب ذميمة الخلق والله أعلم .

### البعوي المفسر

الحسين بن مسعود بن محمد البغوي ، صاحب التفسير وشرح السنة والتهذيب في الفقه ، والجمع بين الصحيحين والمصاييح في الصحاح والحسان ، وغير ذلك ، اشتغل على القاضي حسين وبرع في هذه العلوم ، وكان علامة زمانه فيها ، وكان ديناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً . توفي في شوال منها وقيل في سنة عشر فله أعلم . ودفن مع شيخه القاضي حسين بالطالقان والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة

في يوم عاشوراء منها عاد الخليفة من الحلة إلى بغداد مؤيداً منصوراً من قتال ديبس . وفيها عزم الخليفة على طهور أولاد أخيه ، وكانوا اثني عشر ذكراً ، فزينت بغداد سبعة أيام بزينة لم ير مثلها . وفي شعبان منها قدم أسعد المهيتي مدرساً بالنظامية ببغداد ، وناظرها عليها ، وصرف الباقرجي عنها ، ووقع بينه وبين الفقهاء فنته بسبب أنه قطع منهم جماعة ، واكتفى بمائتي طالب منهم ، فلم يهن ذلك على كثير منهم . وفيها سار السلطان محمود إلى بلاد الكرج وقد وقع بينهم وبين القفجاق خلف فقاتلهم فبرزهم ، ثم عاد إلى همدان . وفيها ملك طغتكين صاحب دمشق مدينة حماه بعد وفاة صاحبها قراجا ، وقد كان ظالماً غاشماً . وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت داره وهو على بن أفلاح ، لأنه كان عيناً لديس ، وأضيف إلى علي بن طراد نقابة العلويين مع نقابة العباسيين .

ومن توفي فيها من الأعيان . أحمد بن محمد

ابن علي بن صدقة ، التغلبي ، المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي ، الكاتب ، له ديوان شعر مشهور . قال ابن عساكر ختم به شعر الشعراء بدمشق ، شعره جيد حسن ، وكان مكثراً لحفظ الأشعار المتقدمة وأخبارهم ، وأورد له ابن خلكان قطعة جيدة من شعره من قصيدته التي لو لم يكن له سواها لكفته وهي التي يقول فيها :

خذنا من صبا نجد أماناً لقلبه \* فقد كادَ رِيَّاهَا يطيرُ بِلَبِّهِ  
وإيا كما ذاك النسيمِ فإنه \* متى هبَّ كان الوجدُ يسرَّ خطبه  
خليبي ، لو أحببتنا لعلتنا \* محل الهوى من مغرم القلب صبه  
أندكرُ والذكري تشوقُ وذو الهوى \* يتوقُ ومن يعلّقُ به الحبُّ يُصْبِرُ  
غرامٌ على ياسِ الهوى ورجائه \* وشوقٌ على بُعدِ المزارِ وقربه  
وفي الركبِ مطويُّ الضلوعِ على جوى \* متى يدعُ داعي الغرامِ بِلَبِّهِ  
إذا خطرَت من جانبِ الرملِ نفعةٌ \* تضمنَ منها داوهُ دونَ صحبه

وحتجب بين السنة معرض \* وفي القلب من أعراضه مثل حجه  
أغار إذا آنتست في الحى أنة \* حذارا وخوفا أن تكون لجه  
توفى في رمضان منها عن سبع وتسعين سنة بدمشق .

ثم دخلت سنة ثمان عشر وخمسمائة

فيها ظهرت الباطنية بآمد فقاتلهم أهلها فقتلوا منهم سبعائة . وفيها ردت شحنة بغداد إلى  
سعد الدولة يرتقش الزكوى وسلم إليه منصور بن صدقة أخو ديبس ليسله إلى دار الخلافة ، وورد الخبر  
بأن ديبساً قد التجأ إلى طبرلبك وقد اتفقا على أخذ بغداد ، فأخذ الناس بالتأهب إلى قتالهما ، وأمر  
آقسنقر بالعود إلى الموصل ، فاستناب على البصرة عماد الدين زنكي بن آقسنقر . وفي ربيع الأول  
دخل الملك حسام تمرناش بن إيلغازى بن أرتق صاحب حلب ، وقد ملكها بعد ملكها بلك بن  
بهرام ، وكان قد حاصر قلعة منبج فجاءه سهم في حلقه فمات ، فاستناب تمرناش بحلب ، ثم عاد إلى  
ماردين فأخذت منه بعد ذلك ، أخذها آقسنقر مضافة إلى الموصل ، وفيها أرسل الخليفة القاضي أبا  
سعد الهروي ليخطب له ابنة السلطان سنجر ، وشرع الخليفة في بناء دار على حافة دجلة لأجل  
العروس . وحج بالناس جمال الدولة إقبال المسترشدى .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن علي بن برهان

أبو الفتح ، ويعرف بابن الحامى ، ثقة على أبي الوفاء بن عقيل ، وبرع في مذهب الامام أحمد ،  
ثم قم عليه أصحابه أشياء ، فحمله ذلك على الانتقال إلى مذهب الشافى ، فاشتغل على النزالى  
والشاشى ، وبرع وساد وشهد عند الزيبي قبله ، ودرس في النظامية شهراً . توفى في جمادى ودفن  
بباب إبرز .

عبدالله بن محمد بن جعفر

أبو على الدامغانى ، سمع الحديث وشهد عند أبيه وناب في الكرخ عن أخيه ، ثم ترك ذلك  
كله ، وولى حجابة باب النبوى ، ثم عزل ثم أعيد . توفى في جمادى .

أحمد بن محمد

ابن إبراهيم أبو الفضل الميدانى ، صاحب كتاب الأمثال ، ليس له مثله في بابه ، له شعر جيد ،  
توفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رمضان والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة

فيها قصد ديبس والسلطان طغرل بغداد ليأخذها من يد الخليفة ، فلما اقتربا منها برز إليهما  
الخليفة في جحفل عظيم ، والناس مشاة بين يديه إلى أول منزلة ، ثم ركب الناس بعد ذلك ، فلما  
أمست الليلة التي يقتلون في صبيحتها ، ومن عزمهم أن ينهبوا بغداد ، أرسل الله مطراً عظيماً ،

ومرض السلطان طغرل في تلك الليلة ، ففرقت تلك الجموع ورجعوا على أعقابهم خائبين خائفين ،  
 والتجأ ديبس وطغرل إلى الملك سنجر وسألاه الأمان من الخليفة ، والسلطان محمود ، فحبس ديبساً  
 في قلعة ووشى واش أن الخليفة يريد أن يستأثر بالملك ، وقد خرج من بغداد إلى اللان لمحاربة  
 الأعداء ، فوقع في نفس سنجر من ذلك وأضمر سوءاً ، مع أنه قد زوج ابنته من الخليفة . وفيها قتل  
 القاضي أبو سعد بن نصر بن منصور الهروي بهمدان ، قتله الباطنية ، وهو الذي أرسله الخليفة  
 إلى سنجر ليخطب ابنته . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفى فيها من الأعيان . **آسنقر البرشقي**

صاحب حلب ، قتله الباطنية - وهم الفداوية - في مقصورة جامعها يوم الجمعة ، وقد كان تركيا  
 جيد السيرة ، محافظاً على الصلوات في أوقاتها ، كثير البر والصدقات إلى الفقراء ، كثير الاحسان  
 إلى الرعايا ، وقام في الملك بعده ولده السلطان عز الدين مسعود ، وأقره السلطان محمود على عمله .

**بلال بن عبد الرحمن**

ابن شريح بن عمر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سليمان بن بلال بن رباح ، مؤذن رسول الله  
 (ص) ، رحل وجال في البلاد ، وكان شيخاً جهورى الصوت ، حسن القراءة ، طيب النعمة توفى في  
 هذه السنة بسمرقند رحمه الله .

**القاضي أبو سعد الهروي**

أحمد<sup>(١)</sup> بن نصر ، أحد مشاهير الفقهاء ، وسادة الكبراء ، قتله الباطنية بهمدان فيها .

ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة

فيها ترأس السلطان محمود والخليفة على السلطان سنجر ، وأن يكونا عليه ، فلما علم بذلك سنجر  
 كتب إلى ابن أخيه محمود ينهيه ويستميله إليه ، ويحذره من الخليفة ، وأنه لا تؤمن غائلته ، وأنه متى  
 فرغ مني دار إليك فأخذك ، فأصغى إلى قول عمه ورجع عن عزمه ، وأقبل ليدخل بغداد عامه ذلك ،  
 فكتب إليه الخليفة ينهيه عن ذلك لقلّة الاقوات بها ، فلم يقبل منه ، وأقبل إليه ، فلما أرف قدمه  
 خرج الخليفة من داره وتجهز إلى الجانب الغربي فشق عليه ذلك وعلى الناس ، ودخل عيد الأضحى  
 فخطب الخليفة الناس بنفسه خطبة عظيمة بليغة فصيحة جيداً ، وكبر وراءه خطباء الجوامع ، وكان  
 يوماً مشهوداً . وقد سردها ابن الجوزي بطولها ورواها عن من حضرها ، مع قاضي القضاة الزينبي ،  
 وجماعة من المدول ، ولما نزل الخليفة عن المنبر ذبح البدنة بيسده ، ودخل السرادق وتباكى الناس  
 ودعوا للخليفة بالتوفيق والنصر ، ثم دخل السلطان محمود إلى بغداد يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي

(١) كذا . وفي ابن الأثير محمد بن نصر .

الحجة ، قتلوا في بيوت الناس وحصل للناس منهم أذى كثير في حريمهم ، ثم إن السلطان راسل الخليفة في الصلح فأبى ذلك الخليفة ، وركب في جيشه وقاتل الأتراك ومعه شردمة قليلة من المقاتلة ، ولكن العامة كلهم معه ، وقتل من الأتراك خلقا ، ثم جاء عماد الدين زنكي في جيش كثيف من واسط في سفن إلى السلطان نجدة ، فلما استشعر الخليفة ذلك دعا إلى الصلح ، فوقع الصلح بين السلطان والخليفة ، وأخذ الملك يستبشر بذلك جنبا ، ويمتنز إلى الخليفة مما وقع ، ثم خرج في أول السنة الآتية إلى همدان لمرض حصل له . وفيها كان أول مجلس تكلم فيه ابن الجوزي على المنبر يعظ الناس ، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، وحضره الشيخ أبو القاسم علي بن يعلى العلوي البلخي ، وكان نسيبا ، علمه كلمات ثم أصعده المنبر فقلها ، وكان يوما مشهودا . قال ابن الجوزي : وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفا ، والله أعلم . وفيها اقتتل طفتكين صاحب دمشق وأعداؤه من الفرنج قتل منهم خلقا كثيرا ، وغنم منهم أموالا جزيلة والله الحمد والمنة

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن محمد

أبو الفتح الطوسي الغزالي ، أخو أبي حامد الغزالي ، كان واعظا مفوها ، ، ذا حظ من الكلام والزهد وحسن التاني ، وله نكت جيدة ، ووعظ مرة في دار الملك محمود فأطلق له ألف دينار ، وخرج فاذا على الباب فرس الوزير بسرجهما الذهب ، وسلاحها وما عليها من الحلي ، فركبها ، فبلغ ذلك الوزير فقال : دعوه ولا يرد على الفرس ، فأخذها الغزالي ، وسمع مرة ناعورة تثنى فألقى عليها رداءه فتمزق قطعاً قطعاً . قال ابن الجوزي : وقد كانت له نكت إلا أن الغالب على كلامه التخليط والأحاديث الموضوعية المصنوعة ، والحكايات الفارغة ، والمعاني الفاسدة ، ثم أورد ابن الجوزي أشياء منكورة من كلامه فأنه أعلم ، من ذلك أنه كان كلما أشكل عليه شيء رأى رسول الله (س) في اليقظة فسأله عن ذلك فدل على الصواب ، وكان يتعصب إلى بليس ويمتنزله ، وتكلم فيه ابن الجوزي بكلام طويل كثير . قال ونسب إلى محبة المردان والقول بالمشاهدة فأنه أعلم بصحة ذلك . قال ابن خلدون : كان واعظا مليح الوعظ حسن المنظر صاحب كرامات وإشارات ، وكان من الفقهاء ، غير أنه مال إلى الوعظ فغلب عليه ودرس بالنظامية نيابة عن أخيه لما تزهد ، واختصر إحياء علوم الدين في مجلد سماه « لباب الاحياء » وله الذخيرة في علم البصيرة ، وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه ، وكان مائلا إلى الانقطاع والعزلة والله أعلم بحاله .

أحمد بن علي

ابن محمد الوكيل ، المعروف بابن برهان ، أبو الفتح الفقيه الشافعي ، تفقه على الغزالي وعلى الكيا الهراسي ، وعلى الشاشي ، وكان بارعا في الأصول ، وله كتاب الذخيرة في أصول الفقه ، وكان يعرف

فنونا جيدة ، بعينها . وولى تدريس النظامية ببغداد دون شهر  
بهرام بن بهرام

أبو شجاع البيوع ، مرمع الحديث وبنى مدرسة لأصحاب أحمد بكراوى ، ووقف قطعة من  
أملكه على الفقهاء بها .

### صاعد بن سيار

ابن محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو الأعلا الاسحاقى المرولى الحافظ ، أحد المتقنين ، مرمع الحديث  
ونوفى بمتورج قرية على باب هراة .

### ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والخليفة والسلطان محمود متحاربان والخليفة فى السرادق فى الجانب الغربى ،  
فلما كان يوم الأربعاء رابع المحرم توصل جماعة من جنود السلطان إلى دار الخلافة فحصل فيها ألف  
مقاتل عليهم السلاح ، فنهبوا الأموال ، وخرج الجوارى وهن حاسرات يستغثن حتى دخلن دار  
الختون . قال ابن الجوزى : وأنا رأيتهن كذلك ، فلما وقع ذلك ركب الخليفة فى جيشه وجىء  
بالسفن وانقلبت بغداد بالصراخ حتى كأن الدنيا قدزلت ، ونارت العامة مع جيش الخليفة فكسروا  
جيش السلطان وقتلوا خلقا من الأمراء ، وأسروا آخرين ونهبوا دار السلطان ودار وزيره ودار  
طبيبه أبى البركات ، وأخذوا ما كان فى داره من الودائع ، ومرت خبطة عظيمة جدا ، حتى أنهم نهبوا  
الصوفية ، برباط نهر جور ، وجرت أمور طويلة ، ونالت العامة من السلطان ، وجملوا يقولون له  
يا باطنى تترك الفرنج والروم وتقاتل الخليفة ، ثم إن الخليفة انتقل إلى داره فى سابع المحرم ، فلما كان  
فى يوم عاشوراء تماثل الحال وطلب السلطان من الخليفة الأمان والصلح ، فلان الخليفة إلى ذلك ،  
وتباشر الناس بالصلح ، فأرسل إليه الخليفة نقيب النقباء وقاضى القضاة ، وشيخ الشيوخ وبضما  
وثلاثين شاهداً ، فاحتبسهم السلطان عنده ستة أيام فساء ذلك الناس ، وخافوا من فتنة أخرى  
أشد من الأولى ، وكان برنقش الزكوى شحنة بغداد يفرى السلطان بأهل بغداد لينهب أموالهم ،  
فلم يقبل منه ، ثم أدخل لأولئك الجماعة فأدخلوا عليه وقت المغرب فصلى بهم القاضى وقرأوا عليه  
كتاب الخليفة ، فقام قائما ، وأجاب الخليفة إلى جميع ما اقترح عليه ، ووقع الصلح والتخليف ،  
ودخل جيش السلطان وهم فى غاية الجهد من قلة الطعام عندهم فى المسكر ، وقالوا : لو لم يصالح لمتناجوعا ،  
وظهر من السلطان حلم كثير عن العوام ، وأمر الخليفة برد ما نهب من دور الجند ، وأن من كتم شيئا  
أبيح دمه . وبمث الخليفة على بن طراد الزينبى النقيب إلى السلطان سنجر ليمعد عن بابه ديبسا ،  
وأرسل معه الخلع والاكرام ، فأكرم سنجر رسول الخليفة ، وأمر بضرب الطبول على بابه فى ثلاثة

أوقات ، وظهر منه طاعة كثيرة ، ثم مرض السلطان محمود ببغداد فأمره الطبيب بالانتقال عنها إلى همدان ، فسار في ربيع الآخر فوضع شحنة بغداد إلى عماد الدين زنكي ، فلما وصل السلطان إلى همدان نمت على شحنة بغداد مجاهد الدين بهروز ، وجعل إليه الخلة وبعث عماد الدين زنكي إلى الموصل وأعمالها . وفيها درس الحسن بن سليمان بالنظامية ببغداد . وفيها ورد أبو الفتح الاسفرايني فوعظ ببغداد ، فأورد أحاديث كثيرة منكرة جدا ، فاستتيب منها وأمر بالانتقال منها إلى غيرها فشد معه جماعة من الأكابر وردوه إلى ما كان عليه ، فوقع بسببه فتن كثيرة بين الناس ، حتى رجمه بعض العامة بالأسواق ، وذلك لأنه كان يطلق عبارات لا يحتاج إلى إيرادها ، فنفرت منه قلوب العامة وأبغضوه ، وجلس الشيخ عبد القادر الجيلي فتكلم على الناس فأعجبهم ، وأحبوه وتركوا ذلك . وفيها قتل السلطان سنجر من الباطنية اثنا عشر ألفا . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفي فيها من الأعيان محمد بن عبد الملك

ابن إبراهيم بن أحمد ، أبو الحسن بن أبي الفضل الهمداني الفرضي ، صاحب التاريخ من بيت الحديث . وذكر ابن الجوزي عن شيخه عبد الوهاب أنه طعن فيه . توفي فجأة في شوال ، ودفن إلى جانب ابن شريح .

فاطمة بنت الحسين بن الحسن ابن فضلويه

صعدت الخطيب وابن المسلمة وغيرها ، وكانت واعظة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات ، وقد جمع عليها ابن الجوزي مسند الشافعي وغيره .

أبو محمد عبد الله بن محمد

ابن السيد البطليوسى ، ثم التنيسى صاحب المصنفات في اللغة وغيرها ، جمع المثلث في مجلدين ، وزاد فيه على قطرب شيئا كثيرا جدا ، وله شرح سقط الزند لأبي العلاء ، أحسن من شرح المصنف وله شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ، ومن شعره الذى أورده له ابن خلكان .

أخو العلم حتى خالده بعد موته \* وأوصاله تحت التراب رميم  
وذو الجبل ميت وهو ماش على الثرى \* يظن من الأحياء وهو عديم

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

في أولها قدم رسول سنجر إلى الخليفة يسأل منه أن يخطب له على منابر بغداد ، وكان يخطب له في كل جمعة بجامع النصور . وفيها مات ابن صدقة وزير الخليفة ، وجعل مكانه نقيب النقباء . وفيها اجتمع السلطان محمود بعمه سنجر واصطلحا بعد خشونة ، وسلم سنجر ديبسا إلى السلطان محمود على أن يسترضى عنه الخليفة ويعزل زنكي عن الموصل ، ويسلم ذلك إلى ديبس ، واشتهر في ربيع الأول

ببغداد أن دببسا أقبل إلى بغداد في جيش كئيف ، فكتب الخليفة إلى السلطان محمود : لئن لم تكف دببسا عن القدوم إلى بغداد وإلا خرجنا إليه ونقضنا ما بيننا وبينك من العهد والصلح . وفيها ملك الأتابك زنبكي بن آقسنقر مدينة حلب وما حولها من البلاد . وفيها ملك تاج الملوك بوري بن طفتكين مدينة دمشق بعد وفاة أبيه ، وقد كان أبوه من مماليك ألب أرسلان ، وكان عاقلاً حازماً عادلاً خيراً ، كثير الجهاد في الفرنج رحمه الله . وفيها عمل ببغداد مصلى للعيد ظاهر باب الحلية ، وحوط عليه ، وجعل فيه قبلة . وحج بالناس قطز الخادم المتقدم ذكره .

ومن توفي فيها من الأعيان . الحسين بن علي بن صدقه أبو علي وزير الخليفة المسترشد ، توفي في رجب منها . ومن شعره الذي أورده ابن الجوزي وقد بالغ في مدح الخليفة فيه وأخطأ :

وجدت أوري كالماء طعماً ورقة \* وأن أمير المؤمنين زلاله  
وصورت معنى العقل شخصاً صوراً \* وأن أمير المؤمنين مثاله  
فلولا مكان الشرع والدين والتقى \* لقلت من الاعظام جل جلاله

الحسين بن علي

ابن أبي القاسم اللامتنى ، من أهل سمرقند ، روى الحديث وفقه ، وكان يضرب به المثل في المناظرة ، وكان خيراً ديناً على طريقة السلف ، مطرحاً للتكلف أماراً بالمروف ، قدم من عند الخاقان ملك ما وراء النهر في رسالة إلى دار الخلافة ، فقيل له ألا تصحح عامك هذا ؟ فقال : لأجعل الحج تبعاً لرسالتهم ، فعاد إلى بلده فمات في رمضان من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة رحمه الله .

طفتكين الأتابك

صاحب دمشق التركي ، أحد غلمان تنش ، كان من خيار الملوك وأعد لهم وأكثرهم جهاداً للفرنج ، وقام من بعده ولده تاج الملوك بوري .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

في المحرم منها دخل السلطان محمود إلى بغداد ، واجتهد في إرضاء الخليفة عن دببسا ، وأن يسلم إليه بلاد الموصل ، فامتنع الخليفة من ذلك وأبى أشد الأباه ، هذا وقد تأخر دببسا عن الدخول إلى بغداد ، ثم دخلها وركب بين الناس فلعنوه وشتوه في وجهه ، وقدم عماد الدين زنبكي فبذل للسلطان في كل سنة مائة ألف دينار ، وهدايا وتممناً ، وانتمز للخليفة بمثلها على أن لا يولى دببسا شيئاً وعلى أن يستمر زنبكي على عمله بالموصل ، فأقره على ذلك وخلع عليه ، ورجع إلى عمله فلك حلب وحماه ، وأسر صاحبها سونج بن تاج الملوك ، فافتدى نفسه بخمسين ألف دينار . وفي يوم الاثنين

سلخ ربيع الآخر خلع السلطان على نقيب النقباء استقلالاً ، ولا يعرف أحد من العباسيين بأشر  
الوزراء غيره . وفي رمضان منها جاء دبب في جيش إلى الحلة فلحقها ودخلها في أصحابه ، وكانوا  
ثلاثمائة فارس ، ثم إنه شرع في جمع الأموال وأخذ الغلات من القرى حتى حصل نحواً من خمسمائة  
ألف دينار ، واستخدم قريباً من عشرة آلاف مقاتل ، وتفاقم الحال بأمره ، وبعث إلى الخليفة  
يسترضيه فلم يرض عليه ، وعرض عليه أموالاً فلم يقبلها ، وبعث إليه السلطان جيشاً فانهزم إلى البرية  
ثم أغار على البصرة فأخذ منها حواصل السلطان والخليفة ، ثم دخل البرية فأنقطع خبره . وفي هذه  
السنة قتل صاحب دمشق من الباطنية ستة آلاف ، وعلق رؤس كبارهم على باب القلعة ، وأراح الله  
الشام منهم . وفيها حاصرت الفرنج مدينة دمشق فخرج إليهم أهلها ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، وبعث  
أهل دمشق عبد الله الواعظ ومعه جماعة من التجار يستغيثون بالخليفة ، وهموا بكسر منبر الجامع ،  
حتى وعدم بأنه سيكتب إلى السلطان ليعمهم جيشاً يقاتلون الفرنج ، فسكنت الأمور ، فلم يبعث  
لهم جيشاً حتى نصرهم الله من عنده ، فان المسلمين هزموهم وقتلوا منهم عشرة آلاف ، ولم يفلت منهم  
سوى أربعين نفساً والله الحمد والمنة . وقتل بيمند الفرنجي صاحب إنطاكية . وفيها نجبت الناس في  
الحج حتى ضاق الوقت بسبب فتنة دبب ، حتى حج بهم برقةش الزكوى ، وكان اسمه بغاجق .

ومن توفي فيها من الأعيان . أسعد بن أبي نصر

المبني أبو الفتح ، أحد أئمة الشافعية في زمانه ، تفقه على أبي المظفر السمعاني ، وساد أهل زمانه  
وبرع وتفرد من بين أقرانه ، وولى تدريس النظامية ببغداد ، وحصل له وجاهة عند الخلفاء والعام  
وعلى عنه تعليقة في الخلاف . ثم عزل عن النظامية فسار إلى همدان فأت بها في هذه السنة رحمه الله  
تعالى . ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة

فيها كانت زلزلة عظيمة بالعراق تهدم بسببها دور كثيرة ببغداد . ووقع بأرض الموصل مطر  
عظيم فسقط بعضه فإرا تاجع فأحرقت دوراً كثيرة ، وخلقا من ذلك المطر ونهارب الناس .  
وفيها وجد ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان ، يخاف الناس منها خوفاً شديداً . وفيها ملك السلطان  
سنجر مدينة صمرقند وكان بها محمد بن خاقان . وفيها ملك عماد الدين زنكي بلاداً كثيرة من الجزيرة  
وهامع الفرنج ، وجرت معهم حروب طويلة ، نصر عليهم في تلك المواقف كلها والله الحمد . وقتل  
خلقا من جيش الروم حين قدموا الشام ، ومدحه الشعراء على ذلك ،

قتل خليفة مصر

وفي ثاني ذي القعدة قتل الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله بن المستمل صاحب مصر ، قتله  
الباطنية وله من العمر أربع وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته تسماً وعشرين سنة وخمسة أشهر



ونصفا ، وكان هو العاشر من ولد عبيد الله المهدي ؛ ولما قتل تغلب على الديار المصرية غلام من غلمانه  
أرمنى فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام حتى حضر أبو علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي فأقام  
الخليفة الحافظ أبا الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر ؛ وله من العمر ثمان وخمسون  
سنة ، ولما أقامه استحوذ على الأمور دونه وحصره في مجلسه ، لا يدع أحدا يدخل إليه إلا من يريد  
هو ، ونقل الأموال من القصر إلى داره ، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط .

ومن توفى فيها من الأعيان إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد

أبو إسحاق السكابي من أهل غزة ، جاوز الثمانين ، وله شعر جيد في الأترك . فنه :

في فتية من جيوش الترك ما تركت \* للرعدي كراتهم صوتاً ولا صيتاً

قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة \* حسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتاً

وله ليت الذي بالعشق دونك خصني \* يا ظالمى قسم الحجة بيننا

ألقى الهزبر فلا أخاف وثوبه \* وپرو عني نظير الغزال إذا دنا

وله إنما هذه الحياة متاع \* والسفينة الغوى من يصطفينا

ما مضى فات والمؤمل غيب \* ولك الساعة التي أنت فيها

وله أيضاً : فالواهجرت الشعر قلت ضرورة \* باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم ينجي \* منه النوال ولا مليم يعشق

ومن العجائب أنه لا يشتري \* ويخاف فيه مع الكساد ويسرق

كانت وفاته في هذه السنة ببلاد بلخ ودفن بها . وما أنشده ابن خلكان له :

إشارة منك تكفيننا وأحسن ما \* رد السلام غداة البين بالنعيم

حتى إذا طاح عنها المرط من دهش \* وانحل بالضم سلك المقدي الظلم

تبسمت فأضاء الليل فالتقطت \* حبات منتثر في ضوء منتظم

الحسين بن محمد

ابن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن  
وهب اللدباس أبو عبد الله الشاعر المعروف بالبارع ، قرأ القراءات وسمع الحديث ، وكان عارفاً بالنحو  
واللغة والأدب ، وله شعر حسن ، توفى في هذه السنة وقد جاوز الثمانين .

محمد بن سعدون بن مرجا

أبو عامر العبدي القرشي الحافظ ، أصله من بلاد المغرب وبغداد ، وسمع بها على  
طراد الزينبي والحميدي وغير واحد ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، وكان يذهب في الفروع مذهب

الظاهرية . توفى في ربيع الآخر في بغداد .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة

فيها ضل ديبس عن الطريق في البرية فأسره بعض أمراء الأعراب بأرض الشام ، وحمله إلى ملك دمشق بوري بن طفتكين ، فباعه من زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل بخمسين ألف دينار فلما حصل في يده لم يشك أنه سيهلكه ، لما بينهما من العداوة ، فأكرمه زنكي وأعطاه أموالاً جزيلة وقدمه واحترمه ، ثم جاءت رسل الخليفة في طلبه فبعثه معهم ، فلما وصل إلى الموصل حبس في قلعتها . وفيها وقع بين الأخوين محمود ومسعود ، فتواجهتا للقتال ثم اصطالحا وفيها كانت وفاة الملك محمود بن ملكشاه فأقيم في الملك مكانه ابنه داود ، وجعل له إتابك وزر أيبه وخطب له بأكثر البلاد .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن عبد القاهر الصوفي

سمع الحديث وتفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكان شيخاً لطيفاً ، عليه نور العبادة والعلم قال ابن الجوزي أنشدني :

على كل حال فاجعل الحزمَ عدةً \* تقدمها بينَ النوائبِ والدهرِ  
فإن نلتَ خيراً نلتَهُ بعزيمةٍ \* وإن قصرتَ عنكَ الامورِ فغنِ عذرِ

قال وأنشدني أيضاً :

ابستُ نوبَ الرجاءِ والناسُ قدرِقدوا \* وقتُ أشكو إلى مولاي ما أجدُ  
وقلتُ يا عدتي في كلِ نائبةٍ \* ومنّ عليه لكشفِ الضرِّ أعتدُ  
وقد مددتُ يدي والضرُّ مشتملٌ \* إليك يا خيرُ من مدتُ إليه يدِ  
فلا تردنها ياربُّ خائبةً \* فبحرُ جودكُ يروي كلَّ من يردِ

الحسن بن سليمان

ابن عبد الله بن عبد الغني أبو علي الفقيه مدرس النظامية ، وقد وعظ بجامع القصر ، وكان يقول ما في الفقه منتهى ، ولا في الوعظ مبتدئ . توفى فيها وغسله القاضي أبو العباس بن الرطبي ، ودفن عند أبي إسحاق . حماد بن مسلم

الرجبي الدباس ، كان يذكر له أحوال ومكاشفات وإطلاوع على مغيبات ، وغير ذلك من المقامات ، ورأيت ابن الجوزي يتكلم فيه ويقول : كان عرياً من العلوم الشرعية ، وإنما كان ينفق على الجهال وذكر عن ابن عقيل أنه كان ينفر منه ، وكان حماد الدباس يقول : ابن عقيل عدوي . قال ابن الجوزي : وكان الناس يندرون له فيقبل ذلك ، ثم ترك ذلك وصار يأخذ من المنامات وينفق على أصحابه . توفى في رمضان ودفن بالشونيزية .

## ٢٠٣ علي بن المستظهر بالله

أخو الخليفة المسترشد ، توفي في رجب منها وله من العمر إحدى وعشرون سنة ، قترك ضرب الطبول وجلس الناس لل عزاء أياماً . محمد بن أحمد

ابن أبي الفضل الماهاني ، أحد أئمة الشافعية ، ثقة بامام الحرمين وغيره ، ورحل في طلب الحديث ، ودرس وأفتى وناظر . توفي فيها وقد جاوز التسعين ، ودفن بقرية ماهان من بلاد مرو ، محمود السلطان بن السلطان ملكشاه

كان من خيار الملوك ، فيه حلم وإناة وصلابة ، وجلسوا لل عزاء به ثلاثة أيام ساءحه الله .

## هبة الله بن محمد

ابن عبد الواحد بن العباس بن الحصين ، أبو القاسم الشيباني ، راوى المسند عن علي بن المهذب عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ، وقد سمع قديماً لأنه ولد سنة ثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وباكر به أبوه فأسمعه ، ومعه أخوه عبد الواحد ، على جماعة من علية المشايخ ، وقدرى عنه ابن الجوزى وغير واحد ، وكان ثقة ثبنا صحيح السماع ، توفي بين الظهر والعصر يوم الأربعاء منها وله ثلاث وتسعون سنة ، رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

## ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة

فيها قدم مسعود بن محمد بن ملكشاه بغداد وقدمها قراجا الساقى ، وسلجوق شاه بن محمد ، وكل منهما يطلب الملك لنفسه ، وقدم عماد الدين زنكى لينضم إليهما فقتلاه الساقى فهزمه فهرب منه إلى تكريت ، فقدمه نائب قلعها نجم الدين أبوب والى الملك صلاح الدين يوسف ، فأخ بيت المقدس كما سيأتى إن شاء الله ، حتى عاد إلى بلاده ، وكان هذا هو السبب فى مصير نجم الدين أبوب إليه ، وهو بحلب ، فقدم عنده ثم كان من الأمور ما سيأتى إن شاء الله تعالى . ثم إن الملكين مسعود وسلجوق شاه اجتمعا فاصطلحا وركبا إلى الملك سنجر فاقنتلا معه ، وكان جيشه مائة وستين ألفاً وكان جيشهما قريباً من ثلاثين ألفاً ، وكان جملة من قتل بينهما أربعين ألفاً ، وأسر جيش سنجر قراجا الساقى فقتله صبراً بين يديه ، ثم أجلس طغرل بن محمد على سرير الملك ، وخطب له على المنابر ، ورجع سنجر إلى بلاده ، وكتب طغرل إلى ديبس وزنكى ليذهبا إلى بغداد ليأخذاها ، فأقبلا فى جيش كثيف فبرز إليهما الخليفة فهزماه ، وقتل خلقاً من أصحابهما ، وأزاح الله شرهما عنه والله الحمد . وفيها قتل أبو على بن الفضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ الفاطمى ، فنقل الحافظ الأموال التى كان أخذها إلى داره واستوزر بعده أبا الفتح ، يانس الحافظى ، ولقبه أمير الجيوش ، ثم احتال فقتله واستوزر ولده حسنا وخطب له بولاية العهد . وفيها عزل المسترشد وزيره على بن طراد الزينبى

واستوزر أنوشروان بن خالد بعد تمنع . وفيها ملك دمشق شمس الملوك إسماعيل بن بوري بن طفتكين بعد وفاة أبيه ، واستوزر يوسف بن فيروز ، وكان خيرا ، ملك بلادا كثيرة ، وأطاعه إخوته ومن توفى فيها من الأعيان . أحمد بن عبيد الله .

ابن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن غثنة بن يزيد السلي ، ويعرف بابن كادش الكبير ، أبو العز البغدادي ، سمع الحديث الكثير ، وكان يفهمه ويرويه وهو آخر من روى عن الماوردي ، وقد أثنى عليه غير واحد ، منهم أبو محمد بن الخشاب ، وكان محمد بن ناصر يتهمه ويرميه بأنه اعترف بوضع حديث فأنه أعلم . وقال عبد الوهاب الأنماطي كان مخطئا ، توفى في جمادى الأولى منها . محمد بن محمد بن الحسين

ابن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحنبلي ، ولد في شعبان سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، سمع أباه وغيره ، وتفقه وناظر وأفتى ودرس ، وكان له بيت فيه مال فعدى عليه من الليل فقتل وأخذ ماله ، ثم أظهر الله عز وجل على قاتله فقتلوه .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة

في صفر منها دخل السلطان مسعود إلى بغداد فخطب له بها وخلع عليه الخليفة وولاه السلطنة ونثر الدنانير والدرهم على الناس ، وخلع على السلطان داود بن محمود . وفيها جمع ديبس جمعا كثيرا بواسطة فأرسل إليه السلطان جيشا فكسروه وفرقوا شمله ، ثم إن الخليفة عزم على الخروج إلى الموصل ليأخذها من زنكي ، فعرض عليه زنكي من الأموال والتحف شيئا كثيرا ليرجع عنه فلم يقبل ، ثم بلغه أن السلطان مسعود قد اصطلع مع ديبس وخلع عليه ، فكر راجعا سريعا إلى بغداد سالما معظما . وفيها مات ابن الزاغوني أحد أئمة الحنابلة ، فطلب حلقة ابن الجوزي ، وكان شابا ، فحصلت لغيره ، ولكن أذن له الوزير أنوشروان في الوعظ ، فتكلم في هذه السنة على الناس في أماكن متعددة من بغداد ، وكثرت مجالسه وازدحم عليه الناس . وفيها ملك شمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق مدينة حماه ، وكانت بيد زنكي . وفي ذي الحجة نهب التركمان مدينة طرابلس وخرج إليهم القومص لئنه الله الفرنجى فهزموه وقتلوا خاقا من أصحابه ، وحاصروه فيها مدة طويلة ، حتى طال الحصار ، فانصرفوا . وفيها تولى قاسم بن أبي فليته مكة بعد أبيه . وفيها قتل شمس الملوك أخاه سونج ، وفيها اشترى الباطنية قلعة حصن القدموس بالشام فسكنوها وحاربوا من جاورهم من المسلمين والفرنج . وفيها اقتتل الفرنج فيما بينهم قتالا شديدا فمحق الله بسبب ذلك خلقا كثيرا ، وغزاهم فيها عماد الدين زنكي فقتل منهم ألف قتيل ، وغنم أموالا جزيلة ، ويقال لها غزوة أسوار . وحج بالناس فيها قطز الخادم وكذا في التي بعدها وقبلها .

أحمد بن سلامه

وتوفي فيها من الاعيان

ابن عبد الله بن مخلد بن إبراهيم ، أبو العباس بن الرطبي ، تفقه على أبي إسحاق وابن الصباغ ببغداد ، وبأصبهان على محمد بن ثابت الخجندی ، ثم تولى الحكم ببغداد بالحريم والحسبة ببغداد ، وكان يؤدب أولاد الخليفة ، توفي في رجب منها ودفن عند أبي إسحاق .

أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل

أبو الفضل الميهني مجد الدين أحد أئمة الشافعية ، وصاحب الخلاف والمطروقة ، وقد درس بالنظامية في سنة سبع عشرة وخمسمائة إلى سنة ثلاث وعشرين فعزل عنها ، واستمر أصحابه هنالك وقد تقدم في سنة سبع عشرة أنه وليها ، وأنه توفي في سنة ثلاث وعشرين . وقال ابن خلكان : توفي سنة سبع وعشرين .

ابن الزاغوني الحنبلي

علي بن عبد الله بن نصر بن السري الزاغوني ، الامام المشهور ، قرأ القراءات وسمع الحديث واشتغل بالفقه والنحو واللغة ، وله المصنفات الكثيرة في الأصول والفروع ، وله يد في الوعظ ، واجتمع الناس في جنازته ، وكانت حافلة جدا .

الحسن بن محمد

ابن إبراهيم البورباري ، من قراء أصبهان ، سمع الحديث ورحل وخرج ، وله تاريخ ، وكان يكتب حسناً ويقرأ فصيحاً ، توفي بأصبهان في هذه السنة .

علي بن يعلي

ابن عوض ، أبو القاسم الملوى الهروي ، سمع مسند أحمد من أبي الحسين ، والترمذي من أبي عامر الأزدي ، وكان يعظ الناس بنيسابور ، ثم قدم بغداد فوعظ بها ، فحصل له القبول التام ، وجمع أموالا وكتبا . قال ابن الجوزي : وهو أول من سلكني في الوعظ ، وتكلمت بين يديه وأنا صغير ، وتكلمت عند انصرافه .

محمد بن أحمد

ابن يحيى أبو عبد الله العماني الديباجي ، وكان ببغداد يعرف بالقدس ، كان أشعري الاعتقاد ووعظ الناس ببغداد ، قال ابن الجوزي : سمعته ينشد في مجلسه قوله :

دع دموعي يحق لي أن أنوحا \* لم تدع لي الذنوب قلباً صحيحاً  
أخلفت مهجتي أكف المعاصي \* ونعاني المشيب نعيّاً فصيحاً  
كلا قلت قد برا جرح قلبي \* عاد قلبي من الذنوب جريحاً  
إنما الفوز والنعيم لعبيد \* جاء في الحشر آمنأ مستريحاً

## محمد بن محمد

ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف بن حازم بن أبي يعلى بن الفراء ، الفقيه ابن الفقيه ،  
ولدمنة سبع وخمسين وأربعمائة ، سمع الحديث وكان من الفقهاء الزاهدين الأخيار ، توفي في صفر  
منها . أبو محمد عبد الجبار

ابن أبي بكر محمد بن حمديس الأزدي الصقلي الشاعر المشهور ، أنشده ابن خلكان أشعاراً  
رائقة فمنها قوله :

قم هاتما من كف ذات الوشاح \* فقد نعى الليلُ بشيرَ الصباحِ  
باكر إلى اللذاتِ واركب لها \* سوابقَ اللهبِ ذواتِ المراحِ  
من قبل أن ترشفت شمسُ الضحا \* ريقُ النوادي من لغورِ الافاحِ

ومن جملة معانيه النادرة

زادت على كحل الجفون تكحلاً \* وتسم فصل السهم وهو قتولُ  
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسة مائة

فيها اصطلع الخليفة وزنكي . وفيها فتح زنكي قلاعاً كثيرة ، وقتل خلقاً من الفرنج . وفيها  
فتح شمس الملوك الشقيف تيروت ، ونهب بلاد الفرنج . وفيها قدم سلاجوق شاه بغداد فنزل بدار  
الملكة وأكرمه الخليفة وأرسل إليه عشرة آلاف دينار ، ثم قدم السلطان مسعود وأكثر أصحابه  
ركب على الجمال لقلعة الخليل . وفيها تولى إمرة بنى عقيل أولاد سليمان بن مهارش العقيلي ، إكراماً  
لجدهم . وفيها أعيد ابن طراد إلى الوزارة ، وفيها خلع على إقبال المسترشدى خلع الملوك ، ولقب  
ملك العرب سيف الدولة ، ثم ركب في الخلع وحضر الديوان . وفيها قوى أمر الملك طغرل وضعف  
أمر الملك مسعود .

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن علي بن إبراهيم

أبو الوفا الفيروز ابادي ، أحد مشايخ الصوفية ، يسكن رباط الزوزني ، وكان كلامه يستحلى ،  
وكان يحفظ من أخبار الصوفية وسيرهم وأشعارهم شيئاً كثيراً .

## أبو علي الفارقي

الحسن بن إبراهيم بن مرهون أبو علي الفارقي ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وتفقه بها على  
أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني صاحب المحاملي ، ثم على الشيخ أبي إسحاق وابن الصباغ ،  
وسمع الحديث وكان يكرر على المهذب والشامل ، ثم ولي القضاء بواسط ، وكان حسن السيرة جيد  
السريرة ، متمماً بعقله وحواسه ، إلى أن توفي في محرم هذه السنة عن ست وسبعين سنة .

## عبد الله بن محمد

ابن أحمد بن الحسن ، أبو محمد بن أبي بكر الشاشي ، سمع الحديث وتفق على أبيه ، وفاخر وأفتى وكان فاضلاً واعظاً فصيحاً مفوهاً ، شكره ابن الجوزي في وعظه وحسن نظمه ونثره ، ولفظه ، توفي في المحرم وقد قارب الخمسين ، ودفن عند أبيه .

## محمد بن أحمد

ابن علي بن أبي بكر العطار ، ويعرف بابن الحلاج البغدادي ، سمع الحديث وقرأ القراءات ، وكان خيراً زاهداً عابداً ، يتبرك بدعائه ويزار .

## محمد بن عبد الواحد الشافعي

أبورشيد ، من أهل آمل طبرستان ، ولد سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، وحج وأقام بمكة ، وسمع من الحديث شيئاً يسيراً ، وكان زاهداً منقطعاً عن الناس مشتغلاً بنفسه ، ركب مرة مع تجار في البحر فأوفوا على جزيرة . فقال : دعوني في هذه أعبد الله تعالى ، فما نموه فأبى إلا المقام بها . فتركوه وساروا فرددتهم الريح إليه فقالوا : إنه لا يمكن المسير إلا بك ، وإذا أردت المقام بها فارجع إليها ، فسار معهم ثم رجع إليها فأقام بها مدة ثم ترحل عنها ثم رجع إلى بلده آمل فمات بها رحمه الله ، ويقال إنه كان يقتات في تلك الجزيرة بأشياء موجودة فيها ، وكان بها ثعبان يبتلع الألسان ، وبها عين ماء يشرب منها ويتوضأ منها ، وقبره مشهور بأمل يزار .

## أم خليفه

المستشهد توفيت ليلة الاثنين بعد العتمة تاسع عشر شوال منها والله سبحانه أعلم .

## ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة

فيها كانت وفاة المسترشد وولاية الراشد ، وكان سبب ذلك أنه كان بين السلطان مسعود وبين الخليفة واقع كبير ، اقتضى الحال أن الخليفة أراد قطع الخطبة له من بغداد فاتفق موت أخيه طغرل بن محمد بن ملكشاه ، فسار إلى البلاد فملكها ، وقوى جأشه ، ثم شرع يجمع العساكر ليأخذ بغداد من الخليفة ، فلما علم الخليفة بذلك انزعج واستعد لذلك ، وفتز جماعة من رؤس الأمراء إلى الخليفة خوفاً على أنفسهم من سطوة الملك محمود ، وركب الخليفة من بغداد في جحافل كثيرة ، فيهم القضاة ورؤس الدولة من جميع الأصناف ، فمشوا بين يديه أول منزلة حتى وصل إلى السراوق ، وبعث بين يديه مقدمة وأرسل الملك مسعود مقدمة عليهم ديبس بن صدقة بن منصور ، فجرت خطوب كثيرة ، وحاصل الأمر أن الجيشين التقيا في عاشر رمضان يوم الاثنين فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ولم يقتل من الصنفين سوى خمسة أنفس ، ثم حمل الخليفة على جيش مسعود فهزمهم ، ثم تراجعوا فحملوا على جيش الخليفة فهزمهم

وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا الخليفة ، ثم نهبت أموالهم وحواصلهم ، من جملة ذلك أربعة آلاف  
 ألف دينار، وغير ذلك من الأثاث والخلع والآنية والتماش ، فانا لله وانا إليه راجعون . وطار الخبر  
 في الأقاليم بذلك ، وحين بلغ الخبر إلى بغداد انزعج الناس لذلك ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، صورة  
 ومعنى ، وجاءت العامة إلى المنابر فكسروها وامتنعوا من حضور الجماعات ، وخرج النساء في البلد  
 حاسرات ينحن على الخليفة ، وما جرى عليه من الأسر ، وتأسى بأهل بغداد في ذلك خلق كثير  
 من أهل البلاد ، وتمت فتنة كبيرة وانتشرت في الأقاليم ، واستمر الحال على ذلك شهر ذى القعدة  
 والشناعة في الأقاليم منتشرة ، فكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه بجنده غب ذلك عاقبة ما وقع  
 فيه من الأمر العظيم ، ويأمره أن يعيد الخليفة إلى مكانه ودار خلافته ، فامثل الملك مسعود ذلك  
 وضرب للخليفة سرادق عظيم ، ونصب له فيه قبة عظيمة وتحتها سريرهاثل ، وألبس السواد على عادته  
 وأركبه بعض ما كان يركبه من مراكبه ، وأمسك لجام الفرس ومشى في خدمته ، والجيش كلهم مشاة  
 حتى اجلس الخليفة على سريريه ، ووقف الملك مسعود قبيل الأرض بين يديه وخلع الخليفة عليه ،  
 وجىء بدبيس مكتوبا وعن يمينه أميران ، وعن يساره أميران ، وسيف مسلول ونسعة بيضاء ،  
 فطرح بين يدي الخليفة ماذا يرسم تطبيياً لقلبه ، فأقبل السلطان فشغ في دبيس وهو ملقى يقول  
 العفويا أمير المؤمنين ، أنا أخطأت والعمو عند المقدرة . فأمر الخليفة باطلاقه وهو يقول : لا تتريب  
 عليكم اليوم يغفر الله لكم . فنهض قائما والنس أن يقبل يد الخليفة فأذن له لقبها ، وأمرها على وجهه  
 وصدرة . وسأل العفو عنه وعما كان منه ، واستقر الأمر على ذلك ، وطار هذا الخبر في الآفاق وفرح  
 الناس بذلك ، فلما كان مستهل ذى الحجة جاءت الرسل من جهة الملك سنجر إلى ابن أخيه يستعنه  
 على الاحسان إلى الخليفة ، وأن يبادر إلى سرعة رده إلى وطنه ، وأرسل مع الرسل جيشا ليكونوا في  
 خدمة الخليفة إلى بغداد ، فصحب الجيش عشرة من الباطنية ، فلما وصل الجيش حملوا على الخليفة  
 فقتلوه في خيمته وقطعوه قطعاً ، ولم يبا حق الناس منه إلا الرسوم ، وقتلوا معه أصحابه منهم عبید الله بن  
 سكينه ، ثم أخذ أولئك الباطنية فأحرقوا قبهم الله ، وقيل إنهم كانوا مجهزين لقتله فله أعلم . وطار  
 هذا الخبر في الآفاق فاشتد حزن الناس على الخليفة المسترشد ، وخرجت النساء في بغداد حاسرات  
 عن وجوههن ينحن في الطرقات ، قتل على باب مراغة في يوم الخميس سابع عشر ذى الحجة  
 وحملت أعضاؤه إلى بغداد ، وعمل عزاءه ثلاثة أيام بعد ما بويع لولده الراشد ، وقد كان المسترشد ،  
 شجاعا مقداما بعيد الهمة فصيحاً بليغا ، عذب الكلام حسن اليراد ، مليح الخط ، كثير العبادة  
 محببا إلى العامة والخاصة ، وهو آخر خليفة رؤى خطيباً ، قتل وعمره خمس وأربعون سنة ، وثلاثة  
 أشهر ، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما ، وكانت أمه أم ولد من الأتراك



### خلافة الراشد بالله

رحمه الله .

أبي جعفر منصور بن المسترشد ، كان أبوه قد أخذ له العهد ثم أراد أن يخلعه فلم يقدر على ذلك لأنه لم يقدر . فلما قتل أبوه بباب مراغة في يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة من سنة تسع وعشرين وخسمائة ، بإيمه الناس والأعيان ، وخطب له على المنابر ببغداد ، وكان إذ ذاك كبيراً له أولاد ، وكان أبيض جسيماً حسن اللون ، فلما كان يوم عرفة من هذه السنة جئ\* بالمسترشد وصلى عليه ببیت التوبة ، وكثر الزحام ، وخرج الناس لصلاة العيد من القند وهم في حزن شديد على المسترشد ، وقد ظهر الرضا قليلاً في أول أيام الراشد .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن الحسين

ابن عمرو ، أبو المظفر بن أبي بكر الشاشي ، تفقه بأبيه واخترمته المنية بعد أخيه ولم يبلغ سن الرواية

إسماعيل بن عبد الله

ابن علي أبو القاسم الحاكم ، تفقه بامام الحرمين ، وكان رفيق الفزالي يحترمه ويكرمه ، وكان فقيهاً بارعاً ، وعابداً ورعاً ، توفى بطوس ودفن إلى جانب الفزالي .

دييس بن صدقه

ابن منصور بن دييس بن علي بن يزيد ، أبو الأعز الأسدي الأمير من بيت الامرة وسادة الاعراب ، كان شجاعاً بطلاً ، فعل الأفاعيل وتمرق في البلاد من خوفه من الخليفة ، فلما قتل الخليفة عاش بعده أربعة وثلاثين يوماً ، ثم اتهم عند السلطان بأنه قد كاتب زنديق ينهيه عن القدوم إلى السلطان ، ويحذره منه ، ويأمره أن ينجو بنفسه ، فبعث إليه السلطان غلاماً أرمنياً فوجده منكساً رأسه يفكر في خيمته ، فما كلفه حتى شمر سيفه فضر به فأبان رأسه عن جثته ، ويقال بل استدعاه السلطان فقتله صبراً بين يديه فآله أعلم .

طغرل السلطان بن السلطان محمد بن ملكشاه

توفى بهمدان يوم الأربعاء ثالث المحرم منها .

علي بن محمد التروجاني

كان عابداً زاهداً ، حكى ابن الجوزي عنه أنه كان يقول بأن القدرة تتعلق بالمستحيات ، ثم

أنكر ذلك وعذره لعدم تعقله لما يقول ، ولجهله .

الفضل أبو منصور

أمير المؤمنين المسترشد ، تقدم شئ\* من ترجمته والله أعلم .

### ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة

فيها وقع بين الخليفة الراشد وبين السلطان مسعود بسبب أنه أرسل إلى الخليفة يطلب منه ما كان كتبه له والده المسترشد حين أمره ، التزم له بأربعمائة ألف دينار ، فامتنع من ذلك وقال : ليس بيننا وبينكم إلا السيف ، فوقع بينهما الخلف ، فاستجاش السلطان بالعساكر ، واستنهض الخليفة الأمراء ، وأرسل إلى عماد الدين زنكي فجاء والتف على الخليفة خلأئق ، وجاء في غضون ذلك السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه ، فخطب له الخليفة ببغداد ، وخلع عليه وبأيمه على الملك ، فتأكدت الوحشة بين السلطان والخليفة جدا ، وبرز الخليفة إلى ظاهر بغداد ومشى الجيش بين يديه ، كما كانوا يعاملون أباه ، وذلك يوم الأربعاء بسلامة شعبان ، وخرج السلطان داود من جانب آخر ، فلما بلغهم كثرة جيوش السلطان محمود حسن عماد الدين زنكي للخليفة أن يذهب معه إلى الموصل ، وانفق دخول مسعود إلى بغداد في غيبتهم يوم الاثنين رابع شوال ، فاستحوذ على دار الخلافة بما فيها جميعه ، ثم استخلص من نساء الخليفة وحظاياها الحلى والمصاغ والثياب التي للزينة ، وغير ذلك ، وجمع القضاة والفقهاء ، وأبرز لهم خط الراشد أنه متى خرج من بغداد لقتال السلطان فقد خلع نفسه من الخلافة ، فأفتى من أفتى من الفقهاء بخلعه ، فخلع في يوم الاثنين سادس عشر شهر ذي القعدة بحكم الحاكم وقتيا الفقهاء ، وكانت خلافته إحدى عشر شهرا وإحدى عشر يوماً ، واستدعى السلطان بعنه المقتفي بن المستظهر فبويع بالخلافة عوضاً عن ابن أخيه الراشد بالله .

### خلافة المقتفي لأمر الله

أبى عبد الله بن المستظهر ، وأمه صفراء تسمى نسبا ، ويقال لهاست السادة ، وله من العمر يومئذ أربعون سنة ، بويع بالخلافة بعد خلع الراشد بيومين ، وخطب له على المنابر يوم الجمعة لعشرين من ذي القعدة ، ولقب بالمقتفي لأنه يقال إنه رأى رسول الله (ص) وهو في المنام وهو يقول له سيصل هذا الأمر إليك فاقف بي ، فصار إليه بعد ستة أيام فلقب بذلك

### فائدة حسنة ينبغي التنبيه لها

ولى المقتفي والمسترشد الخلافة وكانا أخوين ، وكذلك السفاح والمنصور ، وكذلك الهادي والرشيد ، ابنا المهدي ، وكذلك الواثق والمتوكل ابنا المعتصم أخوان ، وأما ثلاثة إخوة فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد ، والمنتصر والمعتز والمعتد بنو المتوكل ، والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد ، والراضي بنو المقتفي والمطيع بنو المقتدر ، وأما أربعة إخوة فلم يكن إلا في بنى أمية وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان ، ولما استقر المقتفي بالخلافة استمر الراشد ذاهبا إلى الموصل صحبة صاحبها عماد الدين زنكي ، فدخلها في ذي الحجة من هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان **محمد بن حمويه**

ابن محمد بن حمويه أبو عبد الله الجوزي ، روى الحديث وكان صدوقاً مشهوراً بالعلم والزهد، وله كرامات ، دخل إلى بغداد فلما ودعهم بالخروج منها أنشدهم :

لئن كان لي من بعد عود إليكم \* نصيبٌ لباناتِ الفؤادِ إليكم  
وإن تكن الأخرى وفي الغيب غيره \* قضاؤه وإلا فالسلامُ عليكم

**محمد بن عبدالله**

ابن أحمد بن حبيب ، أبو بكر العامري ، المعروف بابن الخباز ، سمع الحديث وكان يعظ الناس على طريق التصوف ، وكان ابن الجوزي فيمن تأدب به ، وقد أثنى عليه وأنشد عنه من شعره :

كيف احتيالي وهذا في الهوى حالي \* والشوقُ أملكُ لي من عدلِ عدائي  
وكيف أشكو وفي حبي له شغلٌ \* يحولُ بينَ مهماتي وأشغالي

وكانت له معرفة بالفقه والحديث ، وقد شرح كتاب الشهاب ، وقد ابقنى رباطاً ، وكان عنده فيه جماعة من المتعبدين والزهاد ، ولما احتضر أوصاه بتقوى الله عز وجل والاحتمال لله والدين ، فلما فرغ شرع في النزاع وغرق جبينه فمد يده وقال بيتاً لغيره :

ها قد بسطتُ يدي إليك فردها \* بالفضل لا بشماتة الأعداء

ثم قال : أرى المشايخ بين أيديهم الأطبق وهم ينتظرونني ، ثم مات ، وذلك ليلة الأربعاء نصف رمضان ودفن برباطه ، ثم غرق رباطه وقبره في سنة أربعين وخمسمائة ،

**محمد بن الفضل**

ابن أحمد بن محمد بن أبي العباس أبو عبد الله الصاعدي الفراوي ، كان أبوه من ثغر فراوه ، وسكن نيسابور ، فولد له بها محمد هذا ، وقد سمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ بالأفاق ، وتفقه وأفتى وناظر ووعظ ، وكان ظريفاً حسن الوجه جميل المعاشرة كثير التبسم ، وأمل أكثر من ألف مجاس ، ورحل إليه الطلبة من الأفاق حتى يقال للفراوي ألف راوي ، وقيل إن ذلك كان مكتوباً في خاتمه ، وقد أسمع صحيح مسلم قريباً من عشرين مرة ، توفي في شوال منها عن تسعين سنة .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

فيها كثرت موت العجأة بأصبهان فمات ألوف من الناس ، وأغلقت دور كثيرة . وفيها تزوج الخليفة بالخاتون فاطمة بنت محمد بن ملكشاه على صداق مائة ألف دينار ، فحضر أخوها السلطان مسعود العمدة وجماعة من أعيان الدولة والوزراء والأمراء ، ونثر على الناس أنواع النشار . وفيها صام أهل بغداد رمضان ثلاثين يوماً ولم يروا الهلال ليلة إحدى وثلاثين ، مع كون السماء كانت مصحية .

قال ابن الجوزي : وهذا شيء لم يقع مثله . وفيها هرب وزير صاحب مصر وهو تاج الدولة بهرام النصراني ، وقد كان تمكن في البلاد وأساء السيرة ، فتطلبه الخليفة الحافظ حتى أخذه فسجنه ثم أطلقه فترهب وترك العمل ، فاستوزر بعده رضوان بن الرحيمي ولقبه الملك الأفضل ، ولم يلقب وزير قبله بهذا ، ثم وقع بينه وبين الخليفة الحافظ ، فلم يزل به الخليفة حتى قتله واستقل بتدبير أموره وحده . وفيها ملك عماد الدين زنكي عدة بلدان . وفيها طلع بالشام سحاب أسود أظلمت له الدنيا ، ثم ظهر بعده سحاب أحمر كأنه نار أضاعت له الدنيا ، ثم جاءت ريح عاصف ألقت أشجاراً كثيرة ، ثم وقع مطر شديد ، وسقط برد كبار . وفيها قصد ملك الروم بلاد الشام فأخذ بلاداً كثيرة من أيدي الفرنج ، وأطاعه ابن اليون ملك الأرمن .

ومن توفي فيها من الأعيان . أحمد بن محمد بن ثابت

ابن الحسن أبو سعد الخجندی ، تفقه على والده الامام أبي بكر الخجندی الأصبهاني ، وولى تدريس النظامية ببغداد مراراً ، ويعزل عنها ، وقد سمع الحديث ووعظ ، وتوفي في شعبان منها ، وقد قارب التسعين . هبة الله بن أحمد

ابن عمر الحريري ، يعرف بابن الطير ، سمع الكثير وهو آخر من روى عن أبي الحسن ابن زوج الحرة ، وقد حدث عنه الخطيب ، وكان ثبتاً كثير السماع ، كثير الذكر والتلاوة ، ممتعاً بحواسه وقواه ، إلى أن توفي في جمادى الأولى من سنة وتسعين سنة .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة

فيها قتل الخليفة الراشد الخلويع ، وذلك أنه اجتمع معه الملك داود وجماعة من كبار الأمراء ، فقصدوا قتال مسعود بأرض مراغة فهزمهم وبدد شملهم ، وقتل منهم خلقاً صبراً ، منهم صدقة بن دبيس ، وولى أخاه محمداً مكانه على الحلة ، وهرب الخليفة الراشد الخلويع ، فدخل أصبهان فقتله رجل من كان يخدمه من الخراسانية ، وكان قد برأ من وجع أصابه ، فقتلوه في الخامس والعشرين من رمضان ، ودفن بشهرستان ظاهر أصبهان . وقد كان حسن اللون مليح الوجه شديد القوة مهيباً ، أمه أم ولد . وفيها كشي الكعبة رجل من التجار يقال له راست الفارسي ، بثمانية عشر ألف دينار ، وذلك لأنه لم تأتها كسوة في هذا العام لأجل اختلاف الملوك . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببلاد الشام والجزيرة والعراق ، فانهدم شيء كثير من البيوت ، ومات تحت الهدم خلق كثير . وفيها أخذ الملك عماد الدين زنكي مدينة حمص في الحرم ، وتزوج في رمضان بالسنة زمرد خاتون ، أم صاحب دمشق ، وهي التي تنسب إليها الخاتونية البرانية . وفيها ملك صاحب الروم مدينة بزاعة ، وهي على ستة فراسخ من حلب ، فجاء أهلها الذين نجوا من القتل والسبي يستغيثون بالمسلمين ببغداد ، فنعمت

الخطبة ببغداد ، و جرت فتن طويلة . وفيها تزوج السلطان مسعود بسفري بنت ديدس بن صدقة و زينت ببغداد لذلك سبعة أيام . قال ابن الجوزي : فحصل بسبب ذلك فساد عريض طويل منتشر ، ثم تزوج ابنة عمه فزينت ببغداد ثلاثة أيام أيضا . وفيها ولد للسلطان الناصر صلاح يوسف بن أيوب ابن شارى بقلعة تكريت .

### أحمد بن محمد

ومن توفي فيها من الأعيان أبو بكر بن أبي الفتح الدينوري الحنبلي ، مع الحديث وتفقه على أبي الخطاب الكلوزاني وأفتى ودرس وناظر ، كان أسعد المهني يقول عنه : ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد إلا ثلته ، وقد تخرج به ابن الجوزي وأنشده :

تمنيت أن يسمي قهبا منظرأ \* بنير عياي والجنون فنون  
وليس اكتساب المال دون مشقة \* تلقيتها ، فالعلم كيف يكون ؟

### عبد المنعم بن عبد الكريم

ابن هوازن ، أبو المظفر القشيري ، آخر من بقي منهم ، مع أباه وأبا بكر البيهقي وغيرهما ، ومع منه عبد الوهاب الانمطي ، وأجاز ابن الجوزي ، وقارب التسمين .

### محمد بن عبد الملك

ابن محمد بن عمر ، أبو الحسن الكرخي ، مع الكثير في بلاد شتى ، وكان قهبا مفتيا ، تفقه بأبي إسحاق وغيره من الشافعية ، وكان شاعرا فصيحاً ، وله مصنفات كثيرة منها الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول ، يذكر فيه مذاهب السلف في باب الاعتقاد ، ويحكي فيه أشياء غريبة حسنة ، وله تفسير وكتاب في الفقه ، وكان لا يقنت في الفجر ، ويقول : لم يصح ذلك في حديث ، وقد كان إمامنا الشافعي يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، واضربوا بقولي الحائط . وقد كان حسن الصورة جميل المباشرة ، ومن شعره قوله :

تناهت دارة عني ولكن \* خيال جماله في القلب ساكن  
إذا امتلأ الفؤاد به فماذا \* يضر إذا خلت منه الأماكن

### الخليفة الراشد

توفي وقد قارب التسمين . منصور بن المسترشد ، قتل بأصبهان بعد مرض أصابه ، وقيل قتلته الباطنية ، وقيل قتله الفراشون الذين كانوا يلون أمره فأنه أعلم . وقد حكى ابن الجوزي عن أبي بكر الصولي أنه قال الناس يقولون كل سادس يقوم بأمر الناس من أول الاسلام لا بد أن يخلم . قال ابن الجوزي : فتأملت ذلك فرأيتة محبباً قيام رسول الله (ص) ، ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن بنجلمه معاوية

ثم يزيد ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك ، ثم عبد الله بن الزبير نخلع وقتل ، ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام ثم الوليد بن يزيد نخلع وقتل ، ولم ينتظم لبني أمية بعده أمر حتى قام السفاح العباسي ثم أخوه المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم الأمين نخلع وقتل ، ثم المأمون والمعتمد والواثق والمتوكل والمنتصر ثم المستعين نخلع ثم قتل ، ثم المعتز والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكشفي ثم المعتذر نخلع ثم أعيد قتل ، ثم القاهر والراضي والمتقي والمكشفي والمطيع ثم الطائع نخلع ، ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد ثم الراشد نخلع وقتل .

### أنوشروان بن خالد

ابن محمد القاشاني القيني ، من قرية قين من قاشان ، الوزير أبو نصر ، وزر للسلطان محمود وللخليفة المسترشد ، وكان عاقلاً مهيئاً عظيم الخلق ، وهو الذي أزم أبا محمد الحريري بتكميل المقامات ، وكان سبب ذلك أن أبا محمد كان جالساً في مسجد بني حرام في محلة من محال البصرة ، فدخل عليه شيخ ذو طمرين فقالوا : من أنت ؟ قال أنا رجل من سروج ، يقال لي أبو زيد . فعمل الحريري المقامة الحرامية واشتهرت في الناس ، فلما طالها الوزير أنوشروان أعجب بها وكلف أبا محمد الحريري أن يزيد عليها غيرها فزاد عليها غيرها إلى تمام خمسين مقامة ، فهي هذه المشهورة المتداولة بين الناس ، وقد كان الوزير أنوشروان كريماً ، وقد مدحه الحريري صاحب المقامات .

ألا ليت شعري والتني لعله \* وإن كان فيه راحة لأخي الكرب  
أندرون أني مذتنامت دياركم \* وشط اقترابي من جنابكم الرحب  
أكابد شوقاً ما أزال أداره \* يقلبني في الليل جنباً على جنب  
وأذكر أيام التلاق فأنثني \* لتذكارها بادي الاسي طائر اللب  
ولي حنة في كل وقت إليكم \* ولا حنة الصادي إلى البارد المنذب  
فو الله لو أني كتمت هواكم \* لما كان مكتوماً بشرق ولا غرب  
ومما شجا قلبي المعنى وشفته \* رضاكم باهمال الاجابة عن كني  
وقد كنت لأخشى مع الذنب جفوة \* فقدصرت أخشاها ومالي من ذنب  
ولما سرى الوفد العراق نحوكم \* وأعوزني المسرى إليكم مع الركب  
جمعت كتابي نائباً عن ضروري \* ومن لم يجد ماء تيمم بالتراب  
ويعضد أيضاً بضمة من جوارحي \* تفبيكم عن سر حالي وتسقني  
ولست أرى إذ كركم بعد خيركم \* بمكرمة ، حسبى اعتذاركم حسي

### ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

فيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة جبرت فمات بسببها مائتا ألف وثلثون ألفاً ، وصار مكانها ماء أسود عشرة فراسخ في مثلها ، وزلزل أهل حلب في ليلة واحدة ثمانين مرة . وفيها وضع السلطان محمود مكوسا كثيرة عن الناس ، وكثرت الأدعية له . وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان سنجر وخوازم شاه ، فهزمه سنجر وقتل ولده في المعركة ، فحزن عليه والده حزناً شديداً . وفيها قتل صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طفتكين ، قتله ثلاثة من خواصه ليلاً وهربوا من القلعة ، فأدرك اثنان فصلبوا وأفلت واحد . وفيها عزل اليهود والنصارى عن المباشرات ثم أعيدها قبل شهر وحج بالناس فيها قطر الخادم .

وفيها توفي من الأعيان **زاهر بن طاهر**

ابن محمد ، أبو القاسم بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر السحامي المحدث المكثر ، الرجال الجوال ، سمع الكثير وأملى بجامع نيسابور ألف مجلس ، وتكلم فيه أبو سعد السمعاني ، وقال : إنه كان يخجل بالصلوات . وقد رد ابن الجوزي على السمعاني بمنزلة المرض ويقال : إنه كان به مرض يكثر بسببه جمع الصلوات فله أعلم ، بلغ خمساً وثمانين سنة توفي بنيسابور في ربيع الآخر ، ودفن بمقبرته .

**يحيى بن يحيى بن علي**

ابن أفلاح ، أبو القاسم الكاتب ، وقد خلع عليه المسترشد ولقبه جمال الملك ، وأعطاه أربعة دور ، وكانت له دار إلى جانبهم فهدمها كاهن وأخذ مكانها داراً هائلة ، طولها ستون ذراعاً في عرض أربعين ذراعاً ، وأطاق له الخليفة أخشابها وأجرها وطرقاتها ، وكتب عليها أسماراً حسنة من نظمه ونظم غيره ، فن ذلك ما هو على باب دارها :

إن أعجب الراؤن من ظاهري \* فباطني لو علموا أعجب  
شد باني من كفه مرنة \* ينجل منها العارض الصيب  
ورنحت روضة أخلاقه \* في ديار نورها مذهب  
صدر كسي صدرى من نوره \* شمساً على الأيام لا تغرب

وعلى الطرز مكتوب :

ومن المروءة للفتى \* ما عاش داراً فآخرة  
فاقتع من الدنيا بها \* واعمل لدار الآخرة  
هاتيك وافيت بما \* وعدت وهاتى بآثره

وفي موضع آخر مكتوب :

ونادِ كَأَنَّ جَنَانَ الخ \* لِدِرَاعَتِهِ مِنْ حَسَنِهِارِوَنَقَا  
 وَأَعْطَتْهُ مِنْ حَادِنَاتِ الزَّمَا \* نِ أَنْ لَا يَلِمُ بِهِ مَوْبِقَا  
 فَأَضْحَى يَنْبُتُهُ عَلَى كُلِّ مَا \* بَنِي مَغْرَبًا كَانَ أَوْ مَشْرِقًا  
 تَطَّلَ الْوَقُودُ بِهِ عَكْفًا \* وَيَعْسَى الضِّيُوفَ بِهِ طَرَقَا  
 بَقِيَتْ لَهُ يَا جَمَالَ الملو \* لِكِوَذَا الفِضْلِ مَهْمَا أَرَدَتْ البِقَا  
 وَسَالَهُ فَيَكُ رَيْبُ الزَّمَا \* نِ وَوَقِيَتْ فِيهِ الَّذِي يَتَقَى

فما والله صدقت هذه الأمانى ، بل عما قريب اتهمه الخليفة بأنه يكاتب ديبساً فأمر بخراب داره تلك فلم يبق فيها جدار ، بل صارت خربة بعدما كانت قرة العيون من أحسن المقام والقرار ، وهذه حكمة الله من تقلب الليل والنهار ، وما تجرى بمشيئة الأقدار ، وهي حكمته في كل دار بنيت بالأشر والبطر ، وفي كل لباس لبس على التيه والكبر والأشر . وقد أورد له ابن الجوزى أشعاراً حسنة من نظمه ، وكلمات من نثره فمن ذلك قوله :

دع الهوى لا ناسَ يعرفونُ بهِ \* قد مارسوا الحبَّ حتى أصعبه  
 أدخلتَ نفسك فيما لستَ تجر بهِ \* والشئُ صعبٌ على من لا يجربه  
 أمن اصطبارٍ وإن لم تستطع خلدًا \* فرب مدركٍ أمرٍ عزٍ مطلبه  
 أحن الضلوعِ على قلبٍ يخبرني \* في كلِّ يومٍ يعينني تقلبه  
 تأرجُ الریح من نجدٍ يهيجهُ \* ولا مع البرق من نغماتٍ يطربه  
 هذه الخليفة ، وهاتيك مني \* فترفقُ أيها الحادى بنا  
 واحبسِ الركبَ علينا ساعةً \* نندبُ الدارَ ونبكي الدنا  
 فلذا الموقفِ أعددتُ البكا \* ولذا اليومِ الدموعُ تقتنى  
 زماننا كانُ وكنا جيرةً \* فأعادَ اللهُ ذاكُ الزمانا  
 بيننا يومَ ائتلافٍ نلتقى \* كان من غير تراضى بيننا

وقوله

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة

فيها حاصر زنكي دمشق فخصمها الأتابك معين الدين بن مملوك طغتكين ، فاتفق موت ملكها جمال الدين محمود بن بوري بن طغتكين ، فأرسل معين الدين إلى أخيه مجير الدين أتق ، وهو يبعليك فلما دخل دمشق ، فذهب زنكي إلى بعلبك فأخذها واستناب عليها نجم الدين أيوب صلاح الدين . وفيها دخل الخليفة على الخاتون فاطمة بنت السلطان مسعود ، وأغلقت بغداد أياما . وفيها نودي للصلاة على رجل صالح فاجتمع الناس بمدرسة الشيخ عبد القادر فاتفق أن الرجل عطس فأفاق ،



وحضرت جنازة رجل آخر غيره فصلى عليه ذلك الجمع الكثير . وفيها نقصت المياه من سائر الدنيا  
وفيها ولد صاحب حماء تقي الدين عمر شاهنشاه بن أيوب بن شاري .  
ومن توفي فيها من الأعيان . أحمد بن جعفر

ابن الفرج أبو العباس الحرابي ، أحد العباد الزهاد ، سمع الحديث وكانت له أحوال سالحة ، حتى  
كان يقال : إنه كان يرى في بعض السنين بمرقات ، ولم يحج في تلك السنة .

### عبد السلام بن الفضل

أبو القاسم الجبلي ، سمع الحديث وتفقّه على الكيا الهراسي ، وبرع في الأصول والفروع ، وغير  
ذلك ، وولى قضاء البصرة وكان من خيار القضاة .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

فيها وصلت البردة والقضيب إلى بغداد ، وكان مع المسترشد حين هرب سنة تسع وعشرين ،  
وخمسمائة فحفظهما السلطان سنجر عنده حتى ردهما في هذه السنة . وفيها كملت المدرسة الكالية  
المنسوبة إلى كمال الدين ، أبي الفتوح حمزة بن طلحة ، صاحب الخزن ، ودرس فيها الشيخ أبو الحسن  
الحلي ، وحضر عنده الأعيان .

ومن توفي فيها من الأعيان إسماعيل بن محمد

ابن علي ، أبو القاسم الطلمحي الأصبهاني ، سمع الكثير ، ورحل وكتب وأملى بأصبهان ، قريبا  
من ثلاثة آلاف مجلس ، وكان إماما في الحديث والفقه والتفسير واللغة ، حافظا متقنا ، توفي ليلة عيد  
الأضحى وقد قارب الثمانين ، ولما أراد الفاسل تنحية الخرقه عن فرجه ردها بيده ، وقيل : إنه وضع يده  
على فرجه . محمد بن عبد الباقي

ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مسجعة بن  
الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، سمع الحديث وتفرد عن جماعة من المشايخ ،  
وأملى الحديث في جامع القصر ، وكان مشاركا في علوم كثيرة ، وقد أسرف في صغره في أيدي الروم  
فأرادوه على أن يتكلم بكلمة الكفر فلم يفعل ، وتعلم منهم خط الروم ، وكان يقول من خدم المحابر  
خدمته المنابر ، ومن شعره الذي أورده له ابن الجوزي عنه وسمعه منه قوله :

احفظ لسانك لا تبسح بثلاثة \* سن ومالٍ ، إن سئلت ، ومنه بـ

فلي الثلاثة تبلى بثلاثة \* بمكفرٍ وبمحاسد ومكذب

وقوله : لي مدة لا بد أبلغها \* فإذا انقضت ميت

لو عاندتني الأسد ضارية \* ما ضرتني ما لم يجي الوقت

قال ابن الجوزي : بلغ من العمر ثلاثا وتسعين سنة ، لم تتغير حواسه ولا عقله ، توفي ثاني رجب منها . وحضر جنازته الأعيان وغيرهم ، ودفن قريبا من قبر بشر .

يوسف بن أيوب

ابن الحسن بن زهرة ، أبو يعقوب الهمداني ، تفقه بالشيخ أبي إسحاق ، وبرع في الفقه والمناظرة ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة ، وصحب الصالحين ، وأقام بالجلال ، ثم عاد إلى بغداد فوعظ بها ، وحصل له قبول . توفي في ربيع الأول ببعض قرى هراة .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

فيها كانت حروب كثيرة بين السلطان سنجر وخوارزم شاه ، فاستحوذ خوارزم على مرو بعد هزيمة سنجر ففنتك بها ، وأساء التدبير بالنسبة إلى الفقهاء الخنفيه الذين بها ، وكان جيش خوارزم ثلاثمائة ألف مقاتل . وفيها تحمل عمل دمشق النهروز ، وخلع نهر وشحنة بغداد على حباب صباغ الحرير الرومي ، وركب هو والسلطان مسعود في سفينة في ذلك النهر ، وفرح السلطان بذلك ، وكان قد صرف السلطان على ذلك النهر سبعين ألف دينار . وفيها حج كمال الدين طلحة صاحب الخزن ، وعاد قزهد وترك العمل ولزم داره . وفيها عقدت الجمعة بمسجد العباسيين بأذن الخليفة . وحج بالناس قطز .

ومن توفي فيها من الأعيان . إسماعيل بن أحمد بن عمر

ابن الأشعث ، أبو القاسم بن أبي بكر السمرقندي الدمشقي ثم البغدادي ، سمع الكثير وتفرد بمشايخ ، وكان سماعه صحيحا ، وأملى بجامع المنصور مجالس كثيرة نحو ثلاثمائة مجلس ، توفي وقد جاوز الثمانين .

يحيى بن علي

ابن محمد بن علي ، أبو محمد بن الطراح المدبر ، ولد سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وسمع الكثير وأسمع ، وكان شيخا حسنا مهيبا كثير العبادة ، توفي في رمضان منها .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة

فيها ملك عماد الدين زنكي الحديثة ، ونقل آل مهارش منها إلى الموصل ، ورتب فيها نوابا من جهته .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

فيها تجهز السلطان مسعود ليأخذ الموصل والشام من زنكي ، فصالحه على مائة ألف دينار ، فدفع إليه منها عشرين ألف دينار ، وأطلق له الباقي ، وسبب ذلك أن ابنه سيف الدين غازي كان لا يزال في خدمة السلطان مسعود . وفيها ملك زنكي بعض بلاد بكر . وفيها حصر الملك سنجر خوارزم شاه ، ثم أخذ منه مالا وأطلقه . وفيها وجد رجل يفسق بصبي فألقى من رأس منارة ، وفي ليلة الثلاثاء الرابع

والعشرين من ذى القعدة زلزلت الأرض . وحج بالناس قطز .

ومن توفى فيها من الأعيان عبد الوهاب بن المبارك

ابن أحمد ، أبو البركات الأنطاطي ، الحافظ الكبير ، كان ثقة ديناً ورعاً ، طليق الوجه ، سهل الأخلاق ، توفى في المحرم عن ست وتسعين سنة .

علي بن طراد

ابن محمد الزينبي ، الوزير العباسي ، أبو القاسم تقيب النقباء على الطائفتين ، في أيام المستظهر ، ووزر للمستترشد ، وتوفى في رمضان عن ست وسبعين سنة .

الزخشي محمود

ابن عمر بن محمد بن عمر ، أبو القاسم الزخشي ، صاحب الكشاف في التفسير ، والمفصل في النحو وغير ذلك من المصنفات المفيدة ، وقد سمع الحديث وطاف البلاد ، وجاور بمكة مدة ، وكان يظهر مذهب الاعتزال ويصرح بذلك في تفسيره ، وينظر عليه ، وكانت وفاته بخوارزم ليلة عرفة منها ، عن ست وسبعين سنة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

فيها أخذ الهاد زنكي الرها وغيرها من حصون الجزيرة من أيدي الفرنج ، وقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى نساء كثيرة ، وغنم أموالاً جزيلة ، وأزال عن المسلمين كرباً شديداً . وحج بالناس قطز الخادم وتنافس هو وأمير مكة قهيب الحجيج وهم يطوفون .

وفيها توفى من الأعيان إبراهيم بن محمد بن منصور

ابن عمر أبو الوليد الكرخي ، ثقة بآبي إسحاق وآبي سعد المتولي ، حتى صار أواحد زمانه فقهياً وصلاًحاً ، مات في هذه السنة . سعد بن محمد

ابن عمر أبو منصور البزار ، سمع الحديث وفتقه بالفزالي والشاشي والمتولي والكنيا ، وولى تدريس النظامية ، وكان له فممت حسن ، ووقار وسكون ، وكان يوم جنازته مشهوداً ، ودفن عند آبي إسحاق .

عمر بن إبراهيم

ابن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، القرشي العلوي ، أبو البركات الكوفي ، ثم البغدادي ، سمع الكثير وكتب كثيراً ، وأقام بدمشق مدة ، وكان له معرفة جيدة بالفتنة والحديث والتفسير واللغة والأدب ، وله تصانيف في النحو ، وكان خشن العيش ، صابراً محتسباً ، توفى في شعبان من هذه السنة عن سبع وتسعين سنة رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة

فيها حصر على بن ديبس أخاه محمداً ولم يزل يحاصره حتى اقتلع من يده الحلة وملكها ، وفي رجب منها دخل السلطان مسعود بغداد خوفاً من اجتماع عباس صاحب الرى ، ومحمد شاه بن محمود ، ثم خرج منها في رمضان ، وحج بالناس أرجوان مملوك أمير الجيوش بسبب ما كان وقع بين قطز وأمير مكة في السنة الماضية .

ومن توفى فيها من الأعيان **أحمد بن محمد**

ابن الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان ، أبو سعد الأصبهاني ، ثم البغدادي ، سمع الحديث وكان على طريقة السلف ، حلو الثمائل ، مطرح الكلفة ، وربما خرج إلى السوق بقميص وقلنسوة . وحج أحد عشر حجة ، وكان يعل الحديث ويكثر الصوم ، توفى بنهاوند في ربيع الأول من هذه السنة ، وقد قارب الثمانين .

**علي بن أحمد**

ابن الحسين بن أحمد ، أبو الحسن البزدي ، تفقه بأبي بكر الشاشي ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكان له ولأخيه قيص واحد ، إذا خرج هذا لبسه وجلس الآخري البيت عريانا ، وكذا الآخر .

**موهوب بن أحمد**

ابن محمد بن الخضر ، أبو منصور الجوالقي ، شيخ اللغة في زمانه ، باشر مشيخة اللغة بالنظامية بعد شيخه أبي زكريا التبريزي ، وكان يؤم بالمقتني ، وربما قرأ الخليفة عليه شيئا من الكتب ، وكان عاقلا متواضعا في ملبسه ، طويل الصمت كثير الفكر ، وكانت له حلقة يجامع القصر أيام الجمع ، وكان فيه لكتنة ، وكان يجلس إلى جانبه المغربي معبر المنامات ، وكان فاضلا لكنه كان كثير النعاس في مجلسه ، فقال فيهما بمض الأدياء :

بغدادُ عندي ذُبُّها لن يُفْرا \* وعيوبها مكشوفةٌ لن تُسْرا  
كون الجوالقي فيها مُمْلِياً \* لغةٌ وكونُ المغربي معبِّراً  
ماسور لُكُنْتِه يقولُ فصاحةً \* ولِوَمٍ يقظته يمتَرُّ في الكرا

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

في ليلة مستهل ربيع الأول منها احترق القصر الذي بناه المسترشد ، وكان في غاية الحسن ، وكان الخليفة المقتني قد انتقل بجواريه وحظاياهم إليه ليقم فيه ثلاثة أيام ، فاهو إلا أن ناموا احترق عليهم القصر بسبب أن جارية أخذت في يدها شمعة فعلق لها ببعض الأخشاب ، فاحترق القصر وسلم الله الخليفة وأهله ، فأصبح فتصدق بأشياء كثيرة ، وأطلق خلقا من المحبس . وفي رجب منها وقع بين الخليفة والسلطان مسعود واقع فبعث الخليفة إلى الجوامع والمساجد فأغلقت ثلاثة أيام ، حتى

اصطلحا . وفي يوم الجمعة نصف ذى القعدة جلس ابن العبادى الراعظ فتكلم والسلطان مسعود حاضر ، وكان قد وضع على الناس فى البيع مكسا فاحشا ، فقال فى جملة وعظه : يا سلطان العالم ، أنت تطلق فى بعض الأحيان للمغنى إذا طربت قريبا عما وضعت على المسلمين من هذا المكس ، فهبى مغنيا وقد طربت فهب لى هذا المكس شكرا لنعم الله عليك . فأشار السلطان بيده أن قد فعلت ، فضج الناس بالدعاء له ، وكتب بذلك سجلات ، ونودى فى البلد باسقاط ذلك المكس ، وفرح الناس بذلك والله الحمد والمنة . وفيها قل المطر جدا ، وقلت مياه الأنهار ، وانتشر جراد عظيم ، وأصاب الناس داء فى حلقهم ، فأت بذلك خلأئق كثيرة فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها قتل الملك عماد الدين زنكى بن قيم الدولة التركى صاحب الموصل ، وحلب وغيرها من البلاد الشامية والجزيرة ، وكان محاصرا قلعة جعبر ، وفيها شهاب الدين سالم بن مالك العقيلي ، فبرطل بعض ممالك زنكى حتى قتله فى الليلة الخامسة من ربيع الأول من هذه السنة . قال الهادى الكاتب : كان سكرانا لله أعلم . وقد كان زنكى من خيار الملوك وأحسنهم سيرة وشكلا ، وكان شجاعا مقداما حازما ، خضعت له ملوك الأطراف ، وكان من أشد الناس غيرة على نساء الرعية ، وأجود الملوك معاملة ، وأرقهم بالعاملة ، وقام بالأمر من بعده بالموصل ولده سيف الدولة ، وبجلب نور الدين محمود ، فاستعاد نور الدين هذا مدينة الرها ، وكان أبوه قد فتحها . فلما مات عصوا فقهرهم نور الدين . وفيها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب وخادم ابن تومرت جزيرة الأندلس ، بعد حروب طويلة . وفيها ملكت الفرنج مدينة طرابلس الغرب ، وفيها استعاد صاحب دمشق مدينة بلبلك . وفيها جاء نجم الدين أيوب إلى صاحب دمشق فسله القلعة وأعطاه أزم به عنده بدمشق . وفيها قتل السلطان مسعود حاجبه عبد الرحمن بن طغرل بك وقتل عباسا صاحب الرى ، وألقى رأسه إلى أصحابه فانزعج الناس ونهبوا خيام عباس هذا ، وقد كان عباس من الشجعان المشهورين ، قاتل الباطنية مع مخدومه جوهر ، فلم يزل يقتل منهم حتى بنى مأذنة من رؤسهم بمدينة الرى . وفيها مات تقيب النقباء بينغداد محمد بن طراد الزينبي ، فتولى بعده على بن طلحة الزينبي . وفيها سقط جدار على ابنة الخليفة ، وكانت قد بلغت مبالغ النساء ، فماتت فحضر جنازتها الأعيان . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفى فيها من الأعيان . زنكى بن آقسنقر

تقدم ذكر شىء من ترجمته ، وهو أبو نور الدين محمود الشهيد ، وقد أظن الشيخ أبو شامة فى الروضتين فى ترجمته ، وما قيل فيه من نظم ونثر رحمه الله .

سعد الخير

محمد بن سهل بن سعد ، أبو الحسن المغربى الأندلسى الأنصارى ، رحل وحصل كتباً نفيسة ،

وروى عنه ابن الجوزى وغيره ، وقد أوصى عند وفاته أن يصلى عليه الغزنوى ، وأن يدفن عند قبر عبد الله بن الإمام أحمد ، وحضر جنازته خلأق من الناس .

شافع بن عبد الرشيد

ابن القاسم ، أبو عبد الله الجبلى الشافعى ، تفقه على الكيا وعلى الغزالي ، وكان يسكن الكرخ ، وله حلقة بجامع المنصور فى الرواق . قال ابن الجوزى وكنت أحضر حلقتة .

عبد الله بن علي

ابن أحمد بن عبد الله ، أبو محمد سبط أبي منصور الزاهد ، قرأ القراءات وصنف فيها ، وسمع الحديث الكثير ، واقتنى الكتب الحسنة ، وأم فى مسجده نيفا وخمسين سنة ، وعلم خلقاً القرآن . قال ابن الجوزى : ما سمعت أحداً أحسن قراءة منه ، وحضر جنازته خلق كثير .

عباس شحنة الرى

توصل إلى أن ملكها ثم قتله مسعود ، وقد كان كثير الصدقات والاحسان إلى الرعية ، وقتل من الباطنية خلقاً حتى بنى من رؤسهم منارة بالرى ، وتأسف الناس عليه .

محمد بن طراد

ابن محمد الزينبى ، أبو الحسن نقيب النقباء ، وهو أخو على بن طراد الوزير ، مع الكثير من أبيه ومن عمه أبي نصر وغيرهما ، وقارب السبعين .

وجيه بن طاهر

ابن محمد بن محمد ، أبو بكر الشحامى ، أخو زاهر ، وقد سمع الكثير من الحديث ، وكانت له معرفة به ، وكان شيخاً حسن الوجه ، سريع الديمة ، كثير الذكر ، جمع السماع إلى العمل إلى صدق اللهجة توفى ببغداد فى هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة

فيها ملكت الفرنج عدة حصون من جزيرة الأندلس . وفيها ملك نور الدين بن محمود زنكى عدة حصون من يد الفرنج بالسواحل . وفيها خطب للمستنجد بالله بولاية العهد من بعد أبيه المقتنى . وفيها تولى عون بن يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام ، وولى زعيم الدين يحيى بن جعفر صدرية الخزن العمورة . وفيها اشتد الفلاء بافرقية وهلك بسببه أكثر الناس حتى خلت المنازل ، وأقفلت المعامل . وفيها تزوج سيف الدين غازى بنت صاحب ماردين حسام الدين تمرناش بن أرتق ، بعد أن حاصره فصالحه على ذلك ، فحملت إليه إلى الموصل بعد سنتين ، وهو مريض قد أشرف على الموت ، فلم يدخل بها حتى مات ، فتولى بعده على الموصل أخوه قطب بن مودود فتزوجها . قال ابن الجوزى :

وفي صفر رأى رجل في المنام قائلاً يقول له: من زار أحمد بن حنبل غفر له . قال فلم يبق خاص ولا عام إلا زاره . قال ابن الجوزي : وعقدت يومئذ ثم مجلساً فاجتمع فيه ألوف من الناس .

ومن توفى فيها من الأعيان . **أسعد بن عبد الله**

ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو منصور ، سمع الحديث الكثير ، وكان خيراً صالحاً متمماً بحواسه وقواه ، إلى حين الوفاة . وقد جاوز المائة ينحو من سبع سنين **أبو محمد عبد الله بن محمد**

ابن خلف بن أحمد بن عمر اللخمي الأندلسي ، الرباطي الحافظ ، مصنف كتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار ، في أنساب الصحابة ورواة الآثار ، وهو من أحسن التصانيف الكبار ، قتل شهيداً صبيحة يوم الجمعة العشرين من جمادى بالبرية .

**نصر الله بن محمد**

ابن عبد القوي ، أبو الفتح اللاذقي المصيبي الشافعي ، تفقه بالشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي ، بصور ، وسمع بها منه ومن أبي بكر الخطيب ، وسمع ببغداد والأنبار ، وكان أحد مشايخ الشام ، فقهاً في الأصول والفروع ، توفى فيها وقد جاوز التسعين بأربع سنين .

**هبة الله بن علي**

ابن محمد بن حمزة أبو السماعات ابن الشجري النحوي ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وسمع الحديث وانتهت إليه رياسة النحاة . قال سمعت بيتاً في الذم أبلغ من قول مكوبه :

وما أنا إلا المسك قد ضاع عندكم \* يضيع وعند أكثرين يضيع

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

فيها استغاث مجير الدين بن أنابك دمشق بالملك نور الدين صاحب حلب على الفرنج ، فركب سريعاً فالتقى معهم بأرض بصرى فهزمهم ، ورجع فنزل على الكسوة ، وخرج ملك دمشق مجير الدين أرتق نخدومه واحترمه وشاهد الدماشقة حرمة نور الدين حتى تمنوه . وفيها ملكت الفرنج المهدية وهرب منها صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن منصور بن يوسف بن بليكين بأهله وخاف على أمواله فتمزقت في البلاد ، وتمزق هو أيضاً في البلاد ، وأكلهم الأقطار ، وكان آخر ملوك بني باديس ، وكان ابتداء ملكهم في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، فدخل الفرنج إليها وخزائنها مشحونة بالحواصل والأموال والعدد وغير ذلك ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وفيها حاصرت الفرنج وهم في سبعين ألف مقاتل ، ومعهم ملك الألمان في خلق لا يعاسهم إلا الله عز وجل ، دمشق وعليها مجير الدين أرتق وأنابك معين الدين ، وهو مدبر المملكة ، وذلك يوم السبت سادس ربيع

الأول ، فخرج إليهم أهلها في مائة ألف وثلاثين ألفاً ، فاقتلوا معهم قتالاً شديداً ، قتل من المسلمين في أول يوم نحو من مائتي رجل ، ومن الفرنج خلق كثير لا يحصون ، واستمر الحرب مدة ، وأخرج مصحف عثمان إلى وسط صحن الجامع ، واجتمع الناس حوله يدعون الله عز وجل ، والنساء والأطفال مكشفي الرؤس يدغون ويتباكون ، والرماد مفروش في البلد ، فاستغاث أرتق بنو الرازيين محمود صاحب حلب وبأخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل ، فقصداه سريعاً في نحو من سبعين ألفاً بمن انضم إليهم من الملوك وغيرهم ، فلما سمعت الفرنج بقدوم الجيش تحولوا عن البلد ، فلاحقهم الجيش فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وجمّاً غفيراً ، وقتلوا قسيساً معهم اسمه إلياس ، وهو الذي أغرام بدمشق ، وذلك أنه افتري مناماً عن المسيح أنه وعده فتح دمشق ، فقتل لعنه الله ، وقد كادوا يأخذون البلد ، ولكن الله سلم ، وحماها بحوله وقوته . قال تعالى [ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ] ومدينة دمشق لاسبيل للأعداء من الكفرة عليها ، لأنها المحلة التي أخبر رسول الله (ص) عنها أنها معقل الإسلام عند الملاحم والفتن ، وبها ينزل عيسى ابن مريم ، وقد قتل الفرنج خلقاً كثيراً من أهل دمشق ، ومن قتلوا الفقيه الكبير الملقب بحجة الدين شيخ المالكية بها ، أبو الحجاج يوسف بن درناس الفندلاوي ، بأرض النيرب ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وكان مجير الدين قد صالح الفرنج عن دمشق ببانياس ، فرحوا عنها وتسلموا ببانياس . وفيها وقع بين السلطان مسعود وأمراهه ففارقوه ، وقصدوا بغداد فاقتلوا مع العامة ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً من الصغار والكبار ، ثم اجتمعوا قبال التاج وقبلوا الأرض واعتذروا إلى الخليفة مما وقع ، وساروا نحو النهر وانفثروا في البلاد ، ونهبوا أهلها ، فغلت الأسعار بالعراق بسبب ذلك . وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن الدامغاني ، بعد وفاة الزينبي . وفيها ملك سولي بن الحسين ملك الغور مدينة غزنة ، فذهب صاحبها بهرام شاه بن مسعود من أولاد سبكنشكين إلى فرغانة فاستغاث بملكها ، فجاء بجيوش عظيمة فاقبلت غزنة من سولي ، وأخذته أسيراً فصلبه ، وقد كان كرمياً جواداً ، كثير الصدقات .

ومن توفى فيها من الأعيان . إبراهيم بن محمد

ابن نهار بن محرز الغنوي الرقي ، سمع الحديث وتفقّه بالشاشي والنزالي ، وكتب شيئاً كثيراً من مصنفاته ، وقرأها عليه ، وصحبه كثيراً ، وكان مهيباً كثير الصمت ، توفى في ذي الحجة منها وقد جاوز الثمانين . شاهان شاه بن أيوب

ابن شادي ، استشهد مع نور الدين ، وهو والد السميت عذار ، واقفة العذارية ، وتقى الدين عمر واقف التقوية .



## علي بن الحسين

ابن محمد بن علي الزينبي ، أبو القاسم الأكل بن أبي طالب نور الهدى بن أبي الحسن نظام الحضرتين ابن نقيب النقباء أبي القاسم بن القاضي أبي تمام العباسي ، قاضي القضاة ببغداد وغيرها ، سمع الحديث ، وكان فقيهاً رئيساً ، وقورا حسن الهيئة والسمت ، قليل الكلام ، سافر مع الخليفة الراشد إلى الموصل ، وجرت له فصول ثم عاد إلى بغداد فمات بها في هذه السنة ، وقد جاوز الستين ، وكانت جنازته حافلة .

### أبو الحجاج يوسف بن درباس

الفندلاوي ، شيخ المالكية بدمشق ، قتل يوم السبت سادس ربيع الأول قريبا من الربوة في أرض النيرب ، هو والشيخ عبد الرحمن الجلبولي ، أحد الزهاد رحمهما الله تعالى ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة

فيها كانت وفاة القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ، قاضيها أحد مشايخ العلماء المالكية ، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة ، منها الشفا ، وشرح مسلم ، ومشارك الأنوار ، وغير ذلك ، وله شعر حسن ، وكان إماما في علوم كثيرة ، كالفقه واللغة والحديث والأدب ، وأيام الناس ، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة ، ومات يوم الجمعة في جمادى الآخرة ، وقيل في رمضان من هذه السنة ، بمدينة سبته . وفيها غزا الملك نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج ، قتل منهم خلقا ، وكان فيمن قتل البرنس صاحب إنطاكية ، وفتح شيئا كثيرا من قلاعهم والله الحمد . وكان قد استنجد بمعين الدين بن أتابك دمشق ، فأرسل إليه بفریق من جيشه محبة الأمير مجاهد الدين بن مروان بن ماس ، نائب صرخد فأبلوا بلاء حسنا ، وقد قال الشعراء في هذه الغزوة أشعارا كثيرة ، منهم ابن التيسراني وغيره ، وقد سردها أبو شامة في الروضين . وفي يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر استوزر للخليفة أبو المظفر يحيى بن هبيرة ، ولقب عون الدين ، وخلع عليه . وفي رجب قصد الملك شاه بن محمود بغداد ومعه خلق من الأمراء ، ومعه علي بن ديبس وجماعة من التركان وغيرهم ، وطلبوا من الخليفة أن يخطب له فامتنع من ذلك ، وتكررت المكاتبات ، وأرسل الخليفة إلى السلطان مسعود يستحثه في القدوم ، فمادى عليه وضاق النطاق ، واتسع الخرق على الراقع ، وكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يتوعده إن لم يسرع إلى الخليفة ، فاجاء إلفي أواخر السنة ، فانتشعت تلك الشرور كلها ، وتبدلت سرورا أجمعها . وفي هذه السنة زلزلت الأرض زلزالا شديداً ، وتموجت الأرض عشر مرات ، وتقطع جبل بجلوان ، وانهدم الرباط النهر جورى ، وهلك خلق كثير بالبرسام ، لا يتكلم المرضى به حتى يموتوا . وفيها مات سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل ، وملك بعده أخوه قطب الدين مودود بن

زنكي ، وتزوج بامرأة أخيه التي لم يدخل بها ، اختاتون بنت تمرناش بن إيلغازي بن أرتق ، صاحب ماردین ، فولدت له أولادا كلهم ملكوا الموصل ، وكانت هذه المرأة تضع خاها بين خمسة عشر ملكا . وفيها سار نور الدين إلى سنجار ففتحها ، فجهز إليه أخوه قطب الدين مودود جيشا ليرده عنها ، ثم اصطلمها فعوضه منها الرحبة وحصص ، واستمرت سنجار لقطب الدين ، وعاد نور الدين إلى بلده . ثم غزا فيها الفرنج قتل منهم خلقا وأسر البرنس صاحب إنطاكية ، فمدحه الشعراء منهم الفتح التيسراني بقصيدة يقول في أولها :

هذي المزائم لا ما تنعق القضبُ \* وذى المكارم لا ما قالت الكتبُ  
وهذه الممّ اللاتي متى خطبتُ \* تثمرت خلفها الأشمارُ والخطبُ  
صاغت يا ابن عماد الدين ذروتها \* براحةٍ للمساعي دونها تمبُ  
ما زال جدك بيني كل شاهقةٍ \* حتى بنى قبةً أو نادها الشهبُ

وفيها فتح نور الدين حصن ظميا وهو قريب من حماه . وفيها مات صاحب مصر الحافظ لدين الله عبد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر ، فقام بالأمر من بعده ولده الظافر إسماعيل ، وقد كان أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش قد استحوذ على الحافظ وخطب له بمصر ثلاثا ، ثم آخر الأمر أذن يحيى على خير العمل ، والحافظ هذا هو الذي وضع طبل التولنج الذي إذا ضرب به من به التولنج يخرج منه التولنج والريح الذي به ، وخرج بالهجاج الأمير قطز الخادم فرض بالكوفة فرجع واستخلف على الهجاج مولاة قيباز ، وحين وصوله إلى بغداد توفي بعد أيام ، فطمعت العرب في الهجاج فوقفوا لهم في الطريق وهم راجعون ، فضعف قيباز عن مقاومتهم فأخذ لنفسه أمانا وهرب وأسلم إليهم الحجيج ، فقتلوا أكثرهم وأخذوا أموال الناس ، وقتل من سلم فيمن نجا ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها مات معين الدين بن أنابك المساكر بدمشق ، وكان أحد مماليك طغتكين ، وهو والد الست خاتون زوجة نور الدين ، وهو واقف المدرسة المعينية ، داخل باب الفرج ، وقبره في قبة قتلى الشامية البرانية ، بحلة العونية ، عند دار البطيخ . وللمات معين الدين قويت شوكة الوزير الرئيس مؤيد الدولة على ابن الصوفي وأخيه زين الدولة حيدرة ، ووقعت بينهما وبين الملك مجير الدين أرتق وحشة ، اقتضت أنهما جندا من العامة والنوغاء ما يقاومه فاقتلوا قتل خلق من الفريقين . ثم وقع الصالح بعد ذلك .

ومن توفي فيها من الأعيان . أحمد بن نظام الملك

أبو الحسن علي بن نصر الوزير للمسترشد ، والسultan محمود ، وقد سمع الحديث ، وكان من خيار الوزراء . أحمد بن محمد

ابن الحسين الأرجاني ، قاضي تستر ، روى الحديث وكان له شعر رائع يتضمن معاني حسنة

فن ذلك قوله :

ولما بلوت الناس أطلبُ عندهم \* أختة عند اعتراض الشدائد  
 تطمعت في حالي رخاءٍ وشدة \* وناديت في الأحياء هل من مساعدٍ؟  
 فلم أر فيما ساءني غيرُ شامتٍ \* ولم أر فيما سرني غيرُ حاسدٍ  
 فطلقت ودَّ العالمين جميعهم \* ورحت فلا ألقى على غير واحدٍ  
 تتمتها يا ناظري بنظرةٍ \* وأوردتها قلبي أمرُ المواردِ  
 أعينى كفاً عن فؤادي فانهُ \* من البنى سعى اثنين في قتل واحدٍ  
 والقاضي عياض بن موسى السبتي صاحب التصانيف المفيدة ومن شعره قوله :  
 الله يعلمُ أني منذُ لم أركم \* كطائرٍ خانهُ ريشُ الجناحينِ  
 ولو قدرتُ ركبتُ الريحَ نحوكم \* فان بُعدكم عني جئني حثي  
 وقد ترجمه ابن خلكان ترجمة حسنة .

#### عيمى بن هبة الله

ابن عيسى ، أبو عبد الله النقاش ، سمع الحديث ، مولده سنة سبع وخمسين وأربعمائة . قال ابن  
 الجوزي : وكان ظريفاً خفيف الروح ، له نوادر حسنة رأى الناس ، وعاشراً الأكياس ، وكان يحضر  
 مجلسي ويكاتبني وأكاتبه ، كتبت إليه مرة فعمطته في الكتاب فكتب إلي : قد زدني في الخطاب  
 حتى خشيت نقصاً من الزيادة ، وله :

إذا وجدَ الشيخُ في نفسه \* نشاطاً فذلك موتُ خفي  
 ألت ترى أن ضوءَ السرا \* ج له لهُبٌ قبلُ أن ينطفي

#### غازي بن اقسنقر

الملك سيف الدين صاحب الموصل ، وهو أخو نور الدين محمود ، صاحب حلب ثم دمشق فيما  
 بعد ، وقد كان سيف الدين هذا من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، وأجودهم سريرة ، وأصبحهم  
 صورة ، شجاعاً كريماً ، يذبح كل يوم لحيشه مائة من الغنم ، ولما ليكه ثلاثين رأساً ، وفي يوم العيد  
 ألف رأس سوي البقر والدجاج ، وهو أول من حمل على رأسه سنجق من ملوك الأطراف ، وأمر  
 الجند أن لا يركبوا إلا بسيف ودبوس ، وبني مدرسة بالموصل ورباطاً للصوفية وامتدحه الحيص بيص  
 فأعطاه ألف دينار عيناً ، وخلمة . ولما توفي بالحي في جمادى الآخرة دفن في مدرسته المذكورة ، وله  
 من العمر أربعون سنة ، وكانت مدة ملكه بعد أبيه ثلاث سنين وخمسين يوماً ، رحمه الله .

## قطز الخادم

أمير الحاج مدة عشرين سنة وأكثر، سمع الحديث وقرأ على ابن الزاغوني، وكان يحب العلم والصدقة، وكان الحاج معه في غاية الدعة والراحة والأمن، وذلك لشجاعته ووجاهته عند الخلفاء والملوك، توفي ليلة الثلاثاء الحادي عشر من ذي القعدة ودفن بالرصافة.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسائة

فيها فتح نور الدين محمود حصن فامية، وهو من أحصن القلاع، وقيل فتحه في التي قبلها. وفيها قصد دمشق ليأخذها فلم يتفق له ذلك، فخلع على ملكها مجير الدين أرتق، وعلى وزيره ابن الصوفي، وتقررت الخطبة له بها بعد الخليفة والسلطان، وكذلك السكة. وفيها فتح نور الدين حصن إعرزاز وأسر ابن ملكها ابن جوسلين، وفرح المسلمون بذلك، ثم أسر بدمه والده جوسلين الفرنجي، فتزايدت الفرحة بذلك، وفتح بلاداً كثيرة من بلاده. وفي الحرم منها حضر يوسف الدمشقي تدريس النظامية، وخلص عليه، ولما لم يكن ذلك باذن الخليفة بل بمرسوم السلطان وابن النظام، منع من ذلك فلزم بيته ولم يعد إلى المدرسة بالكلية، وتولاها الشيخ أبو النجيب باذن الخليفة ومرسوم السلطان.

قال ابن الجوزي: في هذه السنة وقع مطر باليمن كله دم، حتى صبغ ثياب الناس.

ومن توفي فيها من الأعيان الحسن بن ذي النون

ابن أبي القاسم، بن أبي الحسن، أبو المفاخر النيسابوري، قدم ببغداد فوعظ بها، وجعل ينال من الأشاعرة فأحبهته الخنابلة، ثم اختبروه فإذا هو معتزلي ففترسوقه، وجرت بسببه فتنه ببغداد، وقد سمع منه ابن الجوزي شيئاً من شعره، من ذلك:

مات الكرام وسرواوا تقضوا ومضوا \* ومات من بعدهم تلك الكرامات  
وخلفوني في قوم ذوى سفه \* لو أبصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا

عبد الملك بن عبد الوهاب

الحنبلي القاضي بهاء الدين، كان يعرف مذهب أبي حنيفة وأحمد، ويناظر عنهما، ودفن مع أبيه وجده بقبور الشهداء.

عبد الملك بن أبي نصر بن عمر

أبو المعالي الجلي، كان قتيها صالحاً متعبداً فقيراً، ليس له بيت يسكنه، وإنما يبديت في المساجد المهجورة، وقد خرج مع الحجيج فأقام بمكة يعبر به ويفيد العلم، فكان أهلها يثنون عليه خيراً

الفقيه ابن بكر بن العربي

الملكي، شارح الترمذي، كان قتيها عالماً، وزاهداً عابداً، وسمع الحديث بعد اشتغاله في

الفتة ، وصحب الفزالي وأخذ عنه ، وكان يتهمة برأى الفلاسفة ، ويقول دخل في أجوافهم فلم يخرج منها والله سبحانه أعلم . ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة فيها أثار جيش السلطان على بلاد الاسماعيلية ، فقتلوا خلقا ورجعوا سالمين . وفيها حاصر نور الدين دمشق شهورا ثم رحل عنها إلى حلب ، وكان الصلح على يدي البرهان البلخي . وفيها اقتتل الفرنج وجيش نور الدين فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولما وقع هذا الأمر شق ذلك على نور الدين وترك الترفه وهجر اللذة حتى يأخذ بالنار ، ثم إن أمراء التركان ومعهم جماعة من أعوانهم ترصدوا الملك جوسليق الافرنجى ، فلم يزالوا به حتى أسروه في بعض منصيداته فأرسل نور الدين فكبس التركان وأخذ منهم جوسليق أسيراً ، وكان من أعيان الكفرة ، وأعظم الفجرة ، فأوقفه بين يديه في أذل حال ، ثم سجنه . ثم سار نور الدين إلى بلاده فأخذها كلها بما فيها . وفي ذى الحجة جاس ابن العبادى فى جامع المنصور وتكلم ، وعنده جماعة من الأعيان ، فكادت الحنابلة يشيرون فتنه ذلك اليوم ، ولكن لطف الله وسلم . وحج بالناس فيها قباذ الأرجوانى . ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ .

#### برهان الدين أبو الحسن بن علي البلخي

شيخ الحنفية بدمشق ، درس بالبلخية ثم بالخاتونية البرانية ، وكان عالماً عاملاً ، ورعاً زاهداً ، ودفن بمقابر باب الصغير .

#### ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة

فيها توفى السلطان مسعود وقام بالأمر من بعده أخوه ملكشاه بن محمود ، ثم جاء السلطان محمد وأخذ الملك واستقر له ، وقتل الأمير خاص بك ، وأخذ أمواله وألقاه للكلاب ، وبلغ الخليفة أن واسط قد نجحت أيضاً ، فركب إليها فى الجيش فى أهبة عظيمة ، وأصلح شأنها ، وكر على الكوفة والحلة ، ثم عاد إلى بغداد فزينت له البلد . وفيها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب بجاية وهى بلاد بنى حماد ، فكان آخر ملوكهم يحيى بن عبد العزيز بن حماد ، ثم جهز عبد المؤمن جيشاً إلى صنهاجة فحاصرها ، وأخذ أموالها . وفيها كانت وقعة عظيمة بين نور الدين الشهيد وبين الفرنج ، فكسروهم وقتل منهم خلقاً والله الحمد . وفيها اقتتل السلطان سنجر وملك الغور علاء الدين الحسين بن الحسين أول ملوكهم ، فكسروه سنجر وأسره ، فلما أحضره بين يديه قال له : ماذا كنت تصنع بى لوأسرتنى ؟ فأخرج قيدا من فضة وقال : كنت أتيك بهذا . فعفى عنه وأطلقه إلى بلاده ، فسار إلى غزنة فانتزعها من يد صاحبها بهرام شاه السبكتكىنى ، واستخلف عليها أخاه سيف الدين فغدر به أهل البلد وسلوه إلى بهرام شاه فصلبه ، ومات بهرام شاه قريباً فسار إليه علاء الدين فهرب خسرو بن بهرام

شاه عنها، فدخلها علاء الدين قتيها ثلاثة أيام، وقتل من أهلها بشراً كثيراً، وسخر أهلها فحملوا تراباً في مخالي إلى محلة هناك بعيدة عن البلد، فمهر من ذلك التراب قلمة معرفة إلى الآن، وبذلك انقضت دولة بني سبكتكين عن بلاد غزنة وغيرها، وقد كان ابتداء أمرهم في سنة ست وستين وثلاثمائة إلى سنة سبع وأربعين وخمسمائة، وكانوا من خيار الملوك، وأكثرهم جهادا في الكفرة، وأكثرهم أموالا ونساء وعددا وعددا، وقد كسروا الأصنام وأبادوا الكفار، وجمعوا من الأموال ما لم يجمع غيرهم من الملوك، مع أن بلادهم كانت من أطيب البلاد وأكثرهم ريفاً ومياهاً ففنى جميعه وزال عنهم [قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمزق من تشاء وتنفذ الأمر من شئت إنك على كل شيء قدير] ثم ملك النور والهند وخراسان، واتسعت ممالكهم وعظم سلطان علاء الدين بعد الأسر، وحكى ابن الجوزي أن في هذه السنة باض ديك بيضة واحدة، ثم باض بازي بيضتين، وياضت نعامة من غير ذكر، وهذا شيء عجيب.

ومن توفى فيها من الأعيان . المظفر بن أردشير

أبو منصور العبادي، الواعظ، مع الحديث ودخل إلى بغداد فأملى ووعظ، وكان الناس يكتبون ما يعظ به، فاجتمع له من ذلك مجلدات. قال ابن الجوزي: لا تكاد نجد في المجلد خمس كلمات جيدة، وتكلم فيه وأطال الخط عليه، واستحسن من كلامه قوله: وقد سقط مطر وهو يعظ الناس، وقد ذهب الناس إلى تحت الجدران، فقال لا تفروا من رشاش ماء رحمة قطر من سحب نعمة، ولكن فروا من رشاش نار اقتدح من زناد الغضب. توفى وقد جاوز الخمسين بقليل.

مسعود السلطان

صاحب العراق وغيرها، حصل له من الثمك والسعادة شيء كثير لم يحصل لغيره، وجرت له خطوط طويلة، كما تقدم بعض ذلك، وقد أسرف في بعض حروب الخليفة المسترشد كما تقدم، توفى يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة منها.

يعقوب الخطاط الكاتب

توفى بالنظامية، فجاء ديوان الحشر ليأخذوا ميراثه فنعهم الفقهاء فجرت فتنة عظيمة آل الحال إلى عزل المدرس الشيخ أبي النجيب وضربه في الديوان تعزيراً.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

فيها وقع الحرب بين السلطان سنجر وبين الأتراك، فقتل الأتراك من جيشه خلقاً كثيراً بحيث صارت القتلى مثل التلؤلؤ العظيمة، وأسروا السلطان سنجر وقتلوا من كان معه من الأمراء صبراً، ولما أحضروه قاموا بين يديه وقبلوا الأرض له، وقالوا نحن عبيدك، وكانوا عدة من الأمراء الكبار

من ممالئكم ، فأقام عندهم شهرين ثم أخذوه وساروا به فدخلوا مرو ، وهي كرمى مملكة خراسان ، فسأله بعضهم أن يجعلها له إقطاعاً ، فقال سنجر هذا لا يمكن ، هذه كرمى المملكة ، فضحكوا منه وضرطوا به فنزل عن سرير المملكة ودخل خانقاه ، وصار فقيراً من جملة أهلها ، وتاب عن الملك واستحوذ أولئك الأتراك على البلاد فتهبوا وتركوها قاعاً صافصفاً ، وأفسدوا في الأرض فساداً عريضاً ، وأقاموا سليمان شاه ملكاً ، فلم تطل أيامه حتى عزلوه ، وولوا ابن أخت سنجر الخاقان محمود ابن كوخان ، وتفرقت الأمور واستحوذ كل إنسان منهم على ناحية من تلك الممالك ، وصارت الدولة دولا . وفيها كانت حروب كثيرة بين عبد المؤمن وبين العرب ببلاد المغرب . وفيها أخذت الفرنج مدينة عسقلان من ساحل غزة . وفيها خرج الخليفة إلى واسط في جحفل فأصلح شأنها وعاد إلى بغداد . وحج بالناس فيها قيام الأرجواني .

وفيها كانت وفاة الشاعر بن القرينين الشهيرين في الزمان الأخير .

#### بالفرزدق وجريز

وهما أبو الحسن أحمد بن منير الجوني بجلب ، وأبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسراني الحلبي بدمشق ، وعلي بن السلال الملقب بالعدل وزير الظافر صاحب مصر ، وهو باني المدرسة بالاسكندرية للشافعية للحافظ أبي طاهر السلفي ، وقد كان العدل هذا ضد اسمه ، كان ظلوماً غشوماً حطوماً ، وقد ترجمه ابن خلكان . ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة

فيها ركب الخليفة المقتفي في جيش كثيف إلى تكريت فحاصر قلعتها ، ولقي هناك جماعاً من الأتراك والتركمان ، فأظفره الله بهم ، ثم عاد إلى بغداد .

#### ملك السلطان نور الدين الشهيد بدمشق

وجاءت الأخبار بأن مصر قد قتل خليفها الظافر ، ولم يبق منهم إلا صبي صغير ابن خمس شهور ، قد ولوه عليهم ولقبوه الفائر ، فكتب الخليفة عهداً إلى نور الدين محمود بن زنكي بالولاية على بلاد الشام والديار المصرية ، وأرسله إليها . وفيها هاجت ريح شديدة بعد العشاء فيها نار فخاف الناس أن تكون الساعة ، وزلزلت الأرض وتمير ماء دجلة إلى الحرة ، وظهر بأرض واسط بالأرض دم لا يعرف ما سببه ، وجاءت الأخبار عن الملك سنجر أنه في أسر الترك ، وهو في غاية النذل والاهانة ، وأنه يبكي على نفسه كل وقت . وفيها انتزع نور الدين محمود دمشق من يد ملكها نور الدين أرتق ، وذلك لسوء سيرته وضعف دولته ، ومحاصرة العامة له في القلعة ، مع وزيره مؤيد الدولة علي بن الصوفي ، وتغلب الخادم عطاء على المملكة مع ظله وغشمه ، وكان الناس يدعون ليلاً ونهاراً أن يبدلهم بالملك نور الدين ، وانفق مع ذلك أن الفرنج أخذوا عسقلان فخرن نور الدين على ذلك ،

ولا يمكنه الوصول إليهم ، لأن دمشق بينه وبينهم ، ويخشى أن يحاصروا دمشق فيشق على أهلها ، ويخاف أن يرسل مجير الدين إلى الفرنج فيخذلونه كما جرى غير مرة ، وذلك أن الفرنج لا يريدون أن يملك نور الدين دمشق فيقوى بها عليهم ولا يطيقونه ، فأرسل بين يديه الأمير أسد الدين شيركوه في ألف فارس في صفة طلب الصلح ، فلم يلتفت إليه مجير الدين ولا عده شيئا ، ولا خرج إليه أحد من أعيان أهل البلد ، فكتب إلى نور الدين بذلك ، فركب الملك نور الدين في جيشه فنزل عيون الفاسريا من أرض دمشق ، ثم انتقل إلى قريب من الباب الشرقي ، ففتحها قهرا ودخل من الباب الشرقي بعد حصار عشرة أيام ، وكان دخوله في يوم الأحد عاشر صفر من هذه السنة وتمحصن مجير الدين في القلعة فأنزله منها وعوضه مدينة حمص ودخل نور الدين إلى القلعة واستقرت يده على دمشق والله الحمد . ونادى في البلد بالأمان والبشارة بالخير ، ثم وضع عنهم المكوس وقرئت عليهم التواضع على المنابر ، ففرح الناس بذلك وأكثروا الدعاء له ، وكتب ملوك الفرنج إليه يهنونه بدمشق ويتقربون إليه ، ويخضعون له .

ومن توفي فيها من الأعيان . الرئيس مؤيد الدولة

علي بن الصوفي وزير دمشق لمجير الدين ، وقد ثار على الملك غير مرة ، واستفحل أمره ، ثم بيع الصلح بينهما كما تقدم . عطاء الخسادم

أحد أمراء دمشق ، ، وقد تغلب على الأمور بأمر مجير الدين ، وكان ينوب على بعلبك في بعض الأحيان ، وقد كان ظلما غاشما وهو الذي ينسب إليه مسجد عطاء خارج باب شرقي والله أعلم . ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة هجرية

فيها خرج الخليفة في تجمل إلى دموقا فحاصرها فخرج إليه أهلها أن يرحل عنهم فان أهلها قد هلكوا من الجيشين ، فأجابهم ورحل عنهم ، وعاد إلى بغداد بعد شهرين ونصف ، ثم خرج نحو الحلة والكوفة والجيش بين يديه ، وقال له سليمان شاه أناولى عهد سنجر ، فان قررتني في ذلك وإلا فأنا كأحد الأمراء ، فوعده خيرا ، وكان يحمل الغاشية بين يدي الخليفة على كاهله ، فهد الأمور ووطنها ، وسلم على مشهد على إشارة بأصبعه ، وكأنه خاف عليه غائلة الروافض أو أن يعتقد في نفسه من القبر شيئا أو غير ذلك ، والله أعلم .

فتح بعلبك بيد نور الدين الشهيد

وفيها افتتح نور الدين بعلبك عودا على يده وذلك أن نجم الدين أيوب كان نائبا بها على البلد والقلعة فسلمها إلى رجل يقال له الضحاك البقاعي ، فاستحوذ عليها وكاتب نجم الدين لنور الدين ، ولم يزل نور الدين يتلطف حتى أخذ القلعة أيضا واستدعى بنجم الدين أيوب إليه إلى دمشق فأقطعته



إقطاعا حسنا ، وأكرمه من أجل أخيه أسد الدين ، فانه كانت له اليد الطولى في فتح دمشق ، وجعل  
الأمير شمس الدولة بوران شاه بن نجم الدين شحنة دمشق ، ثم من بعده جعل أخاه صلاح الدين  
يوسف هو الشحنة ، وجعله من خواصه لا يفارقه حضرا ولا سفرا ، لأنه كان حسن الشكل حسن  
العب بالكرة ، وكان نور الدين يحب لعب الكرة لتدمين الخليل وتعليمها الكر والفر ، وفي شحنة  
صلاح الدين يوسف يقول عرقلة [ وهو حسان بن نمير الكلبي ] الشاعر :

رويدكم بالصوص الشام \* فإني لكم ناصح في مقال

فاياكم وسمى النبي يوسف \* رب الحجا والكمال

فذاك مقطّع أيدي النساء \* وهذا مقطّع أيدي الرجال

وقد ملك أخاه بوران شاه بلاد اليمن فيما بعد ذلك ، وكان يلقب شمس الدولة .

ومن توفي فيها من الأعيان . محمد بن ناصر

ابن محمد بن علي الحافظ ، أبو الفضل البغدادي . ولد ليلة النصف من شعبان سنة سبع وستين  
وأربعمائة ، وسمع الكثير ، وتفرد بمشايخ ، وكان حافظا ضابطا مكثرا من السنة كثير الذكر ، سريع  
الدهمة . وقد تخرج به جماعة منهم أبو الفرج ابن الجوزي ، جمع بقراءته مسند أحمد وغيره من  
الكتب الكبار ، وكان يثني عليه كثيرا ، وقد رد على أبي سعد السمعاني في قوله : محمد بن ناصر يجب  
أن يقع في الناس . قال ابن الجوزي : والكلام في الناس بالجرح والتعديل ليس من هذا القبيل ،  
وإنما ابن السمعاني يجب أن يتعصب على أمجاد الامام أحمد ، فهوذ بالله من سوء القصد والتعصب .  
توفي محمد بن ناصر ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شعبان منها ، عن ثلاث وثمانين سنة ، وصلى عليه  
مرات ، ودفن بباب حرب .

مجلى بن جميع أبو المعالي

الخزومي الأرسوفي ثم المصري قاضيا ، الفقيه الشافعي ، مصنف النخار وفيها غرائب كثيرة وهي  
من الكتب المفيدة . ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

في الحرم دخل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه إلى بغداد وعلى رأسه الشمسية ، فتلقيه  
الوزير ابن هبيرة وأدخله على الخليفة ، وقبل الأرض وحلقه على الطاعة وصفاء النية والمناسحة  
والمودة ، وخلع عليه خلع الملوك ، وتقرر أن للخليفة العراق وسليمان شاه ما يفتح من خراسان ، ثم  
خطب له ببغداد بعد الملك سنجر ، ثم خرج منها في ربيع الأول فاقتل هو والسلطان محمد بن  
محمود بن ملكشاه ، فهزمه محمد وهزم عسكره ، فذهب مهزوما فتلقيه نائب قطب الدين مودود بن  
زنكي ، صاحب الموصل ، فأسره وحبسه بقلعة الموصل ، وأكرمه مدة حبسه وخدمه ، وهذا من أغرب

الاتفاقات . وفيها ملكت الفرنج المهدية من بلاد المغرب بعد حصار شديد . وفيها فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة تل حارم واقتلها من أيدي الفرنج ، وكانت من أحصن القلاع وأمنع البقاع ، وذلك بعد قتال عظيم ووقعة هائلة كانت من أكبر الفتوحات ، وامتدحه الشعراء عند ذلك . وفيها هرب الملك سنجر من الأسر وعاد إلى ملكه بمر و ، وكان له في يد أعدائه نحو من خمس سنين . وفيها ولي عبد المؤمن ملك الغرب أولاده على بلاده ، استتاب كل واحد منهم على بلد كبير وإقليم متسع .

### حصار بغداد

وسبب ذلك أن السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه أرسل إلى المقتفي يطلب منه أن يخطب له في بغداد ، فلم يجبه إلى ذلك ، فسار من همدان إلى بغداد ليحاصرها ، فأنجفل الناس وحصن الخليفة البلد ، وجاء السلطان محمد فحصر بغداد ، ووقف تجاه التاج من دار الخلافة في جحفل عظيم ، ورموا نحوه الشباب ، وقاتلت العامة مع الخليفة قتالا شديدا باللفظ وغيره ، واستمر القتال مدة ، فبينما هم كذلك إذ جاءه الخبر أن أخاه قد خلفه في همدان ، فانشمر عن بغداد إليها في ربيع الأول من سنة اثنتين وخمسين ، وتفرقت عنه العساكر الذين كانوا معه في البلاد ، وأصاب الناس بعد ذلك القتال مرض شديد ، وموت ذريع ، واحترقت محال كثيرة من بغداد ، واستمر ذلك فيها مدة شهرين . وفيها أطلق أبو الوليد البدر بن الوزير بن هبيرة من قلعة تكريت ، وكان معتقلا فيها من مدة ثلاث سنين ، فتلقيه الناس إلى أثناء الطريق ، وامتدحه الشراء ، وكان من جملتهم الأبله الشاعر ، أنشد الوزير قصيدة يقول في أولها :

بأي لسانٍ للوشاةِ الأمامِ \* وقد علموا أني سهرتَ وناموا ؟

إلى أن قال :

ويستكثرونِ الوصلَ لي ليلةً \* وقد مرَّ عامٌ بالصدودِ وعامٌ

فطرب الوزير عند ذلك . وخلع عليه ثيابه وأطلق له خمسين ديناراً ، وحج بالناس قيباز .

ومن توفي فيها من الأعيان . علي بن الحسين

أبو الحسن الغزنوي الواعظ ، كان له قبول كثير من العامة ، وبنت له الخاتون زوجة المستظهر رباطا بباب الأرج ، ووقفت عليه أوقافا كثيرة ، وحصل له جاه عريض وزاره السلطان . وكان حسن الإراد ملبح الوعظ ، يحضر مجلسه خلق كثير وجم غفير من أصفاف الناس . وقد ذكر ابن الجوزي أشياء من وعظه ، قال وسمعت يوماً يقول : حزمة حزن خير من أعدل أعمال . ثم أنشد :

كم حسرةٍ لي في الحشا \* من ولي إذا نشأ \* أولت فيه رُشدُهُ \* فما يشاء كما نشأ

قال وسمعت يوماً ينشد :

يحدثني قومي على صنعتي \* لأنني في صنعتي فارس  
سهرت في ليلي واستنمسا \* وهل يستوى الساهر والناس؟

قال : وكان يقول : تولون اليهود والنصارى فيسبون نبيكم في يوم عيدكم ، ثم يصبحون يجلسون إلى جانبكم ؟ ثم يقول : ألا هل بلغت ؟ قال : وكان يتشيع ، ثم سعى في منعه من الوعظ ثم أذن له ، ولكن ظهر للناس أمر العبادي ، وكان كثير من الناس يميلون إليه ، وقد كان السلطان يعظمه ويحضر مجلسه ، فلما مات السلطان مسعود ولي الغزنوي بعده ، وأهين إهانة بالغة ، فرض ومات في هذه السنة . قال ابن الجوزي : وبلغني أنه كان يعرق في نزعته ثم يفيق وهو يقول : رضى وتسليم ، ولما مات دفن في رباطه الذي كان فيه .

### محمود بن إسماعيل بن قادوس

أبو الفتح الدمياطي ، كاتب الانشا بالديار المصرية ، وهو شيخ القاضي الفاضل ، كان يسميه ذا البلاغتين ، وذكره العماد الكاتب في الجريدة . ومن شعره فيمن يكرر التكبير ويوسوس في نية الصلاة في أولها :

وفاترُ النيةِ عنينها \* مع كثرة الرعدة والهزّة  
يكبرُ التسعين في مرة \* كأنه يصلي على حمزة

### الشيخ أبو البيان

بنا بن محمد المعروف بابن الحوراني ، الفقيه الزاهد العابد الفاضل الخاشع ، قرأ القرآن وكتاب التنبيه على مذهب الشافعي ، وكان حسن المعرفة باللغة ، كثير المطالعة ، وله كلام يؤثر عنه ، ورأيت له كتابا بخطه فيه النظام التي يقولها أصحابه وأتباعه بلهجة غريبة ، وقد كان من نشأته إلى أن توفي على طريقة صالحة ، وقد زاره الملك نور الدين محمود في رباطه داخل درب الحجر ، ووقف عليه شيئا ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بمقابر الباب الصغير ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً . وقد ذكرته في طبقات الشافعية رحمه الله .

### عبد الغافر بن إسماعيل

ابن عبد القادر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن سعيد ، الفارسي الحافظ ، تفقه بامام الحرمين وسمع الكثير على جده لأنه أبي القاسم القشيري ، ورحل إلى البلاد وأسمع ، وصنف المفهم في غريب مسلم وغيره ، وولى خطابة نيسابور ، وكان فاضلاً ديناً حافظاً .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة

استهلت هذه السنة ومحمد شاه بن محمود محاصر بغداد والعمامة والجند من جهة الخليفة المتقي

يقاتلون أشد القتال ، والجمعة لاتقام لمنذر القتال ، والفتنة منتشرة ، ثم يسر الله بذهاب السلطان ، كما تقدم في السنة التي قبلها ، وقد بسط ذلك ابن الجوزي في هذه السنة فطول . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام ، هلك بسببها خلق كثير لا يعلمهم إلا الله ، وتهدم أكثر حلب وحمص وشيزر وحصن وكفر طاب وحصن الأكراد واللاذقية والمرة وفاميه وإنطاكية وطرابلس . قال ابن الجوزي : وأما شيزر فلم يسلم منها إلا امرأة وخدام لها ، وهلك الباقون ، وأما كفر طاب فلم يسلم من أهلها أحد ، وأما فاميه فساحت قلعتهما ، وتل حران انقسم نصفين فابدى نواويس وبيوت كثيرة في وسطه . قال : وهلك من مدائن الفرنج شيء كثير ، وتهدم أسوار أكثر مدن الشام ، حتى أن مكتبا من مدينة حماه انهدم على من فيه من الصغار فهلكوا عن آخرهم ، فلم يأت أحديسأل عن أحد منهم ، وقد ذكر هذا الفصل الشيخ أبو شامة في كتاب الروضتين مستقصى ، وذكر ما قاله الشعراء من القصائد في ذلك . وفيها ملك السلطان محمود بن محمد بعد خاله سنجر جميع بلاده . وفيها فتح السلطان محمود بن زنكي حصن شيزر بعد حصار ، وأخذ مدينة بملبك ، وكان بها الضحاك البقاعي ، وقد قيل إن ذلك كان في سنة خمسين كما تقدم فأنه أعلم ، وقد تقدم ذلك . وفيها مرض نور الدين فمرض الشام بمرضه ثم عوفي وفرح المسلمون فرحاً شديداً ، واستولى أخوه قطب الدين مودود صاحب الموصل على جزيرة ابن عمر . وفيها عمل الخليفة بابا للكعبة مصفحاً بالذهب ، وأخذ بابها الأول فجعله لنفسه نابوتاً . وفيها أغارت الاسماعيلية على حجاج خراسان فلم يبقوا منهم أحداً ، لا زاهداً ولا عالماً . وفيها كان غلاء شديد بخراسان حتى أكلوا الحشرات ، وذبح إنسان منهم رجلاً علواً فطبخه وباعه في السوق ، فحين ظهر عليه قتل . [ وذكر أبو شامة أن فتح بانياس كان في هذه السنة على يد نور الدين بنفسه ، وقد كان معين الدين سلمها إلى الفرنج حين حاصروا دمشق ، فعوضهم بها ، وقيل ملكها وغنم شيئاً كثيراً ] . وفيها قدم الشيخ أبو الوقت عبيد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي ، فسمعوا عليه البخاري في دار الوزير ببغداد ، وحج بالناس قباً .

ومن توفي فيها من الأعيان . أحمد بن محمد

ابن عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل ، أبو الليث النسفي من أهل سمرقند ، سمع الحديث وتفقه ووعظ ، وكان حسن السميت ، قدم ببغداد فوعظ الناس ، ثم عاد إلى بلده فقتله قطاع الطريق رحمه الله تعالى . أحمد بن بختياز

ابن علي بن محمد ، أبو العباس المارداني الواسطي قاضياً ، سمع الحديث وكانت له معرفة تامة في الأدب واللغة ، وصنف كتباً في التاريخ وغير ذلك ، وكان ثقة صدوقاً توفي ببغداد وصلى عليه بالنظامية

## السلطان سنجر

ابن الملك شاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، أبو الحارث واسمه أحمد ، ولقب بسنجر ، مولده في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وأقام في الملك نيفا وستين سنة ، من ذلك استقلالا إحدى وأربعين سنة ، وقد أسره الغزنويون من خمس سنين ، ثم هرب منهم وعاد إلى ملكه بمرو ، ثم توفي في ربيع الأول من هذه السنة ودفن في قبة بناها لها دار الآخرة رحمه الله .

### محمد بن عبد اللطيف

ابن محمد بن ثابت ، أبو بكر الخجندی القتيبه الشافعي ، ولى تدريس النظامية ببغداد ، وكان يناظر حسنا ويعظ الناس وحوله السيوف مسللة . قال ابن الجوزي : ولم يكن ماهرا في الوعظ ، وكانت حاله أشبه بالوزراء من العلماء ، وتقدم عند السلاطين حتى كانوا يصدرون عن رأيه ، توفي بأصبهان فجأة فيها .

### محمد بن المبارك

ابن محمد بن الخلل أبو الحسن بن أبي البقاء ، سمع الحديث وتفقه على الشافعي ، ودرس وأفتى ، وتوفي في محرم هذه السنة ، وتوفي أخوه الشيخ أبو الحسين بن الخلل الشاعر في ذى القعدة منها يحيى بن عيسى

ابن إدريس أبو البركات الأنباري الواعظ ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفقه ووعظ الناس على طريقة الصالحين ، وكان يبكي من أول صعوده إلى حين نزوله ، وكان زاهدا عابدا ورعا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، وورق أولاداً صالحين ساهم بأسماء الخلفاء الأربعة ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحفظهم القرآن كلهم بنفسه ، وختم خلقا كثيرا ، وكان هو وزوجته يصومان الدهر ، ويقومان الليل ، ولا يفطران إلا بعد العشاء ، وكانت له كرامات ومنامات صلحة ، ولما مات قالت زوجته : اللهم لا تحبيني بعده ، فماتت بعده بخمسة عشر يوما ، وكانت من الصالحات رحمها الله تعالى .

### ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

فيها كثر فساد التركمان من أصحاب ابن برجم الايوبي ، فجهز إليهم الخليفة منكورس<sup>(١)</sup> المسترشدى في جيش كثيف ، فالتقوا معهم فهزمهم أقبح هزيمة ، وجاؤا بالأسارى والرؤس إلى بغداد . وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان محمود وبين الغز ، فكسروه ونهبوا البلاد ، وأقاموا بمرو ثم طلبوه إليهم بخاف على نفسه فأرسل ولده بين يديه فأكرموه ، ثم قدم السلطان عليهم فاجتمعوا عليه وعظموه . وفيها وقعت فتنة كبيرة بمرو بين قتيبه الشافعية المؤيد بن الحسين ، وبين نقيب الصلويين بها أبي القاسم زيد بن الحسن ، فقتل منهم خلق كثير ، وأحرقت المدارس والمساجد والأسواق ، وانهمزم المؤيد

(١) كذا في الأصل وفي ابن الأثير « خطوبرس » .

الشافعي إلى بهض القلاع . وفيها ولد الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله ، وفيها خرج المقتني نحو الأنبار متصيهاً وعبر الفرات وزار الحسين ومضى إلى واسط وعاد إلى بغداد ، ولم يكن معه الوزير . وحج بالناس فيها قبياز الأرجواني . وفيها كسر جيش مصر الفرنج بأرض عسقلان كسروم كسرة فجيعة صحبة الملك صالح أبو الفارات ، فارس الدين طلائع بن رزيك ، وامتدحه الشعراء . وفيها قدم الملك نور الدين من حلب إلى دمشق وقد شفى من المرض ففرح به المسلمون ، وخرج إلى قتال الفرنج ، فانهزم جيشه وبقى هو في شردمة قليلة من أصحابه في نحر العدو ، فرموم بالسهم الكثيرة ، ثم خاف الفرنج أن يكون وقوفه في هذه الشردمة القليلة خديعة لمجيء كمين إليهم ، ففروا منهزمين والله الحمد .

ومن توفي فيها من الأعيان عبد الأول بن عيسى

ابن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق ، أبو الوقت السجزي الصوفي الهروي ، راوى البخارى ومسند الدارمي ، والمنتخب من مسند عبد بن حميد ، قدم بغداد فسمع عليه الناس هذه الكتب ، وكان من خيار المشايخ وأحسنهم مهتاً وأصبرهم على قراءة الحديث . قال ابن الجوزي : أخبرني أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتي الصوفي قال أسندته إلى فوات ، وكان آخر ماتكمم به أن قال [يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين] .

نصر بن منصور

ابن الحسين بن أحمد بن عبد الخالق العطار ، أبو القاسم الحرائي كان كثير المال ، يعمل من صدقاته المعروف الكثير من أنواع القربات الحسنة ، ويكثر تلاوة القرآن ، ويحافظ على الصلوات في الجماعة ، ورؤيت له منامات صالحة ، وقارب الثمانين رحمه الله .

يحيى بن سلامة

ابن الحسين أبو الفضل الشافعي ، الحصكفي نسبة إلى حصن كيفا ، كان إماماً في علوم كثيرة من الفقه والآداب ، ناظماً ناثراً ، غير أنه كان ينسب إلى التلوي في التشيع ، وقد أورد له ابن الجوزي قطعة من نظمه ، فمن ذلك قوله في جملة قضيدة له :

تقاسموا يوم الوداع كبدي \* فليس لي منذ تولوا كبدي  
على الجفون رحلوا وفي الحشاء \* نزلوا وماء عيني وردوا  
وأدبني مسفوحة وكبدي \* مقروحة وعلتي ماقد بدوا  
وصبوتني دأمة ومقلتي \* دامية ونومها مشرد  
تبيني منهم غزال أعيد \* يا حبذا ذاك الغزال الأعيد

تغزل

حسامه مجرد وصرحه \* مرمده وخذوه مورده  
 وصدغه فوق احمرار خده \* ميليل معقرب مجعد  
 كأنما نكته وزيقه \* مسك وخرم والثنايا برد  
 يقعد. عند القيام ردفه \* وفي الحشامنه المقيم المقعد  
 له قوام كفضيب بانم \* يهتز قصدا ليس فيه اود

وهي طويلة جدا ، ثم خرج من هذا التغزل إلى مدح أهل البيت والأئمة الاثني عشر رحمهم الله

وسألني عن حب أهل البيت \* هل أقر إعلاناً به أم أجدد ؟  
 هيات مزوج بلحمي ودمي \* جههم وهو الهدى والرشد  
 حيدرة والحسنان بعده \* ثم علي وابنه محمد  
 وجعفر الصادق وابن جعفر \* موسى ويتلوه على السيد  
 أعني الرضى ثم ابنه محمد \* ثم علي وابنه المسد  
 والحسن الثاني ويتلوه \* محمد بن الحسن المفتقد  
 فانهم أمتي وسادتي \* وإن لحاني معشر وفندوا  
 أئمة أكرم بهم أئمة \* أساؤهم مسرودة تطرد  
 هم حجج الله على عباده \* وهم إليه منهج ومقصده  
 قوم لهم فضل ومجد باذخ \* يعرفه المشرك والموحد  
 قوم لهم في كل أرض مشهد \* لا بل لهم في كل قلب مشهد  
 قوم مني والمشران لهم \* والمرتان لهم والمسجد  
 قوم لهم مكة والأبطح والخ \* يف وجمع والبيع الفرقد

(المهدي مستقر)  
 كما يرى الشيعة

تسبع

ثم ذكر بلطف مقتل الحسين بألفاظ لطيفة إلى أن قال :

غلفني X يا أهل بيت المصطفى يا \* عدني ومن على جهنم أعتمد  
 آل البيت X أنتم إلى الله غداً وسيلتي \* وكيف أخشى وبكم أعتصد  
 وليكم في الخلد حتى خالد \* والصد في نار لظى مخلد  
 ولست أهواكم بيفض غيركم \* إني إذا أشقى بكم لا أسعد  
 فلا يظن رافضي أني \* واقته أو خارجي مفسد  
 محمد والخلفاء بعده \* أفضل خلق الله فيما أجد  
 هم أسوا قواعد الدين لنا \* وهم بنوا أركانه وشيدوا

ومن يحنُّ أحمدَ ي أصحابه \* نخصمه يومَ المعادِ أحمدُ  
 هذا اعتقادي فالزموه تفلحوا \* هذا طريق فاسلكوه تهتدوا  
 والشافعي مذهبي مذهبه \* لأنه في قوله مؤيد  
 اتبعت في الأصل والفرع معا \* فليتبني الطالب المرشد  
 إني باذن الله ناج سابق \* إذا وني الظالم ثم المفسد  
 ومن شعره أيضاً :

إذا قلّ مالي لم تجدني جازعاً \* كثير الأسي معرى بعض الأنامل  
 ولا بطراً إن جدد الله نعمة \* ولو أن ما أوتي جميع الناس لي  
 ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة

فيها مرض الخليفة المقتنى مرضاً شديداً ، ثم عوفي منه فزينت بغداد أياماً ، وتصديق بصدقات كثيرة . وفيها استعاد عبد المؤمن مدينة المهديّة من أيدي الفرنج ، وقد كانوا أخذوها من المسلمين في سنة ثلاث وأربعين . وفيها قاتل عبد المؤمن خلقاً كثيراً من الغرب حتى صارت عظام القتلى هناك كالتل العظيم ، وفي صفر منها سقط برد بالعراق كبار ، زنة البردة قريب من خمسة أرتال ، ومنها ما هو تسعة أرتال بالبغدادى ، فهلك بذلك شيء كثير من الغلات ، وخرج الخليفة إلى واسط فاجتاز بسوقها ورأى جامعها ، وسقط عن فرسه فشح جبينه ، ثم عوفي . وفي ربيع الآخر زادت دجلة زيادة عظيمة ، ففرق بسبب ذلك محال كثيرة من بغداد ، حتى صار أكثر الدور بها تلوّلاً ، وغرقت تربة أحمد ، وخسفت هناك القبور ، وطفئت الموتى على وجه الماء . قاله ابن الجوزى : وفي هذه السنة كثر المرض والموت ، وفيها أقبل ملك الروم في جهافل كثيرة قاصداً بلاد الشام فردّه الله خائباً خاسئاً ، وذلك لضيق حالهم من الميرة ، وأسر المسلمون ابن أخته والله الحمد . وحج بالناس فيها قباز الأرجواني .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن معالي

ابن بركة الحربى ، ثقة بأبي الخطاب السكودانى الحنبلى ، وبرع وناظر ودرس وأفتى ، ثم صار بعد ذلك شافعيّاً ، ثم عاد حنبليّاً ، ووعظ ببغداد وتوفى في هذه السنة ، وذلك أنه دخلت به راحلته في مكان ضيق فدخل قبروس سرجه في صدره فمات .

السلطان محمود بن محمود بن محمد بن ملكشاه

لما رجع من محاصرة بغداد إلى همدان أصابه مرض السل فلم ينجح منه ، بل توفى في ذى الحجة منها ، وقبل وفاته بأيام أمر أن يعرض عليه جميع ما يملكه ويقدر عليه ، وهو جالس في المنظرة ،



فركب الجيش بكامله وأحضرت أمواله كلها ، وماليك حتى جواريه وحظاياه ، فجعل يبكي ويقول : هذه المساكر لا يدفعون عنى مثقال ذرة من أمر ربي ، ولا يزيدون في عمري لحظة ، ثم ندم وتأسف على ما كان منه إلى الخليفة المقتدى ، وأهل بغداد وحصارهم وأذيتهم ، ثم قال : وهذه الخزائن والأموال والجواهر لو قبلهم ملك الموت منى فداء لجدت بذلك جميعه له ، وهذه الحظايا والجواري الحسان والماليك لو قبلهم فداء منى لكانت بذلك سمحاً له . ثم قال : [ ما أغنى عنى ماله هلك عنى سلطانيه ] ثم فرق شيئاً كثيراً من ذلك من تلك الحواصل والأموال ، وتوفى عن ولد صغير ، واجتمعت المساكر والأمرأة على عمه سايمان شاه بن محمد بن ملكشاه ، وكان مسجوناً بالموصل فأفرج عنه وانمقدت له السلطنة ، وخطاب له على منابر تلك البلاد سوى بغداد والعراق . والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة

فيها كانت وفاة الخليفة المقتدى بأمر الله .

أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله

مرض بالترقي وقيل بدمل خرج بمقلقه ، فات ليلة الأحد ثاني ربيع الأول منها عن ست وستين سنة ، إلا ثمانية وعشرين يوماً ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى الترب ، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة وعشرين يوماً ، وكان شهماً شجاعاً مقداماً ، يباشر الأمور بنفسه ، ويشاهد الحروب ويبذل الأموال الكثيرة لأصحاب الأخبار ، وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن السلطان ، من أول أيام الديلم إلى أيامه ، وتمكن في الخلافة وحكم على العسكر والأمرأة ، وقد وافق أباه في أشياء : من ذلك مرضه بالترقي ، وموته في ربيع الأول ، وتقدم موت السلطان محمد شاه قبله بثلاثة أشهر ، وكذلك أبوه المستظهر مات قبله السلطان محمود بثلاثة أشهر ، وبعد غرق بغداد بسنة مات أبوه ، وكذلك هذا . قال عفيف الناسخ : رأيت في المنام قائلاً يقول : إذا اجتمعت ثلاث خآآت مات المقتدى - يعني خمساً وخمسين وخمسمائة .

خلافة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتدى

لما توفى أبوه كما ذكرنا ببيع بالخلافة في صبيحة يوم الأحد ثاني ربيع الأول من هذه السنة ، بايحه أشرف بنى العباس ، ثم الوزير والقضاة والعلماء والأمرأة وعمره يومئذ خمس وأربعون سنة ، وكان رجلاً صالحاً ، وكان ولي عهد أبيه من مدة متطاولة ، ثم عمل عزاء أبيه ، ولما ذكر اسمه يوم الجمعة في الخطبة نثرت الدراهم والدنانير على الناس ، وفرح المسلمون به بعد أبيه ، وأقر الوزير ابن هبيرة على منصبه ووعده بذلك إلى الممات ، وعزل قاضي القضاة ابن الدامغانى وولى مكانه أبا جعفر بن عبد الواحد ، وكان شيخاً كبيراً ، له سماع بالحديث ، وباشر الحكم بالكوفة ، ثم توفى في

ذى الحجة منها . وفي شوال من هذه السنة اتفق الأتراك بباب همدان على سليمان شاه ، وخطبوا لأرسلان شاه بن طغرل ، وفيها توفى .

### الفائز خليفة مصر الفاطمي

وهو أبو القاسم عيسى بن إسماعيل الظافر ، توفى في صفر منها وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة ، ومدة ولايته من ذلك ست سنين وشهران ، وكان مدبر دولته أبو الغارات . ثم قام بعده العاضد آخر خلفائهم ، وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ ، ولم يكن أبوه خليفة ، وكان يومئذ قد ناهز الاحتلام ، فقام بتدبير مملكته الملك الصالح طلائع بن رزيك الوزير ، أخذ له البيعة وزوجه بابنته ، وجهرها بمجهاز عظيم يعجز عنه الوصف ، وقد عمرت بعد زوجها العاضد ورأت زوال دولة الفاطميين على يد الملك صلاح الدين بن يوسف ، في سنة أربع وستين كما سيأتي . وفيها كانت وفاة السلطان الكبير صاحب غزنة .

خسر وشاه بن ملكشاه

ابن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن محمود بن سبكتكين ، من بيت ملك ورياسة باذخة ، يرثونها كبرا عن كبر ، وكان من سادات الملوك وأحسنهم سيرة ، يحب العلم وأهله ، توفى في رجب منها ، وقام بعده ولده ملكشاه ، فسار إليه علاء الدين الحسين بن الغوري فحاصر غزنة فلم يقدر عليها ، ورجع خائباً . وفيها مات .

### ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه

السلجوقي بأصبهان مسموماً ، فيقال إن الوزير عون الدين بن هبيرة دس إليه من سقاه إياه والله أعلم . وفيها مات أمير الحاج .

### قياز بن عبد الله الأرجواني

سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة بميدان الخليفة ، فسال دماغه من أذنه فمات من ساعته ، وقد كان من خيار الأمراء ، فتأسف الناس عليه ، وحضر جنازته خلق كثير ، مات في شعبان منها ، فحج بالناس فيها الأمير برغش مقطع الكوفة . وحج الأمير الكبير شيركوه بن شاذي ، مقدم عساكر الملك نور الدين ، وتصدق بأموال كثيرة . وفيها استعفى القاضي زكي الدين أبو الحسن علي بن محمد ابن يحيى أبو الحسن القرشي من القضاء بدمشق ، فأعفاه نور الدين ، وولى مكانه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهر زوري ، وكان من خيار القضاة وأكثرهم صدقة ، وله صدقات جارية بعده ، وكان عالماً ، وإليه ينسب الشباك الكمالى الذى يجلس فيه الحكام بعد صلاة الجمعة من المشهد الغربى بالجامع الأموى ، والله أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان . الأمير مجاهد الدين

نزار بن مابن الكردي ، أحد مقدمي جيش الشام ، قبل نور الدين وبعده ، وقد ناب في مدينة صرخد ، وكان شهياً شجاعاً كثير البر والصدقات ، وهو واقف المدرسة المجاهدية بالقرب من النورية جوار الخميميين ، وله أيضاً المدرسة المجاهدية داخل باب الفرائيس البراني ، وبها قبره . وله السبع المجاهدي داخل باب الزيادة من الجامع بمقصورة الخضر ، توفى بداره في صفر منها ، فحمل إلى الجامع وصلى عليه ثم أعيد إلى مدرسته ودفن بها داخل باب الفرائيس ، وتأسف الناس عليه .

الشيخ عدي بن مسافر

ابن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري ، شيخ الطائفة العدوية ، أصله من البقاع غربى دمشق ، من قرية بيت نار ، ثم دخل إلى بغداد فاجتمع فيها بالشيخ عبد القادر والشيخ حماد الدباس ، والشيخ عقيل المنبجى ، وأبى الوفا الحلواني ، وأبى النجيب السهروردي وغيرهم ، ثم انفرد عن الناس وتخلّى بجبل هكارو بنى له هناك زاوية واعتنقه أهل تلك الناحية اعتقاداً بدينه ، حتى أن منهم من يغفلوا كثيراً منكراً ومنهم من يجمعه إلهاً أو شريكاً ، وهذا اعتقاد فاحش يؤدى إلى الخروج من الدين جملة . مات في هذه السنة بزوايته وله سبعون سنة رحمه الله .

عبد الواحد بن أحمد

ابن محمد بن حمزة ، أبو جعفر الثقفى ، قاضى قضاة بغداد ، ولها بعد أبى الحسن الدامغانى في أول هذه السنة ، وكان قاضياً بالكوفة قبل ذلك ، توفى في ذى الحجة منها وقد ناهز الثمانين ، وولى بعده ابنه جعفر . والفائز صاحب مصر ، وقباز تقدمنا فى الحوادث .

محمد بن يحيى

ابن على بن مسلم أبو عبد الله الزبيدى ، ولد بمدينة زبيد بالمين سنة ثمانين تقريباً ، وقدم بغداد سنة تسع وخمسمائة ، فوعظ وكانت له معرفة بال نحو والأدب ، وكان صبوراً على الفقر لا يشكو حاله إلى أحد ، وكانت له أحوال صالحة رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة

فيها قتل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ، وكان عنده استمراء وقلّة مبالاة بالدين ، مدمن شرب الخمر في رمضان ، فنار عليه مدبر مملكته بزديار الخادم قتلته ، وبايع بعده السلطان أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه . وفيها قتل الملك الصالح فارس الدين أبو الفارات طلائع ابن رزيك الأرنؤى ، وزير الماضد صاحب مصر ، ووالد زوجته ، وكان قد حجر على الماضد لصفه واستحوذ على الأمور والحاشية ، ووزر بعده ولده رزيك ، ولقب بالماذل ، وقد كان أبوه الصالح

كرباً أديباً ، يحب أهل العلم ويحسن إليهم ، كان من خيار الملوك والوزراء ، وقد امتدحه غير واحد من الشعراء . قال ابن خلكان : كان أولاً متولياً بمنية بنى الخصب ، ثم آل به الحال إلى أن صار وزير الماضد والفاز قبله ، ثم قام في الوزارة بعده ولده العادل رزيق بن طلائع ، فلم يزل فيها حتى انتزعها منه شاور كما سيأتي . قال : والصالح هذا هو باني الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة ، قال : ومن العجائب أنه ولي الوزارة في تاسع عشر شهر ونقل من دار الوزارة إلى القرافة في تاسع عشر شهر ، وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر آخر . قال ومن شعره ما رواه عنه زين الدين علي بن نجبا الخنبلي

مشيبك قد محى صنع الشباب \* وحلّ الباز في وكر الغراب  
تنام ومقلّة المدنان يقظي \* وما ناب النوائب عنك ناب  
وكيف نفاذ عمرك وهو كنز \* وقد أنفقت منه بلا حساب  
وله } كم ذا يرينا الدهر من أحداثه \* عبراً وفينا الصدّ والاعراض  
نفسى المات وليس يجرى ذكره \* فينا فنذكرنا به الأمراض  
ومن شعره أيضاً قوله :

أبي الله إلا أن يدوم لنا الدهر \* ويخدمنا في ملكنا العز والنصر  
علمنا بأنّ المال تنفى أوفه \* ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر  
خلطنا الندى بالبأس - حتى كأننا \* سحبّ لديه البرق والرعد والقطر  
وله أيضاً وهو مما نظمه قبل موته بثلاث ليال :

[ نحن في شهلة ونوم وللو \* ت عيون يقظانة لا تنام ]  
قد رحلنا إلى الحمام سنيها \* ليت شعري متى يكون الحمام ؟

ثم قتله غلمان الماضد في النهار غيلة وله إحدى وستون سنة ، وخلع على ولده العادل بالوزارة ورثاه عمارة التميمي بقصائد حسان ، ولما نقل إلى تربته بالقرافة سار الماضد معه حتى وصل إلى قبره فدفنه في التابوت . قال ابن خلكان : فعمل الفقيه عمارة في التابوت قصيدة فجار فيها في قوله :

وكانه تابوت موسى أودعت \* في جانبه سكينه ووقار

وفيهما كانت وقعة عظيمة بين بني خلفه وأهل الكوفة ، فقتلوا من أهل الكوفة خلقاً ، منهم الأمير قيصر وجرحوا أمير الحاج برغش جراحات ، فقبض إليهم وزير الخلافة عون الدين بن هبيرة ، فحبسهم حتى أوغل خلفهم في البرية في جيش كثيف ، فبعثوا يطلبون العفو . وفيها ولي مكة الشريف عيسى بن قاسم بن أبي هاشم ، وقيل قاسم ، بن أبي فليسة بن قاسم بن أبي هاشم . وفيها أمر الخليفة بإزالة الدكاكين التي تضيق الطرقات ، وأن لا يجلس أحد من الباعة في عرض الطريق ،

لثلا يضر ذلك بالمارة . وفيها وقع رخص عظيم بينسداد جدا . وفيها فتحت المدرسة التي بناها ابن الشمعل في المأمونية ودرس فيها أبو حكيم إبراهيم بن دينار النيرواني الحنبلي ، وقد توفى من آخرهذه السنة ، ودرس بعده فيها أبو الفرج ابن الجوزي ، وقد كان عنده معيدا ، ونزل عن تدريس آخر بياب الأزج عند موته .

ومن توفى فيها من الأعيان . حمزة بن علي بن طلحة

أبو الفتوح الحاجب ، كان خصيصاً عند المسترشد والمقتفي ، وقد بنى مدرسة إلى جانب داره ، وحج فرجع منزهدا ولزم بيته معظماً نحواً من عشرين سنة ، وقد امتدحه الشراء فقال فيه بعضهم :

يا عَضْدَ الإسلامِ يا مَنْ سَمَتْ \* إلى الملائكة الفاخرة

كانت لك الدنيا فلم ترضها \* ملكاً فأخلدت إلى الآخرة

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة

فيها دخلت الكرج بلاد المسلمين فقتلوا خلقاً من الرجال وأسروا من الذراري ، فاجتمع ملوك تلك الناحية : ايلدكز صاحب أذر بيجان وابن سبجان صاحب خلاط ، وابن آقسنقر صاحب مراغة ، وساروا إلى بلادهم في السنة الآتية فتهبوا ، وأسروا ذراريهم ، والتقوا معهم فكسروهم كسرة فظيمة منكرة ، مكثوا يقتلون فيهم ويأسرون ثلاثة أيام . وفي رجب أعيد يوسف الدمشقي إلى تدريس النظامية بعد عزل ابن نظام الملك بسبب أن امرأة ادعت أنه تزوجها فأنكر ثم اعترف ، فعزل عن التدريس . وفيها كتبت المدرسة التي بناها الوزير ابن هبيرة بياب البصرة ، ورتب فيها مدرساً وفقهاً ، وحج بالناس أمير الكوفة برغش .

ومن توفى فيها من الأعيان . شعجاع شيخ الحنفية

ودفن عند المشهد ، وكان شيخ الحنفية بمشهد أبي حنيفة ، وكان جيد الكلام في النظر ، أخذ

عنه الحنفية . صدقة بن وزير الواعظ

دخل بغداد ووعظ بها وأظهر نقشاً ، وكان يميل إلى التشيع وعلم الكلام ، ومع هذا كله راجع عند العوام وبعض الأمراء ، وحصل له فتوح كثير ، ابتغى منه رباطاً ودفن فيه ساعه الله تعالى .

زمرد خاتون

بنت جاولي أخت الملك دقاق بن تنش لأمه ، وهي بانية الخاتونية ظاهر دمشق عند قرية صنعاء بمكان يقال له تل الثعالب ، غربي دمشق ، على جانب الشرق القبلي بصنعاء الشام ، وهي قرية معروفة قديماً ، وأوقفها على الشيخ برهان الدين علي بن محمد البلخي الحنفي المتقدم ذكره ، وكانت زوجة الملك بوري بن طغتكين ، فولدت له ابنيه شمس الملوك إسماعيل المذكور ، وقد ملك بعد

أبيه وسار سيرته ، ومالاً الفرنج على المسلمين وهم بتسليم البلد والأموال إليهم قتلوه ، وتملك أخوه وذلك بعد مراجعتها ومساعدتها ، وقد كانت قرأت القرآن ، وصمعت الحديث ، وكانت حنفية المذهب تحب العلماء والصلحاء ، وقد تزوجها الاتابكي زنكي صاحب حلب طمعاً في أن يأخذ بسببها دمشق فلم يظفر بذلك ، بل ذهبت إليه إلى حلب ثم عادت إلى دمشق بعد وفاته ، وقد دخلت بغداد وسارت من هناك إلى الحجاز ، وجاورت بمكة سنة ، ثم جاءت فأقامت بالمدينة النبوية حتى ماتت بها ودفنت بالبقيع في هذه السنة ، وقد كانت كثيرة البر والصدقات والصلاة والصوم ، قال السبط ولم تمت حتى قل ما بيدها ، وكانت تفر بل القمح والشعير وتتقوت بأجرته ، وهذا من تمام الخير والسعادة وحسن الخاتمة رحمها الله تعالى ، والله أعلم .

### ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

فيها مات صاحب المغرب عبد المؤمن بن علي التومرتي ، وخلفه في الملك من بعده ابنه يوسف وحمل أباه إلى مرا كش على صفة أنه مريض ، فلما وصلها أظهر موته فعزاه الناس وبايعوه على الملك من بعده أبيه ، ولقبوه أمير المؤمنين ، وقد كان عبد المؤمن هذا حازماً شجاعاً ، جواداً معظماً للشريعة ، وكان من لا يحافظ على الصلوات في زمانه يقتل ، وكان إذا أذن المؤذن وقيل الأذان يزدحم الخلق في المساجد ، وكان حسن الصلاة ذا طمأنينة فيها ، كثير الخشوع ، ولكن كان سفاكاً للدماء ، حتى على الذنوب الصغير ، فأمره إلى الله بحكم فيه بما يشاء . وفيها قتل سيف الدين محمد بن علاء الدين الغزي ، قتله النز ، وكان عادلاً . وفيها كبتت الفرنج نور الدين وجيشه فانهزم المسلمون لا يلوى أحد على أحد ، ونهض الملك نور الدين فركب فرسه والشبحة في رجله فقتل رجل كردي قطعها فسار نور الدين فنجاً ، وأدركت الفرنج ذلك الكردي قتلوه رحمة الله ، فأحسن نور الدين إلى ذريته ، وكان لا ينسى ذلك له . وفيها أمر الخليفة باجلاء بني أسد عن الحلة وقتل من تخلف منهم ، وذلك لافسادهم ومكاتبتهم السلطان محمد شاه ، ونحز يرضهم له على حصار بغداد ، فقتل من بني أسد أربعة آلاف ، وخرج الباقون منها ، وتسلم نواب الخليفة الحلة . وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير .  
ومن توفي فيها من الأعيان السلطان الكبير .

### أبو محمد عبد المؤمن بن علي

القيسي الكوي تلميذ ابن التومرت ، كان أبوه يعمل في الطين فاعلاً ، فحين وقع نظر ابن التومرت عليه أحبه وتفرد فيه أنه شجاع سميد ، فاستصحبه فمظم شأنه ، والتفت عليه المساكر التي جمعها ابن التومرت من المصامدة وغيرهم ، وحادروا صاحب مرا كش علي بن يوسف بن تاشفين ، ملك الملثين ، واستحوذ عبد المؤمن على وهران وتلمسان وفاس وسلا وسبتة ، ثم حاصر مرا كش أحد

عشر شهراً فافتتحها في سنة ثنتين وأربعمائة وخمسة ، وتمهدت له الممالك هناك ، وصفا له الوقت وكان عاقلاً وقوراً شكلاً حسناً محباً للخير ، توفي في هذه السنة ومكث في الملك ثلاثاً وثلاثين سنة ، وكان يسمى نفسه أمير المؤمنين رحمه الله .

### طلحة بن علي

ابن طراد ، أبو أحمد الزينبي ، تقيب النقباء ، مات فجأة وولى النقباء بعده ولده أبو الحسن علي وكان أمرد فمزول وصور في هذه السنة .

### محمد بن عبد الكريم

ابن إبراهيم ، أبو عبد الله المعروف بابن الأنباري كاتب الانشاء ببغداد ، كان شيخاً حسناً ظريفاً وانفرد بصناعة الانشاء ، وبعث رسولا إلى الملك سنجر وغيره ، وخدم الملوك والخلفاء ، وقارب القسمين . ومن شعره في محبي الدنيا والصور :

يا من هجرت ولا تبالي \* هل ترجع دولة الوصال  
 هل اطعم يا عذاب قلبي \* أن ينعم في هواك بالي  
 ما ضرك أن تعاليني \* في الوصل بموعده الحال  
 أهواك وأنت حظ غيري \* يا قاتلي فما احتيالي  
 أيام عنائي قبل سود \* ما أشبهن بالليالي  
 المذل فيك يعلوني \* عن حبك ما لهم ومالي  
 يا ملزمني السلوا عنها \* الصب أنا وأنت سالي  
 والقول بتركها صواب \* ما أحسنه لو استوى لي  
 طلقت نجلدي ثلاثاً \* والصبوة بعد في خيالي  
 ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة

فيها قدم شاور بن مجير الدين أبو شجاع السعدي الملقب بأمر الجيوش ، وهو إذ ذاك وزير الديار المصرية بعد آل رزيك ، لما قتل الناصر رزيك بن طلائع ، وقام في الوزارة بعده ، واستفعل أمره فيها ، فأر عليه أمير يقال له الضرغام بن سوار ، وجمع له جموعاً كثيرة ، واستظهر عليه وقتل ولديه طيباً وسليمان ، وأسر الثالث وهو الكامل بن شاور ، فسجنه ولم يقتله ، ليد كانت لأبيه عنده ، واستوزر ضرغام ولقب بالنصور ، فخرج شاور من الديار المصرية هارباً من العاصد ومن ضرغام ، ملتجئاً إلى نور الدين محمود ، وهو نازل بمجوسق الميدان الأخضر ، فأحسن ضيافته وأنزله بالجوسق المذكور ، وطلب شاور منه عسكرياً ليكونوا معه ليفتح بهم الديار المصرية ، وليكون لنور الدين

ثالث مغلها ، فأرسل معه جيشا عليه أسد الدين شيركوه بن شادى ، فلما دخلوا بلاد مصر خرج إليهم الجيش الذين بها فاقتتلوا أشد القتال ، فهزهم أسد الدين وقتل منهم خلقا ، وقتل ضرغام بن سوار وطيف برأسه فى البلاد ، واستقر أمر شاور فى الوزارة ، وتمهد حاله ، ثم اصطالح الماضد وشاور على أسد الدين ، ورجع عما كُنَّ عاهد عليه نور الدين ، وأمر أسد الدين بالرجوع فلم يقبل منه ، وعاث فى البلاد ، وأخذ أموالا كثيرة ، وافتتح بلدانا كثيرة من الشرقية وغيرها ، فاستغاث شاور عليهم بملك الفرنج الذى بعسقلان ، واسمه مرى ، فأقبل فى خاق كثير فتحول أسد الدين إلى بلبليس وقد حصنها وشحنها بالهدد والآلات وغير ذلك ، فحصره فيها ثمانية أشهر ، وامتنع أسد الدين وأصحابه أشد الامتناع ، فبينما هم على ذلك إذ جاءت الأخبار بأن الملك نور الدين قد اغتم غيبة الفرنج فسار إلى بلادهم فقتل منهم خلقا كثيرا ، وفتح حارم وقتل من الفرنج بها خلقا ، وسار إلى بانياس ، فضرب صاحب عسقلان الفرنجى ، وطلبوا من أسد الدين الصلح فأجابهم إلى ذلك ، وقبض من شاور ستين ألف دينار ، وخرج أسد الدين وجيشه فساروا إلى الشام فى ذى الحجة .

### وقعة حارم

فتحت فى رمضان من هذه السنة ، وذلك أن نور الدين استغاث بعساكر المسلمين لجأؤه من كل فج ليأخذ ثأره من الفرنج ، فالتقى معهم على حارم فكسروهم كسرة فظيمة ، وأسر البرانس بيمنند صاحب إنطاكية ، والقوهص صاحب طرابلس ، والدوك صاحب الروم ، وابن جوسليق ، وقتل منهم عشرة آلاف ، وقيل عشرين ألفا . وفى ذى الحجة منها فتح نور الدين مدينة بانياس ، وقيل إنه إنما فتحها فى سنة ستين فأنه أعلم . وكان معه أخوه نصر الدين أمير أميران ، فأصابه سهم فى إحدى عينيه فأذهبها ، فقال له الملك نور الدين : لو نظرت لما أعد الله لك من الأجر فى الآخرة لأحببت أن تنهب الأخرى . وقال لابن مدين الدين : إنه اليوم بردت جلدة والدك من نار جهنم ، لأنه كان سلبها للفرنج ، فصالحه عن دمشق . وفى شهر ذى الحجة احترق قصر جيرون حريقا عظيما ، فحضر فى تلك الليلة الأمراء منهم أسد الدين شيركوه ، بعد رجوعه من مصر ، وسعى سعياً عظيما فى إطفاء هذه النار وصون حوزة الجامع منها .

ومن توفى فيها من الأعيان . جمال الدين

وزير صاحب الموصل ، قطب الدين مودود بن زنكى ، كان كثير المعروف ، واسمه محمد بن على ابن أبى منصور ، أبو جعفر الأصهبائى ، الملقب بالجمال ، كان كثير الصدقة والبر ، وقد أثر آثارا حسنة بمكة والمدينة ، من ذلك أنه ساق عينيا إلى عرفات ، وعمل هناك مصانع ، وبنى مسجد الخفيف ودرجه ، وعملها بالرخام ، وبنى على المدينة النبوية سوراً ، وبنى جسراً على دجلة عند جزيرة ابن



عمر بالحجر المنحوت ، والحديد والرصاص ، وبنى الربط الكثيرة ، وكان يتصدق في كل يوم في بابه بمائة دينار ، ويفتدى من الأسارى في كل سنة بعشرة آلاف دينار ، وكان لا تزال صدقاته وافدة إلى الفقهاء والفقراء ، حيث كانوا من بغداد وغيرها من البلاد ، وقد حبس في سنة ثمان وخمسين ، فذكر ابن الساعى في تاريخه عن شخص كان معه في السجن أنه نزل إليه طائر أبيض قبل موته فلم يزل عنده وهو يذكر الله حتى توفى في شعبان من هذه السنة ، ثم طار عنه ودفن في رباط بناه لنفسه بالموصل ، وقد كان بينه وبين أسد الدين شيركوه بن شادى مواخاة وعهد أيهما مات قبل الآخر أن يحمله إلى المدينة النبوية ، فحمل إليها من الموصل على أعناق الرجال ، فامروا به على بلدة إاصلاوا عليه ونرحوا عليه ، وأتوا خيرا ، فصلوا عليه بالموصل وتكريت وبغداد والحلة والكوفة وفيديو مكة وطيف به حول الكعبة ، ثم حمل إلى المدينة النبوية فدفن بها في رباط بناه شرقى مسجد النبي (س) . قال ابن الجوزى وابن الساعى : ليس بينه وبين حرم النبي (س) . وقبره سوى خمسة عشر ذراعا . قال ابن الساعى : ولما صلى عليه بالحلة صعد شاب نشراً فأشاد :

سرى نمشة على الرقابِ وطالما \* سرى جوده فوق الرقابِ ونائلة

بمر على الوادى فتثنى رماله \* عليه وبالنادى فتثنى أرامله

ومن توفى بعد الحسين . ابن الخازن الكاتب

أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق أبو الفضل المعروف بابن الخازن الكاتب البغدادي الشاعر . كان يكتب جيداً فائقاً ، اعتنى بكتابة الختمات ، وأكثر ابنه نصر الله من كتابة المقامات ، وجمع لابنه ديوان شعر أورد منه ابن خلكان قطعة كبيرة .

ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة

في صفر منها وقعت بأصبهان فتنة عظيمة بين الفقهاء بسبب المذاهب دامت أياماً ، وقتل فيها خاق كثير . وفيها كان حريق عظيم ببغداد فاحترقت محال كثيرة جدا ، وذكر ابن الجوزى أن في هذه السنة ولدت امرأة ببغداد أربع بنات في بطن واحد ، وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير .

عمر بن بهليسا

ومن توفى فيها من الأعيان . الطحان الذي جدد جامع العقبة ببغداد ، واستأذن الخليفة في إقامة الجمعة فيه ، فأذن له في ذلك ، وكان قد اشترى ما حوله من القبور فأضاف ذلك إليه ، ونبش الموق منها ، فقبض الله له من نبشه من قبره بعد دفنه ، جزاء وفا .

محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد

أبو عبد الله الحراني ، كان آخر من بقى من الشهود المتبولين عند أبي الحسن الدامغانى ، وقد

سمع الحديث ، وكان لطيفاً ظريفاً ، جمع كتاباً سماه روضة الأدياء ، فيها تفت حسة . قال ابن الجوزي  
زرت يوماً فأطلت الجلوس عنده فقلت : أقوم قد ثقلت ، فأنشدني :

لئن سئمتُ إراماً وثقلاً \* زياراتٍ رفعتُ بهنُ قدرى  
فما أبرمتُ إلا حبلُ ودى \* ولا ثقلتُ إلا ظهرُ شكرى

### مرجان الخادم

كان يقرأ القراءات ، وتفق لمذهب الشافعي ، وكان يتمصب على الحنابلة ويكرههم ، ويمادى  
الوزير ابن هبيرة وابن الجوزي معاداة شديدة ، ويقول لابن الجوزي : مقصودى قلع مذهبكم ،  
وقطع ذكركم . ولما توفى ابن هبيرة في هذه السنة قوى على بن الجوزي وخانه ابن الجوزي ، فلما توفى  
في هذه السنة فرح ابن الجوزي فرحاً شديداً ، توفى [ في ذى القعدة منها .

### ابن التلميذ

الطبيب الحاذق الماهر ، اسمه هبة الله بن صاعد توفى [ عن خمس وتسعين سنة ، وكان موسماً  
عليه في الدنيا ، وله عند الناس وجاهة كبيرة ، وقد توفى قبحة الله على دينه ، ودفن بالبيعة العتيقة ،  
لارحمه الله إن كان مات نصرانياً ، فإنه كان يزعم أنه مسلم ، ثم مات على دينه .

### الوزير ابن هبيرة

بجى بن محمد بن هبيرة ، أبو المظفر الوزير للخلافة عون الدين ، مصنف كتاب الافصاح ، وقد  
قرأ القرآن وسمع الحديث ، وكانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة والمروض ، وتفق على مذهب الامام  
أحمد ، وصنف كتباً جيدة مفيدة ، من ذلك الافصاح في مجلدات ، شرح فيه الحديث وتكلم على  
مذاهب العلماء ، وكان على مذهب السلف في الاعتقاد ، وقد كان فقيراً لامل له ، ثم تعرض للخدمة  
إلى أن وزر للمقتنى ثم لابنه المستنجد ، وكان من خيار الوزراء وأحسنهم سيرة ، وأبدمهم عن الظلم ،  
وكان لا يلبس الحرير ، وكان المقتنى يقول ما وزر لبنى العباس مثله ، وكذلك ابنه المستنجد ، وكان  
المستنجد معجباً به ، قال مرجان الخادم سمعت أمير المؤمنين المستنجد ينشد لابن هبيرة وهو بين  
يديه من شعره :

{ صفتَ نعمتانِ خصتكُ وعمنا \* فذكرهما حتى القيامةِ يذكُرُ  
وَجودكُ والدنيا إليكُ فقيرةٌ \* وَجودكُ والمرِوفُ في الناسِ ينكُرُ  
فلو رامَ يا بجى مكانكُ جعفرٌ \* وبجى لكفا عنه بجى وجعفرُ  
ولم أرَ من بنوى لك السوءِ يا أباً \* المظفرُ إلا كنتُ أنتُ المظفرُ

وقد كان يبالغ في إقامة الدولة العباسية ، وحسم مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن ،

حتى استقرت الخلافة في العراق كله ، ليس للملوك معهم حكم بالكلية والله الحمد . وكان يعقد في داره للعلماء مجلساً للمناظرة يبحثون فيه وينظرون عنده ، يستفيدون منه ويستفيدون منه ، فاتفق يوماً أنه كالم رجل من الفقهاء كلمة فيها بشاعة قال له : يا حمار ، ثم ندم فقال : أريد أن تقول لي كما قلت لك ، فامتنع ذلك الرجل ، فصالحه على مائتي دينار . مات فجأة ، ويقال إنه سمه طيب فسم ذلك الطبيب بعد ستة أشهر ، وكان الطبيب يقول سمته فسمت . مات يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الأولى من هذه السنة ، عن إحدى وستين سنة ، وغسله ابن الجوزي ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير جدا ، وغلقت الأسواق ، وتباكى الناس عليه ، ودفن بالمدرسة التي أنشأها بباب البصرة رحمه الله . وقد رثاه الشعراء بمراثي كثيرة .

### ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسمائة

فيها فتح نور الدين محمود حصن المنيطرة [ من الشام ] وقتل عنده خلق كثير من الفرنج ، وغنم أموالاً جزيلة . وفيها هرب عز الدين بن الوزير ابن هبيرة من السجن ، ومعه مملوك تركي ، فنودي عليه في البلد من رده فله مائة دينار ، ومن وجد عنده هدمت داره وصلب على بابها ، وذبحت أولاده بين يديه ، فدلهم رجل من الأعراب عليه فأخذ من بستان فضرب ضرباً شديداً وأعيد إلى السجن وضيق عليه . وفيها أظهر الروافض سب الصحابة وأظهروا بأشياء منكراً ، ولم يكونوا يتمكنون منها في هذه الأعصار المتقدمة ، خوفاً من ابن هبيرة ، ووقع بين الروافض كلام فيما يتعلق بخلق القرآن . وحج بالناس برغش .

### ومن توفي فيها من الأعيان الحسن بن العباس

ابن أبي الطيب بن رستم ، أبو عبد الله الأصهباني ، كان من كبار الصالحين البكائين ، قال : حضرت يوماً مجلساً ماشاه وهو يتكلم على الناس فرأيت رب العزة في هذه الليلة وهو يقول لي : وقتت على مبتدع وسمعت كلامه ؟ لأحر منك النظر في الدنيا ، فأصبح لا يبصر وعينه مفتوحتان كأنه بصير .

### عبد العزيز بن الحسن

ابن الحباب الأغلب السعدي القاضي ، أبو المعالي البصري ، المعروف بابن الجليس ، لأنه كان يجالس صاحب مهر ، وقد ذكره المماد في الجريدة ، وقال : كان له فضل مشهور وشعر مأثور فن ذلك قوله :

ومن عجب أن السيوف لديهم \* تبيض دماءً والسيوف ذكور  
وأعجب من ذا أنها في أكفهم \* تاجح ناراً والأكف بمجور

## الشيخ عبد القادر الجيلي

ابن أبي صالح أبو محمد الجيلي ، ولد سنة سبعمين وأربعمائة ، ودخل بغداد فسمع الحديث وفقه على أبي سعيد الحرمي الحنبلي ، وقد كان بنى مدرسة فقوضها إلى الشيخ عبد القادر ، فكان يتكلم على الناس بها ، ويطههم ، وانتفع به الناس انتفاعا كثيرا ، وكان له سمع حسن ، وصمت غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان فيه زهد كثير وله أحوال سالحة ومكاشفات ، ولاتباعه وأصحابه فيه مقالات ، ويذكرون عنه أقوالا وأفعالا ومكاشفات أكثرها مغالاة ، وقد كان صالحا ورعا ، وقد صنف كتاب الغنية وفتوح الغيب ، وفيهما أشياء حسنة ، وذكر فيها أحاديث ضعيفة وموضوعة ، وبالجملة كان من سادات المشايخ ، [ توفي ] وله تسعون سنة ودفن بالمدرسة التي كانت له .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة

فيها أقيمت الفرنج في جهافل كثيرة إلى الديار المصرية ، وساعدتهم المصربون فتصرفوا في بعض البلاد ، فبلغ ذلك أسد الدين شيركوه فاستأذن الملك نور الدين في العود إليها ، وكان كثير الخنق على الوزير شاور ، فأذن له فسار إليها في ربيع الآخر ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد وقع في النفوس أنه سيملك الديار المصرية ، وفي ذلك يقول عرقلة المسمى بحسان الشاعر :

والأتراك قد أزمعت \* مصر إلى حرب الأعراب  
رب كما ملكها يوسف \* الصديق من أولاد يعقوب  
فلنكها في عصرنا يوسف \* الصادق من أولاد أيوب  
من لم يزل ضربا هام العدا \* حقا وضرابا العراقيب

ولما بلغ الوزير شاور قدوم أسد الدين والجيش معه بعث إلى الفرنج فجاءوا من كل فج إليه ، وبلغ أسد الدين ذلك من شأنهم ، وإنما معه ألفا فارس ، فاستشار من معه من الأمراء فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى نور الدين ، لكثرة الفرنج ، إلا أميراً واحدا يقال له شرف الدين برغش ، فإنه قال : من خاف القتل والأسر فليقم في بيته عند زوجته ، ومن أكل أموال الناس فلا يسلم بلادهم إلى العدو ، وقال مثل ذلك ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فعزم الله لهم فساروا نحو الفرنج فانتلواهم وإيام قتالا عظيما ، فقتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة ، وهزمهم ، ثم قتلوا منهم خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، والله الحمد .

فتح الأسكندرية على يدي أسد الدين شيركوه

ثم أشار أسد الدين بالمسير [ إلى الاسكندرية ] فملكها وجبى أموالها ، واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف وعاد إلى الصعيد فملكه ، وجمع منه أموالا جزيلة جدا ، ثم إن الفرنج

والمصريين اجتمعوا على حصار الاسكندرية ثلاثة أشهر لينتزعوها من يد صلاح الدين ، وذلك في غيبة عمه في الصعيد ، وامتنع فيها صلاح الدين أشد الامتناع ، ولكن ضاقت عليهم الأقوات وضاق عليهم الحال جداً ، فسار إليهم أسد الدين فصالحه شاور الوزير عن الاسكندرية بخمسين ألف دينار ، فأجابته إلى ذلك ، وخرج صلاح الدين منها وسلها إلى المصريين ، وعاد إلى الشام في منتصف شوال ، وقرر شاور للفرنج على مصر في كل سنة مائة ألف دينار ، وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة ، وعادوا إلى بلادهم بعد أن كان الملك نور الدين أعقبهم في بلادهم ، وفتح من بلادهم حصونا كثيرة ، وقتل منهم خلقا من الرجال ، وأسر جمًّا غفيرا من النساء والأطفال ، وغنم شيئا كثيرا من الأمتعة والأموال والله الحمد . وكان معه أخوه قطب الدين مودود فأطلق له الرقة فسار فتسلها . وفيها في شعبان منها كان قدوم الهاد الكاتب من بغداد إلى دمشق ، وهو أبو حامد محمد بن محمد الأصبهاني ، صاحب الفتح القدسي ، والبرق الشامي ، والجريدة ، وغير ذلك من المصنفات ، فأنزله قاضي القضاة كمال الدين الشهر زوري بالمدرسة النورية الشافعية داخل باب الفرج ، فنسبت إليه لسكنائه بها ، فيقال لها العمادية ، ثم ولى تدريسها في سنة سبع وستين بعد الشيخ الفقيه ابن عسبد<sup>(١)</sup> وأول من جاء للسلام عليه نجم الدين أيوب كانت له وبه معرفة من تكريت ، فامتدحه الهاد بقصيدة ذكرها أبو شامة ، وكان أسد الدين وصلاح الدين بمصر فبشره فيها بولاية صلاح الدين الديار المصرية حيث يقول :

ويستقر بمصر يوسف وبه \* تقر بعد التناهي عين يعقوب  
ويلتقي يوسف فيها باخوته \* والله يجمعهم من غير تريب

ثم تولى عماد الدين كتابة الانشاء للملك نور الدين محمود .

ومن توفي فيها من الأعيان . برغش أمير الحاج سنين متعددة

كان مقبدا على العساكر ، خرج من بغداد لقتال شملة التركاني فسقط عن فرسه فات .

### أبو المعالي الكاتب

محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ، صاحب التذكرة الحمدونية ، وقد ولى ديوان الزمام

مدة ، توفي في ذي القعدة ودفن بمقابر قریش .

### الرشيد الصدفي

كان يجلس بين يدي العبادي على الكرسي ، كانت له شيبية وسمت ووقار ، وكان يمدن حضور

الساعات ، ويرقص ، فاتفق أنه مات وهو يرقص في بعض الساعات .

(١) بياض بنسخة الاستانة ولم يكن بالمصرية بياض .

### ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة

في صفر منها وصل شرف الدين أبو جعفر بن البلدي من واسط إلى بغداد ، فخرج الجيش لتلقيه والتقيان والقاضي ، ومشى الناس بين يديه إلى الديوان فجلس في دست الوزارة ، وقرئ عهده ولقب بالوزير شرف الدين جلال الاسلام معز الدولة سيد الوزراء صدرالشرق والغرب . وفيها أفسدت خفاجة في البلاد ونهبوا القرى ، فخرج إليهم جيش من بغداد فهبوا في البراري فأنحسر الجيش عنهم خوفاً من العطش ، فكروا على الجيش قتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين ، وكان قد أسر الجيش منهم خلقاً فصلبوا على الأسوار . وفي شوال منها وصلت امرأة الملك نور الدين محمود ابن زنكي إلى بغداد تريد الحج من هناك ، وهي الست عصمت الدين خاتون بنت معين الدين ، ومعها الخدم والخدم ، وفيهم صندل الخدم ، وحملت لها الامامات وأكرمت غاية الاكرام . وفيها مات قاضي قضاة بغداد جعفر ، فشر البلاء عن حاكم ثلاثاً وعشرين يوماً حتى أزموا روح بن الحديثي قاضي القضاة في رابع رجب .

ومن توفي فيها من الأعيان جعفر بن عبد الواحد

أبو البركات الثقي ، قاضي قضاة بغداد بعد أبيه ، ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وسبب وفاته أنه طلب منه مال وكلمه الوزير ابن البلدي كلاماً خشناً تخاف فرمى الدم ومات .

### أبو سعد السمعاني

عبد الكريم بن محمد بن منصور ، أبو سعد السمعاني ، رحل إلى بغداد فسمع بها وذيل على تاريخها للمخطيب البغدادي ، وقد ناقشه ابن الجوزي في المنتظم ، وذكر عنه أنه كان يتعصب على أهل مذهبه ، ويعطن في جماعة منهم ، وأنه يترجم بعبارة عامية ، مثل قوله عن بعض الشيوخ أنها كانت عفيفة . وعن الشاعر المشهور ببحيص بيص إنه كانت له أخت يقال لها دخل خرج ، وغير ذلك .

### عبد القاهر بن محمد

ابن عبد الله أبو النجيب السهر وردي ، كان يذكر أنه من سلالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سمع الحديث وثققه وأفتى ودرس بالنظامية وأبغى لنفسه مدرسة ورباطاً ، وكان مع ذلك متصوفاً يعظ الناس ، ودفن بمدرسته . محمد بن عبد الحميد

ابن أبي الحسين أبو الفتح الرازي ، المعروف بالعلاء العالم ، وهو من أهل سمرقند ، وكان من الفحول في المناظرة ، وله طريقة في الخلاف والجدل ، يقال لها التعلية العالمية . قال ابن الجوزي وقد قسم بغداد وحضر مجلسي ، وقال أبو سعد السمعاني : كان يدمن شرب الخمر . قال وكان يقول ليس في الدنيا أطيب من كتاب المناظرة وباطية من خمر أشرب منها . قال ابن الجوزي : ثم بلغني عنه

أنه أقلع عن شرب الخمر والمناظرة وأقبل على النسك والخير .

يوسف بن عبدالله

ابن بندار الدمشقي ، مدرس النظامية ببغداد ، تفقه على أسعد المهيني ، وبرع في المناظرة وكان يتعصب للأشعرية ، وقد بعث رسولا في هذه السنة إلى شملة التركاني فمات في تلك البلاد .

ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة

فيها كان فتح مصر على يدي الأمير أسد الدين شيركوه وفيها طفت الفرنج بالديار المصرية ، وذلك أنهم جعلوا شاور شحنة لهم بها ، وتحكموا في أموالها ومساكنها أفواجا أفواجا ، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها ويخرجوا منها أهلها من المسلمين ، وقد سكنها أكثر شجعانهم ، فلما سمع الفرنج بذلك جاؤا إليها من كل فج وناحية صحبة ملك عسقلان في جحافل هائلة ، فأول ما أخذوا مدينة بلبيس وقتلوا من أهلها خلقا وأسروا آخرين ، ونزلوا بها وتركوا بها أقطاعهم ، وجملوها موثلا ومعتلا لهم ، ثم ساروا فتنزلوا على القاهرة من ناحية باب البرقية ، فأمر الوزير شاور الناس أن يهرقوا مصر ، وأن ينتقل الناس منها إلى القاهرة ، فتهبوا البلد وذهب للناس أموال كثيرة جدا ، وبقيت النار تعمل في مصر أربعة وخمسين يوما ، فعند ذلك أرسل صاحبها العاضد يستغيث بنور الدين ، وبعث إليه بشعور نسائه يقول أدركني واستنقذ نسائي من أيدي الفرنج ، والتزم له بثلاث خراج مصر على أن يكون أسد الدين مقيا بها عندهم ، والتزم له بأقطاعات زائدة على الثلث ، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش إلى مصر ، فلما استشعر الوزير شاور بوصول المسلمين أرسل إلى ملك الفرنج يقول قد عرفت محبتي ومودتي لكم ، ولكن العاضد والمسلمين لا يوافقوني على تسليم البلد ، وصالحهم ليرجعوا عن البلد بألف ألف دينار ، وعجل لهم من ذلك ثمانمائة ألف دينار ، فانشروا راجعين إلى بلادهم خوفا من عساكر نور الدين ، وطعماني العودة إليها مرة ثانية ، ومكروا ومكروا والله خير الماكرين . ثم شرع الوزير شاور في مطالبة الناس بالذهب الذي صالح به الفرنج وتحصيله ، وضيق على الناس مع ما نالهم من الضيق والحريق والخوف ، فجزى الله مصابهم بقدم عساكر المسلمين عليهم وهلاك الوزير على يديهم ، وذلك أن نور الدين استدعى الأمير أسد الدين من حصص إلى حلب فساق إليه هذه المسافة وقطعها في يوم واحد ، فانه قام من حصص بعد أن صلى الصبح ثم دخل منزله فأصاب فيه شيئا من الزاد ، ثم ركب وقت طلوع الشمس فدخل حلب على السلطان نور الدين من آخر ذلك اليوم ، ويقال إن هذا لم يتفق لغيره إلا للصحابه ، فسر بذلك نور الدين فقدمه على العساكر وأنعم عليه بمائتي ألف دينار وأضاف إليه من الأمراء الأعيان ، كل منهم يتبعني بمسيره رضى الله والجهاد في سبيله ، وكان من جملة الأمراء ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولم يكن مفشرا لخروجه هذا بل كان كارها

له ، وقد قال الله تعالى [ قل اللهم مالك الملك ] الآية ، وأضاف إليه ستة آلاف من التركمان ، وجعل أسد الدين مقدماً على هذه العساكر كلها ، فسار بهم من حلب إلى دمشق ونور الدين معهم ، فجهزه من دمشق إلى الديار المصرية ، وأقام نور الدين بدمشق ، ولما وصلت الجيوش النورية إلى الديار المصرية وجدوا الفرنج قد انشروا عن القاهرة راجعين إلى بلادهم بالصقفة الخاسرة ، وكان وصوله إليها في سابع ربيع الآخر ، فدخل الأمير أسد الدين على العاضد في ذلك اليوم فخلع عليه خلعة سنوية فلبسها وعاد إلى مخيمه بظاهر البلد ، وفرح المسلمون بقدومه ، وأجريت عليهم الجرايات ، وحملت إليهم التحف والكرامات ، وخرج وجوه الناس إلى الخيم خدمة لأسد الدين ، وكان فيمن جاء إليه الخيم الخليفة العاضد متنكراً ، فأسر إليه أموراً مهمة منها قتل الوزير شاوور ، وقرر ذلك معه وأعظم أمر الأمير أسد الدين ، ولكن شرع يماطل بما كان التزمه للملك نور الدين ، وهو مع ذلك يتردد إلى أسد الدين ، ويركب معه ، وعزم على عمل ضيافة له فتهاه أصحابه عن الحضور خوفاً عليه من غائلته ، وشاوروه في قتل شاوور فلم يمكنهم الأمير أسد الدين من ذلك ، فلما كان في بعض الأيام جاء شاوور إلى منزل أسد الدين فوجده قد ذهب لزيارة قبر الشافعي ، وإذا ابن أخيه يوسف هناك فأمر صلاح الدين يوسف بالقبض على الوزير شاوور ، ولم يمكنه قتله إلا بعد مشاورة عمه أسد الدين وانهمزم أصحابه فأعدوا العاضد لعله يبعث ينقذه ، فأرسل العاضد إلى الأمير أسد الدين يطلب منه رأسه ، فقتل شاوور وأرسلوا برأسه إلى العاضد في سابع عشر ربيع الآخر ، وفرح المسلمون بذلك وأمر أسد الدين بنهب دار شاوور ، فتهبت ، ودخل أسد الدين على العاضد فاستوزره وخلع عليه خلعة عظيمة ، ولقبه الملك المنصور ، فسكن دار شاوور وعظم شأنه هنالك ، ولما بلغ نور الدين خبر فتح مصر فرح بذلك وقصدته الشعراء بالتهنئة ، غير أنه لم ينشرح لكون أسد الدين صار وزيراً للعاضد ، وكذلك لما انتهت الوزارة إلى ابن أخيه صلاح الدين ، فشرع نور الدين في أعمال الحيلة في إزالة ذلك فلم يتمكن ، ولا قدر عليه ، ولا سيما أنه بلغه أن صلاح الدين استحوذ على خزائن العاضد كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، والله أعلم . وأرسل أسد الدين إلى القصر يطلب كاتباً فأرسلوا إليه القاضي الفاضل رجاء أن يقبل منه إذا قال وأفاض فيما كانوا يؤملون ، وبعث أسد الدين العمال في الأعمال وأقطع الاقطاعات ، وولى الولايات ، وفرح بنفسه أياما معدودات ، فأدركه حماه في يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكانت ولايته شهرين وخمسة أيام ، فلما توفي أسد الدين رحمه الله أشار الأمراء الشاميون على العاضد بتولية صلاح الدين يوسف الوزارة بعد عمه ، فولاه العاضد الوزارة وخلع عليه خلعة سنوية ، ولقبه الملك الناصر .



## صفة الخلمعة التي لبسها صلاح الدين

كما ذكره أبو شامة في الروضتين عمامة بيضاء تينسى بطرف ذهب ، وثوب ديبقى بطراز ذهب وجبة بطراز ذهب ، وطيلسان بطراز مذهبة ، وعقد جوهر بعشرة آلاف دينار ، وسيف محلى بخمسة آلاف دينار ، وحجزة بثمانية آلاف دينار ، وعليها طوق ذهب وسر فسار ذهب مجوهر ، وفي رأسها مائتا حبة جوهر ، وفي قوائمها أربعة عقود جوهر ، وفي رأسها قصبه ذهب فيها تندة بيضاء بأعلام بيض ومع الخلمعة عدة بقج ، وخيل وأشياء أخر ، ومنشور الوزارة ملفوف بثوب أطلس أبيض ، وذلك في يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة ، من هذه السنة ، وكان يوماً مشهوداً ، وسار الجيش بكامله في خدمته ، لم يتخلف عنه سوى عين الدولة اليا روقى ، وقال : لا أخدم يوسف بعد نور الدين ، ثم سار بجيشه إلى الشام فلامه نور الدين على ذلك ، وأقام الملك صلاح الدين بمصر بصفة نائب الملك نور الدين ، يخطب له على المنابر بالديار المصرية ، ويكاتبه بالأمر الاسفهلار صلاح الدين ويتواضع له صلاح الدين في الكتب والعلامة ، لكن قد التفت عليه القلوب ، وخضعت له النفوس ، واضطهد الماضى في أيامه غاية الاضطهاد ، وارتفع قدر صلاح الدين بين العباد بتلك البلاد ، وزاد في إقطاعات الذين معه فأحبوه واحترموه وخدموه ، وكتب إليه نور الدين يعنفه على قبول الوزارة بدون مرسومه ، وأمره أن يقيم حساب الديار المصرية ، فلم يلتفت صلاح الدين إلى ذلك وجعل نور الدين يقول في غضون ذلك : ملك ابن أيوب . وأرسل [صلاح الدين] إلى نور الدين يطلب منه أهله وإخوته وقرابته ، فأرسلهم إليه وشرط عليهم السمع والطاعة له ، فاستقر أمره بمصر وتوطأت دولته بذلك ، وكل أمره وتمكن سلطانه وقويت أركانه . وقد قال بعض الشعراء في قتل صلاح الدين لشاور الوزير

هيا لمصر حور يوسف ملكها \* بأمر من الرحمن كأن موقوتا

وما كان فيها قتل يوسف شاورا \* يماثل إلا قتل داود جالوتا

قال أبو شامة : وقتل الماضى في هذه السنة أولاد شاور وهم شجاع الملقب بالكامل والطارى

الملقب بالمعظم ، وأخوهما الآخر الملقب بفارس المسلمين ، وطيف برؤسهم ببلاد مصر .

### ذكر قتل الطواشى

مؤمن الخلافة وأصحابه على يدى صلاح الدين ، وذلك أنه كتب من دار الخلافة بمصر إلى الفرنج ليقدموا إلى الديار المصرية ليخرجوا منها الجيوش الاسلامية الشامية ، وكان الذى يفد بالكتاب إليهم الطواشى مؤتمن الخلافة ، مقدم العساكر بالقصر ، وكان حبشياً ، وأرسل الكتاب مع إنسان أمن إليه ، فصادفه في بعض الطريق من أنكر حاله ، فحمله إلى الملك صلاح الدين فقرره ، فأخرج الكتاب ففهم صلاح الدين الحال فكتمه ، واستشعر الطواشى مؤتمن الدولة أن صلاح الدين قد اطلع على الأمر

فلازم القصر مدة طويلة خوفاً على نفسه ، ثم عن له في بعض الأيام أن يخرج إلى الصيد ، فأرسل صلاح الدين إليه من قبض عليه وقتله وحمل رأسه إليه ، ثم عزل جميع الخدام الذين يلون خدمة القصر ، واستناب على القصر عوضهم بهاء الدين قراقوش ، وأمره أن يطالعه بجميع الأمور ، صفارها وكبارها

وقعة السودان

وذلك أنه لما قتل الطواشي مؤتمن الخليفة الحبشي ، وعزل بقية الخدام غضبوا لذلك ، واجتمعوا قريباً من خمسين ألفاً ، فاقتتلوا هم وجيش صلاح الدين بين القصرين ، فقتل خلق كثير من الفريقين ، وكان العاضد ينظر من القصر إلى المعركة ، وقد قذف الجيش الشامي من القصر بحجارة ، وجاءهم منه سهام فقتل كان ذلك بأمر العاضد ، وقيل لم يكن بأمره . ثم إن أخا الناصر نور شاه شمس الدولة - وكان حاضراً للحرب قد بمنه نور الدين لأخيه ليشد أزره - أمر بإحراق منظره العاضد ، ففتح الباب ونودي إن أمير المؤمنين يأمركم أن تخرجوا هؤلاء السودان من بين أظهركم ، ومن بلادكم ، فقوى الشاميون وضعف جأش السودان جدا ، وأرسل السلطان إلى محلة السودان المعروفة بالمنصورة ، التي فيها دورهم وأهلهم بيباب زويلة فأحرقها ، فولوا عند ذلك مدبرين ، وركبهم السيف فقتل منهم خلقا كثيرا ، ثم طلبوا الأمان فأجابهم إلى ذلك ، وأخرجهم إلى الجيزة ، ثم خرج لهم شمس الدولة نور شاه أخو الملك صلاح الدين فقتل أكثرهم أيضاً ، ولم يبق منهم إلا القليل ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا . وفيها افتتح نور الدين قلعة جمبر وانزعها من يد صاحبها شهاب الدين مالك بن علي المقيلي وكانت في أيديهم من أيام السلطان ملكشاه . وفيها احترق جامع حلب فجده نور الدين . وفيها مات ماروق الذي تنسب إليه المحلة بظاهر حلب .

ومن توفي فيها من الأعيان .

سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي

أبو الحسن الواعظ الحنبلي ، ولد سنة ثمانين وأربعمائة ، وسمع الحديث وتفقه ووعظ ، وكان لطيف الوعظ ، وقد أثنى عليه ابن الجوزي في ذلك ، وذكر أنه سئل مرة عن أحاديث الصفات فبهى عن التعرض لذلك وأندد :

أبي الغائب الغضبان يا نفس أن ترضى \* وأنت الذي صيرت طاعته فرضا

فلا تهجرى من لا تطيقين هجره \* وإن هم بالهجران خديك والأرضاء

وذكر ابن الجوزي عنه أنه قال : خفت مرة من الخليفة فهتف بي هاتف في المنام وقال لي اكتب

ادفع بصبرك حادث الأيام \* وترج لطف الواحد العلام

لا تياسن وإن تضايق كربها \* ورمك ريب صروفها بسهام

فله تعالى بينَ ذلكَ فرجةٌ \* تخفى على الأفهام والأوهام  
 كم من نجا من بين أطرافِ القنا \* وفريسةً سلمت من الضرغام  
 توفي في شعبان منها عن أربع وثمانين سنة ، ودفن عند رباط الزورى ثم نقل إلى مقبرة الامام  
 شاور بن مجير الدين أحمد

أبو شجاع السعدي ، الملقب أمير الجيوش ، وزير الديار المصرية أيام العاضد ، وهو الذي انتزع  
 الوزارة من يدى رزيك ، وهو أول من استكتب القاضي الفاضل ، استدعى به من اسكندرية من  
 باب السدرة فخطى عنده وانحصر منه الكتاب بالقصر ، لما رأوا من فضله وفضيلته . وقد امتدحه  
 الشعراء منهم عمارة اليمنى حيث يقول :

ضجّر الحديد من الحديد وشاور \* من نصر دين محمد لم يضعجِر  
 حلف الزمان ليأتين بمثلِه \* حنثت بيمينك يا زمان فكفر

ولم يزل أمره قائماً إلى أن ثار عليه الأمير ضرغام بن سوار فالتجأ إلى نور الدين فأرسل معه  
 الأمير أسد الدين شيركوه فنصروه على عدوه ، فنكث عهده فلم يزل أسد الدين حنقا عليه حتى  
 قتله في هذه السنة ، على يدى ابن أخيه صلاح الدين ، ضرب عنقه بين يدى الأمير جردنك في  
 السابع عشر من ربيع الآخر ، واستوزر بعده أسد الدين ، فلم تطل مدته بعهده إلا شهرين وخمسة  
 أيام . قال ابن خلكان : هو أبو شجاع شاور بن مجير الدين بن نزار بن عشار بن شاس بن مغيث  
 ابن حبيب بن الحارث بن ربيعة بن مخيس بن أبي ذؤيب عبد الله وهو والد حليلة السعدية ، كذا  
 قال ، وفيما قال نظر لتصر هذا النسب لبعده المدة والله أعلم .

#### شيركوه بن شادي

أسد الدين الكردي الزرزارى وهم أشرف شعوب الأكراد ، وهو من قرية يقال لها درين من أعمال  
 أذربيجان ، خدم هو وأخوه نجم الدين أيوب - وكان الأكبر - الأمير مجاهد الدين نهر وز الخادم  
 شحنة العراق ، فاستناب نجم الدين أيوب على قلعة تكريت ، فاتفق أن دخلها عماد الدين زنكى  
 هاربا من قراجا السانق ، فأحسننا إليه وخدماه ، ثم اتفق أنه قتل رجلا من العامة فأخرجهما نهر وز من  
 القلعة فصارا إلى زنكى بجانب فأحسن إليهما ، ثم حظيا عند ولده نور الدين محمود ، فاستناب أيوب  
 على بعلبك ، وأقره ولده نور الدين ، وصار أسد الدين عند نور الدين أكبر أمرائه ، وأخصهم عنده  
 وأقطعهم الرحبة وحمص مع ماله عنده من الاقطاعات ، وذلك لشهامته وشجاعته وصرامته وجهاده في  
 الفرنج ، في أيام معدودات ووقعات معتبرات ، ولا سيما يوم فتح دمشق ، وأعجب من ذلك ما فعله بديار  
 مصر ، بل الله بالرحمة تراه وجعل اللجنة مأواه ، وكانت وفاته يوم السبت فجأة بخانوق حصل له ، وذلك

في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة رحمه الله . قال أبو شامة : وإليه تنسب الخانقاة الأُسديّة بالشرق القبلي ، ثم آل الأمر من بعده إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، ثم استوسق له الملك والممالك هنالك .

### محمد بن عبد الله بن عبد الواحد

ابن سليمان المعروف بابن البطي ، سمع الحديث الكثير ، وأسمع ورحل إليه وقارب التسعين .

### محمد الفارقي

أبو عبد الله الواعظ ، يقال إنه كان يحفظ نهج البلاغة ويعبر ألفاظه ، وكان فصيحاً بليغاً يكتب كلامه و يروى عنه كتاب يعرف بالحكم الفارقية .

### المعمر بن عبد الواحد

ابن رجار أبو أحمد الأصبهاني أحد الحفاظ الوعاظ ، روى عن أصحاب أبي نعيم ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، توفي وهو ذاهب إلى الحج بالبادية رحمه الله .

### ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة

في صفر منها حاصرت الفرنج مدينة دمياط من بلاد مصر خمسين يوماً ، بحيث ضيقوا على أهلها ، وقتلوا أمماً كثيرة ، جاءوا إليهم من البر والبحر رجاء أن يملكوا الديار المصرية وخوفاً من استيلاء المسلمين على القدس ، فكتب صلاح الدين إلى نور الدين يستنجده عليهم ، ويطلب منه أن يرسل إليه بمادد من الجيوش ، فانه إن خرج من مصر خلفه أهلها بسوء ، وإن قعد عن الفرنج أخذوا دمياط وجعلوها معقلاً لهم يتقرون بها على أخذ مصر . فأرسل إليه نور الدين ببعوث كثيرة ، يتبع بعضها بعضاً . ثم إن نور الدين اغتم غيبة الفرنج عن بلادهم فصمد إليهم في جيوش كثيرة فجاس خلال ديارهم ، وغنم من أموالهم وقتل وسبي شيئاً كثيراً ، وكان من جملة من أرسله إلى صلاح الدين أبوه الأمير نجم الدين أبوب ، في جيش من تلك الجيوش ، ومعه بقية أولاده ، فنلقاه الجيش من مصر ، وخرج العاضد لتلقيه إكراماً لولده ، وأقطعهم اسكندرية ودمياط ، وكذلك لبقية أولاده ، وقد أمد العاضد صلاح الدين في هذه الكائنة بألف دينار حتى انفصلت الفرنج عن دمياط ، وأجلت الفرنج عن دمياط لأنه بلغهم أن نور الدين قد غزا بلادهم ، وقتل خلقاً من رجالهم ، وسبي كثيراً من نساءهم وأطفالهم وضم من أموالهم ، فجزاه الله عن المسلمين خيراً . ثم سار نور الدين في جمادى الآخرة إلى الكرخ ليحاصرها — وكانت من أمنع البلاد — وكاد أن يفتحها ولكن بلغه أن مقدسين من الفرنج قد أقبلوا نحو دمشق ، فخاف أن يلتف عليهما الفرنج فتك الحصار وأقبل نحو دمشق فخصنها ، ولما انجلت الفرنج عن دمياط فرح نور الدين فرحاً شديداً ، وأنشد الشعراء كل منهم في ذلك قصيداً ، وقد كان

الملك نور الدين شديد الاهتمام قوى الاغنام بذلك ، حتى قرأ عليه بعض طلبية الحديث جزءاً في ذلك فيه حديث مسلسل بالتبسم ، فطلب منه أن يتبسم ليصل التسلسل ، فامتنع من ذلك ، وقال : إني لأستحي من الله أن يراني متبسماً والمسلمون يحاصروهم الفرنج بغير دمياط . وقد ذكر الشيخ أبو شامة أن إمام مسجد أبي الدرداء بالقلمة المنصورة رأى في تلك الليلة التي أجلى فيها الفرنج عن دمياط رسول الله (س) . وهو يقول : سلم على نور الدين وبشره بأن الفرنج قد رحلوا عن دمياط ، فقلت : يا رسول الله بأى علامة ؟ فقال : بعلامة ما مسجد يوم تل حارم وقال في سجوده : اللهم انصر دينك ومن هو محمود الكلب ؟ . فلما صلى نور الدين عنده الصبح بشره بذلك وأخبره بالعلامة ، فلما جاء إلى عند ذكر « من هو محمود الكلب » انقبض من قول ذلك ، فقال له نور الدين : قل ما أمرك به رسول الله (س) . فقال ذلك : فقال : صدقت ، وبكى نور الدين تصديقا وفرحاً بذلك ، ثم كشفوا فاذا الأمر كما أخبر في المنام .

قال العماد الكاتب : وفي هذه السنة عمر الملك نور الدين جامع داريا ، وعمر مشهد أبي سليمان الداراني بها ، وشتى بدمشق . وفيها حاصر الكرك أربعة أيام ، وفارقه من هناك نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، متوجهاً إلى ابنه بمصر ، وقد وصاه نور الدين أن يأمر ابنه صلاح الدين أن يخطب بمصر للخليفة المستنجد بالله العباسي ، وذلك أن الخليفة بعث يماثبه في ذلك . وفيها قدم الفرنج من السواحل ليمنعوا الكرك مع تيبب بن الرقيق وابن القنقري ، وكانا أشجع فرسان الفرنج ، فقصدهما نور الدين ليقابلهما فخادا عن طريقه . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وعمت أكثر الأرض ، وتهدمت أسوار كثيرة بالشام ، وسقطت دور كثيرة على أهلها ، ولا سيما بدمشق وحص وحماء وحلب وبلبيك ، سقطت أسوارها وأكثر قلعها ، فهدد نور الدين عمارة أكثر ما وقع بهته الأماكن .

### وفيها توفي الملك قطب الدين مودود بن زنكي

أخو نور الدين محمود صاحب الموصل ، وله من العمر أربعون سنة ، ومدة ملكه منها إحدى وعشرون سنة ، وكان من خيار الملوك ، محبباً إلى الرعية ، عطوفاً عليهم ، محسناً إليهم ، حسن الشكل . وتملك من بعده ولده سيف الدين غازي من الست خاتون بنت تمرناش بن إيلغازي بن أرتق أصحاب ماردین ، وكان مدبر مملكته والمتحكم فيها نحر الدين عبد المسيح ، وكان ظالماً غاشماً . وفيها كانت حروب كثيرة بين ملوك الغرب بجزيرة الأندلس ، وكذلك كانت حروب كثيرة بين ملوك الشرق أيضاً . وحج بالناس فيها وفيها قبلها الأمير برغش الكبير ، ولم أر أحداً من أكابر الأعيان توفي فيها .

### ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة

فيها كانت وفاة المستنجد وخلافة ابنه المستضيء ، وذلك أن المستنجد كان قد مرض في أول هذه السنة ، ثم عوفي فيما يبدو للناس ، فعمل ضيافة عظيمة بسبب ذلك ، وفرح الناس بذلك ، ثم أدخله الطبيب إلى الحمام وبه ضعف شديد فمات في الحمام ، ويقال : إن ذلك كان بإشارة بعض الدولة على الطبيب ، استعجالاً لموته ، توفي يوم السبت بعد الظهر ثاني ربيع الآخر عن ثمان وأربعين سنة ، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً ، وكان من خيار الخلفاء وأعدلم وأرقهم بالرعيا ، ومنع عنهم المكوس والضرائب ، ولم يترك بالمرأق مكساً ، وقد شفع إليه بعض أصحابه في رجل شريف ، وبذل فيه عشرة آلاف دينار ، فقال له الخليفة أنا أعطيك عشرة آلاف دينار واثنتي بمثله لأريح المسلمين من شره ، وكان المستنجد أعمر طويل اللحية ، وهو الثاني والثلاثين من العباسيين وذلك في الجمل لام باء ولهذا قال فيه بعض الأدباء :

أصبحت لبّ بني العباس جُمَّلتها \* إذا عددت حساب الجمل الخلفنا

وكان أماراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، وقد رأى في منامه رسول الله (ص) ، وهو يقول له : قل اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، دعاء القنوت بتمامه . وصلى عليه يوم الأحد قبل الظهر ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى التراب من الرصافة رحمه الله تعالى .

### خلافة المستضيء

وهو أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتدي ، وأمه أرمنية تدعى عصمت ، وكان مولده في شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة . بويع بالخلافة يوم مات أبوه بكرة الأحد تاسع ربيع الآخر ، وبايعه الناس ، ولم يل الخلافة أحداً اسمه الحسن بعد الحسن بن علي غير هذا ، وواقفه في الكنية أيضاً ، وخلع يومئذ على الناس أكثر من ألف خلعة ، وكان يوماً مشهوداً ، وولى قضاء قضاء بغداد الروح ابن الحدثنى يوم الجمعة حادى عشر من ربيع الآخر ، وخلع على الرزير وهو الأستاذ عضد الدولة ، وضربت على بابها الدبابات ثلاثة أوقات الفجر والمغرب والعشاء ، وأمر سبعة عشر أميراً من المالك وأذن للوعاظ فتكلموا بعد ما منعوا مدة طويلة ، لما كان يحدث بسبب ذلك من الشرور الطويلة ، ثم كثر احتجاجه ، ولما جاءت البشارة بولايته إلى الموصل قال العماد الكاتب :

قد أضاءَ الزمانُ بالمستضيءِ \* وارثُ البردِ وابنُ عمِ النبي  
جاءَ بالحقِّ والشريعةِ والعد \* لَ فيا مرحباً بهذا المحبي  
فهنئناً لأهلِ بغدادَ فازوا \* بعدَ بؤسِ بكلِّ عيشٍ هني  
ومضى إن كانَ في الزمنِ المظ \* لمِ بالعودِ في الزمانِ المضى

وفيها سار الملك نور الدين إلى الرقة فأخذها ، وكذا نصيبين والخابور وسنجار ، وسلمها إلى زوج ابنته ابن أخيه مودود بن عماد الدين ، ثم سار إلى الموصل فأقام بها أربعة وعشرين يوماً ، وأقرها على ابن أخيه سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود ، مع الجزيرة ، وزوجه ابنته الأخرى ، وأمر بهارة جامعها وتوسمته ، ووقف على تأسيسه بنفسه ، وجعل له خطيباً ودرسا للفقهاء ، وولى التدريس للفقهاء أبي بكر البرقائي ، تلميذ محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، وكتب له منشوراً بذلك ، ووقف على الجامع قرية من قرى الموصل ، وذلك كله بإشارة الشيخ الصالح العسائدي عمر الملا ، وقد كانت له زاوية يقصد فيها ، وله في كل سنة دعوة في شهر المولد ، يحضر فيها عنده الملوك والأمراء والعلماء والوزراء ويحتفل بذلك ، وقد كان الملك نور الدين صاحبه ، وكان يستشير به في أموره ، ومن يعتمد في مهماته وهو الذي أشار عليه في مدة مقامه في الموصل بجميع مافعله من الخيرات ، فلهذا حصل بقدمه لأهل الموصل كل مسرة ، واندفعت عنهم كل مضرة ، وأخرج من بين أظهرهم الظالم الغاشم نحر الدين عبد المسيح ، وسماه عبد الله ، وأخذته معه إلى دمشق فأقطعه إقطاعاً حسناً ، وقد كان عبد المسيح هذا نصرانياً فأظهر الاسلام ، وكان يقال إن له كنيسة في جوف داره ، وكان صي السيرة خبيث السريرة في حق العلماء والمسلمين خاصة ، ولما دخل نور الدين الموصل كان الذي استأمن له نور الدين الشيخ عمر الملا ، وحين دخل نور الدين الموصل خرج إليه ابن أخيه فوقف بين يديه فأحسن إليه وأكرمه ، وألبسه خلعة جاءت من الخليفة فدخل فيها إلى البلد في أبهة عظيمة ، ولم يدخل نور الدين الموصل حتى قوى الشتاء فأقام بها كما ذكرنا ، فلما كان في آخر ليلة من إقامته بها رأى رسول الله (ص) يقول له : طابت لك بلدك وتركت الجهاد وقتال أعداء الله ؟ فنهض من فورهِ إلى السفر ، وما أصبح إلا سائراً إلى الشام ، واستقضى الشيخ ابن أبي عصرون ، وكان معه علي سنجان ونصيبين والخابور ، فاستناب فيها ابن أبي عصرون نواباً وأصحاباً .

وفيها عزل صلاح الدين قضاة مصر لأنهم كانوا شيعة ، وولى قضاء القضاة بها لصدر الدين عبد الملك بن درياس المارداني الشافعي ، فاستناب في سائر المعاملات قضاة شافعية ، وبنى مدرسة للشافعية ، وأخرى للمالكية ، واشترى ابن أخيه تقي الدين عمر داراً تعرف بمنازل العز ، وجعلها مدرسة للشافعية ووقف عليها الروضة وغيرها . وعمر صلاح الدين أسوار البلد ، وكذلك أسوار اسكندرية ، وأحسن إلى الرعايا إحساناً كثيراً ، وركب فأغار على بلاد الفرنج بنواحي عسقلان وغزة وضرب قلعة كانت لهم على أيلة ، وقتل خلقاً كثيراً من مقاتلتهم ، وتلقى أهله وهم قادمون من الشام ، واجتمع شملهم بعد فرقة طويلة . وفيها قطع صلاح الدين الأذان بحج على خير العمل من ديار مصر كلها ، وشرع في تهديد الخطبة لبني العباس على المنابر .

ومن توفي فيها من الأعيان . **طاهر بن محمد بن طاهر**  
 أبو زرعة المقدسي الأصل ، الرازي المولد ، الهمداني الدار ، ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة  
 وأسمعه والده الحافظ محمد بن طاهر الكثير ، ومما كان يرويه مسند الشافعي ، توفي بهمدان يوم الأربعاء  
 سابع ربيع الآخر ، وقد قارب التسعين .

### يوسف القاضي

أبو الحجاج بن الخلال صاحب ديوان الانشاء بمصر ، وهو شيخ القاضي الفاضل في هذا الفن ،  
 اشتغل عليه فيه فبرع حتى قدر أنه صار مكانه حين ضعف عن القيام بأعباء الوظيفة لكبره ، وكان  
 القاضي الفاضل يقوم به وبأهله حتى مات ، ثم كان بعد موته كثير الاحسان إلى أهله رحمهم الله .

### يوسف بن الخليفة

المستنجد بالله بن المتقي بن المستنظر ، تقدم ذكر وفاته وترجمته ، وقد توفي بعده عمه أبو نصر  
 ابن المستنظر بأشهر ، ولم يبق بعده أحد من ولد المستنظر ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثامن والعشرين  
 من ذي القعدة منها . ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة

### فيها كانت وفاة العاضد صاحب مصر

في أول جمعة منها ، فأمر صلاح الدين بإقامة الخطبة لبني العباس بمصر وأعمالها في الجمعة الثانية ،  
 وكان يوماً مشهوداً ، ولما انتهى الخبر إلى الملك نور الدين أرسل إلى الخليفة يعلمه بذلك ، مع ابن أبي  
 عصفور وشهاب الدين أبي الممالى ، فزينت بغداد وغلقت الأسواق ، وعملت القباب وفرح المسلمون  
 فرحاً شديداً ، وكانت قد قطعت الخطبة لبني العباس من ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في  
 خلافة المطيع العباسي ، حين تغلب الفاطميون على مصر أيام المعز الفاطمي ، باني القاهرة ، إلى هذا  
 الآن ، وذلك مائتاً سنة وثمان سنين . قال ابن الجوزي : وقد ألفت في ذلك كتاباً سميته النصر  
 على مصر .

### موت العاضد آخر خلفاء العبديين

والعاضد في اللغة القاطع ، « لا يعضد شجرها » لا يقطع ، وبه قطعت دولتهم ، واسمه عبد الله  
 ويكنى بأبي محمد بن يوسف الحافظ بن المستنصر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور القاهري ،  
 أبي القنائم بن المهدي أولهم ، كان مولد العاضد في سنة ست وأربعين ، فعاش إحدى وعشرين سنة  
 وكانت سيرته مذمومة ، وكان شيعياً خبيثاً ، لو أمكنه قتل كل من قدر عليه من أهل السنة ، واتفق  
 أنه لما استقر أمر الملك صلاح الدين رسم بالخطبة لبني العباس عن مرسوم الملك نور الدين ، وذلك  
 أن الخليفة بعث إلى نور الدين فعاتبه في ذلك قبل وفاته ، وكان المستنجد إذ ذاك مدنفاً مريضاً ،  
 فلما مات تولى بعده ولده ، فكانت الخطبة بمصر له ، ثم إن العاضد مرض فكانت وفاته في يوم



عاشوراء ، فخر الملك صلاح الدين جنازته وشهد عزاه ، وبكى عليه وتأسف ، وظهر منه حزن كثير عليه ، وقد كان مطيعاً له فيما يأمره به ، وكان العاضد كرمياً جواداً سماحه الله . ولما مات استحوذ صلاح الدين على القصر بما فيه ، وأخرج منه أهل الماض إلى دار أفردا لهم ، وأجرى عليهم الأرزاق والنفقات الهنية ، والعيشة الرضية ، عوضاً عما فاتهم من الخلافة ، وكان صلاح يتقدم على إقامة الخطبة لبني العباس بمصر قبل وفاة العاضد ، وهلا صبر بها إلى بعد وفاته ، ولكن كان ذلك قدراً مقدوراً .  
ومما نظمه العماد في ذلك :

توفى العاضد الدعوى فما \* يفتح ذو بدعة بمصر فما  
وعصر فرعونها نقضى وغدا \* يوسفها في الأمور محتكما  
قد طفتت جرة الغواة وقد \* داخ من الشرك كل ما اضطرما  
وصار شملُ الصلاح ملتماً \* بها وعقدُ السداد منتظما  
لما غدا مشعراً شعار بني الـ \* عباس حقاً والباطل اکتما  
وبات داعي التوحيد منتظراً \* ومن دعاة الاشرار منتقما  
وظل أهل الضلال في ظلال \* داجية من غبائة وعمى  
وارتكس الجاهلون في ظلم \* لما أضاءت منابر العلماء  
وعاد بالمستضى معتلياً \* بناء حق بعد ما كان منهدما  
أعيدت الدولة التي اضطهدت \* وانتصر الدين بعدما اهتضما  
واهترعطف الاسلام من جليل \* واقترنقر الاسلام وابتسما  
واستبشرت أوجه الهدى فرحاً \* فليقرع الكفر سنة ندما  
عاد حريم الأعداء منتكاً الـ \* حمى وفي الطغاة منتقما  
قصور أهل القصور أخرجها \* عامر بيت من الكمال سما  
أزعج بعد السكوت ساكنها \* ومات ذلاً وأنفه رغما

ومما قيل من الشعر ببغداد يبشر الخليفة المستضى بالخطبة له بمصر وأعمالها :

لبنيتك يا مولاي فتح تتابعت \* إليك به خوض الركائب توجت  
أخذت به مصراً وقد حال دونها \* من الشرك بأس في لها الحق يهتف  
فمادت بحمد الله باسم إمامنا \* تقيه على كل البلاد وتشرف  
ولا غرو إن ذلت ليوسف مصره \* وكانت إلى عليائه تتشوف  
فشابه خلقاً وخلقاً وعفة \* وكل عن الرحمن في الأرض يخلف

كشفت بها عن آل هاشم سبة \* وعاراً أبي إلا بسيفك يكشف

وقد ذكر ذلك أبو شامة في الروضتين ، وهي أطول من هذه ، وذكر أن أبا الفضائل الحسين بن محمد بن بركات الوزير أنشد هالخليفة عند موته بعد منام رآه ، وأراد بيوسف الثاني المستنجد ، وهكذا ذكر ابن الجوزي : أنها أنشئت في حياة المستنجد ، ولم يخطب بها إلا لابنسه المستضيء ، فخرى المقال باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد أرسل الخليفة إلى الملك نور الدين معظمة لما بشر بالخطبة له بمصر ، وكذلك الملك صلاح الدين إلى الديار المصرية ومعها أعلام سود ولواء معقود ، ففرقت على الجوامع بالشام وبمصر . قال ابن أبي طي في كتابه : ولما تفرغ صلاح الدين من توطيد المملكة وإقامة الخطبة والتعمير ، استعرض حواصل القصرين فوجد فيهما من الحواصل والأمتعة والآلات والملابس والمفارش شيئاً باهراً ، وأمرأ هائلاً ، من ذلك سبعمائة يقيمة من الجواهر ، وقضيب زمرد طوله أكثر من شبر وسمكة نحو الإبهام ، وحبل من ياقوت ، وإبريق عظيم من الحجر المانع ، وطبل للقولنج إذا ضرب عليه أحد فيه ريح غليظة أو غيرها خرج منه ذلك الريح من دبره ، وينصرف عنه ما يجده من القولنج ، فانفق أن بعض أمراء الأكراد أخذه في يده ولم يدر ما شأنه ، فضرب عليه فخرق - أي ضرط - فألقاه من يده على الأرض فكسره فبطل أمره . وأما القضيب الزمرد فان صلاح الدين كسره ثلاث فلق فقسمه بين نسائه ، وقسم بين الأمراء شيئاً كثيراً من قطع الباخش والياقوت والذهب والفضة والآث والأمتعة وغير ذلك ، ثم باع ما فضل عن ذلك وجمع عليه أعيان التجار ، فاستمر البيع فيما بقي هنالك من الآث والأمتعة نحو ما عشر سنين ، وأرسل إلى الخليفة ببغداد من ذلك هدايا سنوية نفيسة ، وكذلك إلى الملك نور الدين ، أرسل إليه من ذلك جانباً كثيراً صالحاً ، ولم يدخر لنفسه شيئاً مما حصل له من الأموال ، بل كان يعطي ذلك من حوله من الأمراء وغيرهم ، فكان مما أرسله إلى نور الدين ثلاث قطع باخش زنة الواحدة إحدى وثلاثون مثقالاً ، والأخرى ثمانية عشر مثقالاً ، والثالثة عشرة مثاقيل ، وقيل أكثر مع لآلى كثيرة ، وستون ألف دينار ، وعمار لم يسمع بمثله ، ومن ذلك حمارة وفيل عظيم جدا ، فأرسلت الحمارة إلى الخليفة في جملة هدايا . قال ابن أبي طي : ووجد خزانة كتب ليس لها في مدائن الاسلام نظير ، تشمل على ألفي ألف مجلد ، قال ومن عجائب ذلك أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري ، وكذا قال الهامد الكاتب : كانت الكتب قريبة من مائة وعشرين ألف مجلد . وقال ابن الأثير : كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد ، وقد تسلمها القاضي الفاضل ، فأخذ منها شيئاً كثيراً مما اختاره وانتخبه ، قال وقسم القصر الشمالي بين الأمراء فسكنوه ، وأسكن أباه نجم الدين أيوب في قصر عظيم على الخليج ، يقال له اللؤلؤة ، الذي فيه بستان الكافوري

وأسكن أكثر الأمراء في دور من كان ينتمى إلى الفاطميين ، ولا يلقى أحد من الأتراك أحداً من أولئك الذين كانوا بها من الأكابرة إلا شلحوه ثيابه ونهبوا داره ، حتى تمزق كثير منهم في البلاد ، وتفرقوا شذرمذر وصاروا أيدي سبا .

وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكسراً ، فصاروا كأمس الذهاب كأن لم يغنوا فيها . وكان أول من ملك منهم المهدي ، وكان من سلفية حدادا اسمه عبيد ، وكان يهودياً ، فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله ، وادعى أنه شريف علوي فاطمي ، وقال عن نفسه إنه المهدي كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة بعد الأربعة كما قد بسطنا ذلك فيما تقدم ، والمقصود أن هذا الادعى الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد ، ووازره جماعة من الجهلة ، وصارت له دولة وصولاً ، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها المهديّة نسبة إليه ، وصار ملكاً مطاعاً ، يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض . ثم كان من بعده ابنه القائم محمد ، ثم ابنه المنصور إسماعيل ، ثم ابنه العزيز المزمع ، وهو أول من دخل ديار مصر منهم ، وبنيت له القاهرة المعزية والقصران ، ثم ابنه العزيز نزار ، ثم ابنه الحاكم منصور ، ثم ابنه الطاهر علي ، ثم ابنه المستنصر معد ، ثم ابنه المستعلي أحمد ، ثم ابنه الأمر منصور ، ثم ابن عمه الحافظ عبد المجيد ، ثم ابنه الظافر إسماعيل ، ثم الفاتح عيسى ، ثم ابن عمه العاضد عبد الله وهو آخرهم ، فجمعتهم أربعة عشر ملكاً ، ومدتهم مائتان ونيّف وثمانون سنة ، وكذلك عدة خلفاء بني أمية أربعة عشر أيضاً ، ولكن كانت مدتهم نيّف وثمانين سنة ، وقد انقضت أسماء هؤلاء وهؤلاء بأرجوزة تابعة لأرجوزة بني العباس عند انقضاء دولتهم ببغداد ، في سنة ست وخمسين وسبعمائة ، كما سيأتي . وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالا ، وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم ، وأنجس الملوك سيرة ، وأخبثهم سريرة ، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثير أهل الفساد وقتل عندهم الصالحون من العلماء والعباد ، وكثير بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية ، وتقلب الفرنج على سواحل الشام بكجالة ، حتى أخذوا القدس ونابلس ومجلون والغور وبلاد غزة وعقلاقان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد وطرابلس وإنطاكية وجميع ما والى ذلك ، إلى بلاد إياس وسيس ، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين وبلاد شتى غير ذلك ، وقتلوا من المسلمين خلقاً وأمالاً يحصيهم إلا الله ، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف ، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام ، وأخذوا من أموال المسلمين مالا يحد ولا يوصف ، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق ولكن الله سلم ، وحين زالت أيامهم وانتقض إبراهيم أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته ، وقد قال الشاعر المعروف عرقلة :

أصبح الملكُ بعد آلِ علي \* مشرفاً بالملكِ من آلِ شادي  
وغدا الشرقُ يحسدُ الفر \* بَ للقومِ فصرُّ ترهوه على بغدادِ  
ما حووها إلا بعزمٍ وحزمٍ \* وصليلِ الفولاذِ في الأكيادِ  
لا كفرعونَ والعزيرِ ومن \* كانَ بها كالخطيبِ والاستادِ

قال أبو شامة: يعني بالأستاذ كأنه نور الاخشيدى، وقوله آل علي يعني الفاطميين علي زعمهم ولم يكونوا فاطميين، وإنما كانوا ينسبون إلى عبيد، وكان اسمه سعيداً، وكان يهودياً حداداً بسلامية، ثم ذكر ما ذكرناه من كلام الأئمة فيهم وطنهم في نسبهم. قال وقد استقصيت الكلام في مختصر تاريخ دمشق في ترجمة عبد الرحمن بن إلياس، ثم ذكر في الروضتين في هذا الموضوع أشياء كثيرة في غضون ما سقته من قبائحهم، وما كانوا يجيرون به في بعض الأحيان من الكفریات، وقد تقدم من ذلك شيء كثير في تراجمهم، قال أبو شامة: وقد أفردت كتاباً سميت به «كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمنكر والسكيد» وكذا صنف الملاء في الرد عليهم كتباً كثيرة، من أجل ما وضع في ذلك كتاب القاضي أبو بكر الباقلاني الذي سماه «كشف الأسرار وهتك الاستار» وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في بني أيوب يمدحهم على ما فعلوه بديار مصر:

أبدتم من بلى دولة الكفر من \* بني عبيد بمصر إن هذا هو الفضلُ  
زنادقةٌ شيعيةٌ باطنيةٌ \* مجوسٌ ومافى الصالحين لهم أصلُ  
يسرونَ كفرًا يظهرونَ تشيعاً \* ليستروا سابِرَ عمهم الجهلُ

وفيها أسقط الملك صلاح الدين عن أهل مصر المكوس والضرائب، وقرىء المنشور بذلك على رؤس الأشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر. وفيها حصلت نفرة بين نور الدين وصلاح الدين، وذلك أن نور الدين غزا في هذه السنة بلاد الفرنج في السواحل فأحل بهم بأساً شديداً، وقرر في أنفسهم منه نفرة ووعيداً، ثم عزم على محاصرة الكرك وكتب إلى صلاح الدين يلتقيه بالمسار المصرية إلى بلاد الكرك، ليجتمعاً هنالك ويتفقا على المصالح التي يعوقفها على المسلمين، فتوهم من ذلك صلاح الدين وخاف أن يكون لهذا الأمر غائلة يزول بها ما حصل له من التمكن من بلاد مصر، ولكنه مع ذلك ركب في جيشه من مصر لأجل امتثال المرسوم، فسار أياً ما، ثم كرّ راجعاً معتلاً بقلة الظهر، والخوف على اختلال الأمور إذا بعد عن مصر واشتغل عنها، وأرسل يمتد إلى نور الدين. فوقع في نفسه منه، واشتد غضبه عليه، وعزم على الدخول إلى مصر وانتزاعها من صلاح الدين وتوليبتها غيره، ولما بلغ هذا الظهير صلاح الدين ضاق بذلك ذرعه، وذكر ذلك بمحضرة الأمراء والكبراء، فبادر ابن أخيه تقي الدين عمر وقال: والله لو قصدنا نور الدين لنقاتلنه، فشمته الأمير

نجم الدين أبو بوب والد صلاح الدين وسبه وأسكته ، ثم قال لابنه : اسمع ما أقول لك ، والله ما ههنا أحد أشفق عليك مني ومن خالك هذا - يعني شهاب الدين الحارمى - ولورأينا نور الدين لبادرنا إليه ولقبنا الأرض بين يديه ، وكذلك بقية الأمراء والجيوش ، ولو كتب إلى أن أبغثك إليه مع نجاب لغت ، ثم أمر من هنالك بالانصراف والذهاب ، فلما خلى بابنه قال له : أمالك عتل ؟ تذكر مثل هذا بمحضرة هؤلاء فيقول عمر مثل هذا الكلام فتقره عليه ، فلا يبقى عند نور الدين أهم من قصدك وقتالك وخراب ديارنا ، وأعمارنا ، ولو قد رأى الجيش كلهم نور الدين لم يبق معك واحد منهم ، ولذهبوا كلهم إليه ، ولكن ابغث إليه وترفق له وتواضع عنده ، وقل له : وأى حاجة إلى مجيئ مولانا السلطان إلى قتالي ؟ ابغث إلى بنجباب أو جمال حتى أجيئ معي إلى بين يديك . فبغث إليه بذلك فلما سمع نور الدين مثل هذا الكلام لان قلبه له ، وانصرفت همته عنه ، واشتغل بغيره ، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا .

وفيها أخذ نور الدين الحمام الهوادى ، وذلك لامتداد مملكته واتساعها ، فانه ملك من حد النوبة إلى همدان لا يتهطلها إلا بلاد الفرنج ، وكلهم تحت قهره وهدنته ، ولذلك أخذ في كل قلعة وحصن الحمام التي يحمل الرسائل إلى الآفاق في أسرع مدة ، وأيسر عدة ، وما أحسن ما قال فيمن القاضى الفاضل الحمام ملائكة الملوك ، وقد أطنب ذلك الهاد الكاتب ، وأطرب وأعجب وأغرب .  
ومن توفى فيها من الأعيان . **عبد الله بن أحمد**

ابن أحمد بن أحمد أبو محمد بن الخشاب ، قرأ القرآن وسمع الحديث ، واشتغل بالنحو حتى ساد أهل زمانه فيهما ، وشرح الجمل لعبد القاهر [ الجرجاني ] ، وكان رجلاً صالحاً منطوعاً ، وهذا نادى في النجاة ، توفى في شعبان من هذه السنة ودفن قريبا من الاسام أحمد ، ورؤى في المنام قبيل له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي وأدخلني الجنة إلا أنه أعرض عني وعن جماعة من العلماء تركوا العمل واشتغلوا بالقول ، قال ابن خلكان : كان مطرحةً للكلفة في مأكله وملبسه ، وكان لا يبالي بمن شرق أو غرب .

**محمد بن محمد بن محمد**

أبو المظفر الدوى ، تفقه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، وناظر ووعظ ببغداد ، وكان يظهر مذهب الأشعري ، ويتكلم في الحنابلة مات في رمضان منها .

**ناصر بن الجوني الصوفي**

كان يمشى في طلب الحديث حافيا ، توفى ببغداد . قال أبو شامة : وفيها توفى .

**نصر الله [ بن عبدالله ] أبو الفتوح**

الاسكندري المعروف بابن قلائس الشاعر بعذاب ، توفى عن خمس وأربعين سنة .

والشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي ، نزيل الموصل المقرئ النحوي ، قال : وفيها ولد العزيز والظاهر ابنا صلاح الدين ، والمنصور محمد بن تقي الدين عمر .

ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة

فيها أرسل نور الدين إلى صلاح الدين - وكان الرسول الموفق خالد بن القيسراني - ليقم حساب الديار المصرية ، وذلك لأن نور الدين استقل الهدية التي أرسل بها إليه من خزائن العاضد ، ومقصوده أن يقرز على الديار المصرية خراجاً منها في كل عام . وفيها حاصر صلاح الدين الكرك والشوبك فضيق على أهلها ، وخرب أما كن كثيرة من معاملاتها ، ولكن لم يظفر بها عامه ذلك . وفيها اجتمعت الفرنج بالشام لقصد زرع <sup>(١)</sup> ، فوصلوا إلى حمسكين فبرز إليهم نور الدين فهربوا منه إلى الغور ، ثم إلى السواد ، ثم إلى الشلالة ، فبعث سرية إلى طبرية فعاثوا هنالك وسبوا وقتلوا وغنموا وعادوا سالمين ، ورجع الفرنج خائبين . وفيها أرسل السلطان صلاح الدين أخاه شمس الدولة نور شاه إلى بلاد النوبة فافتتحها ، واستحوذ على مقلها وهو حصن يقال له إبريم ، ولما رآها بلدة قليلة الجدوى لا يفي خراجها بكافتها ، استخاف على الحصن المذكور رجلاً من الأكراد يقال له إبراهيم ، فجعله مقدماً مقرراً بمحصن إبريم ، وانضاف إليه جماعة من الأكراد البطالين ، فكثرت أموالم وحسنت أحوالهم هنالك وشنوا الغارات وحصلوا على الغنائم .

وفيها كانت وفاة الأمير نجم الدين أيوب بن شادي والد صلاح الدين ، سقط عن فرسه فمات وسنأني على ترجمته في الوفيات . وفيها سار الملك نور الدين إلى بلاد عز الدين قلعج أرسلان بن مسعود ابن قلعج أرسلان بن سليمان السلمجوقي ، وأصاح ما وجده فيها من الخلل . ثم سار فافتتح مرعش وبهسنا ، وعمل في كل منهما بالحسنى . قال العماد : وفيها وصل الفقيه الامام الكبير قطب الدين النيسابوري ، وهو فقيه حنبلية ونسبج وحده ، فمهر به نور الدين وأنزله بمحلب بمدرسة باب العراق ، ثم أتى به إلى دمشق فمدرس بزواية جامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي ، ثم نزل بمدرسة الحاروق ، ثم شرع نور الدين بإنشاء مدرسة كبيرة للشافعية ، فأدركه الأجل قبل ذلك . قال أبو شامة : وهي العادلية الكبيرة التي عمرها بعد ذلك الملك العادل أبو بكر بن أيوب . وفيها رجع شهاب الدين بن أبي عصرون من بغداد وقد أدى الرسالة بالخطبة العباسية بالديار المصرية ، ومعه توقيع من الخليفة باقطاع درب هارون وصر يافين لنور الدين ، وقد كانتا قديماً لأبيه عماد الدين زنكي ، فأراد نور الدين أن يفتش ببغداد مدرسة على حافة الدجلة ، ويجعل هذين المكانين وقفاً عليها فمات القدر عن ذلك . وفيها وقعت بناحية خوارزم حروب كثيرة بين سلطان شاه وبين أعدائه ، استقصاها ابن الأثير وابن الساعي .

(١) كذا في الاصل . وفي ابن الأثير : قصدوا بلاد حوران من أعمال دمشق .

وفيهما هزم ملك الأرمن ملبح بن ليون عساكر الروم، وغنم منهم شيئاً كثيراً ، وبعث إلى نور الدين بأموال كثيرة ، وثلاثين رأساً من رؤس كبارهم ، فأرسلها نور الدين إلى الخليفة المستضيء . وفيها بعث صلاح الدين سرية صحبه قراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن شاهنشاه إلى بلاد إفريقية ، فملكوا طائفة كثيرة منها ، من ذلك مدينة طرابلس الغرب وعدة مدن معها .

ومن توفي فيها من الأعيان **إيلدكز التركي الاتابكي**

صاحب أذربيجان وغيرها ، كان مملوكاً للكمال السميرى ، وزير السلطان محمود ، ثم علا أمره وتمكن وملك بلاد أذربيجان وبلاد الجبل وغيرها ، وكان عادلاً منصفاً شجاعاً محسناً إلى الرعية ، توفي بهمدان .

**الأمير نجم الدين أبو الشكر أيوب بن شادي**

ابن مروان ، زاد بمضهم بعد مروان بن يعقوب ، والذي عليه جمهورهم أنه لا يعرف بعد شادي أحد في نسبهم ، وأغرب بعضهم وزعم أنهم من سلالة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وهذا ليس بصحيح ، والذي نسب إليه ادعاء هذا هو أبو الفداء إسماعيل بن طفتكين بن أيوب بن شادي ويعرف بابن سيف الاسلام ، وقد ملك اليمن بعد أبيه فتعاطف في نفسه وادعى الخلافة وتلقب بالامام الهادي بنور الله ولهجوا بذلك وقال هو في ذلك :

وأنا الهادي الخليفةُ والذي \* أدوس رقابَ القلبِ بالضُّمْرِ الجُرْدِ  
ولا بد من بغدادِ أطوى ربوعها \* وأنشرها نشرَ الشمسِ على البردِ  
وأنصبُ أعلامي على شرفاتها \* وأحيي بهاما كأنَّ أسه جدى  
ويخطبُ لى فيها على كل منبرٍ \* وأظهرُ أمرَ الله في النورِ والنجدِ

وما ادعاءه ليس بصحيح ، ولا أصل له يعتمد عليه ، ولا مستند يستند إليه ، والمقصود أن الأمير نجم الدين كان أسن من أخيه أسد الدين شيركوه ، ولد بأرض الموصل ، كان الأمير نجم الدين شجاعاً ، خدم الملك محمد بن ملكشاه فرأى فيه شهامة وأمانة ، فولاه قلعة تكريت ، فحكم فيها فعدل ، وكان من أكرم الناس ، ثم أقطعها الملك مسعود لمجاهد الدين نهر وزشحنة العراق ، فاستمر فيها ، فاجتاز به في بعض الأحيان الملك عماد الدين زنكي منهزماً من قراجا الساقى فأواه وخدمه خدمة بالغة تامة ، وداوى جراحاته وأقام عنده مدة خمسة عشر يوماً ، ثم ارتحل إلى بلده الموصل ، ثم اتفق أن نجم الدين أيوب عاقب رجلاً نصرانياً قتلته ، وقيل إنما قتل أخوه أسد الدين شيركوه ، وهذا بخلاف الذي ذكره ابن خلكان ، فانه قال : رجعت جارية من بعض الخدم فدكرت له أنه تعرض لها اسفهلار الذي بباب القلعة ، فخرج إليه أسد الدين فظمنه بحربة فقتله ، فحبسه أخوه نجم الدين وكتب إلى مجاهد الدين نهر وزيخره بصورة الحال ، فكتب إليه يقول : إن أباً كما كانت

له على خدمة ، وكان قد استنابه في هذه القلعة قبل ابنه نجم الدين أيوب ، وإني أكره أن أسوء كما ، ولكن انتقلا منها . فأخرجهما نهر ووزن قلعته . وفي ليلة خروجه منها ولد له الملك الناصر صلاح الدين يوسف . قال فتشامت به لفتدى بلدى ووطنى ، فقال له بعض الناس : قد نرى ما أنت فيه من التشاؤم بهذا المولود فما يؤمنك أن يكون هذا المولود ملكاً عظيماً له صيت ؟ فكان كما قال ، فاتصلا بخدمة الملك عماد الدين زنكي أبي نور الدين ، ثم كانا عند نور الدين متقدمان عنده ، وارتفعت منزلتهما وعظما ، فاستناب نور الدين نجم الدين أيوب على بملك ، وكان أسد الدين من أكبر أمرائه ، ولما تسلم بملك أقام مدة طويلة ، وولد له فيها أكثر أولاده ، ثم كان من أمره ما ذكرناه في دخوله الديار المصرية . ثم إنه في ذى الحجة سقط عن فرسه فمات بعد ثمانية أيام في اليوم السابع والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وكان ابنه صلاح الدين محاصر الكرك غائباً عنه ، فلما بلغه خبر موته تألم لغيبته عن حضوره ، وأرسل يتحرق ويتحزن ، وأنشد :

وتخطئه يدُ الردى في غيبتى \* هبني حضرتُ ، فكنتُ ماذا أصنع ؟

وقد كان نجم الدين أيوب كثير الصلاة والصدقة والصيام ، كريم النفس جواداً ممدحاً . قال ابن خلكان : وله خانقاه بالديار المصرية ، ومسجد وقناة خارج باب النصر من القاهرة ، وقفها في سنة ست وستين . قلت : وله بدمشق خانقاه أيضاً ، تعرف بالنجمية ، وقد استنابه ابنه على الديار المصرية حين خرج إلى الكرك ، وحكمه في الخزائن ، وكان من أكرم الناس ، وقد امتدحه الشعراء كالعماد وغيره ورثوه بمرث كثيرة ، وقد ذكر ذلك مستقصى الشيخ أبو شامة في الروضتين ، ودفن مع أخيه أسد الدين بدار الامارة ، ثم نقل إلى المدينة النبوية في سنة ثمانين ، فدفننا بترية الوزير جمال الدين الموصلى ، الذى كان مواخياً لأسد الدين شيركوه ، وهو الجمال المتقدم ذكره ، الذى ليس بين تربته ومسجد النبي (ص) إلا مقدار سبعة عشر ذراعاً ، فدفننا عنده . قال أبو شامة : وفي هذه السنة توفى ملك الرافضة والنحاة .

### الحسن بن ضا في بن بزذن التركي

كان من أكبر أمراء بغداد المتحكين في الدولة ، ولكنه كان رافضياً خبيثاً متعصباً للرافض ، وكانوا في خفارته وجاهه ، حتى أراح الله المسلمين منه في هذه السنة في ذى الحجة منها ، ودفن بداره ثم نقل إلى مقابر قریش فله الحمد والمنة . وحين مات فرح أهل السنة بموته فرحاً شديداً ، وأظهروا الشكر لله ، فلا تجد أحداً منهم إلا بحمد الله ، ففضب الشيعة من ذلك ، ونشأت بينهم فتنة بسبب ذلك . وذكر ابن الساعى في تاريخه أنه كان في صفه شاباً حسناً مليحاً معشوقاً للأكابر من الناس . قال ولشيخنا أبي اليمن الكندى فيه ، وقد رمدت عينه :



بكل صباح لي وكل عشية \* وقوف على أبوابكم وسلام  
وقد قيل لي يشكوسقاماً بعينه \* فها نحن منها نشكى ونضام  
ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة

قال ابن الجوزي في المنتظم : إنه سقط عندهم ببغداد برد كبار كالنارنج ، ومنه ما وزنه سبعة أرتال ، ثم أعقب ذلك سبل عظيم ، وزيادة عظيمة في دجلة ، لم يعهد مثلها أصلاً ، فخرّب أشياء كثيرة من العمران والقرى والمزارع ، حتى القبور ، وخرج الناس إلى الصحراء ، وكثر الضجيج والابتهال إلى الله حتى فرج الله عز وجل ، وتناقصت زيادة الماء بحمد الله ومنه ، قال : وأما الموصل فإنه كان بها نحو ما كان ببغداد وانهدم بالماء نحو من أثنى دار ، واستهدم بسببه مثل ذلك ، وهلك تحت الردم خلق كثير ، وكذلك الفرات زادت زيادة عظيمة ، فهلك بسببها شيء كثير من القرى ، وغلت الأسمار بالعراق في هذه السنة في الزروع والثمار ، ووقع الموت في الفم ، وأصيب كثير ممن أكل منها بالعراق وغيرها . قال ابن الساعي . وفي شوال منها توالى الأمطار بديار بكر والموصل أربعين يوماً وليلة لم يروا الشمس سوى مرتين لحظتين يسيرتين ، ثم تستر بالغيوم ، فهدمت بيوت كثيرة ، ومساكن على أهلها ، وزادت الدجلة بسبب ذلك زيادة عظيمة ، وغرق كثير من مساكن بغداد والموصل ، ثم تناقص الماء باذن الله . قال ابن الجوزي : وفي رجب وصل ابن الشهر زورى من عند نور الدين ومعه ثياب مصرية ، وحجارة ملونة جلدها مخطط مثل الثوب المتأبى . وفيها عزل ابن الشامي عن تدريس النظامية ووليها أبو الخير القزويني . قال : وفي جمادى الآخرة اعتقل المجير الفقيه ونسب إلى الزندقة والانحلال وترك الصلاة والصوم ، ففضب له ناس وزكوه وأخرج ، وذكر أنه وعظ بالحدئية فاجتمع عنده قريباً من ثلاثين ألفاً . قال ابن الساعي : وفيها سقط أحمد بن أمير المؤمنين المستضى من قبة شاهقة إلى الأرض فسلم ، ولكن نبت يده اليمنى وساعده اليسرى ، وانسلخ شيء من أنفه ، وكان معه خادم أسود يقال له نبحاح ، فلما رأى سيده قد سقط ألقى هو نفسه أيضاً خلفه ، وقال : لا حاجة لي في الحياة بعده ، فسلم أيضاً ، فلما صارت الخلافة إلى أبي العباس الناصر - وهو هذا الذي قد سقط - لم ينسها لنجاح هذا ، فحكاه في الدولة وأحسن إليه ، وقد كانا صغيرين لما سقطا . وفيها سار الملك نور الدين نحو بلاد الروم وفي خدمته الجيش وملك الأرمن وصاحب ملطية ، وخلق من الملوك والأمراء ، وافتتح عدة من حصونهم ، وحاصر قلعة الروم فصالحه صاحبها بخمسين ألف دينار جزية ، ثم عاد إلى حلب وقد وجد النجاح في كل ما طلب ، ثم أتى دمشق مسروراً محبوراً . وفيها كان فتح بلاد اليمن للملك صلاح الدين ، وكان سبب ذلك أن صلاح الدين بلغه أن بها رجلاً يقال له عبد النبي بن مهدي ، وقد تغلب عليها ودعا إلى نفسه وتسمى بالامام ، وزعم أنه

سيملك الأرض كلها ، وقد كان أخوه علي بن مهدي قد تغلب قبله عليها ، وانتزعها من أيدي أهل زبيد ، ومات سنة ستين فملكها بعده أخوه هذا ، وكل منهما كان سيء السيرة والسريرة ، فزعم صلاح الدين لكثرة جيشه وقوته على إرسال سرية إليه ، وكان أخوه الأكبر شمس الدولة شجاعاً مهيباً بطلاً وكان ممن يجالس عمارة النجني الشاعر ، وكان عمارة ينعت له بلاد اليمن وحسنها وكثرة خيرها ، فغداه ذلك على أن خرج في تلك السرية في رجب من هذه السنة ، فورد مكة فاعتمر بها ثم سار منها إلى زبيد ، فخرج إليه عبد النبي فقاتله فهزمه توران شاه ، وأسرته وأسر زوجته الحرة ، وكانت ذات أموال جزيلة فاستقرها على أشياء جزيلة ، وذخائر جلييلة ، ونهب الجيش زبيد ، ثم توجه إلى عدن فقاتله يأسر ملكها فهزمه وأسرته ، وأخذ البلد بيسير من الحصار ، ومنع الجيش من نهبها ، وقال ما جئنا لنخرب البلاد ، وإنما جئنا لمارتها وملكها ، ثم سار في الناس سيرة حسنة عادلة فأحبوه ، ثم تسلم بقية الحصون والمعقل والمخالف ، واستوسق له ملك اليمن بمخافيريه وألقى إليه أفلاذ كبده ومظالميره ، وخطب للخليفة العباسي المستضيء ، وقتل الدعى المسمى بعبد النبي ، وصفت اليمن من أكارها ، وعادت إلى ما سبق من مضارها ، وكتب بذلك إلى أخيه الملك الناصر يخبره بما فتح الله عليه ، وأحسن إليه ، فكتب الملك صلاح الدين بذلك إلى نور الدين ، فأرسل نور الدين بذلك إلى الخليفة يبشره بفتح اليمن والخطبة بها له . وفيها خرج الموقف خالد بن القيسرائي من الديار المصرية ، وقد أقام بها الملك الناصر حساب الديار المصرية وما خرج من الحواصل حسب ما رسم به الملك نور الدين كما تقدم ، وقد كاد صلاح الدين لما جاءت الرسالة بذلك يظهر شق العصا ويواجه بالخالفة والإباء ، لكنه عاد إلى طباعه الحسنة وأظهر الطاعة المستحسنة ، وأمر بكتابة الحساب وتحرير الكتاب والجواب ، فبادر إلى ذلك جماعة الدواوين والحساب والسكتاب ، وبعث مع ابن القيسرائي بهدية سنوية ونحف هائلة هنية ، فن ذلك خمس خيمات شريفات مغطات بخطوط مستويات ، ومائة عقدمن الجواهر النفيسات ، خارجاً عن قطع الباشخ والديواقيت ، والفصوص والسياب الفاخرات ، والأواني والأباريق والصحاف الذهبيات والفضيات ، والخيول المسومات ، والغلمان والجوارى الحسان والحسنات ، ومن الذهب عشرة صناديق مقفلات محتومات ، مما لا يدري كم فيها من مثين ألوف ومئات ، من الذهب المصرى الممد للنفقات . فلما فصلت المير من الديار المصرية لم تصل إلى الشام حتى أن نور الدين مات رحمه الله رب الأرضين والسماوات ، فأرسل صلاح الدين من ردها إليه وأعادها عليه ، ويقال إن منها ما عدى عليه وعلم بذلك حين وضعت بين يديه .

مقتل عمارة بن أبي الحسن

ابن زيدان الحكيم من قحطان ، أبو محمد الملقب بنجم الدين النجني الفقيه الشاعر الشافعي ،

وسبب قتله أنه اجتمع جماعة من رؤس الدولة الفاطمية الذين كانوا فيها حكماً فاتفقوا بينهم أن يردوا الدولة الفاطمية ، فكتبوا إلى الفرنج يستدعونهم إليهم ، وعينوا خليفة من الفاطميين ، ووزيرا وأمرأه وذلك في غيبة السلطان بيلاد الكرك ، ثم اتفق مجيئه فخر عمارة اليمنى شمس الدولة توران شاه على المسير إلى اليمن ليضمف بذلك الجيش عن مقاومة الفرنج ، إذا قدموا لنصرة الفاطميين ، فخرج توران شاه ولم يخرج معه عمارة ، بل أقام بالقاهرة يفيض في هذا الحديث ، ويدخل المتكلمين فيه ويصافهم ، وكان من أكبر الدعاة إليه والمحرضين عليه ، وقد أدخلوا معهم فيه بعض من ينسب إلى صلاح الدين ، وذلك من قلة عقولهم وتعجيل دمارهم ، فخافهم أحوج ما كانوا إليه وهو الشيخ زين الدين علي بن نجا الواعظ ، فانه أخبر السلطان بما تمالؤا وتماقدوا عليه ، فأطلق له السلطان أموالاً جزيلة ، وأفاض عليه حملاً جميلة ، ثم استدعاهم السلطان واحداً واحداً فقررهم فأقروا بذلك ، فاعتقلهم ثم استنقى الفقهاء في أمرهم فأفتوه بقتلهم ، ثم عند ذلك أمر بقتل رؤسهم وأعيانهم ، دون أتباعهم وخدامتهم ، وأمر بنفى من اتقى من جيش العبيدين إلى أقصى البلاد ، وأفرد ذرية المعاضد وأهل بيته في دار ، فلا يصل إليهم إصلاح ولا إفساد ، وأجرى عليهم ما يليق بهم من الأرزاق والشياب ، وكان عمارة معادياً للقاضي الفاضل ، فلما حضر عمارة بين يدي السلطان قام القاضي الفاضل إلى السلطان ليشفع فيه عنده فتوهم عمارة أنه يتكلم فيه ، فقال : يا مولانا السلطان لا تسمع منه ، فغضب الفاضل وخرج من القصر ، فقال له السلطان : إنه إنما كان يشفع فيك ، فندم ندماً عظيماً . ولما ذهب به ليصاب مر بدار الفاضل فطلبه فتغيب عنه فأنشد :

عبدُ الرحيمِ قد احتجبَ \* إن الخلاص هو العجبُ

قال ابن أبي طى : وكان الذين صلبوا الفضل بن الكامل القاضي ، وهو أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل قاضى قضاة الديار المصرية زمن الفاطميين ، ويلقب بفخر الأمان ، فكان أول من صلب فيما قاله العماد ، وقد كان ينسب إلى فضيلة وأدب ، وله شعر رائع ، فمن ذلك قوله في

غلام رقاء يرافيا خرق كل ثوبٍ \* وما رطابه اعتقادى

عسى بكف الوصال ترفو \* ما مرق الهجر من فؤادى

وابن عبد القوى داعى الدعاة ، وكان يعلم بدقائق القصر فعوقب ليدل عليها ، فامتنع من ذلك فأت واندرست . والعميرس وهو ناظر الديوان ، وتولى مع ذلك القضاء . وشهريا وهو كاتب السر . وعبد الصمد الكاتب وهو أحد أمراء المصريين ، ونجاح الحماني ومنجم نصراني كان قد بشرهم بأن هذا الأمر يتم بعلم النجوم .

## وعمارة اليميني الشاعر

وكان عمارة شاعراً مطيقاً بليغاً فصيحاً ، لا يلحق شأوه في هذا الشأن ، وله ديوان شعر مشهور وقد ذكرته في طبقات الشافعية لأنه كان يشتغل بمذهب الشافعي ، وله مصنف في الفرائض ، وكتاب الوزراء الفاطميين ، وكتاب جمع سيرة نفيسة التي كان يعتقدها عوام مصر ، وقد كان أديباً فاضلاً قصبياً ، غير أنه كان ينسب إلى موالاة الفاطميين ، وله فيهم وفي وزراءهم وأمرائهم مدائح كثيرة جدا وأقل ما كان ينسب إلى الرفض ، وقد اتهم بالزندقة والكفر المحض ، وذكر العماد في الجريدة أنه قال في قصيدته التي يقول في أولها :

العلم مذ كان محتاجاً إلى العلم \* وشفرة السيف تستغنى عن القلم  
وهي طويلة جدا ، فيها كفر وزندقة كثيرة . قال وفيها :

قد كان أول هذا الدين من رجل \* سعى إلى أن يدعو سيد الأمم  
قال العماد فأفتى أهل العلم من أهل مصر بقتله ، وحرصوا السلطان على المثلة به وبمثله ، قال ويجوز أن يكون هذا البيت معمولا عليه والله أعلم . وقد أورد ابن الساعي شيئا من رقيق شعره فمن ذلك قوله يمدح بعض الملوك :

إذا قابلت بشري جبينه \* فارقت والبشر فوق جبينى  
وإذا لثمت يمينه وخرجت من \* بابه لثم الملوك يمينى  
ومن ذلك قوله :

لى فى هوى الرشا العذرى إغذار \* لم يبق لى مدا قسر الدمع إنكار  
لى فى القدود وفى لثم الخدود \* دروفى ضم النهود لبات وأطار  
هذا اختيارى فوافق إن رضيت به \* وإلا فدعنى لما أهوى وأختار  
وما أنشد الكندى فى عمارة اليميني حين صلب :

عمارة فى الاسلام أبدى جنابة \* وبأيع فيها بيعة وصليبا  
وأسمى شريك الشرك فى بعض أحمد \* وأصبح فى حب الصليب صليبا  
سيلتى غدا ما كان يسعى لنفسه \* ويسقى صديدا فى لظى وصليبا

قال الشيخ أبو شامة : فالأول صليب النصرارى ، والثانى بمعنى مصلوب ، والثالث بمعنى القوى ، والرابع ودك العظام . ولما صلب الملك الناصر هؤلاء يوم السبت الثانى من شهر رمضان من هذه السنة بين القصرين من القاهرة ، كتب إلى الملك نور الدين يعلمه بما وقع منهم وبهم من الخزي والنكال ، قال العماد : فوصل الكتاب بذلك يوم توفى الملك نور الدين رحمه الله تعالى ،

وكذلك قتل صلاح الدين رجلا من أهل الاسكندرية يقال له قديد القفاجي ، كان قد افتتن به الناس ، وجعلوا له جزءاً من أَسابهم ، حتى النساء من أموالهن ، فأحيط به فأراد القفاجي الخلاص ولات حين مناص ، فقتل أسوة فيمن سلف ، ومما وجد من شعر عمارة يرثي العاضد ودولته وأيامه .

أسفى على زمان الامام العاضد \* أسف العقيم على فراق الواحد  
لطفى على حجرات قصرك إذ خلت \* يا ابن النبي من ازدحام الوافد  
وعلى انفرادك من عساكرك التي \* كانوا كأموج الخضم الراكد  
قلدت مؤتمن أمرهم فكبا \* وقصر عن صلاح الفاسد  
ففسى الليالى أن ترد إليكم \* ما عودتكم من جميل أعواند

وله من جملة قصيدة :

يا عاذلى فى هوى ابناء فاطمة \* لك الملامة إن قصرت فى عدلى  
بالله زساحة القصرين وإبك معى \* لاعلى صفتين [ البكا ] ولا الجلى  
وقل لاهلها والله ما التحمت \* فيكم قروحي ولا جرحى بمنمل  
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة \* فى نسل ابنى أمير المؤمنين على

وقد أورد له الشيخ أبو شامة فى الروضتين أشعاراً كثيرة من مدائحه فى الفاطميين ، وكذا ابن

ابن قسرو

خلكان .

صاحب كتاب مطالع الأنوار ، وضعه على كتاب مشارق الأنوار للقاضى عياض ، وكان من علماء بلاده وفضلاهم المشهورين ، مات فجأة بعد صلاة الجمعة سادس شوال منها عن أربع وستين سنة قاله ابن خلكان والله سبحانه وتعالى أعلم .

قصة الأنوار

فى وفاة الملك نور الدين محمود زنكي

وذكر شيء من سيرته العادة

هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن الملك الاتابك قسيم الدولة عماد الدين أبى سعيد زنكى الملقب بالشهيد بن الملك آقسنقر الاتابك الملقب بقسيم الدولة التركى السلجوقى مولاهم ، ولد وقت طلوع الشمس من يوم الأحد السابع عشر من شوال سنة إحدى عشرة وخمسة مئاة بحلب ، ونشأ فى كفاة والده صاحب حلب والموصل وغيرها من البلدان الكثيرة الكبيرة ، وتعلم القرآن

والفرسية والرمي ، وكان شهماً شجاعاً ذا همة عالية ، وقصد صالح ، وحرمة وافرة وديانة بيّنة ، فلما قتل أبوه سنة إحدى وأربعين وهو محاصر جعبر كما ذكرنا ، صار الملك بجلب إلى ابنه نور الدين هذا ، وأعطاه أخوه سيف الدين غازي الموصل ، ثم تقدم ، ثم افتتح دمشق في سنة تسع وأربعين فأحسن إلى أهلها وبنى لهم المدارس والمساجد والربط ، ووسع لهم الطرق على المارة ، وبنى عليها الرصافات ووسع الأسواق ، ووضع المكوس بدار النعم والبطيخ والعرصد ، وغير ذلك ، وكان حنفي المذهب يحب العلماء والفقراء ويكرمهم ويحترمهم ، ويحسن إليهم ، وكان يقوم في أحكامه بالمعدلة الحسنة ، وأتباع الشرع المطهر ، ويمتد مجالس العدل ويتولاها بنفسه ، ويجتمع إليه في ذلك القاضي والفقهاء والمفتيون من سائر المذاهب ، ويجلس في يوم الثلاثاء بالمسجد المعلق ، الذي بالكشك ، ليصل إليه كل واحد من المسلمين وأهل الذمة ، حتى يسأروهم ، وأحاط السور على حارة اليهود ، وكان خراباً ، وأغلق باب كسان وفتح باب الفرج ، ولم يكن هناك قبله باب بالكلية ، وأظهر بيلاده السنة وأمات البدعة ، وأمر بالتأذين بحى على الصلاة حتى على الفلاح ، ولم يكن يؤذن بهما في دولتي أبيه وجده ، وإنما كان يؤذن بحى على خير العمل لأن شعار الرضا كان ظاهراً بها ، وأقام الحدود وفتح الحصون ، وكسر الفرنج صراراً عديدة ، واستنقذ من أيديهم معانل كثيرة من الحصون المنيعه ، التي كانوا قد استحوذوا عليها من معانل المسلمين ، كما تقدم بسط ذلك في السنين المتقدمة ، وأقطع العرب إقطاعات لثلاثين مترواً للمجيب ، وبنى بدمشق مارستاناً لم يكن في الشام قبله مثله ولا بعده أيضاً ، ووقف وقفاً على من يعلم الأيتام الخط والقراءة ، وجعل لهم نفقة وكسوة ، وعلى المجاورين بالحرمين وله أوقاف دارة على جميع أبواب الخير ، وعلى الأراذل والمجاويع ، وكان الجامع دائراً فولى نظره القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري الموصل ، الذي قدم به فولاه قضاء قضاء دمشق ، فأصلح أموره وفتح المشاهد الأربعة ، وقد كانت حواصل الجامع بها من حين احترقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وأضاف إلى أوقاف الجامع المعلومه الأوقاف التي لا يعرف واقفوها ، ولا يعرف شر وطهم فيها ، وجمعها قلماً واحداً ، وصمى مال المصلح ، ورتب عليه لذوى الحاجات والفقراء والمساكين والأراذل والأيتام وما أشبه ذلك . وقد كان رحمه الله حسن الخط كثير المطالعة للكتب الدينية ، متبهاً للآثار النبوية ، محافظاً على الصلوات في الجماعات ، كثير التلاوة محباً لفعل الخيرات ، عفيف البطن والفرج مقتصد في الانفاق على نفسه وعياله في المطعم والملبس ، حتى قيل : إنه كان أدنى الفقراء في زمانه أعلا نفقة منه من غيرا كتناز ولا استئثار بالدنيا ، ولم يسمع منه كلمة فحش قط ، في غضب ولا رضى ، صوتاً وقوراً . قال ابن الأثير : لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين ، ولا أكثر نهماً للعدل والانصاف منه ، وكانت له دكاكين بجمع قد اشتراها مما يخصه من المغنم ،

فكان يقات منها ، وزاد امرأته من كراها على نفقتها عليها ، واستفتى العلماء في مقدار ما يحل له من بيت المال فكان يتناوله ولا يزيد عليه شيئا ، ولومات جوعاً ، وكان يكثر اللعب بالكرة فعاتبه رجل من كبار الصالحين في ذلك فقال : إنما الأعمال بالنيات ، وإنما أريد بذلك تمرين الخيل على الكر والفر ، وتعليمها ذلك ، ونحن لا نترك الجهاد ، وكان لا يلبس الحرير ، وكان يأكل من كسب يده بسيفه ورمحه ، وركب يوماً مع بعض أصحابه والشمس في ظهورها والظل بين أيديهما لا يدركانها ثم رجعا فصار الظل وراءهما ثم ساق نور الدين فرسه سوقاً غنيا وظله يتبعه ، فقال لصاحبه : أتدرى ما شبهت هذا الذي نحن فيه ؟ شبهته بالدنيا تهرب من يطلبها ، وتطلب من يهرب منها ، وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى :

مثل الرزق الذي تطلبه \* مثل الظل يمشي معك

أنت لا تدركه مستعجلاً \* فاذا وليت عنه تبعك

وكان فقيها على مذهب أبي حنيفة ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكان كثير الصلاة بالليل من وقت السحر إلى أن يركب :

جمع الشجاعة والخشوع لديه \* ما أحسن الشجمان في المحراب

وكذلك كانت زوجته عصمت الدين خاتون بنت الاتابك معين الدين تكثر القيام في الليل فنامت ذات ليلة عن وردها فأصبحت وهي غضبي ، فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذي فوت عليها وردها ، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانة في القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل ، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجراً جزيلاً ، وجراية كثيرة فألبس الله هاتيك المظالم وإن \* بلين تحت الثرى عفواً وغفرانا سقى نرى أودعوه رحمة ملأت \* موى قبورهم روحاً وربحانا

وذكر ابن الأثير أن الملك نور الدين بينما هو ذات يوم يلعب بالكرة إذ رأى رجلاً يحدث آخر ويومئ إلى نور الدين ، فبعث الحاجب ليسأله ما شأنه ، فإذا هو رجل معه رسول من جهة الحاكم ، وهو يزعم أن له على نور الدين حقاً يريد أن يحاكمه عند القاضي ، فلما رجع الحاجب إلى نور الدين وأعلمه بذلك أتى الجوكان من يده ، وأقبل مع خصمه ماشياً إلى القاضي الشهرزوري ، وأرسل نور الدين إلى القاضي أن لا تعاملني إلا معاملة الخصوم ، فحين وصلا وقف نور الدين مع خصمه بين يدي القاضي ، حتى انفصلت الخصومة والحكومة ، ولم يثبت للرجل على نور الدين حق ، بل ثبت الحق للسلطان على الرجل ، فلما تبين ذلك قال السلطان إنما جئت معه لتلايت خلف أحد عن الحضور إلى الشرع إذا دعى إليه ، فأنما نحن معاشر الحكام أعلننا وأداننا شجنيكية لرسول الله ص ، ولشرعه

فنحن قائمون بين يديه طوع مراسيمه ، فما أمر به امتثلناه ، وما نهانا عنه اجتنبناه ، وأنا أعلم أنه لاحق للرجل عندي ، ومع هذا أشهدكم أنني قد ملكته ذلك الذي ادعى به ووهبته له . قال ابن الأثير : وهو أول من ابتنى داراً للعدل ، وكان يجلس فيها في الأسبوع مرتين ، وقيل أربع مرات ، وقيل خمس . ويحضر القاضى والفقهاء من سائر المذاهب ، ولا يجبهه يومئذ حاجب ولا غيره بل يصل إليه القوي والضعيف ، فكان يكلم الناس ويستفهمهم ويخاطبهم بنفسه ، فيكشف المظالم ، وينصف المظلوم من الظالم ، وكان سبب ذلك أن أسد الدين شيركوه بن شادى كان قد عظم شأنه عند نور الدين ، حتى صار كأنه شريكه في المملكة ، واقتنى الأملاك والأموال والمزارع والقرى ، وكان ربما ظلم نوابه جيرانه في الأراضى والأملاك العدل ، وكان القاضى كمال الدين ينصف كل من استعداه على جميع الأمراء إلا أسد الدين هذا فما كان يهجم عليه ، فلما ابتنى نور الدين دار العدل تقدم أسد الدين إلى نوابه أن لا يدعوا لأحد عنده ظلامة ، وإن كانت عظيمة ، فان زوال ماله عنده أحب إليه من أن يراه نور الدين بعين ظالم ، أو يوقفه مع خصم من العامة ، ففعلوا ذلك ، فلما جلس نور الدين بدار العدل مدة متطاولة ولم ير أحدا يستمدى على أسد الدين ، سأل القاضى عن ذلك فأعلمه بصورة الحال ، فسجد نور الدين شكراً لله ، وقال الحمد لله الذى أصحابنا ينصفون من أنفسهم . وأما شجاعته فيقال : إنه لم ير على ظهر فرس قط أشجع ولا أثبت منه ، وكان حسن اللعب بالكرة وكان ربما ضربها ثم يسوق وراها ويأخذها من الهوى بيده ، ثم يرميها إلى آخر الميدان ، ولم ير جوكانه يعلو على رأسه ، ولا يرى الجوكان في يده ، لأن الكم سائر لها ، ولكننه استهانته بلعب الكرة ، وكان شجاعاً صبوراً في الحرب ، يضرب المثل به في ذلك ، وكان يقول : قد تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لى ذلك ، ولو كان فى خير ولى عند الله قيمة لرتقبها ، والأعمال بالنية . وقال له يوماً قطب الدين النيسابورى : بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك فانك لو قتلت قتل جميع من معك ، وأخذت البلاد ، وفسد حال المسلمين . فقال : له اسكت يا قطب الدين فان قولك إساءة أدب على الله ، ومن هو محمود ؟ من كان يحفظ الدين والبلاد قبل غير الذى لا إله إلا هو ؟ ومن هو محمود ؟ قال فبكى من كان حاضراً رحمه الله .

وقد أسر بنفسه فى بعض الفزوات بعض ملوك الافرنج فاستشار الأمراء فيه هل يقتله أو يأخذ ما يبذل له من المال ؟ وكان قد بذل له فى فداء نفسه مالا كثيراً ، فاختلفوا عليه ثم حسن فى رأيه إطلاقه وأخذ الفداء منه ، فبعث إلى بلده من خلاصته من يأتيه بما اقتدى به نفسه ، فجاء به سريعاً فأطلقه نور الدين ، فحين وصل إلى بلاده مات ذلك الملك ببسله ، فأعجب ذلك نور الدين وأصحابه ، وبنى من ذلك المال المارستان الذى بدمشق ، وليس له فى البلاد نظير ، ومن شرطه أنه على الفقراء والمساكين



وإذا لم يوجد بعض الأدوية التي يعز وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء ، ومن جاء إليه فلا يمنع من شرابه ، ولهذا جاء إليه نور الدين وشرب من شرابه رحمه الله .

قلت : ويقول بعض الناس إنه لم تحمد منه النار منذ بنى إلى زماننا هذا فإله أعلم . وقد بنى الخانات الكثيرة في الطرقات والأبراج ، ورتب الخفراء في الأماكن المخوفة ، وجعل فيها الحمام الهوادى التي تطله على الأخبار في أسرع مدة ، وبنى الربط والخانات ، وكان يجمع الفقهاء عنده والمشايخ والصوفية ويكرمهم ويعظمهم ، وكان يحب الصالحين ، وقد قال بعض الأمراء مرة عنده من بعض الفقهاء ، وهو قطب الدين النيسابورى ، فقال له نور الدين : ويحك إن كان ما تقول حقا فله من الحسنات الكثيرة الماحية لذلك ما ليس عندك مما يكفر عنه سيئات ما ذكرت إن كنت صادقا ، على أنى والله لا أصدقك ، وإن عدت ذكرته أو أحدا غيره عندي بسوء لا أؤذيتك ، فكف عنه ولم يذكره بعد ذلك . وقد ابقى بدمشق داراً لاستماع الحديث وإسماعه . قال ابن الأثير : وهو أول من بنى دار حديث ، وقد كان مهيباً وقوراً شديد الهيبة في قلوب الأمراء ، لا يتجاسر أحد أن يجلس بين يديه إلا بإذنه ، ولم يكن أحد من الأمراء يجلس بلا إذن سوى الأمير نجم الدين أيوب ، وأما أسد الدين شيركوه ومحمد الدين بن الداية نائب حلب ، وغيرهما من الأكارف كانوا يقفون بين يديه ، ومع هذا كان إذا دخل أحد من الفقهاء أو الفقراء قام له ومشى خطوات وأجلسه معه على سجادته في وقار وسكون ، وإذا أعطى أحداً منهم شيئاً مستكثراً يقول : هؤلاء جند الله وبتعائهم تنصر على الأعداء ، ولهم في بيت المال حق أضاعف ما أعطيتهم ، فإذا رضوا منا بيهض حقهم فلهم المنة علينا . وقد سمع عليه جزء حديث وفيه « نخرج رسول الله (س) ، متقلداً السيف » فجعل يتمجب من تغيير عادات الناس لما ثبت عنه عليه السلام ، وكيف يربط الاجناد والأمراء على أوساطهم ولا يفعلون كما فعل رسول الله (س) ، ثم أمر الجند بأن لا يحملوا السيوف إلا متقلديها ، ثم خرج هو في اليوم الثانى إلى الموكب وهو متقلد السيف وجميع الجيش كذلك ، يريد بذلك الاقتداء برسول الله (س) ، فرحمه الله . وقص عليه وزيره موفق الدين خالد بن محمد بن نصر القيسرائى الشاعر أنه رأى في منامه كأنه يفسل ثياب الملك نور الدين ، فأمره بأن يكتب مناشير بوضع المكوس والضرائب عن البلاد ، وقال له هذا تأويل رؤياك . وكتب إلى الناس ليكون منهم فى حل مما كان أخذ منهم ، ويقول لهم إنما صرف ذلك فى قتال أعدائكم من الكفرة والذئب عن بلادكم ونسائكم وأولادكم . وكتب بذلك إلى سائر ممالكه وبلدان سلطانه ، وأمر الوعاظ أن يستحلوا له من التجار ، وكان يقول فى سجوده : اللهم ارحم المكاس العشار الظالم محمود الكاب ، وقيل إن برهان الدين البلخى أنكر على الملك نور الدين فى استماتته فى حروب الكفار بأموال المكوس ، وقال له مرة : كيف تنصرون وفى عساكركم

الخمر والطبول والزمر؟ ويقال إن سبب وضعه المكوس عن البلاد أن الواعظ أبا عثمان المنتخب ابن أبي محمد الواسطي - وكان من الصالحين الكبار ، وكان هذا الرجل ليس له شيء ولا يقبل من أحد شيئاً ، إنما كانت له جبة يلبسها إذا خرج إلى مجلس وعظه ، وكان يجتمع في مجلس وعظه الألو ف من الناس - أنشد نور الدين أبياتا تتضمن ما هو متلبس به في ملكه ، وفيها تخويف وتحذير شديد له :-

مثل وقوفك أيها المغرور \* يوم القيامة والساهة تمور  
 إن قيل نور الدين رحمت مسلماً \* فاحذر بأن تبقى ومالك نور  
 أنهيت عن شرب الخمر وأنت في \* كأس المظالم طائش مخمور  
 عطلت كاسات المدام تمفناً \* وعليك كاسات الحرام تدور  
 ماذا تقول إذا نقلت إلى البلي \* فرداً وجاءك منكرٌ ونكير؟  
 ماذا تقول إذا وقفت بموقف \* فرداً ذليلاً والحساب عسير؟  
 وتعلقت فيك الخصوصم وأنت في \* يوم الحساب مسلسل مجرور  
 وتفرقت عنك الجنود وأنت في \* ضيق القبور موسد مقبور  
 ووددت أنك ما وليت ولاية \* يوماً ولا قال الأنا م أمير  
 وبقيت بعد العز رهن حفيرة \* في عالم الموتى وأنت حقير  
 وحشرت عريانا حزينا با كياً \* قلناً ومالك في الأنا م مجير  
 أرضيت أن تحيا وقلبك دارس \* عاق الخراب وجسمك المعمور  
 أرضيت أن يحظى سواك بقبره \* أبداً وأنت معدب مهجور  
 مهد لنفسك حجة تنجو بها \* يوم المعاد ويوم تبدو العور

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بكاء شديداً ، وأمر بوضع المكوس والضرائب في سائر البلاد . وكتب إليه الشيخ عمر الملا من الموصل - وكان قد أمر الولاة والأشراف بها أن لا يفضلوا بها أمراً حتى يعلموا الملا به ، فما أهرم به من شيء امتلوه ، وكان من الصالحين الزاهدين ، وكان نور الدين يستقرض منه في كل رمضان ما يفتقر عليه ، وكان يرسل إليه بفتيت ورقاق فيفطر عليه جميع رمضان - فكتب إليه الشيخ عمر بن الملا هذا : إن المفسدين قد كثروا ، ويحتاج إلى سياسة ومثل هذا لا يجيء إلا بقتل وصلب وضرب ، وإذا أخذ إنسان في البرية من يجيء يشهد له ؟ فكتب إليه الملك نور الدين على ظهر كتابه : إن الله خلق الخلق وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم ، ولو علم أن في الشرية زيادة في المصلحة لشرعها لئلا حاجة بنا إلى الزيادة على ما شرعه الله تعالى

فن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته ، وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه ،  
والعقول المظلمة لا تهتدى ، والله سبحانه يهديننا وإياك إلى صراط مستقيم . فلما وصل الكتاب إلى  
الشيخ عمر الملاجم الناس بالموصل وقرأ عليهم الكتاب وجعل يقول : انظروا إلى كتاب الزاهد  
إلى الملك ، وكتاب الملك إلى الزاهد ،

وجاء إليه أخو الشيخ أبي البيان يستعديه على رجل أنه سبه ورماه بأنه يرأى وأنه وأنه ، وجعل  
يبالغ في الشكاية عليه ، فقال له السلطان : أليس الله تعالى يقول [ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ]  
وقال [ وأعرض عن الجاهلين ] فسكت الشيخ ولم يجرب جوابا . وقد كان نور الدين يمتقده ويمتقد  
أخاه أبا البيان ، وأما زائر مرات ، ووقف عليه وقفا . وقال الفقيه أبو الفتح الأشرى معيد النظامية  
ببغداد ، وكان قد جمع سيرة مختصرة لنور الدين ، قال : وكان نور الدين محافظا على الصلوات في  
أوقاتها في جماعة بنام شروطها والقيام بها بأركانها والطمأنينة في ركوعها وسجودها ، وكان كثير الصلاة  
بالليل ، كثير الابتغال في الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل في أموره كلها . قال : وبلغنا عن جماعة  
من الصوفية ممن يعتمد على قولهم أنهم دخلوا بلاد القدس لزيارة أيام أخذ القدس الفرنج فسمعهم  
يقولون : إن القسيم ابن القسيم - يعنون نور الدين - له مع الله سر ، فانه لم يظفر وينصر علينا بكثرة  
جنده وجيشه ، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء و صلاة الليل ، فانه يصلى بالليل ويرفع يده إلى الله  
ويدعو فانه يستجيب له ويهطيه سؤله فيظفر علينا . قال : فهذا كلام الكفار في حقه .

وحكى الشيخ أبو شامة أن نور الدين وقف بستان الميدان سوى الفيضة التي تليه نصفه على  
تطيب جامع دمشق ، والنصف الآخر يقسم عشرة أجزاء جزآن على تطيب المدرسة التي أنشأها  
للحنفية ، والثمانية أجزاء الأخرى على تطيب المساجد التسعة ، وهي مسجد الصالحين بجبل قيسون  
وجامع القلعة ، ومسجد عطية ، ومسجد ابن لبيد بالعسقلان ، ومسجد الرماحين الملق ، ومسجد  
العباس بالصالحية ، ومسجد دار البطح الملق ، والمسجد الذي جدده نور الدين جوار بيعة اليهود ،  
لكل من هذه المساجد جزء من إحدى عشر جزء من النصف . ومناقبه ومآثره كثيرة جداً . وقد  
ذكرنا نبذة من ذلك يستدل بها على ما وراهها .

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين في أول الروضتين كثيرا من محاسنه ، وذكر ما مدح به من  
القصاصد ، وذكر أنه لما فتح أسد الدين الديار المصرية ثممات ، ثم تولى صلاح الدين حم بعزله عنها  
واستنابة غيره فيها غير صرة ، ولكن يوقف عن ذلك ويصده قتال الفرنج ، واقترب أجله ، فلما كان  
في هذه السنة - وهي سنة تسع وستين وخمسمائة - وهي آخر مدته ، أضر على الدخول إلى الديار المصرية  
وصدم عليه ، وأرسل إلى دساكر بلاد الموصل وغيرها ليكونوا ببلاد الشام حفظا لها من الفرنج في غيبته

ويركب هو في جمهور الجيش إلى مصر، وقنخاف منه الملك صلاح الدين خوفاً شديداً، فلما كان يوم عيد الفطر من هذه السنة ركب إلى الميدان الأخضر القبلي وصلى فيه صلاة عيد الفطر، وكان ذلك نهار الأحد، ورمى العتق في الميدان الأخضر الشمالي، والقدير يقول له: هذا آخر أعيادك، ومد في ذلك اليوم سباطا حافلا، وأمر بانتهابه، وطهر ولده الملك الصالح إسماعيل في هذا اليوم، وزينت له البلد، وضربت البشارة للعيد والختان، ثم ركب في يوم الاثنين وأكب على العادة ثم لعب بالكرة في ذلك اليوم، فحصل له غيظ من بعض الأمراء - ولم يكن ذلك من سجيته - فنادر إلى القلعة وهو كذلك في غاية الغضب، وانزعج ودخل في حيز سوء المزاج، واشتغل بنفسه وأوجاعه، وتنكرت عليه جميع حواسه وطباعه، واحتبس أسبوعاً عن الناس، والناس في شغل عنه بما هم فيه من اللعب والانشراح في الزينة التي نصبوها لأجل طهور ولده، فهذا يجود بروحه، وهذا يجود بموجوده، سروراً بذلك، فانعكست تلك الافراح بالأتراح، ونسخ الجد ذلك المزاج، وحصلت للملك خوانيق في حلقة منمنته من النطق، وهذا شأن أوجاع الخلق، وكان قد أشير عليه بالفصد فلم يقبل، وبالبادرة إلى المعالجة فلم يفعل، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. فلما كان يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال من هذه السنة قبض إلى رحمة الله تعالى عن ثمان وخمسين سنة، مكث منها في الملك ثمان وعشرين سنة رحمه الله، وصلى عليه بجامع القلعة بدمشق، ثم حول إلى تربته التي أنشأها للحنفية بين باب الخواصين، وباب الخميمين على الدرب، وقبره بها بزار، ويحلق بشباكه، ويطيب وينبرك به كل مار، فيقول قبر نور الدين الشهيد، لما حصل له في حلقة من الخوانيق، وكذا كان يقال لابنه الشهيد ويلقب بالقسيم، وكانت الفرنج تقول له القسيم ابن القسيم. وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة قد أوردتها أبو شامة، وما أحسن ما قاله العماد:

عجبت من الموت لما أتى \* إلى ملك في سجايا ملك

وكيف نوى الفلك المستد \* يرفى الأرض وسط فلك

وقال حسان الشاعر الملقب بالمرقلة في مدرسة نور الدين لما دفن بها رحمه الله تعالى.

ومدرسة ستدرسن كل شيء \* وتبقى في حمى علم ونسك

تضوع ذكرها شرقاً وغرباً \* بنور الدين محمود بن زندي

يقول وقوله حق وصدق \* بغير كناية وبغير شك

دمشق في المدائن بيت ملكي \* وهذي في المدارس بنت ملكي

صفة نور الدين رحمه الله تعالى

كان طويل القامة أصم اللون حلو العينين واسع الجبين، حسن الصورة، تركي الشكل، ليس له لحية إلا في حنكه، مهيباً متواضعاً عليه جلالته ونوره، يعظم الإسلام وقواعد الدين، ويعظم الشرع

فلما مات نور الدين في شوال من هذه السنة بويع من بعده بالملك لولده الصالح إسماعيل ، وكان صغيراً ، وجعل أتابكه الأمير شمس الدين بن مقدم ، فاختلف الأمراء وحادث الآراء وظهرت الشرور ، وكثرت الخور ، وقد كانت لا توجد في زمنه ولا أحد يجسر أن يتعاطى شيئاً منها ، ولان الفواحش ، وانتشرت الفواحش وظهرت حتى أن ابن أخيه سيف الدين غازي بن مودود صاحب الموصل لما تمحق موته - وكان محصوراً منه - نادى مناديه بالبلد بالمساحة باللعب واللهو والشراب والمسكر والطرب ، ومع المنادى دف وقده ومزمار الشيطان ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد كان ابن أخيه هذا وغيره من الملوك والأمراء الذين له حكم عليهم ، لا يستطيع أحد منهم أن يفعل شيئاً من المناكر والفواحش ، فلما مات مرع أمرهم وعاثوا في الأرض فساداً وتمحق قول الشاعر :

ألا فاستقي خيراً وقل لي هي الخمر \* ولا تسقني سراً وقد أمكن الجهر

وطعمت الأعداء من كل جانب في المسلمين ، وعزم الفرنج على قصد دمشق وانزاعها من أيدي المسلمين ، فبرز إليهم ابن مقدم الأتابك فواقعهم عند بانياس فضعف عن مقاومتهم ، فهادنهم مدة ، ودفع إليهم أموالاً جزيلة مجملها لهم ، ولولا أنه خوفهم بقدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما هادنوه . ولما بلغ ذلك صلاح الدين كتب إلى الأمراء وخاصة ابن مقدم يلومهم على ما صنعوا من المهادنة ودفع الأموال إلى الفرنج ، وهم أقل وأذل ، وأخبرهم أنه على عزم قصد البلاد الشامية ليحفظها من الفرنج ، فردوا إليه كتاباً فيه غلظة ، وكلام فيه بشاعة ، فلم يلتفت إليهم ، ومن شدة خوفهم منه كتبوا إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل ليلكوه عليهم ليدفع عنهم كيد الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر ، فلم يفعل لأنه خاف أن يكون مكيدة منهم له ، وذلك أنه كان قد هرب منه الطواشي سعد الدولة مستكين الذي كان قد جمه الملك نور الدين عينا عليه ، وحافظاً له من تعاطى مالا يليق من الفواحش والخمر واللعب واللهو . فلما مات نور الدين ونادى في الموصل تلك المناداة القبيحة خاف منه الطواشي المذكور أن يسكه فهرب منه سرا ، فلما تمحق غازي موت عمه بعث في إثر هذا الخادم فقاته فاستحوذ على حواصله ، ودخل الطواشي حلب ثم سار إلى دمشق فاتفق مع الأمراء على أن يأخذوا ابن نور الدين الملك الصالح إسماعيل إلى حلب فيربيه هناك مكان ربي والده ، وتكون دمشق مسلمة إلى الأتابك شمس الدولة بن مقدم ، والقلمة إلى الطواشي جمال الدين ربحان . فلما سار الملك الصالح من دمشق خرج معه الكبراء والأمراء من دمشق إلى حلب ، وذلك في الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ، وحين وصلوا حلب جلس الصبي على سرير ملكها

واحتاطوا على بنى الداية فشمس الدين بن الداية أخو مجد الدين الذى كان رضيع نور الدين ، وإخوته الثلاثة ، وقد كان فشمس الدين على بن الداية يظن أن ابن نور الدين يسلم إليه فيريه ، لأنه أحق الناس بذلك ، فحبيبوا ظنه وسجنوه وإخوته فى الحب ، فكتب الملك صلاح الدين إلى الامراء [ يلومهم ] على ما فعلوا من نقل الولد من دمشق إلى حلب ، ومن حبسهم بنى الداية وهم من خيار الأمراء ورؤس الكبراء ، ولم لا يسلموا الولد إلى مجد الدين بن الداية الذى هو أخطى عند نور الدين وعند الناس منهم . فكتبوا إليه يسيئون الأدب عليه ، وكل ذلك يزيد حنقا عليهم ، ويحرضه على القدوم إليهم ، ولكنه فى الوقت فى شغل شاغل لما دهمه ببلاد مصر من الأمر الهائل ، كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى فى أول السنة الآتية  
ومن توفى فيها من الأعيان والمشاهير .

### الحسن بن الحسن

ابن أحمد بن محمد العطار ، أبو العلاء الهمداني الحافظ ، سمع الكثير ورحل إلى بلدان كثيرة ، اجتمع بالمشايخ وقدم بغداد وحصل الكتب الكثيرة ، واشتغل بعلم القراءات واللغة ، حتى صار أواحد زمانه فى علمى الكتاب والسنة ، وصنف الكتب الكثيرة المفيدة ، وكان على طريقة حسنة سخياً عابدا زاهدا صحيح الاعتقاد حسن السمات ، له بيلاده المكانة والقبول التام ، وكانت وفاته ليلة الخميس الحادى عشر من جماد الآخرة من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين بأربعة أشهر وأيام . قال ابن الجوزى : وقد بلغت أنه رأى فى المنام أنه فى مدينة جميع جدرانها كتب وحوله كتب لا تعد ولا تحصى ، وهو مشغول بمطالعتها ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال سألت الله أن يشغلنى بما كنت أشتغل به فى الدنيا فأعطانى . وفيها توفى **الأهوازي**

خازن كتب مشهد أبى حنيفة ببغداد ، توفى فجأة فى ربيع الأول من هذه السنة .

### عمود بن زكى بن آقسنقر

السلطان الملك العادل نور الدين ، صاحب بلاد الشام وغيرها من البلدان الكثيرة الواسعة ، كان مجاهدا فى الفرنج ، أسراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، محباً للعلماء والقراء والصلحين ، مبعوضاً للظلم ، صحيح الاعتقاد ، وثراً لأفعال الخير ، لا يجسر أحد أن يظلم أحداً فى زمانه ، وكان قد قمع المناكر وأهلها ، ورفع العلم والشرع ، وكان مدمناً لقيام الليل يصوم كثيراً ، ويمنع نفسه عن الشهوات ، وكان يحب التيسير على المسلمين ، ويرسل البر إلى العلماء والقراء والمساكين والأيتام والأرامل ، وليست الدنيا عنده بشئ رحمة الله وبل تراه بالرحمة والرضوان . قال ابن الجوزى : استرجع نور الدين محمود بن زكى رحمة الله تعالى من أيدي الكفار نيفا وخمسين مدينة ، وقد كان يكاتبنى وأكاتبه ، قال : ولما

حضرتة الوفاة أخذ العهد على الأمراء من بعده لولده - يعنى الصالح إسماعيل - وجدد العهد مع صاحب طراباس أن لا يغير على الشام فى المدة التى كان مآده فيها ، وذلك أنه كان قد أسره فى بعض غزواته وأسرمه جماعة من أهل دولته ، فافتدى نفسه منه بثلاثمائة ألف دينار وخمسمائة حصان وخمسمائة وردية ومثلها برانس ، أى لبوس ، وقنطوريات وخمسمائة أسير من المسلمين ، وعاهده أن لا يغير على بلاد المسلمين لمدة سبعة سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام ، وأخذ منه رهائن على ذلك مائة من أولاده وأولاد أكبر الفرنج وبطارقهم ، فان نكث أراق دماهم ، وكان قد عزم على فتح بيت المقدس شرفه الله ، فوافته المنية فى شوال من هذه السنة ، والأعمال بالنيات ، فحصل له أجر ما نوى ، وكانت ولايته ثمان وعشرين سنة وأشهرًا ، وقد تقدم ذلك . وهذا مقتضى ما ذكره ابن الجوزى ومعناه .

#### الحضر بن نصر

على بن نصر الأربلى الفقيه الشافعى ، أول من درس بأربل فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وكان فاضلاً ديناً ، انتفع به الناس ، وكان قد اشتغل على الكيا الهراسى وغيره ببغداد ، وقدم دمشق فأرخه ابن عساكر فى هذه السنة ، وترجمه ابن خلكان فى الوفيات ، وقال قبره بزار ، وقد زرتة غير مرة ، ورأيت الناس يفتابون قبره ويتبركون به ، وهذا الذى قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظم القبور . وفيها هلك ملك الفرنج مرى لمنة الله ، وأظنه ملك عسقلان ونحوها من البلاد ، وقد كان قارب أن يملك الديار المصرية لولا فضل الله ورحمته بمباهة المؤمنين .

#### ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة

استهلت [ هذه السنة ] والسلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب قد عزم على الدخول إلى بلاد الشام لأجل حفظه من الفرنج ، ولكن دمه أمر شغله عنه ، وذلك أن الفرنج قدسوا إلى الساحل المصرى فى أسطول لم يسمع بمثله ، وكثرة مراكب وآلات من الحرب والحصار والمقاتلة ، من جملة ذلك مائتى شينى فى كل منها مائة وخمسون مقاتلاً ، وأربعمائة قطعة أخرى ، وكان قدومهم من صقلية إلى ظاهر اسكندرية قبل رأس السنة بأربعة أيام ، فنصبوا المنجنيقات والدبابات حول البلد ، وبرز إليهم أهلها فقاتلهم دونها قتلاً شديداً أياماً ، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير ، ثم اتفق أهل البلد على حريق المنجنيق والدبابات ففعلوا ذلك ، فأضعف ذلك قلوب الفرنج ، ثم كبسهم المسلمون فقتلوا منهم جماعة وغنموا منهم ما أرادوا ، فانهزم الفرنج فى كل وجه ، ولم يكن لهم ملجأ إلا البحر أو القتل أو الأسر ، واستحوذ المسلمون على أموالهم وعلى خيولهم وخيامهم ، وبالجملة قتلوا خلقاً من الرجال وركب من بقى منهم فى أسطول إلى بلادهم خائبين .

ومما عوق الملك الناصر عن الشام أيضاً أن رجلاً يعرف بالكتر سماه بعضهم عباس بن شادى

وكان من مقدمى الديار المصرية والدولة الفاطمية ، كان قد استند إلى بلد يقال له أسوان ، وجعل يجمع عليه الناس ، فاجتمع عليه خلق كثير من الرعاى من الحاضرة والغربان والرعيان ، وكان يزعم إليهم أنه سيعيد الدولة الفاطمية ، ويدحض الأتابكة التركية ، فالتف عليه خلق كثير ، ثم قصدوا قوص وأعمالها ، وقتل طائفة من أمرائها ورجالها ، فجرد إليه صلاح الدين طائفة من الجيش وأمر عليهم أخاه الملك العادل أبا بكر الكردى ، فلما التقيا هزمه أبو بكر وأسر أهله وقتله .

### قصة الملك

فلما نهدت البلاد ولم يبق بها رأس من الدولة العبيدية ، برز السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى الجيوش التركية قاصدا البلاد الشامية ، وذلك حين مات سلطانها نور الدين محمود بن زنكى وأخيف سكانها وتضعضت أركانها ، واختلف حكامها ، وفسد نقضها وإبرامها ، وقصد جمع شملها والاحسان إلى أهلها ، وأمن سهلها وجبلها ، ونصرة الاسلام ودفع الطغام وإظهار القرآن وإخفاء سائر الأديان ، وتكسير الصليبان فى رضى الرحمن ، وإرغام الشيطان . فنزل البركة فى مستهل صفر وأقام بها حتى اجتمع عليه المسكر واستناب على مصر أخاه أبا بكر ، ثم سار إلى بلبس فى الثالث عشر من ربيع الأول ، فدخل مدينة دمشق فى يوم الاثنين سلخ ربيع الأول ، ولم ينتطح فيها عنزان ، ولا اختلف عليه سيفان ، وذلك أن نائبها شمس الدين بن مقدم كان قد كتب إليه أولا فأغظ له فى الكتاب ، فلما رأى أمره متوجها جعل يكتبه ويستحثه على التقدم إلى دمشق ، ويمده بتسليم البلد ، فلما رأى الجدد لم يمكنه المحالفة ، فسلم البلد إليه بلا مدافعة ، فنزل السلطان أولا فى دار والده دار العقيلي التى بناها الملك الظاهر بيبرس مدرسة ، وجاء أعيان البلد للسلام عليه فرأوا منه غاية الاحسان ، وكان نائب القلعة إذ ذاك الطواشى ريجان ، فكاتبه وأجزل نواله حتى سلمها إليه ، ثم نزل إليه فأكرمه واحترمه ، ثم أظهر السلطان أنه أحق الناس بتربية ولد نور الدين ، لما لنور الدين عليهم من الاحسان المتين ، وذكر أنه خطب لنور الدين بالديار المصرية ، ثم إن السلطان عامل الناس بالاحسان وأمر بإبطال ما أحدث بعد نور الدين من المكوس والضرائب ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، والله عاقبة الأمور .

### قصة الملك

فلما استقرت له دمشق بحذافيرها نهض إلى حلب مسرعا لما فيها من التخبيط والتخليط ، واستناب على دمشق أخاه طغتكين بن أيوب الملقب بسيف الاسلام ، فلما اجتاز حصن أخذ ربضها



ولم يشتغل بقلمها ، ثم سار إلى حماه فتسلمها من صاحبها عز الدين بن جبريل ، وسأله أن يكون  
سفيره بينه وبين الجلبيين ، فأجابه إلى ذلك ، فسار إليهم فحذروهم بأس صلاح الدين فلم يلتفتوا إليه ،  
بل أمروا بسجنه واعتقاله ، فأبطأ الجواب على السلطان ، فكتب إليهم كتابا بليغا يلومهم فيه على  
ما هم فيه من الاختلاف ، وعدم الائتلاف ، فردوا عليه أسوأ جواب ، فأرسل إليهم يذكرم أيامه  
وأيام أبيه وعمه في خدمة نور الدين في المواقف المحمودة التي يشهد لهم بها أهل الدين ، ثم سار إلى  
حلب فتنزل على جبل جوشن ، ثم نودي في أهل حلب بالحضور في ميدان باب العراق ، فاجتمعوا  
فأشرف عليهم ابن الملك نور الدين فتودد إليهم وتباكى لديهم وحرضهم على قتال صلاح الدين ،  
وذلك عن إشارة الأمراء المقدمين ، فأجابه أهل البلد بوجوب طاعته على كل أحد ، وشرط عليه  
الروافض منهم أن يعاد الأذان بحى على خير العمل ، وأن يذكر في الأسواق ، وأن يكون لهم في  
الجامع الجانب الشرقي ، وأن يذكر أسماء الأئمة الاثني عشر بين يدي الجنائز ، وأن يكبروا على  
الجنائز خمسا ، وأن تكون عقود أنكحتهم إلى الشريف أبي طاهر بن أبي المسكارم حمزة بن زاهر  
الحسيني ، فأجيبوا إلى ذلك كله ، فأذن بالجامع وسائر البلد بحى على خير العمل ، وعجز أهل البلد عن  
مقاومة الناصر ، وأعملوا في كيدته كل خاطر ، فأرسلوا أولا إلى شيبان صاحب الحسبة فأرسل نفرا من  
أصحابه إلى الناصر ليقتلوه فلم يظفر منه بشيء ، بل قتلوا بعض الأمراء ، ثم ظهر عليهم فقتلوا عن  
آخرهم ، فراسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس الفرنجي ، ووعدوه بأموال جزيلة إن هو  
رحل عنهم الناصر ، وكان هذا القومص قد أسره نور الدين وهو معتقل عنده مدة عشر سنين ، ثم  
افندى نفسه بمائة ألف دينار وألف أسير من المسلمين ، وكان لا ينساها لنور الدين ، بل قصد لحص  
ليأخذها فركب إليه السلطان الناصر ، وقد أرسل السلطان إلى بلده طرابلس سرية فقتلوا وأمروا  
وغنموا ، فلما اقترب الناصر منه نكص على عقبيه راجعا إلى بلده ، ورأى أنه قد أجابهم إلى ما أرادوا  
منه ، فلما فصل الناصر إلى حصص لم يكن قد أخذ قلمتها فتصدى لأخذها ، فنصب عليها المنجنقات  
فأخذها قسرا وملكها قهرا ، ثم كر راجعا إلى حلب ، فأثاله الله في هذه الكربة ما طلب ، فلما نزل بها  
كتب إليهم القاضي الفاضل على لسان السلطان كتابا بليغا فصيحا فائقا رائقا ، على يدي الخطيب  
شمس الدين يقول فيه : « فاذا قضى التسليم حق اللقا فاستدعى الاخلاص جهد الدعا ، فليعد وليعد  
حوادث ما كان حديثا يفترى ، وحوارى أمور إن قال فيها كثيرا فأكثر منه ما قد جرى ، ويشرح  
صدر منها لعله يشرح منها صدرا ، وليوضح الأحوال المستبشرة فان الله لا يعبد سرا .  
ومن المعائب أن تسير غرائب \* في الأرض لم يعلم بها المأمول  
كالعيس أقتل ما يكون لها الصدى \* والماء فوق ظهورها محمول

فأنا كنا نقبس النار بأكفنا ، وغيرنا يسقير ، ونستببط الماء بأيدينا وسوانا يستمير ، وملتقى السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد التصوير ، والأبدان تسترد بضاعتنا بموقف المدل الذي يرد به المغصوب ونظير طاعتنا فنأخذ بمحظ كما أخذ بمحظ القلوب ، وكان أول أمرنا أنا كنا في الشام ففتح الفتح بمباشرتنا أنفسنا ، ونجاهد الكفار متقدمين بمساكرنا ، نحن والدنا وعمنا ، فأى مدينة فتحت أو أوى معقل للعدو أو عسكر أو مصاف للإسلام معه ضرب ؟ فما يجمل أحد صنعنا ، ولا يجحد عدونا أن يصطلي الحجره وتملك الكرة ، وتقدم الجماعة وترتب المقاتلة ، وندير التعبئة ، إلى أن ظهرت في الشام الآثار التي لنا أجزها ، ولا يضرنا أن يكون لغيرنا ذكرها « ثم ذكر ما صنعوا بمصر من كسر الكفر وإزالة المنكر وقمع الفرنج وهدم البدع ، وما بسط من المدل ونشر من الفضل ، وما أقامه من الخطب العباسية ببلاد مصر والين والنوبة وإفريقية وغير ذلك ، بكلام بسيط حسن .

فلما وصلهم الكتاب أساؤا الجواب ، وقد كانوا كاتبوا صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود أخى نور الدين محمود بن زنكى ، فبعث إليهم أخاه عز الدين فى عساكره ، وأقبل إليهم فى دساكره ، وانضاف إليهم الحلبيون وقصروا حماه فى غيبة الناصر واشتغاله بقلعة حمص وعماريتها ، فلما بلغه خبرهم سار إليهم فى قل من الجيش ، فأنهى إليهم وهم فى جحافل كثيرة ، فواقفوه وطعموا فيه لقله من معه ، وهموا بمناجزته فجعل يداريهم ويدعوهم إلى المصالحة لعل الجيش يلحقونه ، حتى قال لهم فى جملة ما قال : أنا أقنع بدمشق وحدها وأقيم بها الخطبة للملك الصالح إسماعيل ، وأترك ما عداها من أرض الشام ، فامتنع من المصالحة الخادم سعد الدولة كشتكين ، إلا أن يجمل لهم الرجبة التى هى بيد ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين ، فقال ليس لى ذلك ، ولا أقدر عليه ، فأبوا الصلح وأقسموا على القتال ، فجعل جيشه كردوساً واحداً ، وذلك يوم الأحد التاسع عشر من رمضان عند قرون حماه ، وصبر صبراً عظيماً ، وجاء فى أثناء الحال ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه ومعه أخوه فروخ شاه فى طائفة من الجيش ، وقد ترجح دسته عليهم ، وخلص رعبه إليهم ، فولوا هنالك هارين ، وتولوا منهزمين ، فأسر من أسر من رؤسهم ، ونادى أن لا يتبع مدبر ولا يذف على جريح ثم أطلق من وقع فى أسره وسار على الفور إلى حلب ، وقد انعكس عليهم الحال وآلوا إلى شر مآل فبالأس كان يطلب منهم المصالحة والمسألة ، وهم اليوم يطلبون منه أن يكف عنهم ويرجع ، على أن المعرة وكفر طاب وما ردين له زيادة على ما بيده من أراضي حماه وحمص ، فقبل ذلك وكف عنهم وحلف على أن لا يفزرو بعدها الملك الصالح ، وأن يدعو له على سائر منابر بلاده ، وشفع فى بنى الداية أخوه مجد الدين ، على أن يخرجوا ، ففعل ذلك ثم رجع مؤيداً منصوراً .

فلما كان بحماه وصلت إليه رسل الخليفة المستضى بأمر الله بالخلع السنية والتشريفات العباسية

والأعلام السود ، والتوقيع من الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام ، وأفيضت الخلع على أهله وأقاربه وأصحابه وأعوانه ، وكان يوما مشهودا . واستتاب على حماد ابن خاله وصهره الأمير شهاب الدين محمود ، ثم سار إلى حصص فأطلقها إلى ابن عمه ناصر الدين ، كما كانت من قبله لأبيه شيركوه أسد الدين ، ثم بعلبك على البقاع إلى دمشق في ذى القعدة .

وفيها ظهر رجل من قرية مشغرا من معاملة دمشق وكان مغربياً فادعى النبوة ، وأظهر شيئا من الحاريق والمحاييل والشعبذة والأبواب النارنجية ، فافتتن به طوائف من الهمج والموام ، فطلبه السلطان فهرب إلى معاملة حلب ، فالف عليه كل مقطوع الذنب ، وأضل خلقا من الفلاحين ، وتزوج امرأة أحبها ، وكانت من أهل تلك البطائح فعلمها أن ادعت النبوة ، فأشبهها قصة مسيلة وسجاح . وفيها هرب وزير الخليفة ونهبت داره . وفيها درس أبو الفرج ابن الجوزي بمدرسة أنشئت للحنبلة فحضر عنده قاضي القضاة أبو الحسن بن الداغاني والفقهاء والكبراء ، وكان يوما مشهودا ، وخلمت عليه خلعة سنوية . وفيها توفي من الأعيان :

### روح بن أحمد

أبو طالب الحدثنى قاضي القضاة ببغداد في بعض الأحيان ، وكان ابنه في أرض الحجاز ، فلما بلغه موت أبيه مرض بعده فمات بعد أيام ، وكان ينبذ بالرفض .

### شملة التركاني

كان قد تغلب على بلاد فارس واستحدث قلاعا وتغلب على السلجوقية ، وانتظم له الدست نحواً من عشرين سنة ، ثم حاربه بعض التركان فقتلوه .

### قياز بن عبد الله

قطب الدين المستنجدى ، وزير للخليفة المستنضي ، وكان مقدماً على المساكر كلها ، ثم خرج على الخليفة وقصد أن ينهب دار الخلافة فصعد الخليفة فوق سطح في داره وأمر العامة بنهب دار قياز ، فنهبت ، وكان ذلك بإفناء الفقهاء ، فهرب فهلك هو ومن معه في المهامه والقفار .

### ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة

فيها طلب الفرنج من السلطان صلاح الدين وهو مقيم بمرج الصفر أن يهادنهم فأجابهم إلى ذلك ، لأن الشام كان مجدياً ، وأرسل جيشه محبة القاضي الفاضل إلى الديار المصرية ليستغلوا المغل ثم يقبلوا ، وعزم هو على المقام بالشام ، واعتمد على كاتبه العماد عوضاً عن القاضي ، ولم يكن أحد أعز عليه منه :

وما عن رضى كانت سليبي بديلة \* ولكنها للضرورات أحكام

وكانت إقامة السلطان بالشام وإرسال الجيش صحبة القاضي الفاضل غاية الحزم والتدبير ، ليحفظ ما استجد من الممالك خوفاً عليه مما هنالك ، فلما أرسل الجيوش إلى مصر وبقى هو في طائفة يسيرة والله قد تكفل له بالنصر ، كتب صاحب الموصل سيف الدين غازي ابن أخي نور الدين إلى جماعة الحلبيين يلومهم على ما وقع بينهم وبين الناصر من المصالحة ، وقد كان إذ ذاك مشغولاً بمحاربة أخيه ومحاصرته ، وهو عماد الدين زنكي بسنجار ، وليست هذه بفعلة صالحة ، وما كان سبب قتاله لأخيه إلا لكونه أبي طاعة الملك الناصر ، فاصطلح مع أخيه حين عرف قوة الناصر وناصره ، ثم حرض الحلبيين على نقض العهد ونبذها إليه ، فأرسلوا إليه بالعهود التي عاهدوه عليها ودعوه إليها ، فاستعان عليهم بالله وأرسل إلى الجيوش المصرية ليقدموا عليه ، فأقبل صاحب الموصل بمساكره ودماسكره ، واجتمع بابن عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، وسار في عشرين ألف مقاتل على الخيول المضرة الجرد الأبايل ، وسار نحوهم الناصر وهو كالفزير الكاسر ، وإنما معه ألف فارس من الحماة ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، ولكن الجيوش المصرية قد خرجوا إليه قاصدين ، وله ناصرين في جحافل كالجبال ، فاجتمع الفريقان وتداعوا إلى التزال ، وذلك في يوم الخميس العاشر من شوال فانتلوا قتالاً شديداً ، حتى حمل الملك الناصر بنفسه الكريمة ، وكانت باذن الله الهزيمة ، فقتلوا خلقاً من الحلبيين والمواصلة ، وأخذوا مضارب الملك سيف الدين غازي وحواصله ، وأسروا جماعة من رؤسهم فأطلقهم الناصر بعد ما أفاض الخلع على أبدانهم ورؤسهم ، وقد كانوا استعانوا بجماعة من الفرنج في حال القتال ، وهذا ليس من أفعال الأبطال ، وقد وجد السلطان في مخيم السلطان غازي سبنا من الأقفاس التي فيها الطيور المطربة ، وذلك في مجلس شرابه المسكر ، وكيف من هذا حاله ومسلكه ينتصر ، فأمر السلطان بردها عليه وتسييرها إليه ، وقال للرسول قل له بعد وصولك إليه وسلامك عليه : اشتغالك بهذه الطيور أحب إليك مما وقعت فيه من المحذور ، وغنم منهم شيئاً كثيراً ففرقه على أصحابه غيباً وحضوراً ، وأنعم بجماعة سيف الدين غازي على ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بن نجم الدين ، ورد ما كان في وطاقه من الجوارى والمغنيات ، وقد كان معه أكثر من مائة مغنية ، ورد آلات اللهب واللعب إلى حلب ، وقال قولوا لهم هذه أحب إليكم من الركوع والسجود ، ووجد عسكر المواصلة كالخانة من كثرة الخمر والبرابط والملاهي ، وهذه سبيل كل فاسق ساء لاهي .

### فصل في

فلما رجعت الجيوش إلى حلب وقد انقلبوا شر منقلب ، وندموا على ما نقضوا من الإيمان ، وشقهم العصا على السلطان ، حصنوا البلد ، خوفاً من الأسد ، وأسرع صاحب الموصل فوصلها ، وما صدق حتى

دخلها ، فلما فرغ الناصر مما غنم أسرع المسير إلى حلب وهو في غاية القوة ، فوجدهم قد حصنوها ، فقال المصلحة أن يبادر إلى فتح الحصون التي حول البلد ، ثم نمود إليهم فلا يمتنع علينا منهم أحد ، فشرع يفتحها حصنا حصنا ، وبهدم أركان دولتهم ركنا ركنا ، ففتح مراغة ومنبج ثم سار إلى إعرزاز فأرسل الحلبيون إلى سنان فأرسل جماعة لقتل السلطان ، فدخل جماعة منهم في جيشه في زى الجند فقاتلوا أشد القتال ، حتى اختلطوا بهم فوجدوا ذات يوم فرصة والسلطان ظاهر للناس فحمل عليه واحد منهم فصر به بسكين على رأسه فإذا هو محترس منهم باللامّة ، فسلمه الله ، غير أن السكين مرت على خده فجرحته جرحا هينا ، ثم أخذ الفداوى رأس السلطان فوضعه إلى الأرض ليذبجه ، ومن حوله قد أخذتهم دهشة ، ثم تاب إليهم عقلهم فبادروا إلى الفداوى فقتلوه وقطعوه ، ثم هجم عليه آخر في الساعة الزاهنة فقتل ، ثم هجم آخر على بعض الأمراء فقتل أيضاً ، ثم هرب الرابع فأدرك قتل ، وبطل القتال ذلك اليوم ، ثم صمم السلطان على البلد ففتحها وأقطعها ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاہ بن أيوب ، وقد اشتد حنقه على أهل حلب . لما أرسلوا إليه من الفداوية وإقدامهم على ذلك منه ، فجاء فنزل نجاه البلد على جبل جوشن ، وضربت خيمته على رأس البادوقية ، وذلك في خامس عشر ذى الحجة ، وجي الأموال وأخذ الخراج من القرى ، ومنع أن يدخل البلد شيء أو يخرج منه أحد ، واستمر محاصرا لها حتى انسلخت السنة .

وفي ذى الحجة من هذه السنة عاد نور الدولة أخو السلطان من بلاد اليمن إلى أخيه شوقا إليه ، وقد حصل أموالا جزيلة ، وفرح به السلطان ، فلما اجتمعا قال السلطان البر التقي : أنا يوسف وهذا أخي ، وقد استناب على بلاد اليمن من ذوى قرابته ، فلما استقر عند أخيه استنابه على دمشق وأعمالها ، وقيل إن قدومه كان قبل وقعة الموصل ، وكان من أكبر أسباب الفتح والنصر ، لشجاعته وفروسيته . وفيها أفند تقي الدين عمر بن أخي الناصر مملوكه بهاء الدين قراقوش في جيشه إلى بلاد المغرب ففتح بلاداً كثيرة ، وغنم أموالا جزيلة ، ثم عاد إلى مصر . وفيها قدم إلى دمشق أبو الفتح الواعظ عبد السلام بن يوسف بن محمد بن مقلد التنوخي الدمشقي الأصل ، البغدادى المنشأ ، ذكره العماد في الجزيدة . قال : وكان صاحبى ، وجلس للوعظ وحضر عنده السلطان صلاح الدين ، وأورد له مقطعات أشعار ، فن ذلك ما كان يقول :

يا مالكا مهجتي يا منتهى أملى \* يا حاضرأ شاهداً في القلب والفكر  
 خلقتني من ترابٍ أنت خالقه \* حتى إذا صرتَ تمثالاً من الصور  
 أجريت في قالبٍ روحاً منورة \* تمر فيه كجزي الماء في الشجر  
 جمعتني من صفا روح منورة \* وهبكل صفته من معدن كدر

إن غبتُ فيكَ فيأخري ويأشرفي \* وإن حضرتُ فيأسمى ويابصرى  
 أو احتجبتُ فسرى فيكَ في وله \* وإن خطرتُ فقلبي منك في خطرٍ  
 تبدو فتمحو رسومي ثم تثبتها \* وإن تغيبتُ عني عشتُ بالآثر  
 وفيها توفى من الأعيان الحافظ أبو القاسم ابن عساكر .

### علي بن الحسن بن هبة الله

ابن عساكر أبو القاسم الدمشقي ، أحد أ كبار حفاظ الحديث ومن عني به سماعاً وجمعاً وتصنيفاً  
 وإطلاعا وحفظاً لأسانيد ومثونه ، وإتقاناً لأساليبه وفنونه ، صنف تاريخ الشام في ثمانين مجلدة ،  
 فهي باقية بعده مجلدة ، وقد ندر على من تقدمه من المؤرخين ، وأتعب من يأتي بعده من المتأخرين ،  
 فجاز فيه قصب السبق ، ومن نظر فيه وتأمله رأى ما وصفه فيه وأصله ، وحكم بأنه فريد دهره ، في  
 التواريخ ، وأنه الذروة العليا من الشماريح ، هذا مع ماله في علوم الحديث من الكتب المفيدة ، وما  
 هو مشتمل عليه من العبادة والطرائق الحميدة ، فله أطراف الكتب الستة ، والشيوخ النبل ، وتبيين  
 كذب المفترى على أبي الحسن الأشعري ، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار ، والأجزاء  
 والأسفار ، وقد أ كثر في طلب الحديث من الترحال والأسفار ، وجاز المدن والأقاليم والأمصار ،  
 وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الحفاظ نسخاً واستنساخاً ، ومقابلة وتصحيح الألفاظ ، وكان  
 من أ كبار سروات الدماشقة ، ورياسته فيهم عالية باسقة ، من ذوى الأقدار والهيات ، والأموال  
 الجزيلة ، والصلاة والهابات ، كانت وفاته في الحادى عشر من رجب ، وله من العمر ثنتان وسبعون  
 سنة ، وحضر السلطان صلاح الدين جنازته ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى . وكان الذى صلى  
 عليه الشيخ قطب الدين النيسابورى . قال ابن خلكان وله أشعار كثيرة منها :

أيا نفسٍ ويحكِ جاءَ المشيبُ \* فإذا التصابى وما ذا الغزلُ ؟  
 تولى شبابى كأنَّ لم يكنِ \* وجاءَ المشيبُ كأنَّ لم يزلُ  
 كأنى بنفسى على غرةٍ \* وخطبُ المنونِ بها قد نزلُ  
 فيالت شعرى ممن أكونُ \* وما قدرَ اللهُ لى فى الأزلُ

قال : وقد التزم فيها بما لم يلزم وهو الزاى مع اللام . قال : وكان أخوه صائناً للدين هبة الله  
 ابن الحسن محدثاً ققيها ، اشتغل ببغداد على أسعد المهنى ، ثم قدم دمشق فدرس بالفرزالية ،  
 وتوفى بها عن ثلاث وستين سنة .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسائة

استهلت هذه السنة والناصر محاصر حلب ، فسألوه وتوسلوا إليه أن يصلحهم فصالحهم على أن

تكون حلب وأعمالها للملك الصالح فقط ، فكتبوا بذلك الكتاب ، فلما كان المساء بعث السلطان الصالح إسماعيل يطلب منه زيادة قلعة اعزاز ، وأرسل بأخت له صغيرة وهي الخاتون بنت نور الدين ليكون ذلك أدعى له بقبول السؤال ، وأتجمع في حصول النوال ، فحين رآها السلطان قام قائماً ، وقبل الأرض وأجابها إلى سؤالها ، وأطلق لها من الجواهر والتحف شيئاً كثيراً ، ثم ترحل عن حلب بقصد الفداوية الذين اعتدوا عليه فحاصر حصنهم مصبات ققتل وسبي وحرقت وأخذ بقارم وخراب ديارم ، ثم شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن تتش صاحب حماه ، لأنهم جيرانه ، فقبل شفاعته ، وأحضر إليه نائب بعلبك الأمير شمس الدين محمد بن الملك مقدم ، الذي كان نائب دمشق ، جماعة من أسارى الفرنج الذين عاثوا في البقاع في غيبته ، فجدد ذلك له الغزوي الفرنج ، فصالح الفداوية الاسماعيليلة أصحاب سنان ، ثم كر راجعاً إلى دمشق فتلقيه أخوه شمس الدولة . توران شاه ، فلقبه الملك المعظم ، وعزم الناصر على دخول مصر ، وكان القاضي كمال الدين محمد الشهرزوى قد توفى في السادس من المحرم من هذه السنة ، وقد كان من خيار القضاة وأخص الناس بنور الدين الشهيد ، فوض إليه نظر الجامع ودار الضرب وعمارة الأسوار والنظر في المصالح العامة . ولما حضرته الوفاة أوصى بالقضاء لابن أخيه ضياء الدين بن تاج الدين الشهرزورى ، مع أنه كان يجد عليه ، لما كان بينه وبينه حين كان صلاح الدين سجنه بدمشق ، وكان يما كسه ويخالفه ، ومع هذا أمضى وصيته لابن أخيه ، فجلس في مجلس القضاء على عادة عمه وقاعدته ، وبقى في نفس السلطان من تولية شرف الدين أبي سعيد عبد الله بن أبي عصرون الحلبي ، وكان قد هاجر إلى السلطان إلى دمشق فوعده أن يوليه قضاءها ، وأسر بذلك إلى القاضي الفاضل ، فأشار الفاضل على الضياء أن يستعفى من القضاء فاستعفى فاعفى ، وترك له وكالة بيت المال ، وولى السلطان ابن أبي عصرون على أن يستنوب القاضي محيي الدين أبي الممالى محمد بن زكى الدين ، ففعل ذلك ، ثم بعد ذلك استنقل بالحكم محيي الدين أبو حامد بن أبي عصرون عوضاً عن أبيه شرف الدين ، بسبب ضمف بصره .

وفي صفر منها وقف السلطان الناصر قرية حزم على الزاوية الغزالية ، ومن يشتغل بها بالعلوم الشرعية ، وما يحتاج إليه الفقيه ، وجعل النظر لقطب الدين النيسابورى مدرسا . وفي هذا الشهر تزوج السلطان الملك الناصر بالست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين أنر ، وكانت زوجة نور الدين محمود ، وكانت مقيمة بالقلمة ، وولى تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين بن أنر ، وحضر القاضي ابن عصرون المقدم ومن معه من العدول ، وبات الناصر عندها تلك الليلة والتي بعدها ، ثم سافر إلى مصر بعد يومين ، ركب يوم الجمعة قبل الصلاة فتزل مرج الصفر ، ثم سافر فمشا قريبا من الصفين ، ثم سار فدخل مصر يوم السبت سادس عشر ربيع الأول من هذه السنة ، وتلقاه

أخوه وثأبه عليها الملك العادل سيف الدين أبو بكر إلى عند بحر القلزم ، ومعه من الهدايا شيء كثير من المآكل المتنوعة وغيرها ، وكان في صحبة السلطان العماد الكاتب ، ولم يكن ورد الديار المصرية قبل ذلك ، فجعل يذكر محاسنها وما اختصت به من بين البلدان ، وذكر الأهرام وشبههما بأنواع من التشبيهات ، وبالغ في ذلك حسب ما ذكر في الروضتين .

وفي شعبان منهاركب الناصر إلى الاسكندرية فأسمع ولديه الفاضل علي والعزيم عثمان على الحفاظ السلفي ، وتردد بهما إليه ثلاثة أيام الخميس والجمعة والسبت رابع رمضان ، وعزم الناصر على تمام الصيام بها ، وقصد كل عمارة السور على البلد ، وأمر بتجديد الاسطول وإصلاح مراكبه وسفنه وشحنه بالمقاتلة وأمرهم بغزو جزائر البحر ، وأقطعهم الاقطاعات الجزيلة على ذلك ، وأرصد للاسطول من بيت المال ما يكفيه لجميع شئونه ، ثم عاد إلى القاهرة في أثناء رمضان فأكل صومه .

وفيها أمر الناصر ببناء مدرسة للشافعية على قبر الشافعي ، وجعل الشيخ نجم الدين الخبوشاني مدرسها وناظرها . وفيها أمر ببناء المدارس بالقاهرة ووقف عليه وقوا كثيرة . وفيها بنى الأمير مجاهد الدين قيباز نائب قلعة الموصل جامعاً حسناً ورباطاً ومدرسة ومارستاناً متجاورات بظاهر الموصل وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمس وتسعين وخمسة رحمه الله . وله عدة مدارس وخوانقات وجوامع غير ما ذكرناه ، وكان ديناً خيراً فاضلاً حنيفي المذهب ، يذاكر في الأدب والأشعار والفقه ، كثير الصيام وقيام الليل . وفيها أمر الخليفة باخراج المجدومين من بغداد لناحية منها ليميزوا عن أهل العافية ، نسأل الله العافية . وذكر ابن الجوزي في المنتظم عن امرأة قالت : كنت أمشي في الطريق وكأن رجلاً يعارضني كلما صررت به ، فقلت له : إنه لا سبيل إلى هذا الذي ترومه مني إلا بكتاب وشهود ، فتزوجني عند الحاكم ، فكثرت معه مدة ثم اعتراه انتفاخ ببطنه فكنا نظن أنه استسقاء فنداويه لذلك ، فلما كان بعد مدة ولد ولداً كما تلد النساء ، وإذا هو خنثى مشكل ، وهذا من أغرب الأشياء .

وفيها توفي من الأعيان علي بن عساكر

ابن المرحب بن العوام أبو الحسن البطائحي المقرئ اللغوي ، سمع الحديث وأسمعه ، وكان حسن المعرفة بالنحو واللغة ، ووقف كتبه بمسجد ابن جرارة ببغداد ، توفي في شعبان وقد نيف على الثمانين

محمد بن عبد الله

ابن القاسم أبو الفضل ، قاضي القضاة بدمشق ، كمال الدين الشهرزوري ، الموصل ، وله بها مدرسة على الشافعية ، وأخرى بنصيبين ، وكان فاضلاً ديناً أميناً ثقة ، ولي القضاء بدمشق لنور الدين الشهيد محمود بن زنكي ، واستوزره أيضاً فيما حكاه ابن الساعي . قال وكان يبعثه في الرسائل ، كتب



مرة على قصة إلى الخليفة المقتنى : محمد بن عبد الله الرسول ، فكتب الخليفة تحت ذلك : (س) .  
قلت : وقد فوض إليه نور الدين نظر الجامع ودار الضرب والأسوار ، وعمر له المدارس والمدارس  
وغير ذلك وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة بدمشق .

### الخطيب شمس الدين

ابن الوزير أبو الضياء خطيب الديار المصرية ، وابن وزيرها ، كان أول من خطب بديار مصر  
للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي ، بأمر الملك صلاح الدين ، ثم حظى عنده حتى جعله سفيرا بينه  
وبين الملوك والخلفاء ، وكان رئيساً مطاعاً كريماً ممدحاً ، يقرأ عليه الشعراء والادباء . ثم جعل الناصر  
مكانه الشهر زورى المتقدم بمرسوم السلطان ، وصارت وظيفة مقررة .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسائة

فيها أمر الملك الناصر ببناء قلعة الجبل وإحاطة السور على القاهرة ومصر ، فعمر قلعة للملك لم  
يكن في الديار المصرية مثلها ولا على شكلها ، وولى عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش بمملك  
تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب . وفيها كانت وقعة الرملة على المسلمين ، وفي جمادى الأولى  
منها سار السلطان الناصر صلاح الدين من مصر قاصداً غزو الفرنج ، فانهى إلى بلاد الرملة فسبى  
وغنم ، ثم تشاغل جيشه بالغنائم وتفرقوا في القرى والحال ، وبقي هو في طائفة من الجيش منفرداً  
فهجمت عليه الفرنج في جهنم من المقاتلة فما سلم إلا بعد جهد جهيد ، ثم تراجع الجيش إليه واجتمعوا  
عليه بعد أيام ، ووقعت الأراجيف في الناس بسبب ذلك ، وما صدق أهل مصر حتى نظروا إليه  
وصار الأمر كما قيل \* رضيت من الغنيمة بالاياب \* ومع هذا دقت البشار في البلدان فرحاً  
بسلامة السلطان ، ولم تجر هذه الوقعة إلا بعد عشر سنين ، وذلك يوم حطين ، وقد ثبت السلطان في  
هذه الوقعة ثباتاً عظيماً ، وأسر الملك المظفر تقي الدين عمر بن أخي السلطان ولده شاهنشاه ، فبقي  
عندهم سبع سنين ، وقتل ابنه الآخر ، وكان شاباً قد طرّ شاربه ، فجزن على المقتول والمفقود ، وصبر  
تأسيماً بأيوب ، وناح كما ناح داود ، وأسر الفقيهان الأخوان ضياء الدين عيسى وظهير الدين فافتداهما  
السلطان بعد سنتين بتسعين ألف دينار .

وفيها تخبطت دولة حلب وقبض السلطان الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين على الخادم  
كشتمكين ، وألزمه بتسليم قلعة حارم ، وكانت له ، فأبى من ذلك فملقه منكوساً ودخن تحت أنفه حتى  
مات من ساعته . وفيها جاء ملك كبير من ملوك الفرنج يروم أخذ الشام لغيبة السلطان واشتغال نوابه  
ببلدانهم . قال العماد الكاتب : ومن شرط هدية الفرنج أنه متى جاء ملك كبير من ملوكهم لا يمكنهم  
دفعه أنهم يقاتلون معه ويؤازرونه وينصرونه ، فإذا انصرف عنهم عادت الهدنة كما كانت ، فقص

هذا الملك وجملة الفرنج مدينة حماه وصاحبها شهاب الدين محمود خال السلطان مريض ، ونائب دمشق ومن معه من الأمراء مشغولون ببلدانهم ، فكادوا يأخذون البلد ولكن هزمهم الله بعد أربعة أيام ، فانصرفوا إلى حارم فلم يتمكنوا من أخذها وكشفهم عنها الملك الصالح صاحب حلب ، وقد دفع إليهم من الأموال والأسرا ما طلبوه منه وتوفي صاحب حماه شهاب الدين محمود خال السلطان الناصر ، وتوفي قبله ولده تتش بثلاثة أيام ، ولما سمع الملك الناصر بنزول الفرنج على حارم خرج من مصر قاصداً بلاد الشام ، فدخل دمشق في رابع عشر شوال ، وصحبته العماد الكاتب ، وتأخر القاضي الفاضل بمصر لأجل الحج .

وفيها جاء كتاب القاضي الفاضل الناصر يهنئه بوجود مولود وهو أبو سليمان داود ، وبه كمل له اثني عشر ذكراً ، وقد ولد له بعده عدة أولاد ذكور ، فانه توفي عن سبعة عشر ذكراً وابنة صغيرة اسمها مؤنسة ، التي تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن العادل ، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

وفيها جرت فتنة عظيمة بين اليهود والعامّة ببغداد ، بسبب أن مؤذناً أذن عند كنيسة فنال منه بعض اليهود بكلام أغاظ له فيه ، فشتمه المسلم فاقتتلا ، فجاء المؤذن يشتكى منه إلى الديوان ، فتفاقم الحال ، وكثرت العوام ، وأكثروا الضجيج ، فلما حان وقت الجمعة منعت العامة الخطباء في بعض الجوامع ، وخرجوا من فورهم فتهبوا سوق المطارين الذي فيه اليهود ، وذهبوا إلى كنيسة اليهود فتهبوا ، ولم يتمكن الشرط من ردهم ، فأمر الخليفة بصلب بعض العامة ، فأخرج في الليل جماعة من الشطار الذين كانوا في الحبوس وقد وجب عليهم القتل فصلبوا ، فظن كثير من الناس أن هذا كان بسبب هذه الكائنة ، فسكن الناس . وفيها خرج الوزير الخليفة عضد الدولة ابن رئيس الرؤساء ابن المسلمة قاصداً الحج ، وخرج الناس في خدمته ليودعوه ، فتقدم إليه ثلاثة من الباطنية في صورة قراء معهم قصص ، فتقدم أحدهم ليناوله قصة فاعتنقه وضر به بالسكين ضربات ، وهجم الثاني وكذلك الثالث عليه فهبروه وجرحوا جماعة حوله ، وقتل الثلاثة من فورهم ، ورجع الوزير إلى منزله محمولا فمات من يومه ، وهذا الوزير هو الذي قتل ولدى الوزير ابن هبيرة وأعدمها ، فسلط الله عليه من قتله ، وكما تدين تدان ، جزاء وفاقا .

ومن توفي فيها من الأعيان صدقة بن الحسين

أبو الفرج الحداد ، قرأ القرآن وسمع الحديث ، وتفقه وأفتى ، وقال الشعر وقال في الكلام ، وله تاريخ ذيل على شيخه ابن الزاغوني ، وفيه غرائب ومجائب . قال ابن الساعي : كان شيخاً عالماً فاضلاً وكان فقيراً يأكل من أجرة النسخ ، وكان يأوى إلى مسجد ببغداد عند البدرية يؤم فيه ، وكان يمتب

على الزمان وبنيه ، ورأيت ابن الجوزي في المنتظم يذمه ويرميه بالعظام ، وأورد له من أشعاره ما فيه  
مشابهة لابن الراوندي في الزندقة فأنه أعلم . توفي في ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وسبعين  
سنة ، ودفن بباب حرب ، ورؤيت له منامات غير صالحة ، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

محمد بن أسعد بن محمد

أبو منصور العطار ، المعروف بمحنة ، سمع الكثير وتفق وناظر وأفتى ودرس ، وقدم بغداد فأتى بها  
محمود بن تديش شهاب الدين الحارمي

خال السلطان صلاح الدين ، كان من خيار الأمراء وشجعانهم ، أقطعه ابن أخته حماد ، وقد  
حاصره الفرنج وهو مريض فأخذوا حماد وقتلوا بعض أهلها ، ثم تناخى أهلها فردوم خائبين .

فاطمة بنت نصر العطار

كانت من سادات النساء ، وهي من سلالة أخت صاحب الحزن ، كانت من العابدات المتورعات  
المحدرات ، يقال إنها لم تخرج من منزلها سوى ثلاث مرات ، وقد أفتى عليها الخليفة وغيره والله أعلم .  
ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسة

فيها ورد كتاب من القاضي الفاضل من مصر إلى الناصر وهو بالشام يهنيه بسلامة أولاده  
الملك الاثني عشر ، يقول : ومحمد الله بهجة الحياة وزينتها ، وربحانة القلوب والأرواح وزهرتها ،  
إن فؤادا وسع فراقهم لواسع ، وإن قلباً قنع بأخبارهم لقانع ، وإن طرفاً نام عن البعد عنهم لهاجع ،  
وإن ملكاً ملك صبره عنهم لحازم ، وإن نعمة الله بهم لنعمة بها العيش ناعم ، أما يشفاق جيد  
المولى أن تطوق بدرهم ؟ أما تظلم عينه أن تروى بنظرم ؟ أما يحزن قلبه للقيهم ؟ أما يلتقط هذا  
الطائر بفيتيلهم ؟ وللمولى أبقاه الله أن يقول :

وما مثل هذا الشوق يُحْمَلُ بَعْضُهُ \* ولكنّ قلبي في الهوى يتقلّبُ

وفيها أسقط صلاح الدين المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة ، وقد كان يؤخذ من حجاج  
الغرب شيء كثير ، ومن عجز عن أدائه حبس فر بما فاته الوقوف برفة ، وعرض أمير مكة بمال أقطعه  
إياه بمصر ، وأن يحمل إليه في كل سنة ثمانية آلاف أردب إلى مكة ، ليكون عوناً له ولأتباعه ،  
ورققاً للمجاورين ، وقررت للمجاورين أيضاً غلات تحمل إليهم رحمة الله . وفيها عصى الأمير شمس  
الدين بن مقدم بملكك ، ولم يجيء إلى خدمة السلطان ، وهو نازل على حصص ، وذلك أنه بلغه أن  
أخا السلطان توران شاه طلب بملكك منه فأطلقها له ، فامتنع ابن المقدم من الخروج منها حتى جاء  
السلطان بنفسه فحصره فيها من غير قتال ، ثم عرض ابن المقدم عنها بتعويض كثير خير مما كان  
بيده ، فخرج منها وتسلمها وسلمها توران شاه . قال ابن الأثير : وكان في هذه السنة غلاء شديد بسبب

قلة المطر ، عم العراق والشام وديار مصر ، واستمر إلى سنة خمس وسبعين ، فجاء المطر ورخصت  
 الأسعار ثم عقب ذلك وباء شديد ، وعم البلاد مرض آخر وهو السرسام ، فما ارتفع إلا في سنة ست  
 وسبعين ، فمات بسبب ذلك خلق كثير ، وأمم لا يعلم عددهم إلا الله . وفي رمضان منها وصلت  
 خلع الخليفة إلى الملك صلاح الدين وهو بدمشق ، وزيد في ألقابه معز أمير المؤمنين ، وخلع على  
 أخيه توران شاه ولقب بمصطفى أمير المؤمنين .

وفيها جهز الناصر ابن أخيه فروخ شاه بن شاهنشاه بين يديه لقتال الفرنج الذين عاثوا في نواحي  
 دمشق ، فتهبوا ما حولها ، وأمره أن يداريهم حتى يتوسطوا البلاد ولا يقاتلهم حتى يقدم عليه ، فلما  
 رأوه عاجلوه بالقتال فكسروهم وقتل من ملوكهم صاحب الناصرة الهنفرى ، وكان من أكابر ملوكهم  
 وشجعانهم ، لا ينهيه اللقاء ، فكبته الله في هذه الغزوة ، ثم ركب الناصر في إثر ابن أخيه فما وصل  
 إلى الكسوة حتى تلقتة الرؤس على الرماح ، والغنائم والأسارى . وفيها بنت الفرنج قلعة عند بيت  
 الأحران للدواية فجعلوها مرصد الحرب المسلمين ، وقطع طريقهم ، ونقضت ملوكهم العهود التي كانت  
 بينهم وبين صلاح الدين ، وأغاروا على نواحي البلدان من كل جانب ، ليشغلوا المسلمين عنهم ،  
 وتفرقت جيوشهم فلا تجتمع في بقعة واحدة ، فرتب السلطان ابن أخيه عمر على حماه ومعه ابن مقدم  
 وسيف الدين على بن أحمد المشطوب بنواحي البقاع وغيرها ، وشغل حمص ابن عمه ناصر الدين بن  
 أسد الدين شيركوه ، وبعث إلى أخيه الملك أبي بكر العادل نائبه بمصر أن يبعث إليه ألفاً وخمسمائة  
 فارس يستعين بهم على قتال الفرنج ، وكتب إلى الفرنج يأمرهم بتخريب هذا الحصن الذى بنوه  
 للدواية فامتنعوا إلا أن يبذل لهم ما غرموه عليه ، فبذل لهم ستين ألف دينار فلم يقبلوا ، ثم أوصلهم  
 إلى مائة ألف دينار ، فقال له ابن أخيه تقي الدين عمر : ابذل هذا إلى أجناد المسلمين وسر إلى هذا  
 الحصن نغره ، فأخذ بقوله في ذلك وخربه في السنة الآتية كما سذكروه .

وفيها أمر الخليفة المستضىء بكتابة لوح على قبر الامام أحمد بن حنبل ، فيه آية الكرسي ،  
 وبعدها هذا قبر تاج السنة وحبر الأمة العالى الهمة العالم العابد الفقيه الزاهد ، وذكروا تاريخ وفاته  
 رحمه الله تعالى .

وفيها احتيط ببغداد على شاعر ينشد للرافض أشعاراً في ثلب الصحابة وسبهم ، وتهجين من  
 يحبهم ، فمقد له مجلس بأمر الخليفة ثم استنطق فاذا هورافضى خبيث داعية إليه ، فألقى الفقهاء بقطع  
 لسانه ويديه ، ففعل به ذلك ، ثم اختطفته العامة فما زالوا يرمونه بالآجر حتى ألقى نفسه في دجلة  
 فاستخرجوه منها فقتلوه حتى مات ، فأخذوا شريطاً وربطوه في رجله وجروه على وجهه حتى طافوا به  
 البلد وجميع الأسواق ، ثم ألوه في بعض الاتونة مع الآجر والكاس ، وعجز الشرط عن تخليصه منهم

وفيهما توفى من الأعيان أسعد بن بلدرك الجبيلي

سمع الحديث وكان شيخاً ظريف المذاكرة جيد المبادرة ، توفى عن مائة سنة وأربع سنين .

### الحيص بيص

سعد بن محمد بن سعد [ الملقب ] شهاب الدين ، أبو الفوارس المعروف بحيص بيص ، له ديوان شعر مشهور ، توفى يوم الثلاثاء خامس شهر شعبان من هذه السنة ، وله ثنتان وثمانون سنة ، وصلى عليه بالنظامية ، ودفن بباب التين ، ولم يعقب ، ولم يكن له في المراسلات بديل ، كان يتقعر فيها ويتفاح جدا ، فلا تواتيه إلا وهي معجزة ، وكان يزعم أنه من بني تميم ، فسئل أبوه عن ذلك فقال ما سمعته إلا منه ، فقال بعض الشعراء بهجوه فيما ادعاه من ذلك :

كم تبادى وكم تطيلُ طرطو \* ركُ وما فيك شعرة من تميم  
فكل الضب وأقرط الحنظل اليا \* يس واشرب ان شئت يول الظليم  
فليس ذا وجه من يضيف ولاية \* رى ولا يدفع الأذى عن حريم

ومن شعر الحيص بيص الجيد :

سلامة المرء ساعة عجب \* وكل شيء لحفته سبب  
يفرّ والحادثات تطلبه \* يفر منها ونحوها الهرب  
وكيف يبقى على قلبه \* مسلماً من حياته العطب

ومن شعره أيضاً :

لا تلبس الدهر على غرة \* فما لموت الحى من بد  
ولا يخادعك طولُ البقا \* فتحسب التطويل من خلد  
يقرب ما كان آخراً \* ما أقرب المهد من اللحد

ويقرب من هذا ما ذكره صاحب العقد أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي في عقده :

ألا إنما الدنيا غضارة أيكّة \* إذا اخضر منها جانب جف جانب  
وما الدهر والآمال إلا فجائع \* عليها وما اللذات إلا مصائب  
فلا تكتحل عينك منها بعبرة \* على ذاهب منها فانك ذاهب

وقد ذكر أبو سعد السمعاني حيص بيص هذا في ذيله وأثنى عليه ، وسمع عليه ديوانه ورسائله ، وأثنى على رسائله القاضي ابن خلكان ، وقال : كان فيه تبه وتماظم ، ولا يتكلم إلا معرباً ، وكان فقيهاً شافعي المذهب ، واشتغل بالخلاف وعلم النظر ، ثم تشاغل عن ذلك كله بالشعر ، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب ، واختلاف لغاتهم . قال : وإنما قيل له الحيص بيص ، لأنه رأى الناس في حركة

واختلاط ، فقال : ما للناس في حيص بيص ، أي في شر وهرج ، فغلب عليه هذه الكلمة ، وكان يزعم أنه من ولد أ كثم بن صيفي طبيب العرب ، ولم يترك عقبا . كانت له حوالة بالحللة فذهب يتقاضاها فتوفى ببغداد في هذه السنة .

### محمد بن نسيم

أبو عبد الله الخياط ، عتيق الرئيس أبي الفضل بن عبسون ، سمع الحديث وقارب الثمانين ، سقط من درجة فمات . قال : أنشدني مولى الدين يعني ابن علام الحكيم بن عبسون .

للقارىء المحزون أجدر بالتقى \* من راهب في ديره متقوس  
ومراقب الأفلاك كانت نفسه \* بمباداة الرحمن أخرى الأُنفس  
والماسح الأرضين وهي فسيحة \* أولى بمسح في أ كف اللبس  
أولى بخشية ربه من جاهل \* بمنك ومربع ومخمس

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة

وفيها كانت وقعة مرج عيون استهلكت هذه السنة والسلطان صلاح الدين الناصر نازل بمييشه على تل القاضى بياناس ، ثم قصده الفرنج بجمعهم فقبض إليهم فما هو إلا أن التقى الفريقان واصطدم الجندان ، فأنزله الله نصره وأعز جنده ، فولت ألوية الصليبان ذاهبة وخيل الله لركابهم راكبة ، فقتل منهم خلق كثير ، وأسروا من ملوكهم جماعة ، وأتابوا إلى السمع والطاعة ، منهم مقدم الداوية ومقدم الابساتارية وصاحب الرملة وصاحب طبرية وقسطلان ياقا وآخرون من ملوكهم ، وخلق من شجعانهم وأبطالهم ، ومن فرسان القدس جماعة كثيرين تقريباً من ثلاثمائة أسير من أشرفهم ، فصاروا يهانون في القيود . قال العماد : فاستعرضهم السلطان في الليل حتى أضاء الفجر ، وصلى يومئذ الصبح بوضوء العشاء ، وكان جالساً ليلتشد في نحو العشرين والفرنج كثير ، فسلمه الله منهم ، ثم أرسلهم إلى دمشق ليعتقوا بقلعتها ، فانتدى ابن البارزاني صاحب الرملة نفسه بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية ، وإطلاق ألف أسير من بلاده ، فأجيب إلى ذلك ، وانفدى جماعة منهم أنفسهم بأموال جزيلة ، ومنهم من مات في السجن ، واتفق أنه في اليوم الذي ظفر فيه السلطان بالفرنج بمرج عيون ، ظهر أسطول المسلمين على بطشة للفرنج في البحر وأخرى معها ففتنوا منها ألف رأس من النسبي ، وعاد إلى الساحل مؤيداً منصوراً ، وقد امتدح الشعراء السلطان في هذه الفزوة بمدائح كثيرة ، وكتب بذلك إلى بغداد فدقت البشائر بها فرحاً وسروراً ، وكان الملك المظفر تقي الدين عمر غائباً عن هذه الوقعة مشتتلاً بما هو أعظم منها ، وذلك أن ملك الروم فرارسلان بعث يطلب حصن رعان ، وزعم أن نور الدين اغتصبه منه ، وأن ولده قد عصى ، فلم يجبه إلى ذلك السلطان ، فبعث صاحب الروم

عشرين ألف مقاتل يحاصرونه ، فأرسل السلطان تقي الدين عمر في ثمانمائة فارس منهم سيف الدين علي بن أحمد المشطوب ، فالتقوا معهم فهزموهم باذن الله ، واستقرت يد صلاح الدين على حصن رعان ، وقد كان مما عرض به ابن مقدم عن بعلبك ، وكان تقي الدين عمر يفتخر بهذه الواقعة ويرى أنه قد هزم عشرين ألفاً ، وقيل ثلاثين ألفاً ثمانمائة ، وكان السبب في ذلك أنه بيّتهم وأغار عليهم ، فلما لبثوا بل فروا منهزمين عن آخرهم ، فأكثر فيهم القتل واستحوذ على جميع ما تركوه في خيامهم ، ويقال إنه كسرهم يوم كسر السلطان الفرنج بمرج عيون والله أعلم .

### ذكر تخريب حصن الأحزان

وهو قريب من صفد . ثم ركب السلطان إلى الحصن الذي كانت الفرنج قد بنوه في العام الماضي وحفروا فيه بئراً وجعلوه لهم عيناً ، وسلوه إلى الداوية ، فتصدده السلطان فحاصره ونقبه من جميع جهاته ، وألقى فيه النيران وخربه إلى الأساس ، وغنم جميع ما فيه ، فكان فيه مائة ألف قطعة من السلاح ، ومن المأكول شيء كثير ، وأخذ منه سبعمائة أسير فقتل بعضاً وأرسل إلى دمشق الباقي ، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً ، غير أنه مات من أمرائه عشرة بسبب ما نالهم من الحر والوباء في مدة الحصار ، وكانت أربعة عشر يوماً ، ثم إن الناس زاروا مشهد يعقوب على عادتهم ، وقد امتدحه الشمراء فقال بعضهم :

بجذك أعطاف الغنا قد تعطفت \* و طرف الأعدى دون مجذك يطرف  
شهاب هدى في ظلمة الليل ناقيب \* وسيف إذا ما هزه الله مرهف  
وقفت على حصن الخاض وإنه \* لموقف حق لا يوازيه موقف  
فلم يبد وجه الأرض بل حال دونه \* رجال كآساد الثرى وهى ترجف  
وجرد سلموب ودرع مضاعف \* وأبيض هندی ولدن مهفف  
وما رجعت أعلامك البيض ساعة \* إلا غدت أكبادها السود ترجف  
كنائس أغياذ صليب وبيعة \* وشاد به دين حنيف ومصحف  
صليب وعباد الصليب ومنزل \* لنوال قد غادته وهو نصف  
أنسكن أوطان النبين عصة \* تمين لدى أيمانها وهى تحلف  
نصحتكم والنصح في الدين واجب \* ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

وقال آخر :

هلاك الفرنج أتى عاجلاً \* وقد آن تكسير صلبانها  
ولولم يكن قد دنا حقتها \* لما عرث بيت أحزانها

من كتاب كتبه القاضي الفاضل إلى بغداد في خراب هذا الحصن . وقد قيس عرض حائطه فزاد على عشرة أذرع وقطعت له عظام الحجارة كل فص منها سبعة أذرع ، إلى ما فوقها ومادونها ، ووعدها تزيد على عشرين ألف حجر ، لا يستقر الحجر في بنيانه إلا بأربعة دنانير فما فوقها ، وفيما بين الحائطين حشون من الحجارة الضخمة الصم ، أتواها من رؤس الجبال الشم ، وقد جمعت شعبيته بالكس الذي إذا أحاطت بالحجر مازجه بمنزل جسمه ، ولا يستطيع الحديد أن يتعرض إلى هدمه . وفيها أقطع صلاح الدين ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بملك . وأغار فيها على صفت وأعمالها ، فقتل طائفة كبيرة من مقاتليها ، وكان فروخ شاه من الصناديد الأبطال .

وفيها حج القاضي الفاضل من دمشق وعاد إلى مصر فقام في الطريق أهوالاً ، ولقي ترحاً وتعباً وكلالاً ، وكان في العام الماضي قد حج من مصر وعاد إلى الشام ، وكان ذلك العام في حقه أسهل من هذا العام . وفيها كانت زلزلة عظيمة أنهدم بسببها قلاع وقرى ، ومات خلق كثير فيها من الوري ، وسقط من رؤس الجبال صخور كبار ، وصادمت بين الجبال في البراري والقفار ، مع بعد ما بين الجبال من الأقطار . وفيها أصاب الناس غلاء شديد وفناء شريد وجهد جهيد ، فمات خلق كثير بهذا وهذا ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

#### وفاة المستضيء بأمر الله وشيخه من ترجمته

كان ابتداء مرضه أواخر شوال فأرادت زوجته أن تسكن ذلك فلم يمكنها ، ووقعت فتنه كبيرة ببغداد ونهبت العوام دوراً كثيرة ، وأموالاً جزيلة ، فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال خطب لولى العهد أبي العباس أحمد بن المستضيء ، وهو الخليفة الناصر لدين الله ، وكان يوماً مشهوداً نثر الذهب فيه على الخطباء والمؤذنين ، ومن حضر ذلك ، عند ذكر اسمه على المنبر . وكان مرضه بالحمى ابتدأ فيها يوم عيد الفطر ، ولم يزل الأمر يتزايد به حتى استكمل في مرضه شهراً ، ومات سلخ شوال ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً ، وغسل وصلى عليه من الفد . ودفن بدار النصر التي بناها ، وذلك عن وصيته التي أوصاها ، وترك ولدين أحدهما ولي عهده وهو عدة الدنيا والدين ، أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ، والآخر أبو منصور هاشم ، وقد وزر له جماعة من الرؤساء ، وكان من خيار الخلفاء ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، مزبلاً عن الناس المكوسات والضرائب ، مبطلا للبدع والمعائب ، وكان حليماً وقوراً كريماً ، وبويع بالخلافة من بعده لولده الناصر .

وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن علي

أبو إسحاق الفقيه الشافعي ، المعروف بابن الفراء الأموي ثم البغدادي ، كان فاضلاً مناظراً



فصيحاً بليغاً شاعراً ، توفي عن أربع وسبعين سنة ، وصلى عليه أبو الحسن القزويني مدرس النظامية  
إسماعيل بن موهوب

ابن محمد بن أحمد الخضر أبو محمد الجواليقي ، حجة الاسلام ، أحد أئمة اللغة في زمانه والمشار إليه  
من بين أقرانه بحسن الدين وقوة اليقين ، وعلم اللغة والنحو ، وصدق اللهجة وخلوص النية ، وحسن  
السيرة في مرياه ومنشاه ومنتهاه ، سمع الحديث وسمع الأثر واتبع سبيله ومرماه ، رحمه الله تعالى .

المبارك بن علي بن الحسن

أبو محمد ابن الطباخ البغدادي ، نزيل مكة ومجاورها ، وحافظ الحديث بها والمشار إليه بالعلم  
فيها . كان يوم جنازته يوماً مشهوداً .

خلافة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء

لما توفي أبوه في سابع شوال من سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، بايعه الأمراء والوزراء والكبراء  
والخاصة والعامة ، وكان قد خطب له على المنابر في حياة أبيه قبل موته ببسبر ، فقيل إنه إنما عهد له  
قبل موته بيوم ، وقيل بأسبوع ، ولكن قدر الله أنه لم يختلف عليه اثنان بعد وفاة أبيه ، ولقب  
بالناصر ، ولم يل الخلافة من بني العباس قبله أطول مدة منه ، فانه مكث خليفة إلى سنة وفاته في ثلاث  
وعشرين وستائة ، وكان ذكياً شجاعاً مهيباً كما سيأتي ذكر سيرته عند وفاته . وفي سابع ذي القعدة  
من هذه السنة عزل صاحب الخزن ظهير الدين أبو بكر بن العطار ، وأهين غاية الاهانة ، هو وأصحابه  
وقتل خلق منهم ، وشهر في البلاد ، وتمكن أمر الخليفة الناصر وعظمت هيئته في البلاد ، وقام قائم  
الخلافة في جميع الأمور . ولما حضر عيد الأضحى أقيم على ما جرت به العادة والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة

فيها هادن السلطان صلاح الدين الفرنج وسار إلى بلاد الروم فأصلح بين ملوكها ، من بين أرتق  
وكر على بلاد الأرمن فأقام عليها وفتح بعض حصونها ، وأخذ منها غنائم كثيرة جدا ، من أوام  
الفضة والذهب ، لأن ملكها كان قد غدر بقوم من التركان ، فرده إلى بلاده ثم صالحه على مال يحمله  
إليه وأسارى يطلقهم من أسره ، وآخرين يستنقذهم من أيدي الفرنج ، ثم عاد مؤيداً منصوراً فدخل  
حماه في أواخر جمادى الآخرة ، واهتدحه الشعراء على ذلك ، ومات صاحب الموصل سيف الدين  
غازي بن مودود ، وكان شاباً حسناً مليح الشكل تام القامة ، مدور اللحية ، مكث في الملك عشر  
سنين ، ومات عن ثلاثين سنة ، وكان عفيفاً في نفسه ، مهيباً وقوراً ، لا يلتفت إذا ركب وإذا  
جلس ، وكان غيوراً لا يدع أحداً من الخدم الكبار يدخل على النساء ، وكان لا يقدم على سفك  
الدماء ، وكان ينسب إلى شيء من البخل سألحه الله ، توفي في ثالث صفر ، وكان قد عزم على أن يجعل

الملك من بعده لولده عز الدين سنجر شاه ، فلم يوافق الأمراء خوفاً من صلاح الدين لصغر سنه ، فاتفقوا كلهم على أخيه فأجلس مكانه في المملكة ، وكان يقال له عز الدين مسعود ، وجعل مجاهد الدين قائماً نائبه ومدبر مملكته . وجاءت رسل الخليفة يلتمسون من صلاح الدين أن يبقى سروج والرها والركة ، وحران والخابور ونصيبين في يده كما كانت في يد أخيه ، فامتنع السلطان من ذلك ، وقال : هذه البلاد هي حفظ نفور المسلمين ، وإنما تركتها في يده ليساعدنا على غزو الفرنج ، فلم يفعل ذلك ، وكتب إلى الخليفة يعرفه أن المصلحة في ترك ذلك عوناً للمسلمين .

### وفاة السلطان توران شاه

فيها توفي السلطان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب ، أخى الملك صلاح الدين ، وهو الذى افتتح بلاد اليمن عن أمر أخيه ، فكث فيها حيناً واقتنى منها أموالاً جزيلة ، ثم استناب فيها وأقبل إلى الشام شوقاً إلى أخيه ، وقد كتب إليه في أثناء الطريق شعراً عمله له بعض الشعراء ، يقال له ابن المنجم ، وكانوا قد وصلوا إلى سما : -

هل لأخى بل مالكي علم بالذى \* إليه وإن طال الترددُ راجعُ  
وإني بيومٍ واحدٍ من لقاء \* على وإن عظم الموتَ بايعُ  
ولم يبق إلا دونَ عشرين ليلة \* ويجيى اللقاء أبصارنا والمسامعُ  
إلى ملكٍ تمنو الملوك إذا بدا \* ونخشعُ إعظاماً له وهو خاشعُ  
كتبتُ وأشواقى إليك ببعضها \* تعلمتُ النوحَ الحامُ السواجعُ  
وما الملكُ إلا راحةٌ أنتَ زندها \* تضمُ على الدنيا ونحنُ الأصابعُ

وكان قدومه على أخيه سنة إحدى وسبعين وخمسة ، فشهد معه مواقف مشهودة محمودة ، واستنابه على دمشق مدة ، ثم سار إلى مصر فاستنابه على الاسكندرية فلم توافقه ، وكانت تعتريه القوائج فمات في هذه السنة ، ودفن بقصر الامارة فيها ، ثم نقلته أخته ست الشام بنت أيوب فدفنته بترتها التي بالشامية البرانية ، فقبره القبلى ، والوسطانى قبر زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه ، صاحب حماه والرحبة ، والموخر قبرها ، والتربة الحسامية منسوبة إلى ولدها حسام الدين عمر بن لاشين ، وهي إلى جانب المدرسة من غربها ، وقد كان توران شاه هذا كرمياً شجاعاً عظيم الهيبة كبير النفس ، واسع النفقة والعتاة ، قال فيه ابن سعدان الحلبي :

هو الملكُ إن تسمع بكسرى وقيصر \* فأنهما في الجودِ والبأسِ عبداهُ  
وما حاتمٌ ممن يقاسُ بمنذر \* نخذ ما رأيناهُ ودع ما رويناهُ  
ولدتُ بعلاءُ مستجيراً فانه \* يجيرك من جورِ الزمانِ وعدواهُ

ولا تحمل للسحائب منه إذا • هطلت جوداً سحاب كفاه  
 فترسل كفاه بما اشتق منها • فليمن يمناه ولليسر يسراه  
 ولما بلغ موته أخاه صلاح الدين بن أيوب وهو مخيم بظاهر حمص ، حزن عليه حزناً شديداً ،  
 وجعل ينشد باب المراثي من الحماسة وكانت محفوظة .

وفي رجب منها قدمت رسل الخليفة الناصر وخلع وهدايا إلى الناصر صلاح الدين ، فلبس خلعة  
 الخليفة بدمشق ، وزينت له البلد ، وكان يوماً مشهوداً . وفي رجب أيضاً منها سار السلطان إلى مصر  
 لينظر في أحوالها ويصوم بها رمضان ، ومن عزمه أن يهجم عامه ذلك ، واستناب على الشام ابن أخيه  
 عز الدين فروخ شاه ، وكان عزيز المثل عزيز الفضل ، فكتب القاضي الفاضل عن الملك العادل أبي  
 بكر إلى أهل اليمن والبقيع ومكة يعلمهم بعزم السلطان الناصر على الحج ، ومعه صدر الدين أبو القاسم  
 عبد الرحيم شيخ الشيوخ ببغداد ، الذي قدم من جهة الخليفة في الرسالة ، وجاء بالخلع ليكون في خدمته  
 إلى الديار المصرية ، وفي صحبته إلى الحجاز ، فدخل السلطان مصر وتلقاه الجيش ، وأما شيخ  
 الشيوخ فإنه لم يبق بها إلا قليلاً حتى توجه إلى الحجاز في البحر ، فأدرك الصيام في المسجد الحرام .  
 وفيها سار قراقوش التقوى إلى المغرب فحاصر بها فاس وقلعا كثيرة حولها ، واستحوذ على  
 أكثرها ، واتفق له أنه أسر من بعض الحصون غلاماً أسود فأراد قتله فقال له أهل الحصن لا تقتله  
 وخذ لك دينه عشرة آلاف دينار ، فأبى فأوصله إلى مائة ألف ، فأبى إلا قتله فقتله ، فلما قتله نزل  
 صاحب الحصن وهو شيخ كبير ومعه مفاتيح ذلك الحصن ، فقال له خذ هذه فاني شيخ كبير ،  
 وإنما كنت أحفظه من أجل هذا الصبي الذي قتلته ، ولي أولاد دأخ أكره أن يملكوه بهدي ،  
 فأقره فيه وأخذ منه أموالاً كثيرة .

وفيها توفي من الأعيان      الحافظ أبو طاهر السلفي

أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه الحافظ الكبير المعمر ، أبو طاهر السلفي الأصبهاني ، وإتمام قيل  
 له السلفي لجده إبراهيم سلفه ، لأنه كان مشقوق إحدى الشفتين ، وكان له ثلاث شفاة فسمته الأعاجم  
 لذلك . قال ابن خلكان : وكان يلقب بصدر الدين ، وكان شافعي المذهب ، ورد بغداد واشتغل بها  
 على الكيا المراسي ، وأخذ اللغة عن الخطيب أبي زكريا . يحيى بن علي التبريزي مع الحديث  
 الكثير ورحل في طلبه إلى الآفاق ثم نزل نهر الاسكندرية في سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وبني  
 له العادل أبو الحسن علي بن السلار وزير الخليفة الظاهر مدرسة ، وفوضها إليه ، فهي مروفة به إلى  
 الآن . قال ابن خلكان : وأما أماليه وكتبه وتمايلقه فكثيرة جدا ، وكان مولده فيما ذكر المصريون  
 سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة ، ونقل الحافظ عبد الغني عنه أنه قال اذكر مقتل نظام الملك في سنة

خمس وثمانين وأربعمائة ببغداد ، وأنا ابن عشر تقريباً ، ونقل أبو القاسم الصفراوي أنه قال : مولدى  
 بالتخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين ، فيكون مبلغ عمره ثمانيا وتسعين سنة ، لأنه توفى ليلة الجمعة  
 خامس ربيع الاخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بغير الاسكندرية والله أعلم ، ودفن بوعلة ، وفيها  
 جماعة من الصالحين . وقد رجح ابن خلكان قول الصفراوي ، قال ولم يبلغنا من ثلاثمائة أن  
 أحدا جاوز المائة إلا القاضى أبا الطيب الطبرى ، وقد ترجمه ابن عساكر فى تاريخه ترجمة حسنة ،  
 وإن كان قد مات قبله بخمس سنين ، فذكر رحلته فى طلب الحديث ودورانه فى الأقاليم ، وأنه كان  
 يتصوف أولاً ثم أقام بغير الاسكندرية وتزوج بامرأة ذات يسار ، فحسفت حاله ، وبنت عليه مدرسة  
 هناك ، وذكر طرفاً من أشعاره منها قوله :

أَتَأْمَنُ إِيَّامَ الْمَنِيَةِ بِنْتَهُ \* وَأَمَّنَ الْفَتَى جَهْلًا وَقَدْ خَبَرَ الدَّهْرَا  
 وَلَيْسَ بِحَبَابِي الدَّهْرُ فِي دَوْرَانِهِ \* أَرَادَ أَنْ أَهْلِيهِ وَلَا السَّادَةَ الزَّهْرَا  
 وَكَيْفَ وَقَدْ مَاتَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ \* وَأَزْوَاجُهُ طَرًّا وَقَاطِمَةُ الزَّهْرَا  
 وَه أَيْضًا: يَا قَاصِدًا عِلْمَ الْحَدِيثِ لَدِينِهِ \* إِذْ ضَلَّ عَنْ طَرِيقِ الْمَهْدَايَةِ وَهَمُهُ  
 إِنْ الْعُلُومَ كَمَا عَلِمْتَ كَثِيرَةً \* وَأَجْلَهَا فَقَهُ الْحَدِيثِ وَعِلْمُهُ  
 مِنْ كَانَ طَالِبُهُ وَفِيهِ تَبْقِظٌ \* فَاتَمَّ سَهْمٌ فِي الْمَالِ سَهْمُهُ  
 لَوْلَا الْحَدِيثُ وَأَهْلُهُ لَمْ يَسْتَقِمْ \* دِينَ النَّبِيِّ وَشَدَّ عَنَا حِكْمُهُ  
 وَإِذَا اسْتَرَابَ بِقَوْلِنَا مَتَحَدِّقٌ \* مَا كُلُّ فَهْمٍ فِي الْبَسِيطَةِ فَهْمُهُ

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة

استهلت وصلاح الدين مقيم بالقاهرة مواظب على سماع الحديث ، وجاءه كتاب من فائمه بالشام  
 عز الدين فرخ شاه يخبره فيه بما من الله به على الناس من ولادة النساء بالتوأم جبراً لما كان أصابهم  
 من الوباه بالعام الماضى والفناء ، وبأن الشام مخصبة باذن الله لما كان أصابهم من الغلاء . وفى شوال  
 توجه الملك صلاح الدين إلى الاسكندرية لينظر ما أمر به من تحصين سورها وعمارة أبراجها  
 وقصورها ، وسمع بها موطأ مالك على الشيخ أبى طاهر بن عوف ، عن الطرطوشى ، وسمع معه العماد  
 الكاتب ، وأرسل القاضى الفاضل رسالة إلى السلطان يهنته بهذا السماع .

وفاة الملك الصالح بن نور الدين الشهيد

صاحب حلب وماجرى بعده من الأهور

كانت وفاته فى الخامس والعشرين من رجب من هذه السنة بقلعة حلب ، ودفن بها ، وكان  
 سبب وفاته فيما قيل أن الأمير علم الدين سليمان بن حيدر سقاه سما فى عنقود عنب فى الصيد ، وقيل

بل سقاه ياقوت الأسدي في شراب فاعتراه قولنج فإزال كذلك حتى مات وهو شاب حسن الصورة ، بهي المنظر ، ولم يبلغ عشرين سنة ، وكان من أعف الملوك ومن أشبه أباه فما ظلم ، وصف له الأطباء في مرضه شرب الخمر فاستفتى الفقهاء في شربها تداويا فأفتوه بذلك ، فقال : أيزيد شربها في أجل أو ينتص منه تركها شيئا ؟ قالوا : لا قال : فوالله لا أشربها وألقى الله وقد شربت ما حرمه على . ولما يئس من نفسه استدعا الأمراء خلفهم لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل ، لقوة سلطانه وتمكنه ، لينعما من صلاح الدين ، وخشى أن يبايع لابن عمه الآخر عماد الدين زنكي ، صاحب سنجار ، وهو زوج أخته وتربية والده ، فلا يمكنه حفظها من صلاح الدين ، فلما مات استدعى الحلبيون عز الدين مسعود بن قطب الدين ، صاحب الموصل ، فجاء إليهم فدخل حلب في أبهة عظيمة ، وكان يوماً مشهودا ، وذلك في العشرين من شعبان ، فسلم خزائنها وحواصلها . وما فيها من السلاح ، وكان تقي الدين عمه في مدينة منبج فهرب إلى حماه فوجد أهلها قد نادوا بشعار صاحب الموصل وأطعم الحلبيون مسعوداً بأخذ دمشق لنية صلاح الدين عنها ، وأعلموه محبة أهل الشام لهذا البيت الاتابكي نور الدين ، فقال لهم : بيننا وبين صلاح الدين أيمان وعهود ، وأنا لا أغدر به ، فأقام بحلب شهوراً وتزوج بأم الملك الصالح في شوال ، ثم سار إلى الرقة فترها وجاءه رسل أخيه عماد الدين زنكي يطلب منه أن يقايضه من حلب إلى سنجار ، وألح عليه في ذلك ، وتمنع أخوه ثم فعل على كره منه ، فسلم إليه حلب وتسلم عز الدين سنجار والخابور والرقة ونصيبين وسروج وغير ذلك من البلاد . ولما سمع الملك صلاح الدين بهذه الأمور ركب من الديار المصرية في عساكره فسار حتى أتى الفرات فمبرها ، وخامر إليه بعض أمراء صاحب الموصل ، وتقهر صاحب الموصل عن لقاءه ، واستحوذ صلاح الدين على بلاد الجزيرة بكاملها ، وهم بمحاصرة الموصل فلم يتفق له ذلك ، ثم جاء إلى حلب فسلمها من عماد الدين زنكي لضعفه عن ممانعتها ، ولقلة ما ترك فيها عز الدين من الأسلحة ، وذلك في السنة الآتية .

وفيها عزم البرنس صاحب الكرك على قصد تيماء من أرض الحجاز ، ليتوصل منها إلى المدينة النبوية ، فجهز له صلاح الدين سرية من دمشق تكون حاجزة بينه وبين الحجاز ، فصدته ذلك عن قصده . وفيها ولي السلطان صلاح الدين أخاه سيف الاسلام ظهير الدين طفتكين بن أبوب نيابة اليمن ، وأرسله إليها ، وذلك لاختلاف نوابها واضطراب أصحابها ، بعد وفاة المعظم أخى السلطان ، فسار إليها طفتكين فوصلها في سنة ثمان وسبعين ، فسار فيها أحسن سيرة ، واحتاط على أموال حطان بن منقذ صاحب زبيد ، وكانت تقارب ألف دينار أو أكثر ، وأما نائب عدن نجر الدين عثمان [ الزنجبيلي ] فإنه خرج من اليمن قبل قدوم طفتكين فسكن الشام ، وله أوقاف مشهورة

بالبن ومكة ، وإليه تنسب المدرسة الإنجيلية ، خارج باب توما ، تجاه دار المطم ، وكان قد حصل من البن أموالاً عظيمة جداً .

وفيهما غدرت الفرنج وتفضت عهودها ، وقطعوا السبل على المسلمين براً وبحراً وسراً وجهراً ، فأمكن الله من لطيشة عظيمة فيها نحو من ألفين وخمسمائة من مقاتلتهم المعدودين ، ألقاها الموج إلى نهر دمياط قبل خروج السلطان من مصر ، فأحيط بها ففرق بعضهم وحصل في الأسر نحو ألف وسبعمائة . وفيها سار قراقوش إلى بلاد إفريقية ففتح بلاداً كثيرة ، وقاتل عسكر ابن عبد المؤمن صاحب المغرب ، واستفحل أمره هناك ، وقراقوش مملوك تقي الدين عمر بن أخي السلطان صلاح الدين ، ثم عاد إلى مصر فأمره صلاح الدين أن يتم السور المحيط بالقاهرة ومصر ، وذلك قبل خروجه منها في هذه السنة ، وكان ذلك آخر عهده بها حتى توفاه الله بعد أن أناله الله بلوغ مناه ، ففتح عليه بيت المقدس وما حوله ، ولما خيم بارزاً ، من مصر وأولاده حوله جعل يشمهم ويقبلهم ويضمهم فأشدد بعضهم في ذلك :

تمتغ من شميم عرار نجد \* فما بعد العشيّة من عرار

وكان الأمر كما قال ، لم يعد إلى مصر بعد هذا العام ، بل كان مقامه بالشام . وفيها ولد للسلطان ولدان أحدهما المعظم توران شاه ، والملك المحسن أحمد ، وكان بين ولادتهما سبعة أيام ، فزينت البلاد واستمر للفرح أربعة عشر يوماً .

وفيهما توفي من الأعيان . الشيخ كمال الدين أبو البركات

عبد الرحمن بن محمد بن أبي السماعات ، عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الأنباري النحوي الفقيه العابد الزاهد ، كان خشن العيش ، ولا يقبل من أحد شيئاً ، ولا من الخليفة ، وكان يحضر نوبة الصوفية بدار الخلافة ، ولا يقبل من جوائز الخليفة ولا فلساً ، وكان مثابراً على الاشتغال ، وله تصانيف مفيدة ، توفي في شعبان من هذه السنة . قال ابن خلكان : له كتاب أسرار العربية مفيد جداً ، وطبقات النحاة ، مفيد جداً ، وكتاب الميزان في النحو أيضاً ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

في خامس محرماً كان بروز السلطان من مصر قاصداً دمشق لأجل الغزو والاحسان إلى الرعايا وكان ذلك آخر عهده بمصر ، وأغار بطريقه على بعض نواحي بلاد الأفرنج ، وقد جعل أخاه تاج الملوك يوري بن أيوب على الميمنة ، فالتقوا على الأزرق بعد سبعة أيام ، وقد أغار عز الدين فروخ شاه على بلاد طبرية واقتتح حصوناً جيدة ، وأسر منهم خلقاً ، واغنم عشرين ألف رأس من الأنعام ، ودخل الناصر دمشق سابع صفر ثم خرج منها في العشر الأول من ربيع الأول ، فاقتتل مع الفرنج

في نواحي طبرية وبيسان تحت حصن كوكب ، قتل خلق من الفريقين ، وكانت النصره للمسلمين على الفرنج ، ثم رجع إلى دمشق مؤيداً منصوراً ، ثم ركب قاصداً حلب وبلاد الشرق ليأخذها وذلك أن المواصلة والحلبيين كاتبوا الفرنج على حرب المسلمين ، ففارت الفرنج على بعض أطراف البلاد ليشغلوا الناصر عنهم بنفسه ، فجهأ إلى حلب فحاصرها ثلاثاً ، ثم رأى المدول عنها إلى غيرها أولى ، فسار حتى بلغ الفرات ، واستحوذ على بلاد الجزيرة والرها والرقه ونصيبين ، وخضعت له الملوك ، ثم عاد إلى حلب فتسلها من صاحبها عماد الدين زنكي ، فاستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً ، وتمكن حينئذ من قتال الفرنج .

### فضائله

ولما مجز ابرنس السكرك عن إيصال الأذى إلى المسلمين في البر ، عمل مراكب في بحر القلزم ليقطعوا الطريق على الحجاج والتجاج ، فوصلت أذيتهم إلى عيذاب ، وخاف أهل المدينة النبوية من شرهم ، فأمر الملك العادل الأمير حسام الدين لؤلؤ صاحب الأسطول أن يعمل مراكبه في بحر القلزم ليحارب أصحاب ابرنس ، ففعل ذلك فظفر بهم في كل موطن ، فقتلوا منهم وحرقوا وغرقوا وسبوا في مواطن كثيرة ، ومواقف هائلة ، وأمن البر والبحر باذن الله تعالى ، وأرسل الناصر إلى أخيه العادل ليشكر ذلك عن مساعيه ، وأرسل إلى ديوان الخليفة يعرفهم بذلك .

### فصل في وفاة المنصور عز الدين

فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك ونائب دمشق لعمه الناصر ، وهو والد الأجدد بهرام شاه صاحب بعلبك بعد أبيه ، وإليه تنسب المدرسة الفروخ شاهية بالشرق الشمالي بدمشق ، وإلى جانبها التربة الأجددية لولده ، وهما وقف على الخفية والشافعية ، وقد كان فروخ شاه شجاعاً شهماً عاقلاً ذكياً كريماً ممدحاً ، امتدحه الشعراء لفضله وجوده ، وكان من أكبر أصحاب الشيخ تاج الدين أبي اليمن الكندي ، عرفه من مجلس القاضي الفاضل ، فالتقى إليه ، وكان يحسن إليه ، وله وللمهاد السكاتب فيه مدائح ، وكان ابنه الأجدد شاعراً جيداً ، ولاة عم أبيه صلاح الدين بعلبك بعد أبيه ، واستمر فيها مدة طويلة ، ومن محاسن فروخ شاه صحبته لتاج الدين الكندي وله شعر رائع :

أنا في أسر السقام \* وهو في هذا المقام \* رَشاً يرشق عينا \* ه فؤادي بسهام  
كل أرشفتي فا \* ه على حر الأوام \* ذقت منه الش \* ه المصنفي في المدام

وقد دخل يوماً الحمام فرأى رجلاً كان يعرفه من أصحاب الأموال ، وقد نزل به الحال حتى إنه كان يستتر ببعض ثيابه لثلاث تبدو عورته ، فرق له وأمر فلابه أن ينقل بقعة وبساطا إلى موضع الرجل ،

وأمره فأحضر ألف دينار و بقله وتوقمها له في كل شهر بعشرين ألف دينار ، فدخل الرجل الحمام فقيرا  
 وخرج منه غنيا ، فرحمة الله على الأجواد الجياده

وفيها توفي من الأعيان . الشيخ أبو العباس

أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بابن الرضا ، شيخ الطائفة الأحمدية  
 الرضاية البطائحية ، لسكناه أم عبيدة من قرى البطائح ، وهي بين البصرة وواسط ، كان أصله من  
 العرب فسكن هذه البلاد ، والتف عليه خاق كثير ، ويقال : إنه حفظ التنبيه في الفقه على مذهب  
 الشافعي . قال ابن خلكان : ولاتباعه أحوال عجيبه من أكل الحيات وهي حية ، والدخول في النار  
 في التنانير وهي تضطرم ، ويلعبون بها وهي تشتعل ، ويقال إنهم في بلادهم يركبون الأسود .  
 وذكر ابن خلكان أنه قال وليس للشيخ أحمد عقب ، وإنما النسل لأخيه وذريته يتوارثون المشيخة  
 بتلك البلاد . وقال : ومن شعره على ما قيل :

إذا جن ليلى هام قلبي بذكركم \* أنوح كما نوح الحمام المطوق  
 وفوق سحاب يمطر الهمة والأسى \* ونحى بحارم بالأسى تندفق  
 سلوا أم عمر وكيف بات أسيرها \* تفك الأسارى دونه وهو موثق  
 فلا هو مقتول في القتل راحة \* ولا هو ممنون عليه فيطلق

ومن شعره قوله :

أغار عليها من أيها وأما \* ومن كل من يدنو إليها وينظر  
 وأحسد للمرأة أيضا بكفها \* إذا نظرت مثل الذي أنا أنظر

قال : ولم يزل على تلك الحال إلى أن توفي يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى  
 من هذه السنة . خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال

أبو القاسم القرطبي الحافظ المحدث المؤرخ ، صاحب التصانيف ، له كتاب الصلاة جملة ذيلا على  
 تاريخ أبي الوليد بن الفرضي ، وله كتاب المستغنين بالله ، وله مجلدة في تعيين الأسماء المهمة على  
 طريق الخطيب ، وله أسماء من روى الموطأ على حروف المعجم ، بلغوا ثلاثة وسبعين رجلا ، مات  
 في رمضان عن أربع وثمانين سنة .

العلامة قطب الدين أبو المعالي

مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري ، تفقه على محمد بن يحيى صاحب الغزالي ، قدم دمشق  
 ودرس بالغزالية والمجاهدية ، وبجلب بمدرسة نور الدين وأسد الدين ، ثم بهمدان ، ثم رجع إلى دمشق  
 ودرس بالغزالية وانتهت إليه رئاسة المذهب ، ومات بها في سلخ رمضان يوم العيد سنة ثمان وسبعين



وخمسة ، عن ثلاث وتسعين سنة ، وعنه أخذ الفخر ابن عساكر وغيره ، وهو الذي صلى على  
الحافظ ابن عساكر والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسة

في رابع عشر محرماً تسلم السلطان الناصر مدينة آمد صلحاً بعد حصار طويل ، من يد صاحبها  
ابن بيسان ، بعد حمل ما أمكنه من حواصله وأمواله مدة ثلاثة أيام ، ولما تسلم البلد وجد فيه شيئاً  
كثيراً من الحواصل وآلات الحرب ، حتى إنه وجد برجاً مملوءاً بنصول النشاب ، وبرجاً آخر فيه  
مائة ألف شمعة ، وأشياء يطول شرحها ، ووجد فيها خزانة كتب ألف ألف مجلد ، وأربعين ألف  
مجلد ، فوهبها كلها للقاضي الفاضل ، فانتخب منها حمل سبعين حمارة . ثم وهب السلطان البلد بما فيه  
لنور الدين محمد بن قرا أرسلان - وكان قد وعده بها - فقيل له : إن الحواصل لم تدخل في الهبة ، قال :  
لا أبخل بها عليه ، وكان في خزائنها ثلاثة آلاف ألف دينار ، فامتدحه الشراء على هذا الصنيع .  
ومن أحسن ذلك قول بعضهم :

قل للملوك تنحوا عن ممالككم \* فقد أتى آخذ الدنيا ومعطياً

ثم سار السلطان في بقية المحرم إلى حلب فحاصرها وقاتله أهلها قتالاً شديداً ، ففرح أخو السلطان  
تاج الملوك بوري بن أيوب جرحاً بليغاً ، فات منه بعد أيام ، وكان أصغر أولاد أيوب ، لم يبلغ عشرين  
سنة ، وقيل إنه جاوزها بثنتين ، وكان ذكياً فهما ، له ديوان شمر لطيف ، فحزن عليه أخوه  
صلاح الدين حزناً شديداً ، ودفنه بحلب ، ثم نقله إلى دمشق ، ثم اتفق الحال بين الناصر وبين  
صاحب حلب عماد الدين زنكي بن آقسنقر على عوض أطلقه له الناصر ، بأن يرد عليه سنجار  
ويسلمه حلب ، ففرج عماد الدين من القلعة إلى خدمة الناصر وعزاه في أخيه ونزل عنده في الخيم ،  
ونقل أقاله إلى سنجار ، وزاده السلطان الخابور والرقه ونصيبين وسروج واشترط عليه إرسال  
المسكر في الخدمة لأجل الغزاة في الفرنج ، ثم سار وودعه السلطان ومكث السلطان في الخيم يرى  
حلب أياماً غير مكثرت بحلب ولا وقعت منه موقفاً ، ثم صعد إلى قلعتها يوم الاثنين السابع والعشرين  
من صفر ، وعمل له الأمير طهمان وليمة عظيمة ، ففلا هذه الآية وهو داخل في بابها [ قل اللهم مالك الملك ]  
الآية . ولما دخل دار الملك تلا قوله تعالى [ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ] الآية ، ولما دخل مقام  
إبراهيم صلى فيه ركعتين وأطال السجود به ، والدعاء والتضرع إلى الله ، ثم شرع في عمل وليمة ،  
وضربت البشاير ، وخلع على الأمراء ، وأحسن إلى الرؤساء والفقراء ، ووضعت الحرب أوزارها ،  
وقد امتدحه الشراء بمداخ حسان . ثم إن القلعة وقعت منه بموقع عظيم ، ثم قال : ما سررت بفتح  
قلعة أعظم سرورا من فتح مدينة حلب ، وأسقطت عنها وعن سائر بلاد الجزيرة المكوس

والضرائب ، وكذلك عن بلاد الشام ومصر ، وقد عاث الفرنج في غيبته في الأرض فساداً ، فأرسل إلى عساكره فاجتمعوا إليه ، وكان قد بشر بفتح بيت المقدس حين فتح حلب ، وذلك أن الفقيه مجد الدين بن جهيل الشافعي رأى في تفسير أبي الحكم العربي عند قوله : [ ألم غلبت الروم في أدنى الأرض ] الآية ، البشارة بفتح بيت المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، واستدل على ذلك بأشياء ، فكتب ذلك في ورقة وأعطاهما للفقيه عيسى الهكاري ، ليبشر بها السلطان ، فلم يتجاسر على ذلك خوفاً من عدم المطابقة ، فأعلم بذلك القاضي محي الدين بن الزكي ، فنظم معناها في قصيدة يقول فيها :

وفتحكم حلبَ الشهباءِ في صفرٍ \* قضى لكم بافتتاحِ القدسِ في رجبٍ (١)  
وقدمها إلى السلطان فتأقت نفسه إلى ذلك ، فلما افتتحها كما سيأتي أمر ابن الزكي نخطب يومئذ وكان يوم الجمعة ، ثم بلغه بعد ذلك أن [ ابن ] جهيل هو الذي قال ذلك أولاً ، فأمره فدرس على نفس الصخرة درساً عظيماً ، فأجزل له العطاء ، وأحسن عليه الثناء .

### فصل في أخبار حلب

ثم رحل من حلب في أواخر ربيع الآخر واستخلف على حلب ولده الظاهر غازي ، وولى قضاءها لابن الزكي ، فاستناب له فيها نائباً ، وسارع السلطان ، فدخلوا دمشق في ثالث جمادى الأولى وكان ذلك يوماً مشهوداً ، ثم برز منها خارجاً إلى قتال الفرنج في أول جمادى الآخرة قاصداً نحو بيت المقدس ، فأتته إلى بيسان فنهبا ، ونزل على عين جالوت ، وأرسل بين يديه سرية هائلة فيها بردويل وطائفة من النورية ، وجاءه ملوك عمه أسد الدين فوجدوا جيش الفرنج قاصدين إلى أصحابهم نجدة ، فالتقوا معهم فقتلوا من الفرنج خلقاً وأسروا مائة أسير ، ولم يفقد من المسلمين سوى شخص واحد ، ثم عاد في آخر ذلك اليوم ، وبلغ السلطان أن الفرنج قد اجتمعوا لقتاله ، فقصدهم وتصدى لهم لعلمهم يضافونه ، فالتقى معهم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وجرح مثلهم فرجعوا ناكسين على أعقابهم خائفين منه غاية الخافة ، ولا زال جيشه خلفهم يقتل ويأسر حتى غزوا في بلادهم فرجعوا عنهم ، وكتب القاضي الفاضل إلى الخليفة يعلمه بما من الله عليه وعلى المسلمين من نصرته الدين ، وكان لا يفعل شيئاً ولا يريد أن يفعله إلا أطلع عليه الخليفة أدباً واحتراماً وطاعة واحتشاماً .

### فصل في أخبار حلب

وفي رجب سار السلطان إلى الكرك فحاصرها وفي صحبتها تقي الدين عمر بن أخيه ، وقد كتب لأخيه العادل ليحضر عنده ليوليه حلب وأعمالها وفق ما كان طلب ، واستمر الحصار على الكرك

(١) وفي النجوم الزاهرة : \* وفتح حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتح القدس في رجب .

مدة شهر رجب ، ولم يظهر منها بطلب ، وبلغه أن الفرنج قد اجتمعوا كلهم ليمنعوا منه الكرك فكرّ  
 راجعاً إلى دمشق - وذلك من أكبر همته - وأرسل ابن أخيه تقي الدين إلى مصر نائباً ، وفي صحبته  
 القاضي الفاضل ، وبعث أخاه على مملكة حلب وأعمالها ، واستقدم ولده الظاهر إليه ، وكذلك نوابه  
 ومن يعز عليه ، وإنما أعطى أخاه حلب ليكون قريباً منه ، فانه كان لا يقطع أمراً دونه ، واقترض  
 السلطان من أخيه العادل مائة ألف دينار ، وتأم الظاهر بن الناصر على مفارقة حلب ، وكانت إقامته  
 بها ستة أشهر ، ولكن لا يقدر أن يظهر مافي نفسه لوالده ، لكن ظهر ذلك على صفحات وجهه ولفظاته  
 لسانه ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة

فيها أرسل الناصر إلى العساكر الحلبية والجزيرية والمصرية والشامية أن يقدموا عليه لقتال  
 الفرنج ، فقدم عليه تقي الدين عمر من مصر ومعه الفاضل ، ومن حلب العادل ، وقدمت ملوك الجزيرة  
 وسنجار وغيرها ، فأخذ الجميع وسار نحو الكرك فأحذقوا بها في رابع عشر جمادى الأولى ، وركب  
 غلبها المنجنيقات ، وكانت آسمة ، وأخذ في حصارها ، وذلك أنه رأى أن فتحها أنفع للمسلمين من  
 غيرها ، فان أهلها يقطعون الطريق على الحجاج ، فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الفرنج قد اجتمعوا له  
 كلهم فارسهم ورجالهم ، ليمنعوا منه الكرك ، فانشمر عنها وقصدهم فنزل على حسان نجاهم ، ثم صار  
 إلى ما عر ، فانهزمت الفرنج قاصدين الكرك ، فأرسل وراهم من قتل منهم مقتلة عظيمة ، وأمر السلطان  
 بالاغارة على السواحل لخلوها من المقاتلة ، فتهبت نابلس وما حولها من القرى والرساتيق ، ثم عاد  
 السلطان إلى دمشق فأذن للعساكر في الانصراف إلى بلادهم ، وأمر ابن أخيه عمر الملك المظفر أن  
 يعود إلى مصر ، وأقام هو بدمشق ليؤدى فرض الصيام ، وليجل الخليل ويحمد الحسام ، وقدم على  
 السلطان خاتم الخليفة فلبسها ، وألبس أخاه العادل ، وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ، ثم خلع  
 خلمته على ناصر الدين بن قرا أرسلان ، صاحب حصن كيفا وآمد التي أطلقها له السلطان . وفيها مات  
 صاحب المغرب يوسف بن عبد المؤمن بن علي وقام في الملك بعده ولده يعقوب . وفي أواخرها  
 بلغ صلاح الدين أن صاحب الموصل نازل أربل فبعث صاحبها يستصرخ به ، فركب من فوره  
 إليه ، فسار إلى بعلبك ثم إلى حماه ، فأقام بها أياما ينتظر وصول العماد إليه ، وذلك لانه حصل له  
 ضعف فأقام ببعلبك ، وقد أرسل إليه الفاضل من دمشق طبيباً يقال له أسعد بن المطران ، فعالجه  
 مداواة من طب لمن حب .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان مخيم بظاهر حماه ، ثم سار إلى حلب ، ثم خرج منها في صفر قاصدا الموصل  
 فجاء إلى حران فقبض على صاحبها مظفر الدين ، وهو أخو زين الدين صاحب إربل ، ثم رضى عنه

وأعاد إلى مملكته حتى يقين خبث طويته ، ثم سار إلى الموصل فلتقاه الملك من كل ناحية ، وجاء إلى خدمته عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان ، وسار السلطان فنزل على الاسماعيليات قريباً من الموصل ، وجاءه صاحب إربل نور الدين الذي خضعت له ملوك تلك الناحية ، ثم أرسل صلاح الدين ضياء الدين الشهر زورى إلى الخليفة يعلمه بما عزم عليه من حصار الموصل ، وإنما مقصوده ردم إلى طاعة الخليفة ، ونصرة الاسلام ، فحاصرها مدة ثم رحل عنها ولم يفتحها ، وسار إلى خلاط واستحوذ على بلدان كثيرة ، وأقاليم جهة بيلاد الجزيرة وديار بكر ، وجرت أمور استقصاها ابن الأثير في كتابه ، وصاحب الروضتين ، ثم وقع الصلح بينه وبين الموصل ، على أن يكونوا من جنده إذا نهبهم لقتال الفرنج ، وعلى أن يخطب له وتضرب له السكة ، ففعلوا ذلك في تلك البلاد كلها ، وانقطعت خطبة السلاجقة والازيقيية بتلك البلاد كلها ، ثم اتفق مرض السلطان بعد ذلك مرضاً شديداً ، فكان يتجلد ولا يظهر شيئاً من الألم حتى قوى عليه الأمر وتزايد الحال ، حتى وصل إلى حران فمهم هناك من شدة ألمه ، وشاع ذلك في البلاد ، وخاف الناس عليه وأرجف الكفرة والملحدون بموته ، وقصده أخوه العادل من حلب بالأطباء والأدوية ، فوجده في غاية الضعف ، وأشار عليه بأن يوصى ، فقال : ما أبالي وأنا أترك من بعدى أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً - يعني أخاه العادل وتقي الدين عمر صاحب حمص وهو إذ ذاك نائب مصر ، وهو بها مقيم ، وابنيه العزيز عثمان والأفضل علياً - ثم نذر لئن شفاه الله من مرضه هذا ليصرفن همنه كلها إلى قتال الفرنج ، ولا يقاتل بعد ذلك مسلماً ، وليجعل أكبر همه فتح بيت المقدس ، ولو صرف في سبيل الله جميع ما يملكه من الأموال والذخائر ، وليقتن البرنس صاحب الكرك بيده ، لأنه نقض العهد وتنتص الرسول (ص) ، وذلك أنه أخذ قافلة ذاهبة من مصر إلى الشام ، فأخذ أموالهم وضرب رقابهم ، وهو يقول سأين محمدكم ؟ دعوه ينصركم ، وكان هذا التفرقة بإشارة القاضي الفاضل ، وهو أرشده إليه وحثه عليه ، حتى عقده مع الله عز وجل ، فعند ذلك شفاه الله وعافاه من ذلك المرض الذي كان فيه ، كفارة لذنوبه ، وجاءت البشارات بذلك من كل ناحية ، فدقت البشائر وزينت البلاد ، وكتب الفاضل من دمشق وهو مقيم بها إلى المظفر عمر أن العافية الناصرية قد استقامت واستفاضت أخبارها ، وطلعت بعد الظلمة أنوارها ، وظهرت بعد الاختفاء آثارها ، وولت العلة والله الحمد والمنة ، وطفئت نارها ، وأنجلى غبارها ، وحمد شرارها ، وما كانت إلا فلتة وقي الله شرها وشنارها ، وعظمية كفى الله الاسلام عارها ، وتوبة امتحن الله بها نفوسنا ، فرأى أقل ما عندها صبرنا ، وما كان الله ليضيع الدعاء وقد أخلصته القلوب ، ولا تتوقف الاجابة وإن سدت طريقها الذنوب ، ولا ليخلف وعد فرج وقد أيسر الصاحب والمصحوب :

نعم زاد في الدهر مياً \* فأصبح بعد بؤسائه نعيماً

وما صدقَ النذيرُ به لاني \* رأيتُ الشمسَ تطلعُ والنجومَا

وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر غضة جديدة ، والعزمة ماضية جديدة ، والنشاط إلى الجهاد ، والتوبة لرب العباد ، والجنة ببسطة البساط ، وقد انقضى الحساب وجزنا الصراط ، وعرضنا نحن على الأهوال التي من خوفها كاد الجمل يلج بسم الخياط . ثم ركب السلطان من حران بعد العافية فدخل حلب ، ثم ركب فدخل دمشق ، وقد تكاملت عافيته ، وقد كان يوماً مشهودا .  
وفيهما توفي من الأعيان الفقيه مذهب الدين .

**عبدالله بن أسعد الموصلی**

مدرس حمص ، وكان بارعا في فنون ، ولا سيما في الشعر والأدب ، وقد أثنى عليه العماد ، والشيخ شهاب الدين أبو شامة .

**الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه**

صاحب حمص والرحبة ، وهو ابن عم صلاح الدين ، وزوج أخته ست الشام بنت أيوب ، توفي بجمص فنقلته زوجته إلى تربتها بالشامية البرانية ، وقبره الأوسط بينها وبين أخيها المعظم توران شاه صاحب اليمن ، وقد خلف من الأموال والذخائر شيئا كثيرا ، ينيف على ألف ألف دينار توفي يوم عرفة فجأة فولى بعده مملكة حمص ولده أسد الدين شيركوه بأمر صلاح الدين .

**المحمودي بن محمد بن علي بن اسماعيل**

ابن عبد الرحيم الشيخ جمال الدين أبو النناء محمودي بن الصابوني ، كان أحد الأئمة المشهورين ، وإنما يقال له المحمودي لصحبة جده السلطان محمود بن زنكي ، فأكرمه ثم سار إلى مصر فترها ، وكان صلاح الدين يكرمه ، وأوقف عليه وعلى ذريته أرضاً ، فهي لهم إلى الآن .

**الأمير سعد الدين مسعود**

ابن معين الدين ، كان من كبار الأمراء أيام نور الدين وصلاح الدين ، وهو أخو الست خاتون وحين تزوجها صلاح الدين زوجه بأخته الست ربيعة خاتون بنت أيوب ، التي تنسب إليها المدرسة الصحابية بسفح قيسون على الخنابلة ، وقد تأخرت مدتها فتوفيت في سنة ثلاث وأربعين وستائة ، وكانت آخر من بقي من أولاد أيوب لصلبه ، وكانت وفاته بدمشق في جمادى الآخرة من جرح أصابه وهو في حصار ميا فارقين .  
**الست خاتون عصمت الدين**

بنت معين الدين ، نائب دمشق ، وأتابك عساكرها قبل نور الدين كما تقدم ، وقد كانت زوجة نور الدين ثم خلف عليها من بعده صلاح الدين في سنة اثنتين وسبعين وخمسة ، وكانت من أحسن النساء وأعفهن وأكبرهن صدقة ، وهي واقفة الخاتونية الجوانية بحملة حجر الذهب ،

وخانقات خاتون ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلي على بانياس ، ودفنت بتربتها في سفح  
 قايسون قريباً من قباب السركسية ، وإلى جنبها دار الحديث الأشرفية والآتابكية ، ولها أوقاف كثيرة  
 غير ذلك ، وأما الخاتونية البرانية التي على القنوات بحلة صنماء الشام ، ويعرف ذلك المكان التي  
 هي فيه بتل الثعالب ، فهي من إنشاء الست زمرد خاتون بنت جاولي ، وهي أخت الملك دقاق  
 لأمه ، وكانت زوجة زنكي ، والد نور الدين محمود ، صاحب حلب ، وقد ماتت قبل هذا الحين كما  
 تقدمت وقتها .  
**الحافظ الكبير أبو موسى المديني**

محمد بن عمر بن محمد الأصبهاني الحافظ الموسوي المديني ، أحد حفاظ الدنيا الرحالين الجوالين  
 له مصنفات عديدة ، وشرح أحاديث كثيرة رحمه الله .

### السهيلي أبو القاسم

وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن  
 أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح - هو الداخل إلى الأندلس - الخنمى السهيلي ،  
 حكى القاضي ابن خلكان أنه أملى عليه نسبة كذلك ، قال والسهيلي نسبة إلى قرية بالقرب من مالقة  
 اسمها سهيل ، لأنه لا يرى سهيل النجم في شيء من تلك البلاد إلا منها من رأس جبل شاهق  
 عندها ، وهي من قرى المغرب ، ولد السهيلي سنة ثمان وخمسة ، وقرأ القراءات واشتغل وحصل  
 حتى برع وساد أهل زمانه بقوة القريحة وجودة الذهن وحسن التصنيف ، وذلك من فضل الله تعالى  
 ورحمته ، وكان ضرباً مع ذلك ، له الروض الأنف يذكر فيه نكتاً حسنة على السيرة لم يسبق إلى  
 شيء منها أو إلى أكثرها ، وله كتاب الاعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الاعلام ، وكتاب  
 نتائج الفكر ، ومسألة في الفرائض بديعة ، ومسألة في سركون الدجال أعور ، وأشياء فريدة  
 كثيرة بديعة مفيدة ، وله أشعار حسنة ، وكان عفيفاً فقيراً ، وقد حصل له مال كثير في آخر عمره  
 من صاحب مراکش ، مات يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان من هذه السنة ، وله قصيدة  
 كان يدعو الله بها ويرجى الاجابة فيها وهي :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع \* أنت الممدد لكل ما يتوقع  
 يا من يرجي للشدائد كلها \* يا من إليه المشتكى والمفزع  
 يا من خزائن رزقه في قول كن \* امنن فان الخير عندك أجمع  
 مالي سوى فقري إليك وسيلة \* فبالافتقار إليك فقري أدفع  
 مالي سوى قرعي لبابك حيلة \* فإئن رددت فأى باب أقرع ؟  
 ومن الذي أرجو وأهتف باسمه \* إن كان فضلك عن فقيرك بمنع ؟

حاشا لمجدك أن تقنط عاصياً \* الفضل أجزل والمواهب أوسع  
ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

في ثاني ربيع الأول منها كان دخول الناصر دمشق بعد عافيته ، وزار القاضي الفاضل ، واستشاره ، وكان لا يقطع أمراً دونه ، وقرر في نيابة دمشق ولده الأفضل علي ، ونزل أبو بكر العادل عن حلب لصبهه زوج ابنته الملك الظاهر غازي بن الناصر ، وأرسل السلطان أخاه العادل محبة ولده عماد الدين عثمان الملك العزيز على ملك مصر ، ويكون الملك العادل آتابك ، وله إقطاع كبيرة جداً ، وعزل عن نيابته تقي الدين عمر ، فعزم على الدخول إلى إفريقية ، فلم يزل الناصر يتلطف به ويترفق له حتى أقبل بجنوده نحوه ، فأكرمه واحترمه وأقطعه حماه وبلاداً كثيرة معها ، وقد كانت له قبل ذلك ، وزاد له على ذلك مدينة ميفارقين ، وامتدحه العباد بقصيدة ذكرها في الروضتين .  
وفيهما هادن قومه سطرابلس السلطان وصالحه وصافاه ، حتى كان يقاتل ملوك الفرنج أشد القتال وسبي منهم النساء والصبيان ، وكاد أن يسلم ولكن صده السلطان فمات على الكفر والظن ، وكانت مصالحته من أقوى أسباب النصر على الفرنج ، ومن أشد ما دخل عليهم في دينهم . قال العباد الكاتب : وأجمع المنجمون على خراب العالم في شعبان ، لأن الكواكب الستة تجتمع فيه في الميزان ، فيكون طوفان الريح في سائر البلدان ، وذكر أن ناساً من الجبل تاهبوا لذلك بحفر مغارات في الجبال ومدخلات وأسراب في الأرض خوفهم ذلك ، قال : فلما كانت تلك الليلة التي أشاروا إليها وأجمعوا عليها لم ير ليلة مثلها في سكونها وركودها وهدوئها ، وقد ذكر ذلك غير واحد من الناس في سائر أقطار الأرض ، وقد نظم الشعراء في تكذيب المنجمين في هذه الواقعة وغريبها أشعاراً كثيرة حسنة منها :  
مزق التقويم والزيج فقد بان الخطأ \* إنما التقويم والزيج هباءً وهو  
قات للسمعة إبرامٌ ومنعٌ وعطا \* ومتى ينزلن في الميزان يستولى الهوا  
ويثور الرمل حتى يمتلئ منه الصفا \* ويعم الأرض رجفت وخرابتٌ وبلى  
ويصير القاع كالقف وكالطود العدا \* وحكمت فابي الحاكم إلا ما يشا  
مأني الشرع ولا جاءت بهذا الأنبيا \* فبقيتم ضحكةً يضحك منها العلماء  
حسبكم خزيًا وعاراً ما يقول الشعرا \* ما أطمعكم في الحكم إلا الأُمرا  
ليت إذ لم يحسنوا في الدين طغما أسا \* فعلى اصطرلاب بطليموس والزيج العفا  
وعليه أنخرى ما جادت على الأرض السما  
ومن توفي فيها من الأعيان .

أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش

بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي ثم المصري ، أحد أئمة اللغة والنحو في زمانه ، وكان عليه

تعرض الرسائل بعد ابن بابشاد ، وكان كثير الاطلاع عالماً بهذا الشأن ، مطرحاً للتكليف في كلامه ، لا يلتفت ولا يعرج على الاعراب فيه إذا خاطب الناس ، وله التصانيف المفيدة ، توفي وقد جاوز الثمانين بثلاث سنين رحمه الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

فيها كانت وقعة حطين التي كانت أمانة وتقدمة وإشارة لفتح بيت المقدس ، واستنقاذه من أيدي الكفرة . قال ابن الأثير: كان أول يوم من أيام السبت ، وكان يوم النيروز ، وذلك أول سنة الفرس ، وافق أن ذلك كان أول سنة الروم ، وهو اليوم الذي نزلت فيه الشمس برج الحمل ، وكذلك كان القمر في برج الحمل أيضاً ، وهذا شيء يبعد وقوع مثله ، وبرز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم في جيشه ، فسار إلى رأس الماء فنزل ولده الأفضل هناك في طائفة من الجيش وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى نعيم على قصر أبي سلام ، ينتظر قدوم الحجاج ، وفيهم أخته ست الشام وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين ، ليسلحوا من معرة برنس الكرك ، فلما جاز الحميج سالمين سار السلطان فنزل على الكرك وقطع ما حوله من الأشجار ، ورعى الزرع وأكلوا الثمار ، وجاءت المساكر المصرية وتوافت الجيوش الشرقية ، فنزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء ، وبث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت وغنمت وسلت ورجعت ، فبشر بمقدمات الفتح والنصر ، وجاء السلطان بمحافلته فالتفت عليه جميع المساكر ، فرتب الجيوش وسار قاصداً بلاد الساحل ، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفاً غير المتطوعة ، فتسامعت الفرنج بقدمه فاجتمعوا كلهم وتصالحوها فيما بينهم ، وصالح قومس طرابلس وبرنس الكرك الفاجر ، وجاءوا بحدم وحديد معهم واستصحبوا معهم صليب الصليبوت يحمله منهم عباد الطاغوت ، وضلال الناسوت ، في خاق لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل ، يقال كانوا خمسين ألفاً وقيل ثلاثاً وستين ألفاً ، وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك فقال له لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثيرتهم ، وسترى غيب ما أقول لك ، فتقدموا نحو المسلمين وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الأطمعة والأمتعة وغير ذلك ، وتمحصنت منه القلعة فلم يلبأ بها ، وحاز البحيرة في حوزته ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة ، حتى صاروا في عطش عظيم ، فبرز السلطان إلى سطح الجبل الغربي من طبرية عند قرية يقال لها حطين ، التي يقال إن فيها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام ، وجاء العدو المخدول ، وكان فيهم صاحب عكا وكفرنكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم ، فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان ، وأسفر وجه الايمان واغبر وأظلم وجه الكفر والظلمانيان ، ودارت دائرة السوء على عبدة الصليبان ، وذلك عشية يوم



الجمعة ، فبات الناس على مصافهم وأصبح صباح يوم السبت الذي كان يوماً عسيراً على أهل الأحـد  
وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر ، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوى بهم العطش ،  
وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشياً ، وكان ذلك عليهم مشئوماً ، فأمر السلطان النفاطة  
أن يرموه بالنفط ، فرموه فتأجج ناراً تحت سنايك خيولهم ، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش  
وجر النار وحر السلاح وحر رشق النبال ، وتبارز الشجعان ، ثم أمر السلطان بالتكبير والحلمة الصادقة  
فحملوا وكان النصر من الله عز وجل ، فمنحهم الله أكتافهم فقتل منهم ثلاثون ألفاً في ذلك اليوم ،  
وأسر ثلاثون ألفاً من شجاعتهم وفرسانهم ، وكان في جملة من أسر جميع ملوكهم سوى قومس طرابلس  
فانه انهزم في أول المعركة ، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم ، وهو الذين يزعمون أنه صلب عليه  
المصلوب ، وقد غلفوه بالذهب والآلئ والجواهر النفيسة ، ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الاسلام  
وأهله ، ودهغ الباطل وأهله ، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نبتاً وثلاثين أسيراً من  
الفرنج ، قد ربطهم بطنب خيمة ، وياع بعضهم أسيراً بنعل ليلبسها في رجله ، وجرت أمور لم يسمع  
بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين ، فله الحمد دائماً كثيراً طيباً مباركاً .

فلما تمت هذه الواقعة ووضعت الحرب أوزارها أمر السلطان بضرب مخيم عظيم ، وجلس فيه  
على سرير المملكة وعن يمينه أسرة وعن يساره مثلها ، وجيء بالأسارى تمهادى بقيودها ، فأمر  
بضرب أعناق جماعة من مقدمى الداوية - والأسارى بين يديه - صبراً ، ولم يترك أحداً منهم ممن  
كان يذكر الناس عنه شراً ، ثم جيء بملوكهم فأجلسوا عن يمينه ويساره على مراتبهم ، فأجلس ملكهم  
الكبير عن يمينه ، وأجلس أرباط برنس الكرك وبقيتهم عن شماله ، ثم جيء إلى السلطان بشراب  
من الجلاب مثولجاً ، فشرب ثم ناول الملك فشرب ، ثم ناول أرباط صاحب الكرك فغضب السلطان  
وقال له : إنما ناولتك ولم آذن لك أن تسقيه ، هذا لا عهد له عندى ، ثم تحول السلطان إلى خيمة  
داخل تلك الخيمة واستدعى بأرباط صاحب الكرك ، فلما أوقف بين يديه قام إليه بالسيف ودعاه  
إلى الاسلام فامتنع ، فقال له : نعم أنا أنوب عن رسول الله (س) ، في الانتصار لأمته ، ثم قتله  
وأرسل برأسه إلى الملوك وهم في الخيمة ، وقال : إن هذا تعرض لسب رسول الله (س) ، ثم قتل  
السلطان جميع من كان من الأسارى من الداوية والأستنارية صبراً وأراح المسلمين من هذين  
الجنسين الخبيثين ، ولم يسلم ممن عرض عليه الاسلام إلا القليل ، فيقال إنه بلغت القتلى ثلاثين  
ألفاً ، والأسارى كذلك كانوا ثلاثين ألفاً ، وكان جملة جيشهم ثلاثة وستين ألفاً ، وكان من سلم مع  
قتلهم وهرب أكثرهم جرحى فأتوا ببيلادهم ، وعمن مات كذلك قومس طرابلس ، فانه انهزم جريحاً  
فأت بها بعد مرجعه ، ثم أرسل السلطان برؤس أعيان الفرنج ومن لم يقتل من رؤسهم ، وبصليب

الصلبوت صحبة القاضي ابن أبي عصرون إلى دمشق ليودعوا في قلعتهما ، فدخل بالصليب منكوساً وكان يوماً مشهوداً .

ثم سار السلطان إلى قلعة طبرية فأخذها ، وقد كانت طبرية تقاسم بلاد حوران والبلقاء وما حولها من الجولان وتلك الأراضى كلها بالنصف ، فأراح الله المسلمين من تلك المقاسمة ، ثم سار السلطان إلى حطين فزار قبر شعيب ، ثم ارتفع منه إلى إقليم الأردن ، فسلم تلك البلاد كلها ، وهي قرى كثيرة كبار وصغار ، ثم سار إلى عكا فنزل عليها يوم الأربعاء ربيع الآخر ، فافتتحها صلحاً يوم الجمعة ، وأخذ ما كان بها من حواصل الملوك وأموالهم وذخائرهم ومتاجر وغيرها ، واستنقذ من كان بها من أسرى المسلمين ، فوجد فيها أربعة آلاف أسير ، ففرج الله عنهم ، وأمر بإقامة الجمعة بها ، وكانت أول جمعة أقيمت بالساحل بعد أخذه الفرنج ، نحو من سبعين سنة . ثم سار منها إلى صيدا وبيروت وتلك النواحي من السواحل يأخذها بلداً بلداً ، فخلوها من المقاتلة والملوك ، ثم رجع سائراً نحو غزة وعسقلان ونابلس وبيسان وأراضى النور ، فملك ذلك كله ، واستناب على نابلس ابن أخيه حسام الدين عمر بن محمد بن لاشين ، وهو الذى افتتحها ، وكان جملة ما افتتحه السلطان في هذه المدة القريبة خمسين بلداً كباراً كل بلد له مقاتلة وقلعة ومنعة ، وغنم الجيش والمسلمون من هذه الأماكن شيئاً كثيراً ، وسبوا خلقاً .

ثم إن السلطان أمر جيوشه أن ترتفع في هذه الأماكن مدة شهر ليسترىحوا ويحموا أنفسهم وحيولهم لفتح بيت المقدس ، وطار في الناس أن السلطان عزم على فتح بيت المقدس ، فقصده العلماء والصالحون تطوعاً ، وجازوا إليه ، ووصل أخوه العادل بعد وقعة حطين وفتح عكا ففتح بنفسه حصوناً كثيرة ، فاجتمع من عباد الله ومن الجيوش شئٌ كثير جداً ، فعند ذلك قصد السلطان القدس بمن معه كما سيأتى . وقد امتدحه الشعراء بسبب وقعة حطين فقالوا وأكثروا ، وكتب إليه القاضي الفاضل من دمشق - وهو مقيم بها لمرض اعتراه - « ليهن المولى أن الله أقام به الدين ، وكتب للملوك هذه الخدعة والرؤس لم ترتفع من سجودها ، والدموع لم تمسح من خدودها ، وكلما ذكر المملوك أن البيع تعود مساجد ، والمكان الذى كان يقال فيه إن الله ثالث ثلاثة يقال فيه اليوم إنه الواحد ، جدد الله شكراً نارة يفيض من لسانه ، ونارة يفيض من جنه سرورا بتوحيد الله ، تعالى الملك الحق المبين ، وأن يقال محمد رسول الله الصادق الأمين ، وجزى الله يوسف خيراً عن إخراجه من سجنه ، والمماليك ينتظرون المولى وكل من أراد أن يدخل الحمام بدمشق قد عزم على دخول حمام طبرية .

تلك المكارم لأقعبان من لبن \* وذلك السيف لاسيف ابن ذي يزن

ثم قال : وللائسنة بعد في هذا الفتح تسبيح طويل وقول جميل جليل .

## فتح بيت المقدس في هذه السنة

« واستنفاذه من أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وتسعين سنة »

لما افتتح السلطان تلك الأماكن المذكورة فيما تقدم ، أمر العساكر فاجتمعت ثم سار نحو بيت المقدس ، فنزل غربى بيت المقدس فى الخامس عشر من رجب من هذه السنة - أعنى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة - فوجد البلاد قد حصنت غاية التحصين ، وكانوا ستين ألف مقاتل ، دون بيت المقدس أو يزيدون ، وكان صاحب القدس يومئذ رجلاً يقال له بالبان بن بازران ، ومعه من سلم من وقعة حطين يوم التقي الجمعان ، من الداوية والاستنارية أتباع الشيطان ، وعبدة الصليبان ، فأقام السلطان بمنزله المذكور خمسة أيام ، وسلم إلى كل طائفة من الجيش ناحية من السور وأبراجه ، ثم تحول السلطان إلى ناحية الشام لأنه رآها أوسع للمجال ، والجلاد والنزال ، وقاتل الفرنج دون البلاد قتالاً هائلاً ، وبذلوا أنفسهم وأمواهم فى نصره دينهم وقامتهم ، واستشهد فى الحصار بعض أمراء المسلمين ، فحرق عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين ، واجتهدوا فى القتال ونصب المناجنيق والعرادات على البلاد ، وغنت السيوف والرماح الخطيات ، والعيون تنظر إلى الصليبان منصوبة فوق الجدران ، وفوق قبة الصخرة صليب كبير ، فزاد ذلك أهل الإيمان حقناً وشدة التشمير ، وكان ذلك يوماً عسيراً على الكافرين غير يسير ، فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور فنقبها وعاقها وحشاها وأحرقها ، فسقط ذلك الجانب وخر البرج برمتها فاذا هو واجب ، فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث الفظيع ، والخطب المؤلم الوجيع ، قصد أكابرهم السلطان وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان ، فامتنع من ذلك وقال : لا أفتحها إلا عنوة ، كما افتتحتها ، ولا أترك بها أحداً من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين ، فطلب صاحبها بالبان بن بازران الأمان ليحضر عنده فأمنه ، فلما حضر ترقق للسلطان بوزل ذللاً عظيماً ، وتشفع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم ، فقالوا إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا - وكانوا قريباً من أربعة آلاف - وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا ، وخربنا الدور والأماكن الحسنة ، وأحرقنا المتاع وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال ، وهدمنا قبة الصخرة وحرقنا ما تقدر عليه ، ولا نبقى يمكننا فى إتلاف ما تقدر عليه ، وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت ، ولا خير فى حياتنا بعد ذلك ، فلا يقتل واحد منا حتى يقتل أعداداً منكم ، فاذا ترجىجى بعد هذا من الخير ؟

فلما سمع السلطان ذلك أجاب إلى الصلح وأتاب ، على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير ، وعن المرأة خمسة دنانير ، وعن كل صغير وصغيرة دينارين ، ومن عجز عن ذلك كان أسيراً للمسلمين ، وأن تكون الغلات والأسلحة والدور للمسلمين ، وأنهم يتحولون منها إلى ما منهم

وهي مدينة صور . فكتب الصلح بذلك ، وأن من لم يبذل ما شرط عليه إلى أربعين يوماً فهو أسير ، فكان جملة من أسر بهذا الشرط ستة عشر ألف أسير من رجال ونساء وولدان ، ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل ، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب . قال العماد : وهي ليلة الأسراء برسول الله (ص) ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . قال أبو شامة : وهو أحد الأقوال في الأسراء ، ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ خلافاً لمن زعم أنها أقيمت يومئذ ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد ، والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذ لضيق الوقت ، وإنما أقيمت في الجمعة المقبلة ، وكان الخطيب محي الدين بن محمد بن علي القرشي ابن الزكي كما سيأتي قريباً .

ولكن نظفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصليبان والرهبان والخنازير ، وخربت دور الداوية وكاتبوا قد بنوها غربى المحراب الكبير ، واتخذوا المحراب مشناً لعنهم الله ، فنظف من ذلك كله ، وأعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية ، وغسلت الصخرة بالماء الطاهر ، وأعيد غسلها بماء الورد والمسك الفاخر ، وأبرزت للناظرين ، وقد كانت مستورة مخبوءة عن الزائرين ، ووضع الصليب عن قبتها ، وحادت إلى حرمتها ، وقد كان الفرنج قلعوا منها قطعاً فباعوها من أهل البحور الجوانية بزنتها ذهباً ، فتمرد استعادة ما قطع منها .

ثم قبض من الفرنج ما كانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال ، وأطلق السلطان خلقاً منهم بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان والرجال ، ووقعت المساحة في كثير منهم ، وشفع في أناس كثير فعفا عنهم ، وفرق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب في المسكر ، ولم يأخذ منه شيئاً مما يقتنى وينخر ، وكان رحمه الله حليماً كريماً مقداماً شجاعاً رحباً .

#### أول جمعه أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه

لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه من الصليبان والنواقيس والرهبان والقسايس ، ودخله أهل الإيمان ، ونودي بالأذان وقرئ القرآن ، ووجد الرحمن ، كان أول جمعة أقيمت في اليوم الرابع من شعبان ، بمد يوم الفتح بثمان ، فنصب المنبر إلى جانب المحراب ، وبسطت البسط وعلقت القناديل وتلى التنزيل ، وجاء الحق وبطلت الأباطيل ، وصفت السجادات وكثرت السجادات ، وتنوعت العبادات ، وارتفعت الدعوات ، ونزلت البركات ، وأنجحت الكريات ، وأقيمت الصلوات ، وأذن المؤذنون ، وخرس التسيسون ، وزال البوس وطابت النفوس ، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس ، وعبد الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وكبره الراكع والساجد ، والقائم والقاعد ، وامتلأ الجامع وسالت لركة القلوب المدامع ، ولما أذن المؤذنون للصلاة قبل الزوال كادت

القلوب تطير من الفرح في ذلك الحال ، ولم يكن عين خطيب فبر زمن السلطان المرسوم الصلاحي وهو في قبة الصخرة أن يكون القاضي محي الدين بن الزكي اليوم خطيباً ، فلبس الخلعة السوداء وخطب للناس خطبة سنية فصيحة بليغة ، ذكر فيها شرف البيت المقدس ، وما ورد فيه من الفضائل والترغيبات ، وما فيه من الدلائل والأمارات . وقد أورد الشيخ أبو شامة الخطبة في الروضتين بطولها وكان أول ما قال [ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ] .

ثم أورد تجميدات القرآن كلها ، ثم قال : « الحمد لله معز الاسلام بنصره ، ومنزل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره ، ومزيد النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي قدر الأيام دولاً بمدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاض على العباد من طله وهطله ، [ الذي ] أظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليفته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع ، أحمد على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره ، ومطهر بيت المقدس من أدناس الشرك وأوضاره ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر أجهاره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك ، ورافض الألفك ، الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، ما زاع البصر وما طفى ، (ص) . وعلى خليفته الصديق السابق إلى الأمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصليبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب منزل الشرك ، ومكسر الأصنام ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان . »

ثم ذكر الموعظة وهي مشتملة على تقييد الحاضرين بما يسره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس ، الذي من شأنه كذا وكذا ، فذكر فضائله ومآثره ، وأنه أول القبليتين ، وثاني المسجدين ، **وقالت الحرميين** ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد المواطنين إلا عليه ، وإليه أسرى برسول الله (ص) . من المسجد الحرام ، وصلى فيه بالأنبيا والرسل الكرام ، ومنه كان المعراج إلى السموات ، ثم عاد إليه ثم سار منه إلى المسجد الحرام على البراق ، وهو أرض المحشر والمنشر يوم التلاق ، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ، وقد أسس على التقوى من أول يوم .

قلت : ويقال إن أول من أسسه يعقوب عليه السلام بعد أن بنى الخليل المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء في الصحيحين ، ثم جدد بناءه سليمان بن داود عليهما السلام ، كما ثبت فيه الحديث

بالمسند والسنة ، وصحيح ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم ، وسأل سليمان عليه السلام الله عند فراغه منه خللاً ثلاثاً ، حكماً يصادف حكمه ، وملاً كالآل يفتنى لأحد من بعده ، وأنه لا يأتي أحد هذا المسجد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من - نوبه كيوم ولدته أمه .

ثم ذكر تمام الخطبتين ، ثم دعا للخليفة الناصر العباسي ، ثم دعا للسلطان الناصر صلاح الدين . وبعد الصلاة جلس الشيخ زين الدين أبو الحسن بن علي نجا المصري على كرسي الوعظ بأذن السلطان ، فوعظ الناس ، واستمر القاضي ابن الزكي يخطب بالناس في أيام الجمع أربع جمعات ، ثم قرر السلطان للقدس خطيباً مستقراً ، وأرسل إلى حلب فاستحضر المنبر الذي كان الملك العادل نور الدين الشهيد قد استعمله لبيت المقدس ، وقد كان يؤمل أن يكون فتحه على يديه ، فما كان إلا على يدي بعض أتباعه صلاح الدين بعد وفاته .

#### نكته غريبة

قال أبو شامة في الروضتين : وقد تكلم شيخنا أبو الحسن علي بن محمد السخاوي في تفسيره الأول فقال : وقع في تفسير أبي الحكم الأندلسي - يعني ابن برجان - في أول سورة الروم أخبار عن فتح بيت المقدس ، وأنه ينزع من أيدي النصارى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . قال السخاوي : ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف ، وإنما أخذه فيما زعم من قوله [ ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون في بضع سنين ] فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون ، فذكر أنهم يغلبون في سنة كذا وكذا ، ويغلبون في سنة كذا كذا ، على ما تقتضيه دوائر التقدير ، ثم قال : وهذه نجابة وافقت إصابة ، إن صح ، قال ذلك قبل وقوعه ، وكان في كتابه قبل حدوثه ، قال : وليس هذا من قبيل علم الحروف ، ولا من باب الكرامات والمكاشفات ، ولا ينال في حساب ، قال : وقد ذكر في تفسير سورة القدر أنه لو علم الوقت الذي نزل فيه القرآن لعلم الوقت الذي يرفع فيه .

قلت : ابن برجان ذكر هذا في تفسيره في حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ، ويقال إن الملك نور الدين أوقف على ذلك فطمع أن يعمش إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، لأن مولده في سنة إحدى عشر وخمسمائة ، قهياً لأسباب ذلك حتى إنه أعد منبراً عظيماً لبيت المقدس إذا فتحه والله أعلم . وأما الصخرة العظيمة فإن السلطان أزال ما حولها من المنكرات والصور والصلبان ، وطهرها بعد ما كانت جيفة ، وأظهرها بعد ما كانت خفية مستورة غير مرئية ، وأمر الفقيه عيسى الهكاري أن يعمل حولها شبابيك من حديد ، ورتب لها إماماً راتباً ، وقف عليه رزقاً جيداً ، وكذلك إمام الأقصى ، وعمل للشافعية مدرسة يقال لها الصلاحية والناصرية أيضاً ، وكان موضعها كنيسة على قبر حنة أم مريم ، ووقف على الصوفية رباطاً كان للبتريك إلى جنب القمامة ، وأجرى على النقاء والفقراء الجوامك ، وأرصد الختم والربما في أرجاء المسجد الأقصى والصخرة ، ليقرأ فيها المقيمون والزائرون

وتنافس بنو أيوب فيما يفعلونه ببيت المقدس وغيره من الخيرات إلى كل أحد ، وعزم السلطان على هدم القمامة وأن يجعلها دكا لتنحسم مادة النصارى من بيت المقدس ، فقيل [ له ] إنهم لا يتركون الحج إلى هذه البقعة ، ولو كانت قاعا صافصفا ، وقد فتح هذه البلاد قبلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وترك هذه الكنيسة بأيديهم ، ولك في ذلك أسوة . فأعرض عنها وتركها على حالتها تأسيا بعمرضي الله عنه ، ولم يترك من النصارى فيها سوى أربعة يخدمونها ، وحال بين النصارى وبينها ، وهدم المقابر التي كانت لهم عند باب الرحمة ، وعفا آثارها ، وهدم ما كان هناك من القباب .

وأما أسارى المسلمين الذين كانوا بالقدس فإنه أطلقهم جميعهم ، وأحسن إليهم ، وأطلق لهم إعطاءات سنوية ، وكساهم وانطلق كل منهم إلى وطنه : وعاد إلى أهله ومسكنه ، فله الحمد على نعمه ومننه

### فصل

فلما فرغ السلطان صلاح الدين من القدس الشريف انفصل عنها في الخامس والعشرين من شعبان قاصدا مدينة صور بالساحل ، وكان فتحها قد تأخر ، وقد استحوذ عليها بعد وقعة حطين رجل من تجار الفرنج يقال له المركيس ، فخصنها وضبط أمرها وحفر حولها خندقا من البحر إلى البحر ، فجاء السلطان فحاصرها مدة ، ودعا بالأسطول من الديار المصرية في البحر ، فأحاط بها برا وبحرا ، فعدت الفرنج في بعض الليالي على خمس شواني من أسطول المسلمين فلكتها ، فأصبح المسلمون واجبين حزنا وتأسفا ، وقد دخل عليهم فصل البرد وقلت الأزواد ، وكثرت الجراحات وكل الأمراء من المحاصرات ، فسألوا السلطان أن ينصرف بهم إلى دمشق حتى يستريحوا ثم يعودوا إليها بعد هذا الحين ، فأجابهم إلى ذلك على تمنع منه ، ثم توجه بهم نحو دمشق واجتاز في طريقه على عكا ، وتفرقت المساكر إلى بلادها . وأما السلطان فإنه لما وصل إلى عكا نزل بقلعتها وأسكن ولده الأفضل برج الداوية ، وولى نيابتها عز الدين حردبيل ، وقد أشار بعضهم على السلطان بتخريب مدينة عكا خوفا من عود الفرنج إليها ، فكاد ولم يفعل وليته فعل ، بل وكل بعمارتها وتجديد محاسنها بهاء الدين قراقوش النقوى ، ووقف دار الاستشارية بصفين على الفقهاء والفقراء ، وجعل دار الأستف مارستانا ووقف على ذلك كله أوقافا دارة ، وولى نظر ذلك إلى قاضيا جمال الدين ابن الشيخ أبي النجيب . ولما فرغ من هذه الأشياء عاد إلى دمشق مؤيدا منصوراً ، وأرسل إليه الملوك بالتهاني والتحف والهدايا من سائر الأقطار والأمصار ، وكتب الخليفة إلى السلطان يعتب عليه في أشياء ، منها أنه بعث إليه في بشارة الفتح بوقعة حطين شابا بغداديا كان وضيماً عندهم ، لا قدر له ولا قيمة ، وأرسل بفتح القدس مع نجاب ، ولقب نفسه بالناصر مضاهاة للخليفة . فتلقى ذلك بالبشر واللطف والسمع

والطاعة ، وأرسل يمتنر مما وقع . وقال : الحرب كانت شغلته عن التروى في كثير من ذلك ، وأما لقبه بالناصر فهو من أيام الخليفة المستضيء ، ومع هذا فهما لقبني أمير المؤمنين فلا أعدل عنه ، وتأدب مع الخليفة غاية الأدب مع غناه عنه .

وفيها كانت وقعة عظيمة ببلاد الهند بين الملك شهاب الدين الغورى صاحب غزنة ، وبين ملك الهند الكبير ، فأقبلت الهنود في عدد كثير من الجنود ، ومعهم أربعة عشر فيلا ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم ، وقيل للملك أنج بنفسك ، فما زاده ذلك إلا إقداماً ، فحمل على الفيلة فجرح بعضها - وجرح الفيل لا يتحمل - فرماه بعض الفيالة بحربة في ساعده فخرجت من الجانب الآخر فخر صريعاً ، فحملت عليه الهنود ليأخذوه فجاحف عنه أصحابه فاقتتلوا عنده قتالاً شديداً ، وجرت حرب عظيمة لم يسمع بمثلمها بموقف ، فغلب المسلمون الهنود وخلصوا أصحابهم وحملوه على كواهلهم في محفة عشرين فرسخاً ، وقد نزفه الدم ، فلما تراجع إليه جيشه أخذ في تأنيب الأمراء ، وحلف ليا كن كل أمير عليق فرسه ، وما أدخلهم غزنة إلا مشاة .

وفيها ولدت امرأة من سواد بغداد بنتاً لها أسنان . وفيها قتل الخليفة الناصر أستاذ داره أبا الفضل بن صاحب ، وكان قد استحوذ على الأمور ولم يبق للخليفة معه كلمة تطاع ، ومع هذا كان عفيفاً عن الأموال ، جيد السيرة ، فأخذ الخليفة منه شيئاً كثيراً من الحواصل والأموال . وفيها استوزر الخليفة أبا المظفر جلال الدين ، ومشى أهل الدولة في ركابه حتى قاضى القضاة ابن الدامغانى وقد كان ابن يونس هذا شاهداً عند القاضى ، وكان يقول وهو يمشى في ركابه لمن الله طول العمر ، مات القاضى في آخر هذه السنة .

وفيها توفى من الأعيان . الشيخ عبد المغيث بن زهير الحرابي

كان من صلحاء الحنابلة ، وكان يزار ، وله مصنف في فضل يزيد بن معاوية ، أتى فيه بالفرائب والعجائب ، وقد رد عليه أبو الفرج ابن الجوزى فأجاد وأصاب ، ومن أحسن ما اتفق لعبد المغيث هذا أن بعض الخلفاء - وأظنه الناصر - جاءه زائراً مستخفياً ، فعرفه الشيخ عبد المغيث ولم يعلمه بأنه قد عرفه ، فسأله الخليفة عن يزيد أيلعن أم لا ؟ فقال لا أسوغ لعنه لأنى لو فتحت هذا الباب لأفضى الناس إلى لمن خليفتنا . فقال الخليفة : ولم ؟ قال : لأنه يفعل أشياء منكرة كثيرة ، منها كذا وكذا ، ثم شرع يمدد على الخليفة أفعاله القبيحة ، وما يقع منه من المنكر لينزجر عنها ، فتركه الخليفة وخرج من عنده وقد أثر كلامه فيه ، وانتفع به . مات في الحرم من هذه السنة . وفيها توفى الشيخ .

٣٤٨ علي بن خطاب بن خلق

العابد الناسك ، أحد الزهاد ، ودوى الكرامات ، وكان مقامه بجزيرة ابن عمر . قال ابن الأثير



في الكامل : ولم أر مثله في حسن خلقه وسمته وكراماته وعبادته .

الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن مقدم

أحد نواب صلاح الدين ، لما افتتح الناصر بيت المقدس أحرم جماعة في زمن الحج منه إلى المسجد الحرام ، وكان ابن مقدم أمير الحاج في تلك السنة ، فلما وقف بعرفة ضرب الوباء ونشر الألوية ، وأظهر عز السلطان صلاح الدين وعظمته ، فغضب طاشتكين أمير الحاج من جهة الخليفة ، فزجره عن ذلك فلم يسمع ، فاقنتلا فجرح ابن مقدم ومات في اليوم الثاني بمضى ، ودفن هنالك ، ووجرت خطوب كثيرة ، ولیم طاشتكين على ما فعل ، وخلف معرفة ذلك من جهة صلاح الدين والخليفة ، وعزله الخليفة عن منصبه .

محمد بن عبيد الله

ابن عبد الله سبط بن التعاويذی الشاعر ، ثم أضر في آخر عمره وجاز الستين توفي في شوال

نصر بن فتيان بن مطر

الغني الحنبلي المعروف بابن المنى ، كان زاهدا عابدا ، مولده سنة إحدى وخمسمائة ، ومن تفقه عليه من المشاهير الشيخ موفق الدين بن قدامة ، والحافظ عبد الغني ، ومحمد بن خلف بن راجح ، والناصر عبد الرحمن بن المنجم بن عبد الوهاب ، وعبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي وغيرهم توفي خامس رمضان . وفيها توفي قاضي القضاة .

أبو الحسن الدامغاني

وقد حكم في أيام المقتدى ثم المستنجد ثم عزل وأعيد في أيام المستضيء ، وحكم للناصر حتى توفي في هذه السنة . ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة

في محرمها حاصر السلطان صلاح الدين حصن كوكب فرآه منيعاً صعباً ، فوكل به الأمير قايماز البجعي في خمسمائة فارس يضيقون عليهم المسالك ، وكذلك وكل لصفى [ الصفند ] وكانت للداوية خمسمائة فارس مع طمرليك الجامدار يمنعون الميرة والتقاوى أن تصل إليهم ، وبعث إلى الكرك الشوبك يضيقون على أهلها ويحاصرونهم ، ليفرغ من أموره لقتال هذه الأماكن ، ولما رجع السلطان من هذه الغزوة إلى دمشق وجد الصفي بن الفايض وكيل الخزانة قد بنى له داراً بالقلمة هائلة مطلة على الشرف القبلي ، فغضب عليه وعزله وقال : إننا لم نخلق للمقام بدمشق ولا بغيرها من البلاد ، وإنما خلقنا لعبادة الله عز وجل والجهاد في سبيله ، وهذا الذي عملته مما يثبط النفوس ويقعد بها عما خلقت له . وجلس السلطان بدار العدل فحضرت عنده القضاة وأهل الفضل ، وزار القاضي الفاضل في بستانه على الشرف في جوسق ابن الفراش ، وحكى له ماجرى من الأمور ، واستشاره فيما يفعل في المستقبل من المهمات والغزوات ، ثم خرج من دمشق فسلك على بيوس وقصد البقاع ، وسار إلى حصص وحماه

وجاءت الجيوش من الجزيرة وهو على العاصي ، فسار إلى السواحل الشمالية ففتح أنطرطوس وغيرها من الحصون ، وجبله واللاذقية ، وكاتنا من أخصن المدن عمارة ورخاماً ومحالاً ، وفتح صهيون وبكاس والشفر وهما قلعتان على العاصي حصينتان ، فتحهما عنوة ، وفتح حصن بدرية وهي قلعة عظيمة على جبل شاهق منيع ، تحتمها أودية عميقة يضرب بها المثل في سائر بلاد الفرنج والمسلمين ، فحاصرها أشد حصار وركب عليها المجانيق الكبار ، وفرق الجيش ثلاث فرق ، كل فريق يقاتل ، فاذا كوا وتعبوا خلفهم الفريق الآخر ، حتى لا يزال القتال مستمرا ليلا ونهاراً ، فكان فتحها في نوبة السلطان أخذها عنوة في أيام معدودات ، ونهب جميع ما فيها ، واستولى على حواصلها وأموالها ، وقتل حمايتها ورجلها ، واستخدم نساءها وأطفالها ، ثم عدل عنها ففتح حصن در بساك وحصن بفراس ، كل ذلك يفتحه عنوة فيغنم ويسلم ، ثم سميت به همة المالية إلى فتح أنطاكية ، وذلك لأنه أخذ جميع ماحولها من القرى والمدن ، واستظهر عليها بكثرة الجنود ، فراسد صاحب أنطاكية يطلب منه الهدنة على أن يطلق من عنده من أسرى المسلمين ، فأجابته إلى ذلك لعله بتضجر من معه من الجيش ، فوقعت الهدنة على سبعة أشهر ، ومقصود السلطان أن يستريح من تعبها ، وأرسل السلطان من تسلم منه الأسارى وقد ذلت دولة النصارى ، ثم سار فسأله ولده الظاهر أن يجتاز بحلب فأجابته إلى ذلك ، فنزل بقلعتها ثلاثة أيام ، ثم استقدمه ابن أخيه تقي الدين إليه إلى حماه فنزل عنده ليلة واحدة ، وأقطعته جبله واللاذقية ، ثم سار فنزل بقلعة بعلبك ، ودخل حمامها ، ثم عاد إلى دمشق في أوائل رمضان ، وكان يوماً مشهوداً ، وجاءته البشائر بفتح الكرك وإنقاذه من أيدي الفرنج ، وأراح الله منهم تلك الناحية ، وسهل حزنها على السالكين من التجار والغزاة والحجاج [ فتقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ] .

### فصل في فتح صفد وحصن كوكب

لم يقم السلطان بدمشق إلا أياماً حتى خرج قاصداً صفد فنزلها في العشر الأوسط من رمضان ، وحاصرها بالمجانيق ، وكان البرد شديداً يصبح الماء فيه جليداً ، فما زال حتى فتحها صلحاً في ثامن شوال ، ثم سار إلى صور فألقت إليه بقيادها ، وتبرأت من أنصارها وأجنادها وقوادها ، وتحققت لما فتحت صفد أنها مقرونة معها في أصفادها ، ثم سار منها إلى حصن كوكب - وهي معقل الاستتارية كما أن صفد كانت معقل الداوية - وكانوا أبيض أجناس الفرنج إلى السلطان ، لا يكاد يترك منهم أحداً إلا قتله إذا وقع في المأسورين ، فحاصر قلعة كوكب حتى أخذها ، وقتل من بها وأراح المارة من شر ساكنيها ، وهبته تلك السواحل واستقر بها منازل قاطنيها . هذا والسماء تصب ، والرياح تهب ، والسيول تعب ، والأرجل في الأوحال نجب ، وهو في كل ذلك صابر مصابر ، وكان القاضي

الفاضل معه في هذه الغزوة ، وكتب القاضي الفاضل إلى أخى السلطان صاحب اليمن يستدعيه إلى الشام لنصرة الاسلام ، وأنه قد عزم على حصار أنطاكية ، ويكون تقي الدين عمر محاصراً طرابلس إذا انسأخ هذا العام ، ثم عزم القاضي الفاضل على الدخول إلى مصر ، فودعه السلطان فدخل القدس فصلى به الجمعة وعيد فيه عيد الأضحى ، ثم سار ومعه أخوه السلطان العادل إلى عسقلان ، ثم أقطع أخاه الكرك عوضاً عن عسقلان ، وأمره بالانصراف ليكون عوناً لابنه العزيز على حوادث مصر ، وعاد السلطان فأقام بمدينة عكا حتى انسلخت هذه السنة .

وفىها خرجت طائفة مصر من الرفضة ليعيدوا دولة الفاطميين ، واغتمنوا غيبة العادل عن مصر ، واستخفوا أمر العزيز عثمان بن صلاح الدين ، فبعثوا اثني عشر رجلاً ينادون في الليل يا آل علي ، يا آل علي ، بنيتهم على أن العامة تجيبهم فلم يجيبهم أحد ، ولا التفت إليهم ، فلما رأوا ذلك انهزموا فأدركوا وأخذوا وقيدوا وحبسوا ، ولما بلغ أمرهم السلطان صلاح الدين ساء ذلك واهتم له ، وكان القاضي الفاضل عنده بعد لم يفارقه ، فقال له : أيها الملك ينبغي أن تفرح ولا تحزن ، حيث لم يصغ إلى هؤلاء الجهلة أحد من رعيتك ، ولو أنك بعثت جواسيس من قبلك يختبرون الناس لسررك ما بلغك عنهم ، فسرى عنه ما كان يجحد ، ورجع إلى قوله وأرسله إلى مصر ليكون له عينا وعونا .

وفىها توفى من الأعيان . الأمير الكبير سادلة الملوك والسلاطين

الشيزرى مؤيد الدولة أبو الحارث وأبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن [ مقلد بن نصر بن ] منقذ أحد الشعراء المشهورين ، المشكورين ، بلغ من العمر ستاً وتسعين سنة ، وكان عمره نارياً مستقلاً وحده ، وكانت داره بدمشق ، مكان العزيزية ، وكانت مقلداً للفضلاء ، ومتمزلاً للعلماء وله أشعار رائقة ، ومعان فائقة ، ونديه علم غزير ، وعنده جود وفضل كثير ، وكان من أولاد ملوك شيزر ، ثم أقام بمصر مدة في أيام الفاطميين ، ثم عاد إلى الشام فقدم على الملك صلاح الدين في سنة سبعين وأنشده :  
 حمدتُ على طولِ عمرى المشيبا \* وإن كنت أكرت فيه الذنوبا  
 لأنى حبيتُ إلى أن لقيتُ \* بعد العدو صديقاً حبيباً  
 وله في سن قلعتها وقد نفعها :

وصاحبٍ لا أملُ الدهرُ مُحِبته \* يشقى لِنَفْعى ويسعى سَعْيَ مجتهد  
 لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدا \* لناظري افترقنا فرقة الأبد

وله ديوان شعر كبير ، وكان صلاح الدين يفضل على سائر الدواوين ، وقد كان مولده في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وكان في شببته شهماً شجاعاً ، قتل الأسد وحده مواجهة ، ثم عمر إلى أن توفى في هذه السنة ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان ، ودفن شرقي جبل قايسون . قال وزرت قبره

وأشدت له : لا تستمرّ جلدًا على هجرانهم \* فقواك تضيف عن صدور دائم  
واعلم بأنك إن رجعت إليهم \* طوعاً وإلا عدت عودة فادم  
وله أيضاً \* وأعجب لضعف يدي عن حملها قلماً \* من بعد حطم الفئاق لبنة الأسد  
وقل لمن يتمنى طول مدته \* هذى عواقب طول العمر والمدد  
قال ابن الأثير : وفيها توفي شيخه .

أبو محمد عبد الله بن علي

ابن عبد الله بن سويد التكريتي ، كان عالماً بالحديث وله تصانيف حسنة .

الحازمي الحافظ

قال أبو شامة : وفيها توفي الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الهمداني  
بيغداد ، صاحب التصانيف ، على صفر سنة ، منها المجالة في النسب ، والناسخ والمنسوخ وغيرها  
ومولدها سنة ثمان أو تسع وأربعمين وخمسمائة ، وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الأولى من  
هذه السنة . ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة .

فيها قدم من جهة الخليفة رسل إلى السلطان يعلمونه بولاية المهدي لأبي نصر الملقب بالظاهر بن  
الخليفة الناصر ، فأمر السلطان خطيب دمشق أبا القاسم عبد الملك بن زيد الدولعي أن يذكره على  
المنبر ، ثم جهز السلطان مع الرسل نجفا كثيرة ، وهدايا سنية ، وأرسل بأسارى من الفرنج على هيتهم  
في حال حربهم ، وأرسل بصليب الصلبوت فدفن تحت عتبة باب النوى ، من ديار الخليفة ، فكان  
بالأقدام يداس ، بعد ما كان يعظم ويibas ، والصحيح أن هذا الصليب كان منصوباً على الصخرة  
وكان من نحاس مقلباً بالذهب ، فخطه الله إلى أسفل العتب .

قصة عكا وما كان من أمرها

كان شهر رجب اجتمع من كان بصور من الفرنج وساروا إلى مدينة عكا ، فأحاطوا بها بمحاصر ونها  
فتحصن من فيها من المسلمين ، وأعدوا للحصار ما يحتاجون إليه ، وبلغ السلطان خبرهم فسار إليهم من  
دمشق مسرعاً ، فوجدهم قد أحاطوا بها إحاطة الخاتم بالخنصر ، فلم يزل يدافعهم عنها ويمنعهم منها ،  
حتى جعل طريقاً إلى باب القلعة يصل إليه كل من أرادهم ، من جنسدى وسوقى ، وامرأة وصبي ، ثم  
أدخل إليها ما أراد من الآلات والأمتعة ، ودخل هو بنفسه ، فعلا على سورها ونظر إلى الفرنج  
وجيشهم وكثرة عددهم وعددهم ، والميرة تفد إليهم في البحر ، في كل وقت ، وكل ما لهم في ازدياد ،  
وفي كل حين تصل إليهم الأمداد ، ثم عاد إلى مخيمه والجنود تفد إليه ، وتقدم عليه من كل جهة  
وكان ، منهم رجال وفرسان ، فلما كان في العشر الأخير من شعبان برزت الفرنج من مراكبها إلى

مواكبها ، في نحو من ألفي فارس وثلاثين ألف راجل ، فبرز إليهم السلطان فيمن معه من الشجعان فاقتلوا بمرج عكا قتالا عظيما ، وهزم جماعة من المسلمين في أول النهار ، ثم كانت الدائرة على الفرنج فكانت القتلى بينهم أزيد من سبعة آلاف قتيل ، ولما تناهت هذه الوقعة تحول السلطان عن مكانه الأول إلى موضع بعيد من رائحة القتلى ، خوفا من الوخم والأذى ، وليستريح الخيالة والخييل ، ولم يعلم أن ذلك كان من أكبر صالح العدو المخذول ، فانهم اغتنموا هذه الفرصة فحفروا حول مخيمهم خندقا من البحر محذقا بجيشهم ، واتخذوا من ترابه سوراً شاهقا ، وجعلوا له أبوابا يخرجون منها إذا أرادوا وتمكنوا في منزلهم ذلك الذي اختاروا وارتادوا ، وتفارط الأمر على المسلمين ، وقوى الخطب وصار الداء عضالا ، وازداد الحال وبالا ، اختباراً من الله وامتحاناً ، وكان رأى السلطان أن يناجزوا بعد الكرة سريعاً ، ولا يتركوا حتى يطيب البحر فنأتيهم الأمداد من كل صوب ، فتمنر عليه الأمر باملال الجيش والضجر ، وكل منهم لأمر الفرنج قد احتقر ، ولم يدر ما قد حتم في القدر ، فأرسل السلطان إلى جميع الملوك يستنفر ويستنصر ، وكتب إلى الخليفة بالبت ، وبث الكتب بالتحضيض والحث السريع ، فجاءته الأمداد جماعات وآحادا ، وأرسل إلى مصر يطلب أخاه العادل ويستعجل الأسطول ، فقدم عليه فوصل إليه خمسون قطعة في البحر مع الأمير حسام الدين لؤلؤ ، وقدم العادل في عسكر المصريين ، فلما وصل الأسطول حادت مراكب الفرنج عنه بمنة ويسرة ، وخافوا منه ، واتصل بالبلد الميرة والمدد والمدد ، وانشرحت الصدور بذلك ، وانسلخت هذه السنة والحال ما حال بل هو على ما هو عليه ولا ملجأ من الله إلا إليه .

وفيهما توفي من الأعيان . القاضي شرف الدين أبو سعد

عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عمرو بن أحمد أئمة الشافعية ، له كتاب الانتصاف ، وقد ولى قضاء القضاة بدمشق ، ثم أضر قبل موته بعشر سنين ، فجعل ولده نجم الدين مكانه بطيب قلبه وقد بلغ من العمر ثلاثا وتسعين سنة ونصفا ، ودفن بالمدرسة المصرية ، التي أنشأها عند سوق باب البريد ، قبالة داره ، بينهما عرض الطريق ، وكان من الصالحين والعلماء العاملين . وقد ذكره ابن خلكان فقال : كان أصله من حديثة عائلة الموصل ، ورحل في طلب العلم إلى بلدان شتى ، وأخذ عن أسعد الميمني وأبي علي الفارقي وجماعة ، وولى قضاء سنجار وحران ، وباشرف أيام نور الدين تدريس النزالية ، ثم انتقل إلى حلب فبنى له نور الدين بحلب مدرسة وبمحص أخرى ، ثم قدم دمشق في أيام صلاح الدين ، فولى قضاءها في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة إلى أن توفي في هذه السنة ، وقد جمع جزءاً في قضاء الأعمى ، وأنه جائز ، وهو خلاف المذهب ، وقد حكاه صاحب البيان وجهها لبعض الأصحاب . قال : ولم أره في غيره ، ولكن حبك الشيء يعنى ويصم ، وقد صنف كتباً كثيرة ،

منها صفة المذهب في نهاية المطلب ، في سبع مجلدات ، والانتصاف في أربعة ، والخلاف في أربعة ،  
والذريعة [ في معرفة الشريعة ] والمرشد وغير ذلك ، و [ كتابا سماه مأخذ النظر ، ومختصراً ] في  
الفرائض ، وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه والعماد فأنى عليه ، وكذلك القاضي الفاضل . وأورد  
له العماد أشعاراً كثيرة وابن خلكان ، منها :

أؤمل أن أحيأ في كل ساعة \* تمر بي الموتى يهزُ نعوشها  
وهل أنا إلا مثلهم غير أن لي \* بقايا ليالٍ في الزمانِ أعيشها

أحمد بن عبدالرحمن بن وهبات

أبو العباس المعروف بابن أفضل الزمان ، قال ابن الأثير : كان عالماً متبحراً في علوم كثيرة من  
الفرق ، والأصول والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك ، وقد جاور بمكة وأقام  
بها إلى أن مات بها ، وكان من أحسن الناس صحبة وخلقاً .

الفقيه الأمير ضياء الدين عيسى الهكاري

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه ، دخل معه إلى مصر ، وحظى عنده ، ثم كان ملازماً للسلطان  
صلاح الدين حتى مات في ركابه بمنزلة الخروبة قريباً من عكا ، فنقل إلى القدس فدفن به ، كان ممن  
تفقه على الشيخ أبي القاسم بن البرزى الجزري ، وكان من الفضلاء والأمراء الكبار .

المبارك بن المبارك الكرخي

مدرس النظامية ، تفقه بابن الخلل [ وحظى ] بمكانة عند الخليفة والمامة ، وكان يضرب بمحسن  
خطه المثل . ذكرته في الطبقات .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان محاصر لحصن عكا ، وأمداد الفرنج تفد إليهم من البحر في كل وقت ،  
حتى أن نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال ، ومنهن من تأتي بنية راحة الغرباء لينكحوها في الغربة ،  
فيجدون راحة وخدمة وقضاء وطر ، قدم إليهم مركب فيه ثلاثمائة امرأة من أحسن النساء وأجملهن  
بهذه النية ، فاذا وجدوا ذلك ثبتوا على الحرب والغربة ، حتى أن كثيراً من فسقة المسلمين تجوزوا إليهم  
من أجل هذه النسوة ، واشتهر الخبر بذلك . وشاع بين المسلمين والفرنج بان ملك الألمان قد أقبل  
بثلاثمائة ألف مقاتل ، من ناحية القسطنطينية ، يريد أخذ الشام وقتل أهلها ، انتصاراً لبيت المقدس  
فعمد ذلك حمل السلطان والمسلمون هما عظيماً ، وخافوا غاية الخوف ، مع ما هم فيه من الشغل والحصار  
الهائل ، وقويت قلوب الفرنج بذلك ، واشتدوا للحصار والقتال ، ولكن لطف الله وأهلك عامة جنده  
في الطرقات بالبرد والجوع والضلال في المهالك ، على ماسيأتي بيانه . وكان سبب قتال الفرنج وخروجهم

من بلادهم ونفيرهم ما ذكره ابن الأثير في كامله أن جماعة من الرهبان والقسيسين الذين كانوا يبيت المقدس وغيره ، ركبوا من صور في أربعة مراكب ، وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية ، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى ، يخرسون الفرنج ، ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس ، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس ، وأهل السواحل من القتل والسبي وخراب الديار ، وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربي آخر يضربه ويؤذيه ، فاذا سألوهم من هذا الذي يضرب المسيح؟ قالوا هذا نبي العرب يضربه وقد جرحه ومات ، فيتعجبون لذلك ويمحون ويبكون ويمجنون فعند ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونيبهم ، ووضع حجهم على الصعب والذلول ، حتى النساء المخدرات والزواني والزانيات الذين هم عند أهلهم من أعز الثمرات .

وفي نصف ربيع الأول تسلم السلطان شريف أربون بالأمان ، وكان صاحبه مأسوراً في الذل والهوان ، وكان من أدهى الفرنج وأخبرهم بأيام الناس ، ورجعوا قرأ في كتب الحديث وتفسير القرآن ، وكان مع هذا غليظ الجلد قاسى القلب ، كافر النفس . ولما انفصل فصل الشتاء وأقبل الربيع جاءت ملوك الاسلام من بلدانها بخيولها وشجعانها ، ورجالها وفرسانها ، وأرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحمالاً من النفط والرماح ، وفضافة ونقابين ، كل منهم متقن في صنعته غاية الاتقان ، ومرسوماً بعشرين ألف دينار ، وانفتح البحر وتواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة ، لأجل نصرة أصحابهم ، يمدونهم بالقوة والميرة ، وعمت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد ، عليها جلود مسقاة بالخل ، لئلا يعمل فيها النفط ، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل ، وهي أعلا من أبرجة البلد ، وهي مركبة على عجل بحيث يدبرونها كيف شاءوا ، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير ، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرها وخافوا على البلد ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا ، وحصل لهم ضيق منها ، فأعمل السلطان فكره باحراقها ، وأحضر النفاطين ووعدهم بالأموال الجزيلة إن هم أحرقوها ، فانتدب لذلك شاب نحاس من دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين ، والتزم باحراقها ، فأخذ النفط الأبيض وخلطه بأدوية يعرفها ، وعلى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس حتى صار ناراً تأجيج ، ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا ، فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت ناراً باذن الله ، لها السنة في الجو متصاعدة ، واحترق من كان فيها ، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل ، واحترق في كل برج منها سبعون كفوراً ، وكان يوماً على الكافرين عسيراً ، وذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وكان الفرنج قد تعبوا في عملها سبعة أشهر ، فاحترقت في يوم واحد [ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ] ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بعطية سنوية ، وأموال كثيرة فامتنع أن يقبل شيئاً من ذلك ، وقال : إنما عملت ذلك ابتغاء وجه الله ، ورجاء

ما عنده سبحانه ، فلا أريد منكم جزاء ولا شكورا .

وأقبل الأسطول المصرى وفيه الميرة الكثيرة لأهل البلاد ، فمضى الفرنج أسطولهم ليقاتلوا أسطول المسلمين ، نهض السلطان بجيشه ليشغلهم عنهم ، وقاتلهم أهل البلد أيضاً واقتتل الأسطولان فى البحر ، وكان يوما عسيرا ، وحربا فى البر والبحر ، فظفرت الفرنج بشيبيى واحد من الأسطول الذى للمسلمين ، وسلم الله الباقى فوصل إلى البلد بما فيه من الميرة ، وكانت حاجتهم قد اشتدت إليها جدا ، بل إلى بعضها .

وأما ملك الألمان المتقدم ذكره فإنه أقبل فى عدد وعدد كثير جداً ، قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل ، من نيته خراب البلد وقتل أهلها من المسلمين ، والانتصار لبيت المقدس ، وأن يأخذ البلاد إقليبا بعد إقليم ، حتى مكة والمدينة ، فما نال من ذلك شيئا بعون الله وقوته ، بل أهلهم الله عز وجل فى كل مكان وزمان ، فكانوا يتخطفون كما يتخطف الحيوان ، حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية فدعته نفسه أن يسبح فيه ، فلما صار فيه حمله الماء إلى شجرة فشجت راسه ، وأخمدت أنفاسه ، وأراح الله منه العباد والبلاد ، فأقيم ولده الأصغر فى الملك ، وقد تمزق شملهم ، وقلت منهم العدة ، ثم أقبلوا لا يجنازون ببلد إلا قتلوا فيه ، فما وصلوا إلى أصحابهم الذين على عكا إلا فى ألف فارس ، فلم يرفعوا بهم رأساً ولا لهم قدراً ولا قيمة بينهم ، ولا عند أحد من أهل ملتهم ولا غيرهم ، وهكذا شأن من أراد إطفاء نور الله وإذلال دين الاسلام . وزعم العباد فى سياقه أن الألمان وصلوا فى خمسة آلاف ، وأن ملوك الافرنج كلهم كرهوا قدومهم عليهم ، لما يخافون من سطوة ملكهم ، وزوال دولتهم بدولته ، ولم يفرح به إلا المراكيس صاحب صور ، الذى أنشأ هذه الفتنة وأثار هذه الحنة ، فإنه تقوى به وبكيد ، فإنه كان خبيراً بالحروب ، وقد قدم بأشياء كثيرة من آلات الحرب لم تخطر لأحد ببال . نصب دبابات أمثال الجبال ، تسير بعجل ولها زلوم من حديد ، تنطح السور فتخرقه ، وتتلطم جوانبه ، فمن الله العظيم باحراقها ، وأراح الله المسلمين منها ، ونهض صاحب الألمان بالمسكر الفرنجى فصادم به جيش المسلمين [ فجاءت جيوش المسلمين ] برمتها إليه ، فقتلوا من الكفرة خلقا كثيراً وجما غفيرا ، وهجموا مرة على مخيم السلطان بغتة فتهبوا بمض الأمتعة ، فنهض الملك العادل أبو بكر - وكان رأس الميمنة - فركب ، فى أصحابه وأمهل الفرنج حتى توغلوا بين الخيام ، ثم حمل عليهم بالرمح والحسام ، فهربوا بين يديه فما زال يقتل منهم جماعة بعد جماعة ، وفرقة بعد فرقة ، حتى كسوا وجه الأرض منهم حلالاً أزهى من الرياض الباسمة ، وأحب إلى النفوس من الخدود الناعمة ، وأقل ما قيل إنه قتل منهم خمسة آلاف ، وزعم العباد أنه قتل منهم فيما بين الظهر إلى العصر عشرة آلاف والله أعلم . هذا وطرف الميسرة لم يشعر بما جرى ولادرى ، بل فاثمون وقت القائلة فى خيامهم ، وكان



الذين ساقوا وراهم أقل من ألف ، وإنما قتل من المسلمين عشرة أو دونهم ، وهذه نعمة عظيمة ، وقد أوهن هذا جيش الفرنج وأضعفهم ، وكادوا يطلبون الصلح وينصرفون عن البلد ، فاتفق قدوم مدد عظيم إليهم من البحر مع ملك يقال له كيد هري ، ومعه أموال كثيرة فاتفق فيهم وغرم عليهم وأمرهم أن يبرزوا معه لقتال المسلمين ، ونصب على عكا منجنيقين ، غرم على كل واحد منهما ألفاً وخمسمائة دينار ، فأحرقهما المسلمون من داخل البلد ، وجاءت كتب صاحب الروم من القسطنطينية يعتذر لصلاح الدين من جهة ملك الألمان ، وأنه لم يتجاوز بلده باختياره ، وأنه تجاوزه لكثرة جنوده ، ولكن ليبشر السلطان بأن الله سهلهم في كل مكان ، وكذلك وقع ، وأرسل إلى السلطان يخبره بأنه يقيم للمسلمين عنده جمعة وخطباً ، فأرسل السلطان مع رسله خطيباً ومنبراً ، وكان يوم دخولهم إليه يوماً مشهوداً ، ومشهداً محموداً ، فأقيمت الخطبة بالقسطنطينية ، ودعا للخليفة العباسي ، واجتمع فيها من هناك من المسلمين من التجار والمسلمين الأسرى والمسافرين إليها والحمد لله رب العالمين .

### فصل في عكا

وكتب متولى عكا من جهة السلطان صلاح الدين وهو الأمير بهاء الدين قراقوش ، في العشر الأول من شعبان إلى السلطان : إنه لم يبق عندهم في المدينة من الأتوات إلا ما يبلنهم إلى ليلة النصف من شعبان ، فلما وصل الكتاب إلى السلطان أسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ، خوفاً من إشاعة ذلك فيبلغ العدو فيقدموا على المسلمين ، وتضعف القلوب ، وكان قد كتب إلى أمير الأسطول بالديار المصرية أن يقدم بالميرة إلى عكا ، فتأخر سيره ، ثم وصلت ثلاث بطش ليلة النصف ، فيها من الميرة ما يكفي أهل البلد طول الشتاء ، وهي صحبة الحاجب أولو ، فلما أشرفت على البلد نهض إليها أسطول الفرنج ليحول بينها وبين البلد ، ويتلف ما فيها ، فافتتلوا في البحر قتالاً شديداً ، والمسلمون في البر يبتهلون إلى الله عز وجل في سلامتها ، والفرنج أيضاً تصرخ برأ وبجراً ، وقد ارتفع الضجيج ، فنصر الله المسلمين وسلم مراكبهم ، وطابت الريح للبطش فسارت فأحرقت المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء ، ودخلت البلد سالمة ، وفرح بها أهل البلد والجيش فرحاً شديداً ، وكان السلطان قد جهز قبل هذه البطش الثلاث بطشة كبيرة من بيروت ، فيها أربعمائة غرارة ، وفيها من الجبن والشحم والقديد والنشاب والنفط شيء كثير ، وكانت هذه البطشة من بطش الفرنج المغنومة ، وأمر من فيها من التجار أن يلبسوا زى الفرنج حتى أنهم حلقوا لحامهم ، وشدوا الزنانير ، واستصحبوا في البطشة معهم شيئاً من الخنازير ، وقدموا بها على مراكب الفرنج فاعتقدوا أنهم منهم وهي سائرة كأنها سهم إذا خرج من كبد القوس ، فحذرهم الفرنج غائلة الميناء من ناحية البلد ، فاعتذروا

بأنهم مغلوبون عنها ، ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح ، وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء فأفرغوا ما كان معهم من الميرة ، والحرب خدعة ، فعبثت الميناء فامتلاً النفر بها خيراً ، فكفتمهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية . وكانت البلد يكتنفها برجان يقال لأحدهما برج الديان ، فالتحنت الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيه محركات إذا أرادوا أن يضعوه على شئ من الأسوار والابرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا ، فمظم أمر هذه البطشة على المسلمين ، ولم يزالوا في أمرها محتالين ، حتى أرسل الله عليها شواظاً من نار فأحرقها وأغرقها ، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطاً كثيراً وحطباً جزلاً ، وأخرى خلفها فيها حطب محض ، فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء أرسلوا النفط على بطشة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين ، واحترقت الأخرى ، وكان في بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكوه فيها ، فلما أرسلوا النفط على برج الديان انعكس الأمر عليهم بقدره الله تعالى ، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة ، فما تمدت النار بطشهم فاحترقت ، وتعدى الحريق إلى الأخرى ففرقت ، ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت ، وهلك من فيها ، فاشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين ، في قوله تعالى [ يجرّبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ] .

### قصة أخرى

وفي ثالث رمضان اشتد حصار الفرنج لمدينة حتى نزلوا إلى الخندق ، فبرز إليهم أهل البلد فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وتمكنوا من حريق السكيس والأسوار ، وسرى حريقه إلى السقوف ، وارتفعت له لهبة عظيمة في عنان السماء ، ثم اجتذبه المسلمون إليهم بكلايب من حديد في سلاسل ، فحصل عندهم وألقوا عليه الماء البارد فبرد بعد أيام ، فكان فيه من الحديد مائة قنطار بالدمشق ، والله الحمد والمنة .

وفي الثامن والعشرين من رمضان توفي الملك زين الدين صاحب أربل في حصار عكا مع السلطان ، فتأسف الناس عليه لشبابه وغر بته وجودته ، وعزى أخاه مظفر الدين فيه ، وقام بالملك من بعده وسأل من صلاح الدين أن يضيف إليه شهر زور وحران والرها وميساط وغيرها ، وتحمل مع ذلك خمسين ألف دينار نقداً ، فأجيب إلى ذلك ، وكتب له تقليداً ، وعقد له لواء ، وأضيف مآثره إلى الملك المظفر تقي الدين ابن أخي السلطان صلاح الدين .

### قصة أخرى

وكان القاضي الفاضل بمصر يدبر الممالك بها ، ويجهز إلى السلطان ما يحتاج إليه من الأموال ،

وعمل الأسطول والكتب السلطانية ، فنها كتاب يذكر فيه أن سبب هذا التطويل في الحصار كثرة الذنوب ، وارتكاب المحارم بين الناس ، فان الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته ، ولا يفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه ، وامتنال أمره ، فكيف لا يطول الحصار والمعاصي في كل مكان فاشية ، وقد صعد إلى الله منها ما يتوقع به الاستمادة منه ، وفيه أنه قد بلغه أن بيت المقدس قد ظهر فيه المنكرات والفواحش والظلم في بلاد ما لا يمكن تلافيه إلا بكلفة كثيرة . ومنها كتاب يقول فيه إنما أتينا من قبل أنفسنا ، ولو صدقنا لرجل الله لنا عواقب صدقنا ، ولو أظعننا لما عاقبنا بعدونا ، ولو فعلنا ما نقدر عليه من أمره لفعل لنا ما لا نقدر عليه إلا به ، فلا يختصم أحد إلا نفسه وعمله ، ولا يرج إلا ربه ولا يفتر بكثرة المساكر والأعوان ، ولا فلان الذي يمتد عليه أن يقاتل ولا فلان ، فكل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بها ، وإنما النصر من عند الله ، ولا نأمن أن يكلنا الله إليها ، والنصر به واللفظ منه ، ونستغفر الله تعالى من ذنوبنا ، فلولا أنها تسد طريق دعائنا لكان جواب دعائنا قد نزل ، وفيض دموع الخاشعين قد غسل ، ولكن في الطريق عائق ، خار الله لمولانا في القضاء السابق واللاحق . ومن كتاب آخر يتألم فيه لما عند السلطان من الضعف في جسمه بسبب ما حمل على قلبه مما هو فيه من الشدائد ، أنابه الله بقوله : وما في نفس المملوك شائنة إلا بقية هذا الضعف الذي في جسم مولانا فإنه بقلوبنا ، ونفديه بأسباعنا وأبصارنا ثم قال :

بنا معشر الخدام ما بك من أذى \* وإن أشفقوا مما أقول فبي وحدي

وقد أورد الشيخ شهاب الدين صاحب الروضتين هاهنا كتباً عدة من الفاضل إلى السلطان ، فيها فصاحة و بلاغة ومواعظ وتحضيض على الجهاد ، فرحمه الله من إنسان ما أفصحه ، ومن وزير ما كان أفصحه ، ومن عقل ما كان أرجحه .

### فضيلة الأمير

وكتب الفاضل كتاباً على لسان السلطان إلى ملك الغرب أمير المسلمين ، وسلطان جيش الموحدين ، يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، يستنجد في إرسال مراكب في البحر تكون عوناً للمسلمين على المراكب الفرنجية في عبارة طويلة فصيحة بليغة مليحة ، حكاها أبو شامة بطولها . وبعث السلطان صلاح الدين مع الكتاب سنية من التحف والأطاف ، صحبة الأمير الكبير شمس الدين أبي الحزم عبدالرحمن بن منقذ ، وسار في البحر في ثامن ذي القعدة ، فدخل على سلطان المغرب في العشرين من ذي الحجة ، فأقام عنده إلى عاشوراء من المحرم من سنة ثمان وثمانين ، ولم يفد هذا الإرسال شيئاً ، لأنه تفضب إذ لم يلقب بأمر المؤمنين ، وكانت إشارة الفاضل إلى عدم الإرسال إليه ، ولكن وقع ما وقع بمشيئة الله .

## فَضْلُ الشَّيْخِ

وفىها حصل للناصر صلاح الدين سوء مزاج من كثرة ما يكابده من الأمور ، فطمع العدو المخذول في حوزة الاسلام ، فتجرد جماعة منهم للقتال ، وثبت آخرون على الحصار ، فأقبلوا في عدد كثير وعداد ، فرتب السلطان الجيوش بمنة ويسرة ، وقلباً وجناحين ، فلما رأى العدو الجيش الكثيف فروا وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وجماً غفيراً .

## فَضْلُ الشَّيْخِ

ولما دخل فصل الشتاء وانشرت مراكب الفرنج عن البلد خوفاً من الهلاك بسبب اغتلام البحر ، سأل من بالبلد من المسلمين من السلطان أن يريهم مما هم فيه من الحصر العظيم ، والقتال ليلاً ونهاراً ، وأن يرسل إلى البلد بدلم ، فرق لهم السلطان ، وعزم على ذلك ، وكأثراً قريباً من عشرين ألف مسلم ما بين أمير ومأمور ، تجهز جيشاً آخر غيرهم ، ولم يكن ذلك برأى جيد ، ولكن ما قصد السلطان إلا خيراً ، وأن هؤلاء يدخلون البلد بهم حدة شديدة ، ولهم عزم قوى ، وهم في راحة بالنسبة إلى ما أولئك ولكن أولئك الذين كانوا بالبلد وخرجوا منه كانت لهم خبرة بالبلد والقتال وكان لهم صبر ، وجلد وقد تمونوا فيها مؤنة تكفيهم سنة ، فانهضت بسبب ذلك ، وقدم بطش من مصر فيه ميرة تكفي أهل البلد سنة كاملة ، فقدر الله العظيم - وله الأمر من قبل ومن بعد - أنها لما توسطت البحر واقتربت من المينا هاجت عليها ريح عظيمة فانقلبت تلك البطش وانقلبت على عطفها فاخترت واضطربت وتصادمت فتكسرت وغرقت ، وغرق ما كان فيها من الميرة والبحارة ، فدخل بسبب ذلك وهن عظيم على المسلمين ، واشتد الأمر جداً ، ومرض السلطان وازداد مرضاً إلى مرضه ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وكان ذلك عوناً للعدو المخذول على أخذ البلد ، ولا قوة إلا بالله ، وذلك في ذى الحجة من هذه السنة ، وكان المقدم على الداخلين إلى عكا الأمير سيف الدين على بن أحمد بن المشطوب .

وفي اليوم السابع من ذى الحجة سقطت ثلثة عظيمة من سور عكا ، فبادر الفرنج إليها فسبقهم المسلمون إلى سدها بصدورهم ، وقاتلوا دونها بنحورهم ، وما زالوا يمانون عنها حتى بنوها أشد مما كانت ، وأقوى وأحسن . ووقع في هذه السنة وباء عظيم في المسلمين والكافرين ، فكان السلطان يقول في ذلك :

اقتلوني ومالكاً \* واقتلوا مالكاً معي

واتفق موت ابن ملك الألمان لعنه الله في ثاني ذي الحجة ، وجماعة من كبراء الكندهرية ،  
وسادات الفرنج لعنهم الله ، فحزن الفرنج على ابن ملك الألمان وأوقدوا ناراً عظيمة في كل خيمة ،  
وصار كل يوم يهلك من الفرنج المائة والمائتان ، واستأمن السلطان جماعة منهم من شدة ما هم فيه من  
الجوع والضيق والحصر ، وأسلم خاق كثير منهم . وفيها قدم القاضي الفاضل من مصر على  
السلطان ، وكان قد طال شوق كل منهما إلى صاحبه ، فأفضى كل منهما إلى صاحبه ما كان يسره  
ويكتمه من الآراء التي فيها مصالح المسلمين .

وفيها توفي من الأعيان . **ملك الألمان**

وقد تقدم أنه قدم في ثلاثمائة ألف مقاتل ، فهلكوا في الطرقات ، فلم يصل إلى الفرنج إلا في خمسة  
آلاف وقيل في ألفي مقاتل ، وكان قد عزم على دمار الاسلام ، واستنقاذ البلاد بكاملها من أيدي  
المسلمين ، انتصاراً في زعمه إلى بيت المقدس ، فأهلكه الله بالفرق كما أهلك فرعون ، ثم ملك بعده  
ولده الأصغر فأقبل بن بتي معه من الجيش إلى الفرنج ، وهم في حصار عكا ، ثم مات في هذه السنة  
فله الحمد والمنة .

محمد بن محمد بن عبد الله

أبو حامد قاضي النضاة بالموصل ، كمال الدين الشهرزوري الشافعي ، أثنى عليه العماد وأئند  
له من شعره قوله :

قامت باثبات الصفات أدلة \* قصمت ظهور أئمة التمطيل  
وظلائع التنزيه لما أقبلت \* هزمت ذوى التشبيه والتمثيل  
طلق ما صرنا إليه جميعنا \* بأدلة الأخبار والتنزيل  
من لم يكن بالشرع مقتدياً فقد \* ألقاه فرط الجهل في النضليل

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة

فيها قدم ملك الفرنسيس وملك انكلترا وغيرهما من ملوك البحر الفرنج ، على أصحابهم  
الفرنج إلى عكا ، وتماثوا على أخذ عكا في هذه السنة كما سيأتي تفصيله ، وقد استهلكت هذه السنة  
والحصار الشديد على عكا من الجانبين ، وقد استكمل دخول العدو إلى البلد والملك العادل محيم إلى  
جانب البحر ، ليتكامل دخولهم ودخول ميرتهم ، وفي ليلة مستهل ربيع الأول منها خرج المسلمون  
من عكا فهجموا على محيم الفرنج فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وسبوا وغنموا شيئاً كثيراً ، سبوا اثني  
عشراً امرأة ، وانكسر مركب عظيم للفرنج ففرق ما فيه منهم وأسر باقهم ، وأغار صاحب حص  
أسد الدين بن شيركوه على سرح الفرنج بأراضي طرابلس ، فاستاق منهم شيئاً كثيراً من الخيول  
والأبقار والأغنام ، وظفر الترك بخلق كثير من الفرنج فقتلهم ، ولم يقتل من المسلمين سوى طواش

صغير عثر به فرسه . وفي ثاني عشر ربيع الأول وصل إلى الفرنج ملك الفرنسيين في قريب من ستين بطش مملوثة مشحونة بعبدة الصليب ، فحين وصل إليهم وقدم عليهم لم يبق لأحد من ملوكهم معه كلام ولا حكم ، لمظلمته عندهم ، وقدم معه باز عظيم أبيض وهو الأشهب ، هائل ، فطار من يده فوقع على سور عكا فأخذه أهلها وبنوه إلى السلطان صلاح الدين ، فبذل الفرنجي فيه ألف دينار فلم يجبه إلى ذلك ، وقدم بده كيد فريرو وهو من أكابر ملوكهم أيضاً ، ووصلت سفن ملك الانكليز ، ولم يجبه ملكهم لاشتغاله بجزيرة قبرص وأخذها من يد صاحبها ، وتواصلت ملوك الاسلام أيضاً من بلدانها في أول فصل الربيع ، لخدمة الملك الناصر . قال العماد : وقد كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام الفرنج فيسرقون ، حتى أنهم كانوا يسرقون الرجال ، فانفق أن بعضهم أخذ صبياً رضيعاً من مهد ابن ثلاثة أشهر ، فوجدت عليه أمه وجداً شديداً ، واشتكت إلى ملوكهم فقالوا لها : إن سلطان المسلمين رحيم القلب ، وقد أذن لك أن تذهبي إليه فتشتكي أمرك إليه ، قال العماد فجات إلى السلطان فأنتهت إليه حالها ، فرق لها رقة شديدة حتى دمعت عينه . ثم أمر باحضار ولدها فإذا هو قد بيع في السوق ، فرسم بدفع ثمنه إلى المشتري ، ولم يزل واقفاً حتى جرى بالغلالم فأخذته أمه وأرضعته ساعة وهي تبكي من شدة فرحها وشوقها إليه ، ثم أمر بحملها إلى خيمتها على فرس مكرمه رحمه الله تعالى وعفا عنه .

### قصة الملك

#### في كيفية اخذ العدو عكا من يدي السلطان

لما كان شهر جمادى الأولى اشتد حصار الفرنج لعنهم الله لمدينة عكا ، وتمازوا عليها من كل فج عيق ، وقسم عليهم ملك الانكليز في جم غفيرة وجمع كثير ، في خمسة وعشرين قطعة مشحونة بالمقاتلة وابتلى أهل الثغر منهم ببلاء لا يشبه ما قبله ، فمعد ذلك حركت الكؤوسات في البلد ، وكانت علامة ما بينهم وبين السلطان ، فحرك السلطان كؤوساته فاقترب من البلد وتحول إلى قريب منه ، ليشغلهم عن البلد ، وقد أحاطوا به من كل جانب ، ونصبوا عليه سبعة منجانيق ، وهي تضرب في البلد ليلاً ونهاراً ، ولا سباً على برج عين البقر ، حتى أنرت به أثرا بيننا ، وشرعوا في ردم الخندق بما أمكثهم من دواب ميتة ، ومن قتل منهم ، ومن مات أيضاً ردموا به ، وكان أهل البلد يلقون ما ألقوه فيه إلى البحر . وتلقى ملك الانكليز بطشة عظيمة للمسلمين قد أقبلت من بيروت مشحونة بالأمتعة والأسلحة فأخذها ، وكان واقفاً في البحر في أربعين مركبا لا يترك شيئاً يصل إلى البلد بالكلية ، وكان بالبطشة ستائة من المقاتلين الصناديد الأبطال ، فهلكوا عن آخرهم رحمهم الله . فانه لما أحيط

بهم وتمحقوا إما الفرق أو القتل ، خرقوا جوانبها كلها ففرقت ، ولم يقدر الفرنج على أخذ شيء منها  
لا من الميرة ولا من الأسلحة ، وحزن المسلمون على هذا المصاب حزنا عظيما ، فانا لله وإنا إليه  
راجعون ، ولكن جبر الله سبحانه هذا البلاء بأن أحرق المسلمون في هذا اليوم دبابه كانت  
أربع طبقات ، الأولى من الخشب ، والثانية من رصاص ، والثالثة من حديد ، والرابعة من نحاس ،  
وهي مشرفة على السور والمقاتلة فيها ، وقد قلق أهل البلد منها بحيث حدثهم أنفسهم من خوفهم  
من شرها بأن يطلبوا الأمان من الفرنج ، ويسلموا البلد ، ففرج الله عن المسلمين وأمكنهم من  
حريقها ، اتفق لهم ذلك في هذا اليوم الذي غرقت فيه البطشة المذكورة ، فأرسل أهل البلد يشكون  
إلى السلطان شدة الحصار وقوته عليهم ، منذ قام ملك الانكليز لعنه الله ، ومع هذا قد مرض هو  
وجرح ملك الافرنسيين أيضاً ولا يزيدهم ذلك إلا شدة وغلظة ، وعتواً وبنياً ، وفارقهم الرئيس  
وسار إلى بلده صور خوفاً منهم أن يخرجوا ملكها من يده . وبعث ملك الانكليز إلى السلطان  
صلاح الدين يذكر له أن عنده جوارح قد جاء بها من البحر ، وهو على نية إرسالها إليه ، ولكنها  
قد ضمنت وهو يطلب دجاجاً وطيراً لتقوى به ، فعرف أنه إنما يطلب ذلك لنفسه يلفظها به ،  
فأرسل إليه شيئاً كثيراً من ذلك كرمياً ، ثم أرسل يطلب منه فاكهة وثلجاً فأرسل إليه أيضاً ، فلم يند  
معه الاحسان ، بل لما عوفي عاد إلى شر مما كان ، واشتد الحصار ليلاً ونهاراً ، فأرسل أهل البلد  
يقولون للسلطان إما أن تعملوا معنا شيئاً غداً وإلا طلبنا من الفرنج الصلح والأمان ، فشق ذلك  
على السلطان ، وذلك لأنه كان قد بعث إليها أسلحة الشام والديار المصرية وسائر السواحل ، وما  
كان غنمه من وقعة حطين ومن القدس ، فهي مشحونة بذلك ، فعند ذلك عزم السلطان على الهجوم  
على العدو ، فلما أصبح ركب في جيشه فرأى الفرنج قد ركبوا من وراء خندقهم ، والرجال منهم قد  
ضربوا سوراً حول الفرسان ، وهم قطعة من حديد صماء لا يتغذ فيهم شيء ، فأحجم عنهم لما يعلم من  
نكول جيشه عما يريد ، وتحدوه عليه شجاعته رحمه الله .

هذا وقد اشتد الحصار على البلد ودخلت الرجالة منهم إلى الخندق وعلقوا بدنة في السور  
وحشوها وأحرقوها ، فسقطت ودخلت الفرنج إلى البلد ، فما نعمهم المسلمون وقاتلوم أشد القتال ، وقتلوا  
من رؤسهم ستة أنفس ، فاشتد حنق الفرنج على المسلمين جدا بسبب ذلك ، وجاء الليل فحال بين  
الفريقين ، فلما أصبح الصباح خرج أمير المسلمين بالبلد أحمد بن المشطوب فاجتمع بملك الافرنسيين  
وطلب منهم الأمان على أنفسهم ، ويتسلمون منه البلد ، فلم يجبهم إلى ذلك ، وقال له : بعد ما سقط  
السور جئت تطلب الأمان ؟ فأغلظ له ابن المشطوب في الكلام ، ورجع إلى البلد في حالة الله بها  
عليه ، فلما أخبر أهل البلد بما وقع خافوا خوفاً شديداً ، وأرسلوا إلى السلطان يعلمونه بما وقع ، فأرسل

إليهم أن يسرعوا الخروج من البلد في البحر ولا يتأخروا عن هذه الليلة ، ولا يبقى بها مسلم ، فتشاغل كثير ممن كان بها لجمع الأمتعة والأسلحة ، وتأخروا عن الخروج تلك الليلة ، فما أصبح انخبر إلا عند الفرنج من مملوكين صغيرين سمعا بما رسم به السلطان ، فهربا إلى قومهما فأخبروهم بذلك ، فاحتفظوا على البحر احتفاظا عظيما ، فلم يتمكن أحد من أهل البلد أن يتحرك بحركة ، ولا يخرج منها شيء بالكلية ، وهذان المملوكان كانا أسيرين قد أسرها السلطان من أولاد الفرنج ، وعزم السلطان على كبس العدو في هذه الليلة ، فلم يوافق الجيش على ذلك ، وقالوا لا نخاطر بمسك المسلمين ، فلما أصبح بعث إلى ملوك الفرنج يطلب منهم الأمان لأهل البلد على أن يطلق عدتهم من الأسرى الذين نحت يده من الفرنج ، ويزيدهم صليب الصليبوت ، فأبوا إلا أن يطلق لهم كل أسير نحت يده ، ويطلق لهم جميع البلاد الساحلية التي أخذت منهم ، وبيت المقدس ، فأبى ذلك ، وترددت المراسلات في ذلك ، والحصار يتزايد على أسوار البلد . وقد تهدمت منه نلم كثيرة ، وأعاد المسلمون كثيرا منها ، وسدوا ثغر تلك الأماكن بنحورهم رحمة الله ، وصبروا صبرا عظيما ، وصابروا العدو ، ثم كان آخر الأمر ووصلهم إلى درجة الشهادة ، وقد كتبوا إلى السلطان في آخر أمرهم يقولون له : يامولانا لا تخضع ل هؤلاء الملاحين ، الذين قد أبوا عليك الاجابة إلى ما دعوتهم فينا ، فانا قد بايعنا الله على الجهاد حتى تقتل عن آخرنا ، وبالله المستعان .

فلما كان وقت الظهر في اليوم السابع من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ما شعر الناس إلا وأعلام الكفار قد ارتفعت ، وصلباتهم ونارهم على أسوار البلد ، وصاح الفرنج صيحة واحدة ، فعمظمت عند ذلك المصيبة على المسلمين ، واشتد حزن الموحدين ، وانحصر كلام الناس في إنا لله وإنا إليه راجعون ، وغشى الناس بهتة عظيمة ، وحيرة شديدة ، ووقع في عسكر السلطان الصياح والمويل ، ودخل المركيس لعنه الله وقد عاد إليهم من صور بهدايا فأهداها إلى الملوك ، فدخل في هذا اليوم حكا بأربعة أعلام الملوك فنصبها في البلد ، واحداً على المأذنة يوم الجمعة ، وآخر على القلعة ، وآخر على برج الداوية ، وآخر على برج القتال ، عوضاً عن أعلام السلطان ، وتميز المسلمون الذين بها إلى ناحية من البلد معتقلين ، محتاط بهم مضيق عليهم ، وقد أسروا النساء والأبناء ، وغنمت أموالهم ، وقيدت الأبطال وأهين الرجال ، والحرب سجال ، والحمد لله على كل حال .

فعند ذلك أمر السلطان الناس بالتأخر عن هذه المنزلة ، وثبت هو مكانه لينظر ما ذا يصنعون وما عليه يعملون ، والفرنج في البلد مشغولون مدهوشون ، ثم سار السلطان إلى العسكر وعنده من الهم ما لا يملكه إلا الله ، وجاءت الملوك الاسلامية ، والأمراء وكبراء الدولة يعزونه فيما وقع ، ويسلونهم على ذلك ، ثم راسل ملوك الفرنج في خلاص من بأيديهم من الأسارى فطلبوا منه عدتهم من أسراهم



ومائة ألف دينار ، وصليب الصليبوت إن كان باقياً ، فأرسل فأحضر المال والصليب ، ولم ينهيا له من الأسارى إلا ستائة أسير ، فطلب الفرنج منه أن يريهم الصليب من بعيد ، فلما رفع سجدوا له وألقوا أنفسهم إلى الأرض ، وبنثوا يطلبون منه ما أحضره من المال والأسارى ، فامتنع إلا أن يرسلوا إليه الأسارى أو يبعثوا له برهائن على ذلك ، فقالوا : لا ولكن أرسل لنا ذلك وارض بأمانتنا ، فعرف أنهم يريدون الغدر والمكر ، فلم يرسل إليهم شيئا من ذلك ، وأمر برد الأسارى إلى أهلهم بدمشق ، ورد الصليب إلى دمشق مهانا ، وأبرزت الفرنج خيامهم إلى ظاهر البلد وأحضروا ثلاثة آلاف من المسلمين فأوقفهم بعد العصر وحملوا عليهم حملة رجل واحد فقتلهم عن آخرهم في صعيد واحد ، رحمهم الله وأكرم مثوهم ، ولم يستبقوا بأيديهم من المسلمين إلا أميرا أو صبيا ، أو من يروته في عملهم قويا أو امرأة . وجرى الذي كان ، وقضى الأمر الذي فيه تستفتيان . وكان مدة إقامة صلاح الدين على عكا صابراً مصابراً مرابطاً سبعة وثلاثين شهراً ، وجملة من قتل من الفرنج خمسين ألفاً .

فصل في عكا

### فيما حدث بعد اخذ الفرنج عكا

ساروا برمتهم قاصدين عسقلان ، والسلطان بجيشه يسائرهم ويمارضهم منزلة منزلة ، والمسلمون يتخطفونهم ويسلبونهم في كل مكان ، وكل أسير أتى به إلى السلطان يأمر بقتله في مكانه ، وجرى خطوب بين الجيشين ، ووقعت متعددات ، ثم طالب ملك الانكاز أن يجتمع بالملك العادل أخى السلطان يطلب منه الصلح والأمان ، على أن يعاد لأهلها بلاد السواحل ، فقال له العادل : إن دون ذلك قتل كل فارس منكم وراجل ، فغضب اللعين ونهض من عنده غضبان ، ثم اجتمعت الفرنج على حرب السلطان عند غابة أرسوف ، فكانت النصره للمسلمين ، فقتل من الفرنج عند غابة أرسوف ألوف بعد ألوف ، وقتل من المسلمين خلق كثير أيضاً ، وقد كان الجيش فرعن السلطان في أول الوقعة ، ولم يبق معه سوى سبعة عشر مقاتلاً ، وهو ثابت صابر ، والكؤوسات لا تفتر ، والأعلام منشورة ، ثم تراجع الناس فكانت النصره للمسلمين ، ثم تقدم السلطان بعساكره فقتل ظاهر عسقلان ، فأشار ذوو الرأي على السلطان بتخريب عسقلان خشية أن يملكها الكفار ، ويجعلونها وسيلة إلى أخذ بيت المقدس ، أو يجرى عندها من الحرب والقتال نظير ما كان عند عكا ، أو أشد ، فبات السلطان ليلته مفكراً في ذلك ، فلما أصبح وقد أوقع الله في قلبه أن خرابها هو المصلحة ، فذكر ذلك لمن حضره ، وقال لهم والله لوت جميع أولادى أهون على من تخريب حجر واحد منها ،

ولكن إذا كان خرابها فيه مصلحة للمسلمين فلا بأس به ، ثم طلب الولاية وأمرهم بتخريب البلد سريعاً ، قبل وصول العدو إليها ، فشرع الناس في خرابه ، وأهله ومن حضره يتبا كون على حسنه وطيب مقيله ، وكثرة زروعه وثماره ، ونضارة أنهاره وأزهاره ، وكثرة رخامه وحسن بنائه . وأقيمت النار في سقوفه وأتلف ما فيه من الفلوات التي لا يمكن نحويلها ، ولا نقلها ، ولم يزل الخراب والحريق فيه من جمادى الآخرة إلى سلخ شعبان من هذه السنة .

ثم رحل السلطان منها في ثاني رمضان وقد تركها قائما صافصفاً ليس فيها مملكة لأحد ، ثم اجتاز بالرملة فحرب حصنها وخرّب كنيسة لد ، وزار بيت المقدس وعاد إلى الحميم سريعاً ، وبعث ملك الانكليز إلى السلطان إن الأمر قد طال وهلك الفرنج والمسلمون ، وإنما مقصودنا ثلاثة أشياء لا سواها ، رد الصليب وبلاد الساحل وبيت المقدس ، لا ترجع عن هذه الثلاثة ومناعين تطرف ، فأرسل إليه السلطان أشد جواب ، وأسد مقال ، فعزمت الفرنج على قصد بيت المقدس ، فتقدم السلطان بمجيئه إلى القدس ، وسكن في دار التساقس قريباً من قمامة ، في ذى القعدة ، وشرع في تحصين البلد وتعميق خنادقه ، وعمل فيه بنفسه وأولاده ، وعمل فيه الأمراء والقضاة والعلماء والصالحون ، وكان وقتنا مشهوداً ، والبزك حول البلد من ناحية الفرنج وفي كل وقت يستظرون على الفرنج ويقتلون ويأسرون ويفتنمون ، والله الحمد والمنة . وانقضت هذه السنة والأمر على ذلك .

وفيها على ما ذكره العماد تولى القضاء محي الدين محمد بن الزكي بدمشق . وفيها عدى أمير مكة داود بن عيسى بن فليته بن هاشم بن محمد بن أبي هاشم الحسني ، فأخذ أموال الكعبة حتى انتزع طوقاً من فضة كان على دائرة الحجر الأسود ، كان قد لم شمته حين ضربه ذلك القرمطي بالدبوس ، فلما بلغ السلطان خبره من الحجيج عزله وولى أخاه بكيرا ، ونقض القلعة التي كان بناها أخوه على أبي قبيس ، وأقام داود بنخلة حتى توفى بها سنة سبع وثمانين .

#### وفيها توفى من الأعيان الملك المظفر

تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، كان عزيزاً على عمه صلاح الدين ، استنابه بهصر وغيرها من البلاد ، ثم أقطمه حماه ومدنا كثيرة حولها في بلاد الجزيرة ، وكان مع عمه السلطان على عكا ، ثم استأذنه أن يذهب ليشرف على بلاده المجاورة للجزيرة والفرات ، فلما صار إليها اشتغل بها وامتدت عينه إلى أخذ خيرها من أيدي الملوك المجاورين له ، فقاتلهم فاتفق موته وهو كذلك ، والسلطان عمه غضبان عليه بسبب اشتغاله بذلك عنه ، وحمات جنازته حتى دفنت بحماه ، وله مدرسة هناك هائلة كبيرة ، وكذلك له بدمشق مدرسة مشهورة ، وعلمها أوتف كثيرة ، وقد أقام بالملك بعده ولده المنصور ناصر الدين محمد ، فأقره صلاح الدين على ذلك بعد جهد جهيد ، ووعد ووعد ، ولولا

السلطان العادل أخو صلاح الدين تشفع فيه لما أقره في مكان أبيه ، ولكن سلم الله ، توفي يوم الجمعة  
تاسع عشر رمضان من هذه السنة ، وكان شجاعاً فاتكاً .

### الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين

أمه ست الشام بنت أيوب ، واقفة الشاميتين بدمشق ، توفي ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان أيضاً  
فنجع السلطان ابن أخيه وابن أخته في ليلة واحدة ، وقد كانا من أكبر أعوانه ، ودفن بالترربة  
الحسامية ، وهي التي أنشأها أمه بحلة العونية ، وهي الشامية البرانية .

### الأمير علم الدين سليمان بن حيدر الحلبي

كان من أكابر الدولة الصلاحية ، وفي خدمة السلطان حيث كان ، وهو الذي أشار على السلطان  
بتخريب عسقلان ، واتفق مرضه بالقدس فاستأذن في أن يمرض بدمشق ، فأذن له ، فسار منها فلما  
وصل إلى غباغب مات بها في أواخر ذي الحجة . وفي رجب منها توفي الأمير الكبير نقيب دمشق .

### الصفى بن القاضى

وكان من أكبر أصحاب السلطان قبل الملك ، ثم استنابه على دمشق حتى توفي بها في هذه السنة .  
وفي ربيع الأول توفي الطيب الماهر أسعد بن المطران  
وقد شرف بالاسلام ، وشكره على طبه الخاص والعام .

### الجيوشاتي الشيخ نجم الدين

الذى بنى تربة الشافعى بمصر بأمر السلطان صلاح الدين ، ووقف عليها أوقافاً سنوية ، وولاه  
تدريسها ونظرها ، وقد كان السلطان يحترمه ويكرمه ، وقد ذكرته في طبقات الشافعية ، وما صنعه في  
المذهب من شرح الوسيط وغيره ، ولما توفي الجيوشاتي طلب التدريس جماعة فشجع الملك العادل  
عند أخيه في شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن حمويه ، فولاه إياه ، ثم عزله عنها بعد موت السلطان ،  
واستمرت عليه أيدي بني السلطان واحداً بعد واحد ، ثم عادت إليها الفقهاء والمدرسون بعد ذلك .

### ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان صلاح الدين نجيم بالقدس ، وقد قسم السور بين أولاده وأسرائه ، وهو يعمل  
فيه بنفسه ، ويحمل الحجر بين القربوسيين وبينه ، والناس يقتدون بهم ، والفقهاء والقراء يعملون ،  
والفرنج لعنهم الله حول البلد من ناحية عسقلان وما والاها ، لا يتجاسرون أن يقرؤا البلد من  
الحرس واليزك الذين حول القدس ، إلا أنهم على نية محاصرة القدس مصممون ، ولكيد الاسلام  
مجمعون ، وهم والحرس تارة يغلبون وتارة يغلبون ، وتارة ينهبون وتارة ينهبون . وفي ربيع الآخر

وصل إلى السلطان الأمير سيف الدين المشطوب من الأسر ، وكان نائباً على عكا حين أخذت ، فأتى نفسه منهم بخمسين ألف دينار ، فأعطاه السلطان شيئاً كثيراً منها ، واستنابه على مدينة نابلس ، فتوفي بها في شوال من هذه السنة . وفي ربيع الآخر قتل الماركيس صاحب صور لعنه الله ، وأرسل إليه ملك الانكليز اثنين من الفداوية قتلوه : أظهر التنصر ولزما الكنيسة حتى ظفرا به قتلوه ، وقتلوا أيضاً ، فاستناب ملك الانكليز عليها ابن أخيه بلام الكندر ، وهو ابن أخت ملك الافرنسيين لأبيه ، فهما خاله ، ولما صار إلى صور بنى بزوجة الماركيس بعد موته بلييلة واحدة ، وهي حبلى أيضاً ، وذلك لشدة العداوة التي كانت بين الانكليز وبينه ، وقد كان السلطان صلاح الدين بينهما ، ولكن الماركيس كان قد صانعه بعض شيء ، فلم يهن عليه قتله .

وفي تاسع جمادى الأولى استولى الفرنج لعنهم الله على قلعة الداروم فخر بها ، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وأسروا طائفة من الذرية ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ثم أقبلوا جملة نحو القدس فبرز إليهم السلطان في حزب الايمان ، فلما رأى الجمعان نكص حزب الشيطان راجعين ، فراراً من القتال والنزال ، وعاد السلطان إلى القدس . [ وقد رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ]

ثم إن ملك الانكليز لعنه الله - وهو أكبر ملوك الفرنج ذلك الحين - ظفر ببعض قلوب المسلمين فكبسهم ليلاً فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسرى منهم خمسمائة أسير ، وغنم منهم شيئاً كثيراً من الأموال والجمال ، والخليل والبغال ، وكان جملة الجمال ثلاثة آلاف بعير ، فتقوى الفرنج بذلك ، وساء ذلك السلطان مساة عظيمة جداً ، وخاف من غائلة ذلك ، واستخدم الانكليز الجمالة على الجمال ، والخر بندية على البغال ، والسياس على الخليل ، وأقبل وقد قويت نفسه جداً ، وصمم على محاصرة القدس ، وأرسل إلى ملوك الفرنج الذين بالساحل ، فاستحضرهم ومن معهم من المتقاتلة ، فتعباً السلطان لهم ونهياً ، وأكل السور وعمر الخنادق ، ونصب المنجانيق ، وأمر بتغوير ما حول القدس من المياه ، وأحضر السلطان أمراءه ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة : أبا الهيجاء المبسمين ، والمشطوب ، والأسدية ، فاستشارهم فيما قد دهمه من هذا الأمر الفظيع ، الموجع المؤلم ، فأفاضوا في ذلك ، وأشاروا كل برأيه ، وأشار العماد الكاتب بأن يتحالفوا على الموت عند الصخرة ، كما كان الصحابة يفعلون ، فأجابوا إلى ذلك . هذا كله والسلطان ساكت واجم مفكر ، فسكت القوم كأنما على رؤسهم الطير ، ثم قال : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله : اعلموا أنكم جند الاسلام اليوم ومنعته ، وأنتم تملكون أن دماء المسلمين وأموالهم وذراتهم في ذمكم معلقة ، والله عز وجل سائلكم يوم القيامة عنهم ، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه عن العباد والبلاد غيركم ،

فان وليتم والعياذ بالله طوى البلاد وأهلك العباد ، وأخذ الأموال والأطفال والنساء ، وعبد الصليب في المساجد ، وعزل القرآن منها والصلاة ، وكان ذلك كله في ذمكم ، فانكم أنتم الذين تصديتم لهذا كله ، وأكلم بيت مال المسلمين لتدفعوا عنهم عدوهم ، وتنصروا ضديفهم ، فالسلطون في سائر البلاد متعلقون بكم والسلام .

فانتدب لجوابه سيف الدين المشطوب وقال : يا مولانا نحن عماليكك وعبيدك ، وأنت الذي أعطيتنا وكبرتنا وعظمتنا ، وليس لنا إلا رقابنا ونحن بين يديك ، والله ما يرجع أحد منا عن نصرك حتى يموت . فقال الجماعة مثل ما قال ، وفرح السلطان بذلك وطاب قلبه ، ومد لهم سباطا حافلا ، وانصرفوا من بين يديه على ذلك . ثم بلغه بمد ذلك أن بعض الأمراء قال : إنا نخاف أن يجرى علينا في هذا البلد مثل ما جرى على أهل عكا ، ثم يأخذون بلاد الاسلام بلداً بلداً ، والمصلحة أن نلتقيهم بظاهر البلد ، فان هزمنام أخذنا بقية بلادهم ، وإن تكن الأخرى سلم العسكر ومضى بحاله ، ويأخذون القدس ونحفظ بقية بلاد الاسلام بدون القدس مدة طويلة ، وبمشوا إلى السلطان يقولون له : إن كنت تريدنا نقيم بالقدس تحت حصار الفرنج ، فكن أنت معنا أو بعض أهلك ، حتى يكون الجيش تحت أمرك ، فان الأكراد لا تطيع الترك ، والترك لا تطيع الأكراد . فلما بلغه ذلك شق عليه مشقة عظيمة ، وبات ليلته أجمع مهموماً كثيراً يفكر فيما قالوا ، ثم انجلى الأمر واتفق الحال على أن يكون الملك الأجد صاحب بعلبك مقبلاً عندهم نائباً عنه بالقدس ، وكان ذلك نهبوا الجمعة ، فلما حضر إلى صلاة الجمعة وأذن المؤذن للظهر قام فصلى ركعتين بين الأذانين ، وسجد وابتهل إلى الله تعالى ابتهاً عظيماً ، وتضرع إلى ربه ، وتمسك وسأله فيما بينه وبينه كشف هذه الضائقة العظيمة .

فلما كان يوم السبت من الغد جاءت الكتب من الحرس الذين حول البلد بأن الفرنج قد اختلفوا فيما بينهم ، فقال ملك الافرنسيين إنا إنما جئنا من البلاد البعيدة وأنفقنا الأموال المدينة في تخليص بيت المقدس ورده إلينا ، وقد بقي بيننا وبينه مرحلة ، فقال الانكليز إن هذا البلد شق علينا حصاره ، لأن المياه حوله قد عدت ، وإلى أن يأتي الماء من المشقة البعيدة يعطل الحصار ، ويتلف الجيش ، ثم اتفق الحال بينهم على أن حكموا منهم عليهم ثلاثمائة منهم ، فردوا أمرهم إلى اثني عشر منهم ، فردوا أمرهم إلى ثلاثة منهم ، فباتوا ليلتهم ينظرون ثم أصبحوا وقد حكموا عليهم بالرحيل ، فلم يمكنهم مخالفتهم فسحبوا راجعين لعنهم الله أجمعين ، فساروا حتى نزلوا على الرملة وقد طالت عليهم الغربة والرملة ، وذلك في بكرة الحادى والعشرين من جمادى الآخرة ، وبرز السلطان بمجيئه إلى خارج القدس ، وسار نحوهم خوفاً أن يسيروا إلى مصر ، لكثرة ما معهم من الظهر والأموال ، وكان الانكليز يلهج بذلك كثيراً ، فخذلهم الله عن ذلك ، وترددت الرسل من الانكليز إلى السلطان

في طلب الأمان ووضع الحرب بينه وبينهم ثلاث سنين ، وعلى أن يعيد لهم عسقلان وبهب له كنيسة بيت المقدس وهي القمامة ، وأن يمكن النصارى من زيارتها وحجها بلا شيء ، فامتنع السلطان من إعادة عسقلان وأطلق لهم قمامة ، وفرض على الزوار مالا يؤخذ من كل منهم ، فامتنع الانكليز إلا أن تعاد لهم عسقلان ، ويعمر سورها كما كانت ، فصمم السلطان على عدم الاجابة . ثم ركب السلطان حتى وافى يافا فحاصرها حصاراً شديداً ، فافتتحها وأخذوا الأمان لكبيرها وصغيرها ، فبينما هم كذلك إذ أشرفت عليهم مراكب الانكليز على وجه البحر ، فقويت رؤسهم واستعصت نفوسهم ، فهجم اللعين فاستعاد البلد وقتل من تأخر بهما من المسلمين صبراً بين يديه ، وتقهر السلطان عن منزلة الحصار إلى ما وراءها خوفاً على الجيش من معرفة الفرنج ، فجعل ملك الانكليز يتمجب من شدة سطوة السلطان ، وكيف فتح مثل هذا البلد العظيم في يومين ، وغيره لا يمكنه فتحه في عامين ، ولكن ماظننت أنه مع شهامته وصرامته يتأخر من منزلته بمجرد قدومي ، وأنا ومن معي لم نخرج من البحر إلا جرائد بلا سلاح ، ثم ألح في طلب الصلح وأن تكون عسقلان داخلية في صلحهم ، فامتنع السلطان ، ثم إن السلطان كبس في تلك الليالي الانكليز وهو في سبعة عشر مقاتلاً ، وحوله قليل من الرجالة فأكب بجيشه حوله وحصره حصاراً لم يبق معه نجاة ، لو صمم معه الجيش ، ولكنهم نكثوا كلهم عن الحملة ، فلا قوة إلا بالله ، وجعل السلطان يحرضهم غاية التحريض ، فكلمهم يمتنع كما يمتنع المريض من شرب الدواء .

هذا وملك الانكليز قد ركب في أصحابه وأخذ عدة قتاله ، وأهبة نزاله ، واستعرض الميمنة إلى آخر الميسرة ، يعني ميمنة المسلمين وميسرتهم ، فلم يتقدم إليه أحد من الفرسان ، ولا نهره بطل من الشجعان ، فعند ذلك كر السلطان راجعاً ، وقد أحزنه أنه لم ير من الجيش مطيعاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولو أن له بهم قوة لما ترك أحداً منهم يتناول من بيت المال فلساً . ثم حصل لملك الانكليز بعد ذلك مرض شديد ، فبعث إلى السلطان يطلب فأكفه وتلجأ فأمدته بذلك من باب الكرم ، ثم عوفي لعنه الله وتكررت الرسل منه يطلب من السلطان المصالحة لكثرة شوقه إلى أولاده وبلاده ، وطاوع السلطان على ما يقول وترك طلب عسقلان ، ورضى بما رسم به السلطان ، وكتب كتاب الصلح بينهما في سابع عشر شعبان ، وأكدت اليهود والمواثيق من كل ملك من ملوكهم ، وحلف الأسماء من المسلمين وكتبوا خطوطهم ، واكتفى من السلطان بالقول المجرد كما جرت به عادة السلاطين ، وفرح كل من الفريقين فرحاً شديداً ، وأظهروا سروراً كثيراً ، ووقعت الهدنة على وضع الحرب ثلاثين سنة وستة أشهر ، وعلى أن يقرم على ما بأيديهم من البلاد الساحلية ، وللمسلمين ما يقابلها من البلاد الجبلية ، وما بينهما من المعاملات تقسم على المناصفة ، وأرسل السلطان مائة نقاب صحبة

أمير لتخريب سور عسقلان وإخراج من بها من الفرنج .

وعاد السلطان إلى القدس فرتب أحواله ووطدها ، وسدد أموره وأكدها ، وزاد وقف المدرسة سوفا بدكا كينها وأرضا بيساتينها ، وزاد وقف الصوفية ، وعزم على الحج عامه ذلك ، فكتب إلى الحجاز واليمن ومصر والشام ليعلموا بذلك ، ويتأهبوا له ، فكتب إليه القاضي الفاضل ينهيه عن ذلك خوفاً على البلاد من استيلاء الفرنج عليها ، ومن كثرة المظالم بها ، وفساد الناس والمسكر وقلة نصيحهم وأن النظر في أحوال المسلمين خير لك عامك هذا ، والعدو نخيم بعد بالشام ، وأنت تعلم أنهم يهادنون ليتقوا ويكثروا ، ثم يكرروا ويفتروا ، فسمع السلطان منه وشكر نصحه وترك ما عزم عليه وكتب به إلى سائر الممالك ، واستمر مقبياً بالقدس جميع شهر رمضان في صيام وصلاة وقرآن ، وكما وفد أحد من رؤساء الفرنج للزيارة فعل معه غاية الأكرام ، تأليفاً لقلوبهم ، ولم يبق أحد من ملوكهم إلا جاء لزيارة القمامة متنكراً ، ويحضر سباط السلطان فيمن حضر من جمهورهم ، بحيث لا يرى . والسلطان لا يعلم ذلك جملة ولا تفصيلاً ، ولهذا كان يعاملهم بالأكرام ، ويربهم صنفاً جميلاً ، وبراً جزيلاً .

فلما كان في خامس شوال ركب السلطان في العساكر فبرز من القدس قاصداً دمشق ، واستتاب على القدس عز الدين جورديك ، وعلى قضائها بهاء الدين بن يوسف بن رافع بن تميم الشافعي ، فاجتاز على وادي الجيب وبات على بركة الداوية ، ثم أصبح في نابلس فنظر في أحوالها ، ثم رحل عنها ، فجل بمر بالقلع والحصون والبلدان فينظر في أحوالها ويكشف المظالم عنها ، وفي أثناء الطريق جاء إلى خدمته يمينه صاحب إنطاكية فأكرمه وأحسن إليه ، وأطلق له أموالاً جزيلاً وخلماً ، وكان العماد الكاتب في صحبته ، فأخبر عن منزله منزلة منزلة إلى أن قال : وعبر يوم الاثنين عين الحر إلى مرج بيوس ، وقد زال البوس ، وهناك وفد عليه أعيان دمشق وأمائلها ، ونزل يوم الثلاثاء على المرادة ، وجاءه هناك التحف والمنتقون على العادة ، وأصبحنا يوم الأربعاء سادس عشر شوال بكرة بجنة دمشق داخلين ، بسلام آمدين ، وكانت غيبة السلطان عنها أربع سنين ، فأخرجت دمشق أطفالها ، وأبرزت نساءها وأطفالها ورجالها ، وكان يوم الزينة ، وخرج أكثر أهل المدينة ، واجتمع أولاده الكبار والصغار ، وقدم عليه رسل الملوك من سائر الأمصار ، وأقام بقية عامه في اقتناص الصيد وحضور دار العدل ، والعمل بالاحسان والفضل . ولما كان عيد الأضحى امتدحه بعض الشعراء بقصيدة يقول فيها :

وأبها لولا تغزلُ عينا \* لما قلتُ في التغزلِ شعرا  
ولكانت مدائحُ الملكِ لنا \* صر إلى ما فيه أعملُ فكرا  
ملكٌ طبَّقَ الممالكَ بالمد \* ل منلما أوسع البريةَ برا

فيحل الأعياد صوماً وفطراً \* ويلقى الهنا برآً وبحراً  
 يأمر بالطاعات لله إن \* أضحي ملكاً على المناهي مصراً  
 نلت ما تسعى من الدين والدنيا \* فتبها على الملوك وغراً  
 قد جمعت المجدين أصلاً وفرعاً \* وملكك الدارين دنيا وأخرى

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث غزوة عظيمة بين صاحب غزنة شهاب الدين ملكها السبكتكيني وبين ملك الهند وأصحابه الذين كانوا قد كسروه في سنة ثلاث وثمانين ، فأظفروه الله بهم هذه السنة ، فكسروهم وقتل خلقاً منهم وأسر خلقاً ، وكان من جملة من أسره ملكهم الأعظم ، وثمانية عشر فيلاً ، من جملتها الذي كان جرحه ، ثم أحضر الملك بين يديه فأهانته ولم يكرمه ، واستحوذ على حصنه وأخبر بما فيه من كل جليل وحقير ، ثم قتله بعد ذلك ، وعاد إلى غزنة ، ووجد منصوراً ، مسروراً محبوراً .

وفيها اتهم أمير الحج ببغداد وهو طاشتكين ، وقد كان على إمرة الحج من مدة عشرين سنة ، وكان في غاية حسن السيرة ، واتهم بأنه يكتب صلاح الدين بن أيوب في أخذ بغداد ، فانه ليس بينه وبينها أحد يمانه عنها ، وقد كان مكذوباً عليه ، ومع هذا أهين وحبس وصودر .

### قضية الأعيان

ومن توفى فيها من الأعيان القاضي شمس الدين .

محمد بن محمد بن موسى

المعروف بابن الفراش ، كان قاضي المساكر بدمشق ، وبرزله السلطان إلى ملوك الآفاق ، ومات بمطية .

سيف الدين علي بن أحمد المشطوب

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه ، حضر معه الوقعات الثلاث بمصر ، ثم صار من كبراء أمراء صلاح الدين ، وهو الذي كان نائباً على عكا لما أخذوها الفرنج ، فأسروه في جملة من أسروا فأنقذ نفسه بخمسين ألف دينار ، وجاء إلى السلطان وهو بالقدس فأعطاه أكثرها ، وولاه نابلس . توفى يوم الأحد ثالث وعشرين شوال بالقدس ، ودفن في داره .

صاحب بلاد الروم عز الدين قلع أرسلان بن مسعود

ابن قلع أرسلان ، وكان قد قسم جميع بلاده بين أولاده ، طمعا في طاعتهم له ، فخالفوه ونجبروا وهتوا عليه ، وخفضوا قدره وارتفعوا ، ولم يزل كذلك حتى توفى في طمه هذا . وفي ربيع الآخر توفى الشاعر أبو المرف .



### نصر بن منصور النميري

سمع الحديث واشتغل بالأدب ، أصابه جدي وهو ابن أربعة عشرة سنة فنقص بصره جداً ، وكان لا يبصر الأشياء البعيدة ، ويرى القريب منه ، ولكن كان لا يحتاج إلى قائد ، فارتحل إلى العراق لمداواة عينيه فأيسته الأطباء من ذلك ، فاشتغل بحفظ القرآن ومصاحبة الصالحين فأفلح ، وله ديوان شعر كبير حسن ، وقد مثل مرة عن مذهبه واعتقاده فأنشأ يقول :

أحبُّ علياً والبتولَ وولدها \* ولا أجحدُ الشيخين فضلَ التقدمِ  
وأبرأ ممن نالَ عثمانُ بالأذى \* كما أتبرا من ولاءِ ابنِ ملجمِ  
ويعجبنى أهل الحديثِ لصدقهم \* فلستُ إلى قومٍ سوامٍ بمنسى  
توفى ببغداد ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب رحمه الله تعالى .



بحمد الله تعالى قد تم طبع الجزء الثاني عشر من البداية والنهاية للعلامة ابن كثير  
ويليه الجزء الثالث عشر وأوله سنة تسع وثمانين وخمسمائة هجرية  
على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية



فهرست الجزء الثاني عشر من كتاب البداية والنهاية

صحيفة	صحيفة
١١ ثم دخلت سنة اثنى عشرة وأربعمائة أبو سعد الماليني الحسن بن الحسين	٢ ثم دخلت سنة ست وأربعمائة الشيخ أبو حامد الاسفرايني أبو أحمد القرظي
١٢ الحسن بن منصور بن غالب الحسين بن عمرو محمد بن عمر	٣ الشريف الرضي باديس بن منصور الحميري
محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد أبو عبد الرحمن السلمي أبو علي الحسن بن علي الدقاق الشمسبوري	٤ ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة أحمد بن يوسف بن دوست الوزير فخر الملك
١٣ صريع الدلال الشاعر	٦ ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة شباشي أبو نصر
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ابن البواب الكاتب	٧ ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة رجاء بن عيسى بن محمد عبد الله بن محمد بن أبي علان علي بن نصر عبد الغني بن سعيد
١٤ علي بن عيسى محمد بن أحمد بن محمد بن منصور ابن النعمان	٨ محمد بن أمير المؤمنين محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد
١٦ ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربعمائة الحسن بن الفضل بن سهلان الحسن بن محمد بن عبد الله علي بن عبد الله بن جهم القاسم بن جعفر بن عبد الواحد	٩ ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة أحمد بن موسى بن مردويه هبة الله بن سلامة
١٧ محمد بن أحمد بن الحسن بن يحيى بن عبد الجبار محمد بن أحمد	١٠ ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربعمائة صفة مقتله لعنه الله

## صحيفة

- ٢٥ ثم دخلت سنة تسع عشرة واربعمائة  
 حمزة بن ابراهيم بن عبد الله  
 محمد بن محمد بن ابراهيم بن مخلد  
 مبارك الانماطي  
 ابو الفوارس بن بهاء الدولة  
 ابو محمد بن الساد  
 ابو عبد الله المتكلم  
 ابن غلبون الشاعر
- ٢٦ ثم دخلت سنة عشرين واربعمائة  
 الحسن بن ابي القين  
 علي بن عيسى بن الفرج بن صالح  
 اسد الدولة
- ثم دخلت سنة احدى وعشرين واربعمائة  
 ٢٩ احمد بن عبد الله بن احمد  
 الحسين بن محمد الخليج  
 الملك الكبير العادل
- ٣١ ثم دخلت سنة ائنتين وعشرين واربعمائة  
 خلافة القائم بالله  
 الحسن بن جعفر  
 عبد الوهاب بن علي
- ٣٢ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين واربعمائة  
 ٣٤ روح بن محمد بن احمد  
 علي بن محمد بن الحسن  
 محمد بن الطيب  
 ٣٥ علي بن هلال
- ثم دخلت سنة اربع وعشرين واربعمائة  
 احمد بن الحسين بن احمد
- ثم دخلت سنة خمس وعشرين واربعمائة  
 ٣٦ احمد بن محمد بن احمد بن غالب

## صحيفة

- هلال بن محمد  
 ثم دخلت سنة خمس عشرة واربعمائة  
 احمد بن محمد بن عمر بن الحسن  
 ١٨ احمد بن محمد بن احمد  
 عبيد الله بن عبد الله  
 عمر بن عبد الله بن عمر  
 محمد بن الحسن ابو الحسن  
 ثم دخلت سنة ست عشرة واربعمائة  
 ١٩ سابور بن ازدشير  
 عثمان النيسابوري  
 محمد بن الحسن بن صالحان  
 الملك شرف الدولة  
 التهاجي الشاعر
- ٢٠ ثم دخلت سنة سبع عشرة واربعمائة  
 احمد بن محمد بن عبد الله  
 ٢١ جعفر بن ايات  
 عمر بن احمد بن عبدويه  
 علي بن احمد بن عمر بن حفص  
 ساعد بن الحسن  
 القفال المروزي
- ٢٢ ثم دخلت سنة ثمان عشرة واربعمائة  
 ٢٣ احمد بن محمد بن عبد الله  
 الحسين بن علي بن الحسين  
 محمد بن الحسن بن ابراهيم  
 ابو القاسم الدلكاني  
 ٢٤ ابو القاسم بن امير المؤمنين القادر  
 ابن طباطبا الشريف  
 ابو اسحاق  
 القنوري

صحيفة	صحيفة
هبة الله بن علي بن جعفر أبو زيد الدبوسي	٣٧ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد أبو علي البندنيجي
٤٧ الحوفي صاحب إعراب القرآن ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة إسماعيل بن أحمد بشرى الفاتني محمد بن علي	عبد الوهاب بن عبد العزيز غريب بن محمد
٤٨ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة محمد بن الحسين	ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة ٣٨ أحمد بن كليب الشاعر ٣٩ الحسن بن أحمد الحسن بن عثمان
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بهرام بن منافيه ٥٠ محمد بن جعفر بن الحسين مسعود الملك بن الملك محمود	ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة أبو زر الهروي ٥١ محمد بن الحسين	٤٠ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة القنوي أحمد بن محمد الحسن بن شهاب ٤١ لطف الله أحمد بن عيسى محمد بن أحمد محمد بن الحسن
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة أبو كاليبجار يملك بغداد بعد أخيه جلال الدولة الحسين بن عثمان عبد الله بن أبي الفتح	ميار الديلمي الشاعر ٤٢ هبة الله بن الحسن أبو علي بن سينا
٥٢ الملك جلال الدولة ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة الحسين بن علي عبد الوهاب بن منصور	٤٣ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة ٤٤ الثعالبي صاحب يتيمة الدهر الاستاذ أبو منصور
٥٣ الشريف المرتضى محمد بن أحمد	ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة ٤٥ الخافظ أبو نعيم الأصبهاني الحسن بن حفص الحسين بن محمد بن الحسن ٤٦ عبد الملك بن محمد محمد بن الحسين بن خلف محمد بن عبد الله الفضل بن منصور

- قرواش بن مقلد  
مودود بن مسمود  
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة  
٦٣ محمد بن محمد بن أحمد  
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة  
الحسن بن علي  
علي بن الحسين  
القاضي أبو جعفر  
ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة  
أحمد بن عمر بن روح  
إسماعيل بن علي  
عمر بن الشيخ أبي طالب المكي  
محمد بن أحمد  
محمد بن أبي تمام  
ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة  
الحسن بن جعفر بن محمد  
عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن  
ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة  
الحسين بن علي  
علي بن الحسن بن علي  
ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة  
٦٨ علي بن أحمد بن علي بن سلك  
٧٠ هلال بن الحسن  
ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة  
٧٢ أحمد بن عبدالله بن سليمان  
٧٦ الأستاذ أبو عثمان الصابوني  
ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة  
٧٩ الحسن بن محمد أبو عبدالله الوالي

- أبو الحسن البصري المعتزلي  
٥٤ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة  
خديجة بنت موسى  
أحمد بن يوسف السليكي المنازي  
٥٥ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة  
الشيخ أبو محمد الجويني  
٥٦ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة  
أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد  
عبد الواحد بن محمد  
محمد بن الحسن بن علي  
محمد بن أحمد بن موسى  
٥٧ المظفر بن الحسين  
محمد بن علي بن إبراهيم  
الشيخ أبو علي السنجي  
ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة  
٥٨ الحسن بن عيسى بن المقتدر  
هبة الله بن عمر بن أحمد بن عثمان  
علي بن الحسن  
محمد بن جعفر بن أبي الفرج  
محمد بن جعفر بن إبراهيم  
٥٩ الملك أبو كاليجار  
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة  
٦٠ أحمد بن محمد بن منصور  
علي بن الحسن  
عبد الوهاب بن القاضي الماوردي  
الحافظ أبو عبد الله الصوري  
٦١ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة  
٦٢ علي بن عمر بن الحسن  
عمر بن ثابت

صحيحة	صحيحة
٩٠ زهير بن علي بن الحسن بن حزام سعيد بن مروان الملك أبو طالب	داود أخو طغرل بك أبو الطيب الطبري القاضي الماوردي ٨٠
ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة ٩١ ابن حزم الظاهري	رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة منصور بن الحسين
٩٢ عبد الواحد بن علي بن برهان	ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ٨٢ فصل
ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة ٩٣ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة	٨٣ مقتل البساسيري على يدي السلطان طغرل بك
٩٤ الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي الحسن بن غالب	٨٤ ترجمة أرسلان أبو الحارس البساسيري التركي
٩٥ القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي ابن سيده	الحسن بن الفضل علي بن محمود بن إبراهيم بن ماجره ٨٥ محمد بن علي الوئي الفرضي
ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة ٩٦ محمد بن اسماعيل بن محمد	ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة أبو منصور الجيايي الحسن بن محمد محمد بن عبيد الله قطر الندى
ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة ٩٧ عبد الملك بن محمد بن يوسف بن منصور	ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ٨٧ أحمد بن مروان
أبو جعفر بن محمد بن الحسن الطوسي ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة ٩٨ الفوراني صاحب الأبانة	ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة ٨٨ شمال بن صالح
ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة ١٠٠ محمد بن أحمد بن سهل	الحسن بن علي بن محمد الحسين بن أبي يزيد سهل بن محمد بن منصور
١٠١ أحمد بن علي	ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة دخول الملك طغرل بك علي بنت الخليفة
١٠٣ حسان بن سعيد	
أمين بن محمد بن الحسن بن حمزه الشيخ الأجل أبو عمر عبد البر النعمري ابن زيدون	
١٠٥ كريمة بنت أحمد	

ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة

زكريا بن محمد بن حيد

محمد بن أحمد

محمد بن أحمد بن شاره

ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة

١٠٦ وفاة السلطان ألب ارسلان وملك ولده

ملكشاه

١٠٧ السلطان ألب ارسلان

أبو القاسم القشيري

١٠٨ ابن صربر

محمد بن علي

ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة

١٠٩ غرق بغداد

أحمد بن محمد بن الحسن السمناني

عبد العزيز بن أحمد بن علي

المالودية

ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة

١١٠ موت الخليفة القائم بأمر الله

خلافة المقتدي بأمر الله

١١٢ الخليفة القائم بأمر الله

الداودي

أبو الحسن علي بن الحسن

ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة

١١٣ محمد بن علي

محمد بن القاسم

محمد بن محمد بن عبد الله

محمد بن نصر بن صالح

مسعود بن الحسن

١١٤ الواحدي المفسر

ناصر بن محمد

يوسف بن محمد بن الحسن

ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة

اسفهدوست بن محمد بن الحسن بن

منصور الديلمي

ظاهر بن أحمد بن باشاذ

عبدالله بن محمد بن عبد الله

١١٧ حيان بن خلق

أبو نصر السجزي الواهلي

محمد بن علي بن الحسين

ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة

١١٨ أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب

أحمد بن محمد

أحمد بن عبد الملك

عبد الله بن الحسن بن علي

عبد الرحمن بن منده

عبد الملك بن محمد

١١٩ الشريف أبو جعفر الحنبلي

محمد بن محمد بن عبد الله

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

١٢٠ سعد بن علي

سليم بن الجوزي

عبدالله بن شمعون

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة

عبد الملك بن الحسن بن أحمد بن حبرون

محمد بن محمد بن أحمد

هياج بن عبدالله

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

١٢١ أحمد بن محمد بن عمر

الصليحي

## صحيفة

محمد بن الحسين

١٢٢ يوسف بن الحسن

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة

داود بن السلطان بن ملك شاه

القاضي أبو الوليد الباجي

١٢٣ أبو الأغر ديهس بن علي بن مزيد

عبد الله بن أحمد بن رضوان

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة

عبد الوهاب بن محمد

ابن ماسكولا

١٢٤ ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة

الشيخ أبو إسحاق الشيرازي

١٢٥ طاهر بن الحسين

محمد بن أحمد بن اسماعيل

محمد بن أحمد بن الحسين بن جرادة

١٢٦ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة

أحمد بن محمد بن دويست

ابن الصباغ

١٢٧ مسعود بن ناصر

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

أحمد بن محمد بن الحسن

الحسن بن علي

١٢٨ أبو سعد المتولي

إمام الحرمين

١٢٩ محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد

أبو عبدالله الدامغاني القاضي

١٣٠ محمد بن علي بن المطلب

محمد بن طاهر العباسي

منصور بن ديبس

هبة الله بن أحمد بن السبيعي

## صحيفة

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

١٣١ الأمير جعفر بن سابق القشيري

١٣٢ الأمير جنفل قتلغ

علي بن فضال المشاجعي

علي بن أحمد التستري

يحيى بن اسماعيل الحسيني

ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة

١٣٣ اسماعيل بن إبراهيم

طاهر بن الحسين البندنيجي

محمد بن أمير المؤمنين المعتدي

محمد بن محمد بن زيد

١٣٤ محمد بن هلال بن الحسن

هبة الله بن علي

أبو بكر بن عمر أمير المثلثين

فاطمة بنت علي

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

١٣٥ أحمد بن السلطان ملكشاه

عبدالله بن محمد

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة

عبد الصمد بن أحمد بن علي

علي بن أبي يعلى

١٣٦ عاصم بن الحسن

محمد بن أحمد بن حامد

محمد بن أحمد بن عبدالله

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

الوزير أبو نصر بن جبير

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

١٣٨ عبد الرحمن بن أحمد

محمد بن أحمد بن علي



- محمد بن عبد الله بن الحسن  
ارتق بن الب التركاني  
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة  
١٤٠ جعفر بن يحيى بن عبد الله  
نظام الملك الوزير  
١٤١ عبد الباقي بن محمد بن الحسين  
١٤٢ مالك بن أحمد بن علي  
السلطان ملكشاه  
١٤٤ باني التاجيه ببغداد  
هبة الله بن عبد الوارث  
ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة  
١٤٥ جعفر بن المقتدي بالله  
سليمان بن ابراهيم  
عبد الواحد بن أحمد بن الحسن  
علي بن أحمد بن يوسف  
علي بن محمد بن محمد  
أبو نصر علي بن هبة الله ، ابن  
ماكولا  
١٤٦ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة  
صفة موته  
شيء من ترجمة المقتدي بأمر الله  
خلافة المستظهر بأمر الله أبي العباس  
١٤٧ اقسنقر الأتابك  
أمير الجيوش بدر الجمالي  
١٤٨ الخليفة المقتدي  
الخليفة المستنصر الفاطمي

- محمد بن أبي هاشم  
محمود بن السلطان ملكشاه  
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة  
١٤٩ الحسن بن أحمد بن خيرون  
تنش أبو المظفر  
١٥٠ رزق الله بن عبد الوهاب  
أبو سيف القزويني  
أبو شعاع الوزير  
١٥١ القاضي ابو بكر الشاشي  
١٥٢ أبو عبد الله الحميدي  
هبة الله ابن الشيخ أبي الوفا بن عقيل  
ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة  
١٥٣ عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله  
عبد المحسن بن أحمد الشنجي  
عبد الملك بن ابراهيم  
محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور  
أبو المظفر السمعاني  
١٥٤ ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة  
من الهجرة  
أحمد بن محمد بن الحسن  
١٥٥ المعمر بن محمد  
يحيى بن أحمد بن محمد البستي  
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة  
طراد بن محمد بن علي

## صحيفة

١٥٦ المظفر أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء  
أبو القاسم

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة  
وفيها أخذت الفرنج بيت المقدس

١٥٧ السلطان إبراهيم بن السلطان محمود  
عبد الباقي بن يوسف

أبو القاسم ابن إمام الحرمين

١٥٨ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة  
عبد الرزاق الفزنوي الصوفي

١٥٩ الوزير عميد الدولة بن جبير  
ابن جزلة الطبيب

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة  
١٦٠ أحمد بن محمد

عبد الله بن الحسن

عبد الرحمن بن أحمد

عزيز بن عبد الملك

١٦١ محمد بن أحمد

محمد بن الحسن

محمد بن علي بن عبيد الله

محمد بن منصور

محمد بن منصور القسري

نصر بن أحمد

١٦٢ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة

أبو القاسم صاحب مصر

## صحيفة

محمد بن هبة الله

ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة  
١٦٣ أحمد بن علي

أبو المعالي

السيدة بنت القائم بأمر الله

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة  
١٦٤ أزدشير بن منصور

إسماعيل بن محمد

العلاء بن الحسن بن وهب

محمد بن أحمد بن عمر

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة  
السلطان بركيارق بن ملكشاه

١٦٥ عيسى بن عبد الله

محمد بن أحمد بن إبراهيم

أبو علي الخيالي الحسين بن محمد

محمد بن علي بن الحسن بن أبي

الصقر

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة  
١٦٦ أبو الفتح الحاكم

محمد بن أحمد

محمد بن عبيد الله بن الحسن

مهارش بن مجلى

ثم دخلت سنة خمسمائة من الهجرة

## صحيفة

- محمد بن محمد بن محمد  
 ١٧٤ ثم دخلت سنة ست وخمسمائة  
 ١٧٥ صاعد بن منصور  
 محمد بن موسى بن عبدالله  
 المعمر بن المعمر  
 أبو علي المعري  
 نزهة  
 أبو سعد السمعاني  
 ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة  
 ١٧٦ إسماعيل بن الحافظ أبي بكر بن  
 الحسين البيهقي  
 شجاع بن أبي شجاع  
 محمد بن أحمد  
 محمد بن طاهر  
 ١٧٧ أبو بكر الشاشي  
 ١٧٨ المؤتمن بن أحمد  
 ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة  
 ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة  
 ١٧٩ إسماعيل بن محمد  
 منجب بن عبدالله المستظري  
 عبدالله بن المبارك  
 يحيى بن تميم بن المعز بن باديس  
 ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة  
 عقيل بن الإمام أبي الوفا

## صحيفة

- ١٦٧ قتل فخر الملك أبو المظفر  
 ١٦٨ أحمد بن محمد بن المظفر  
 جعفر بن محمد  
 عبد الوهاب بن محمد  
 ١٦٩ محمد بن إبراهيم  
 يوسف بن علي  
 ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة من  
 الهجرة  
 ١٧٠ تميم بن المعز بن باديس  
 صدقة بن منصور  
 ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمائة  
 الحسن العلوي  
 الحسن بن علي  
 الروباني صاحب البحر  
 ١٧١ يحيى بن علي  
 ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة  
 أحمد بن علي  
 عمر بن عبد الكريم  
 ١٧٢ محمد ويعرف بأخي حماد  
 ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة  
 ادريس بن حمزه  
 علي بن محمد  
 ١٧٣ ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

## صحيفة

١٨٠ علي بن أحمد بن محمد  
محمد بن منصور  
محمد بن أحمد بن طاهر  
محمد بن علي بن محمد  
مخفوظ بن أحمد

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة  
١٨١ القاضي المرتضى  
محمد بن سعد

١٨٢ أمير الحاج  
وفاة الخليفة المستظهر بالله

ثم دخلت سنة إثنين عشرة وخمسمائة  
وفاة الخليفة المستظهر بالله  
خلافة المسترشد أمير المؤمنين

١٨٣ الخليفة المستظهر

أرجوان الأرمنية

بكر بن محمد بن علي

الحسين بن محمد بن عبد الوهاب

يوسف بن أحمد أبو طاهر

أبو الفضل بن الخازن

١٨٤ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

ابن عقيل

١٨٥ أبو الحسن علي بن محمد الدامغاني

المبارك بن علي

ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة

## صحيفة

١٨٧ أحمد بن عبد الوهاب بن السني

عبد الرحيم بن عبد الكبير

١٨٨ عبد العزيز بن علي

ثم دخلت سنة خمس عشر وخمسمائة

ابن القطاع اللغوي أبو القاسم علي

بن جعفر بن محمد

أبو القاسم شاهنشاه

١٨٩ عبد الرزاق بن عبدالله

خاتون السفريه

١٩٠ الطغراني

ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة

١٩١ عبدالله بن أحمد

علي بن أحمد السميري

الحريري صاحب المقامات

١٩٣ البغوي المفسر

ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة

أحمد بن محمد

١٩٤ ثم دخلت سنة ثمان عشر وخمسمائة

أحمد بن علي بن برهان

عبدالله بن محمد بن جعفر

أحمد بن محمد

ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة

١٩٥ أقتنقر البرشقي

بلال بن عبد الرحمن

## صحيفة

- الحسن بن سليمان  
حماد بن مسلم  
٢٠٣ علي بن المستظهر بالله  
محمد بن أحمد  
عمود السلطان بن السلطان  
ملكشاه  
هبة الله بن محمد  
ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة  
٢٠٤ أحمد بن عبيد الله  
محمد بن محمد بن الحسين  
ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة  
٢٠٥ أحمد بن ملامه  
أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل  
ابن الزاغوني الحنبلي  
الحسن بن محمد  
علي بن يعلي  
محمد بن أحمد  
محمد بن محمد  
٢٠٦ أبو محمد عبد الجبار  
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة  
أحمد بن علي بن إبراهيم  
أبو علي الفارقي  
٢٠٧ عبد الله بن محمد  
محمد بن أحمد

## صحيفة

- القاضي أبو سعد الهروي  
ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة  
١٩٦ أحمد بن محمد بن محمد  
أحمد بن علي  
١٩٧ بهرام بن بهرام  
صاعد بن ميار  
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة  
١٩٨ محمد بن عبد الملك  
فاطمة بنت الحسين بن الحسن  
ابن فضلويه  
أبو محمد عبد الله بن محمد  
ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة  
١٩٩ الحسن بن علي بن صدقه  
الحسين بن علي  
طغتكين الأتابك  
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة  
٢٠٠ أسعد بن أبي نصر  
ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة  
قتل خليفة مصر  
٢٠١ إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد  
الحسين بن محمد  
محمد بن سعدون بن مرجا  
٢٠٢ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة  
أحمد بن محمد بن عبد القاهر الصوفي

محمد بن عبد الواحد الشافعي  
 أم خليفه  
 ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة  
 خلافة الراشد بالله  
 ٢٠٩ أحمد بن محمد بن الحسين  
 إسماعيل بن عبد الله  
 دبيس بن صدقه  
 طغرل السلطان بن السلطان  
 محمد بن ملكشاه  
 علي بن محمد النروجاني  
 الفضل أبو منصور  
 ٢١٠ ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة  
 خلافة المقتفى لأمر الله  
 فائدة حسنه ينبغي التنبه لها  
 ٢١١ محمد بن حمويه  
 محمد بن عبد الله  
 محمد بن الفضل  
 ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة  
 ٢١٢ أحمد بن محمد بن ثابت  
 هبة الله بن أحمد  
 ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة  
 ٢١٣ أحمد بن محمد  
 عبد المنعم بن عبد الكريم  
 محمد بن عبد الملك  
 الخليفة الراشد

٢١٤ أنوشروان بن خالد  
 ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة  
 زاهر بن طاهر  
 ٢١٥ يحيى بن يحيى بن علي  
 ٢١٦ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة  
 ٢١٧ أحمد بن جعفر  
 عبد السلام بن الفضل  
 ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة  
 إسماعيل بن محمد  
 محمد بن عبد الباقي  
 ٢١٨ يوسف بن أيوب  
 ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة  
 إسماعيل بن أحمد بن عمر  
 يحيى بن علي  
 ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة  
 ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة  
 ٢١٩ عبد الوهاب بن المبارك  
 علي بن طراد  
 الرخشري محمود  
 ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة  
 إبراهيم بن محمد بن منصور  
 سعد بن محمد  
 عمر بن إبراهيم  
 ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة  
 أحمد بن محمد  
 علي بن أحمد

٢٢٨ قطز الخادم

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة

الحسن بن ذي النون

عبد الملك بن عبد الوهاب

عبد الملك بن أبي نصر بن عمر

الفقيه أبو بكر بن العربي

٢٢٩ ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة

برهان الدين أبو الحسن بن علي البلخي

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة

٢٣٠ المظفر بن أرشير

مسعود السلطان

يعقوب الخطاط الكاتب

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

٢٣١ بالفردق وجرير

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة

ملك السلطان نور الدين الشهيد بدمشق

٢٣٢ الرئيس مؤيد الدولة

عطاء الخادم

ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة

هجريه

فتح بعلبك بيد نور الدين الشهيد

٢٣٣ محمد بن ناصر

مجلي بن جميع أبو المعالي

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

٢٣٤ حصار بغداد

موهوب بن أحمد

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين

وخمسمائة

٢٢١ زنكي بن أقسقر

سعد الخير

٢٢٢ شافع بن عبد الرشيد

عبد الله بن علي

عباس - شحنة الري

محمد بن طراد

وجيه بن طاهر

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة

٢٢٣ أسعد بن عبيد الله

أبو محمد عبد الله بن محمد

نصر الله بن محمد

هبة الله بن علي

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

٢٢٤ إبراهيم بن محمد

شاهان شاه بن ايوب

٢٢٥ علي بن الحسين

أبو الحجاج يوسف بن درباس

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة

٢٢٦ أحمد بن نظام الملك

أحمد بن محمد

٢٢٧ عيسى بن هبة الله

غازي بن أقسقر

## صحيفة

علي بن الحسين

٢٣٥ محمود بن إسماعيل بن قادوس

الشيخ أبو البيان

عبد الغافر بن إسماعيل

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة

٢٣٩ أحمد بن محمد

أحمد بن بختيار

٢٢٧ السلطان سنجر

محمد بن عبد اللطيف

محمد بن المبارك

يحيى بن عيسى

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

٢٣٨ عبد الأول بن عيسى

نصر بن منصور

يحيى بن سلامه

٢٤٠ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة

أحمد بن معالي

السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه

٢٤١ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة

أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله

خلافة المستنجد بالله أبو المظفر

يوسف بن المقتفي

٢٤٢ الفائز خليفة مصر الفاطمي

خسر وشاه بن ملكشاه

## صحيفة

ملكشاه بن السلطان محمود بن

محمد بن ملكشاه

قياز بن عبد الله الأرجواني

٢٤٣ الأمير مجاهد الدين

الشيخ عدي بن مسافر

عبد الواحد بن أحمد

محمد بن يحيى

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة

٢٤٥ حمزة بن علي بن طلحة

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة

شجاع شيخ الحنفية

صدقة بن وزير الواعظ

زمرد خاتون

٢٤٦ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

أبو محمد عبد المؤمن بن علي

٢٤٧ طلحة بن علي

محمد بن عبد الكريم

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة

٢٤٨ وقعة حارم

جمال الدين

٢٤٩ ابن الخازن الكاتب

ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة

عمر بن بليقا

محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد



٢٥٠ مرجان الخادم

ابن التلميذ

الوزير ابن هبيرة

٢٥١ ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسمائة

الحسن بن العباس

عبد العزيز بن الحسن

٢٥٢ الشيخ عبد القادر الجيلي

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة

فتح الأسكندرية على يدي أسد

الدين شيركوه

٢٥٣ برغش أمير الحاج سنين متعددة

أبو المعالي الكاتب

الرشيد الصدي

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة

جعفر بن عبد الواحد

أبو سعد السمعاني

عبد القاهر بن محمد

محمد بن عبد الحميد

٢٥٥ يوسف بن عبدالله

ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة

٢٥٧ صفة الخلعة التي لبسها صلاح الدين

ذكر قتل الطواشي

٢٥٨ وقعة السودان

سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي

٢٥٩ شاور بن مجير الدين

شيركوه بن شادي

٢٦٠ محمد بن عبدالله بن عبد الواحد

محمد للفارقي

المعمر بن عبد الواحد

ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة

٢٦١ الملك قطب الدين مودود بن زنكي

ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة

خلافة المستضيء

٢٦٤ طاهر بن محمد بن طاهر

يوسف القاضي

يوسف بن الخليفة

ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة

فيها كانت وفاة العاضد صاحب مصر

موت العاضد آخر خلفاء العبديين

٢٦٩ عبدالله بن احمد

محمد بن محمد بن محمد

ناصر بن الجوني الصوفي

نصر الله [ بن عبدالله ] أبو الفتوح

ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة

٢٧١ إيلدكز التركي الاتابكي

الأمير نجم الدين أبو الشكر أيوب بن شادي

٢٧٢ الحسن بن ضافي بن بزذن التركي

٢٧٣ ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة

٢٧٤ مقتل عمارة بن أبي الحسن

٢٧٦ وعمار اليميني الشاعر

ابن قسرول

فصل ٢٧٧

في وفاة الملك نور الدين محمود زنكي  
وذكر شيء من سيرته العادة

٢٨٤ صفة نور الدين رحمه الله تعالى

فصل ٢٨٥

٢٨٦ الحسن بن الحسن

الأهوازي

محمود بن زنكي بن آقسنقر

٢٨٧ الخضر بن نصر

ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة

فصل ٢٨٨

فصل

٢٩١ روح بن أحمد

شملة التركماني

قياز بن عبد الله

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة

فصل ٢٩٢

٢٩٤ علي بن الحسن بن هبة الله

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة

٢٩٦ علي بن عساكر

محمد بن عبد الله

٢٩٧ الخطيب شمس الدين

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

٢٩٨ صدقة بن الحسين

٢٩٩ محمد بن أسعد بن محمد

محمود بن تمش شهاب الدين الحارمي

فاطمة بنت نصر العطار

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة

٣٠١ أسعد بن بلدرك الجبريلي

الحيص بيص

٣٠٢ محمد بن نسيم

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة

٣٠٣ ذكر تخريب حصن الأحزان

٣٠٤ وفاة المستضيء بإمر الله وشيء من ترجمته

إبراهيم بن علي

٣٠٥ إسماعيل بن موهوب

المبارك بن علي بن الحسن

خلافة الناصر لدين الله أبي العباس

أحمد بن المستضيء

ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة

٣٠٦ وفاة السلطان توران شاه

الحافظ أبو طاهر السلفي

٣٠٨ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة

وفاة الملك الصالح بن نور الدين الشهيد

صاحب حلب وما جرى بعده من الأور

٣١٠ الشيخ كمال الدين أبو البركات

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

## صحيفة

- ٣٢٩ الأمير شمس الدين محمد بن عبد  
الملك بن مقدم  
محمد بن عبيد الله  
نصر بن فتيان بن مطر  
أبو الحسن الداغاني  
ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة  
٢٣٠ فصل في فتح صفد وحصن كوكب  
٣٣١ الأمير الكبير سادلة الملوك والسلاطين  
٣٣٢ أبو محمد عبد الله بن علي  
الحازمي الحافظ  
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة  
قصة عكا وما كان من أمرها  
٣٤٣ القاضي شرف الدين أبو سعد  
٣٣٤ أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان  
الفقيه الأمير ضياء الدين عيسى الهكاري  
المبارك بن المبارك الكرخي  
ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة  
٣٣٧ فصل  
٣٣٨ فصل  
فصل  
٣٣٩ فصل  
٣٤٠ فصل  
فصل

## صحيفة

- ٣١١ فصل  
فصل في وفاة المنصور عز الدين  
٣١٢ الشيخ أبو العباس  
الشيخ بن عبد الملك بن مسعود بن  
بشكوال  
العلامة قطب الدين أبو المعالي  
ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة  
٣١٤ فصل  
فصل  
ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة  
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة  
٣١٧ عبدالله بن أسعد الموصل  
الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه  
العمودي بن محمد بن علي بن اسماعيل  
الأمير سعد الدين مسعود  
الست جقاتون عصمت الدين  
٣١٨ الحافظ الكبير أبو موسى المديني  
السبيلي أبو القاسم  
ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة  
٣١٩ أبو محمد عبدالله بن أبي الوحش  
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة  
٣٢٣ فتح بيت المقدس في هذه السنة  
٣٢٤ أول جمعه أقومت ببيت المقدس بعد فتحه  
٣٢٦ نكته غريبة  
٣٢٧ فصل  
٣٢٨ الشيخ عبد المغيث بن زهير الحربي

صحيفة

٣٤١ ملك الألمان

محمد بن محمد بن عبد الله

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة

٣٤٢ فصل

في كيفية اخذ العدو عكا من يد السلطان

٣٤٥ فصل

فما حدث بعد اخذ الفرنج عكا

٣٤٦ الملك المظفر

٣٤٧ الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين

الأمير علم الدين سليمان بن حيدر الحلبي

صحيفة

الصفى بن الفاضل

الطبيب الماهر أسعد بن المطران

الجيو شاتي الشيخ نجم الدين

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

٣٥٢ فصل

محمد بن محمد بن موسى

سيف الدين علي بن أحمد المشطوب

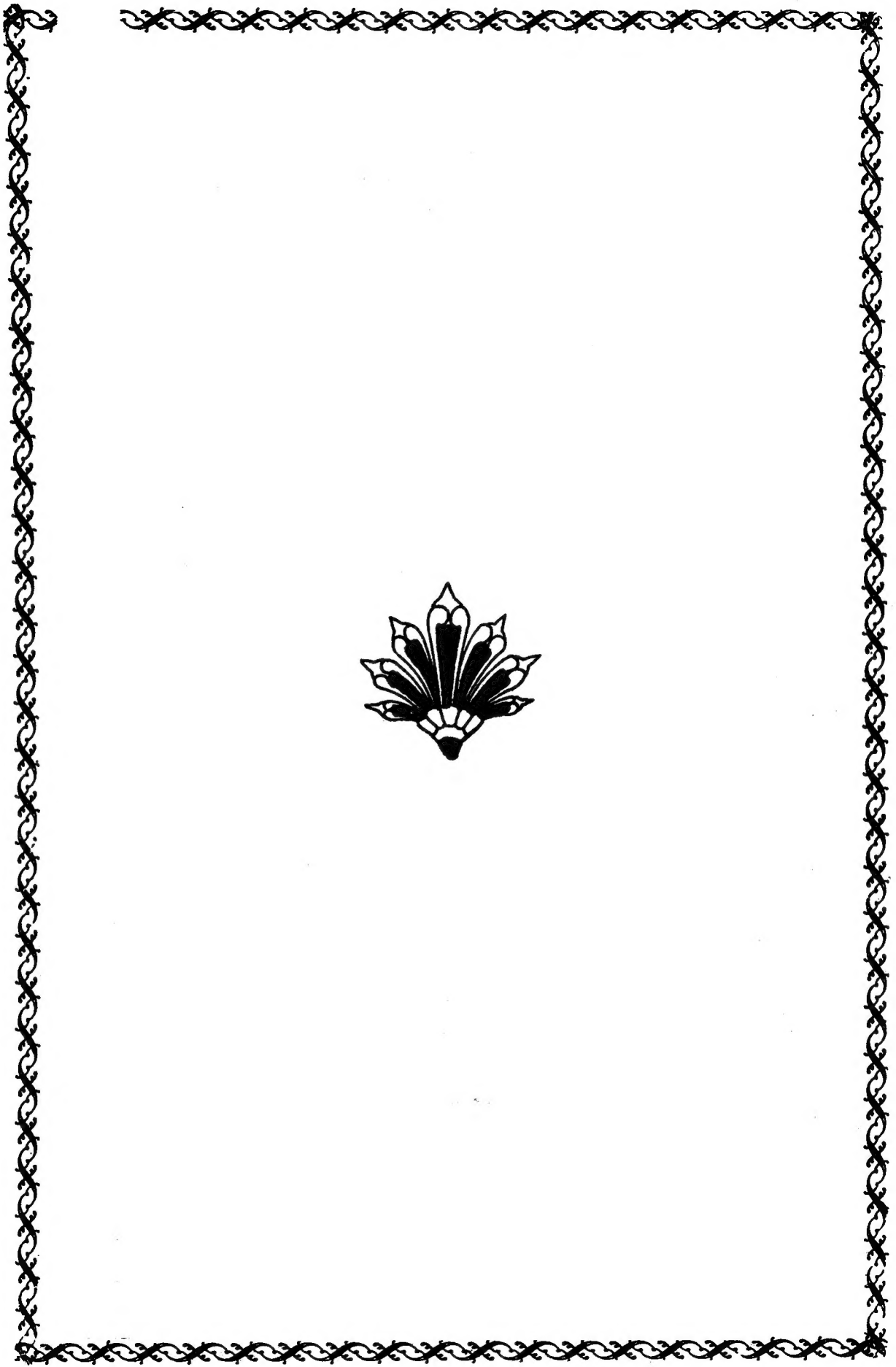
صاحب بلاد الروم عز الدين قلع

أرسلان بن مسعود

نصر بن منصور النميري

انتهى الفهرست







جميع الحقوق محفوظة

للمنشر

مكتبة المعارف  
بيروت